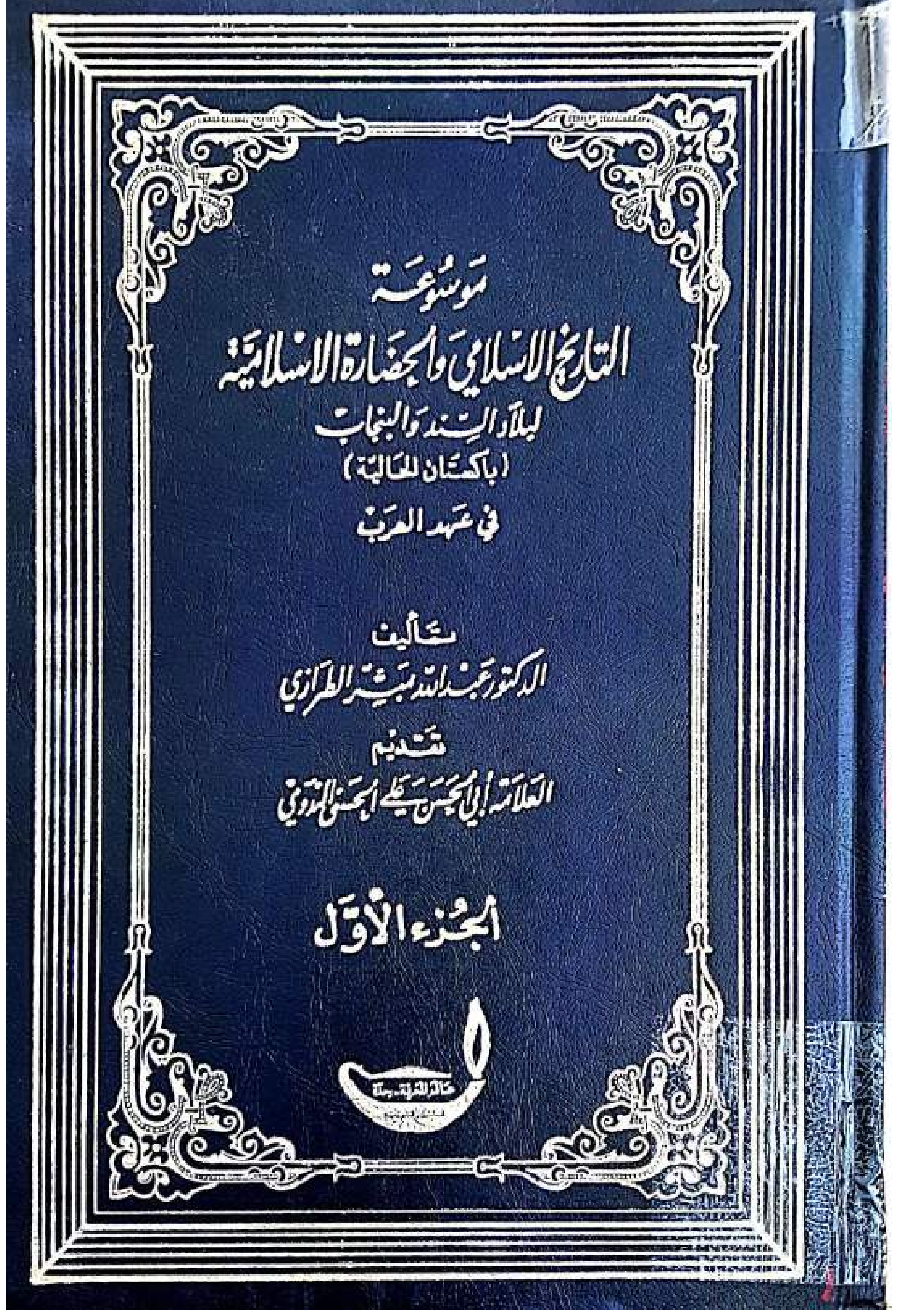

موسوعة
التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
لبلاد السند والبنجاب
(باكستان الحالية)
في عهد العرب
تأليف
الدكتور عبد الله مبشر الطرازي
تقديم
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي
الجزء الأول


موسوعة
التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
لبلاد السند والبنجاب
(باكستان الحالية)

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية)

في عهد العرب

في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي
التاريخ السياسي والديني والاجتماعي والتشريعي والاقتصادي

تأليف
الدكتور عبد الله مبشر الطرازي

تقديم
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

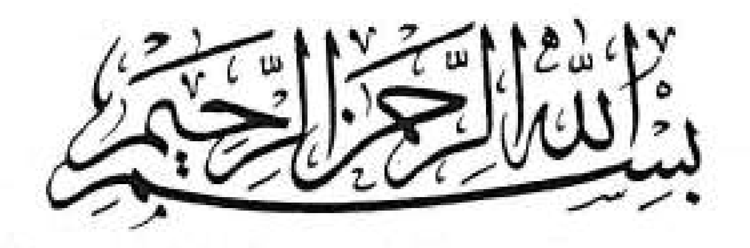
الجزء الأول



الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



جدة - المملكة العربية السعودية - ص. ب. ٥٧٦، برقياً زادفكر
تلكس ٤٠١٢٠٩ شوركو اس جي تلفون: ٦٨٧٧٢٩٠ (٠٢) - ٦٨٧٧٤٢٢ (٠٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم المفكر الإسلامي المعروف
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد، فقد منّ الله على أرض السند إذ جعلها الموطن الأول للفتح الإسلامي المبارك في هذا الجزء من العالم الذي تتكوّن منه باكستان حالياًوالذي كان جزءاً من شبه القارة الهندية قبل إنقسامها إلى بلاد الهند وبلاد باكستان.

فقد عاش هذا الجزء لأول مرة في تاريخها الطويل عصراً كان كله خيراً وبركة على البلاد والعباد، حين شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تدخل هذه البقعة في حضانة الإسلام على أيدي العرب الفاتحين في أواخر القرن الأول الهجري، فعرفت ما لم تكن تعرف من عقيدة سمحة، ورسالة عالمية، وأسس للأخلاق والسجايا الإنسانية الحميدة، وكفاءات عالية لإدارة النظم الحكومية.

لم يكن العرب المسلمون من طراز أولئك الغزاة الذين إذا دخلوا أرضاً أفسدوها، واعتبروها بقرة حلوبا، أو ناقة ركوباً، يحلبون ضرعها ويركبون ظهرها، ويجزون صوفها، ثم يتركونها هزيلة عجفاء، ولا يعتبرون أنفسهم إلا كالإسفنج يتشرب الثروة من مكان ويصبها في مكان آخر، كما كان شأن

الانجليز في الهند، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى، وايطاليا في طرابلس وبرقة، وهولندا في أندونيسيا، بل وهب العرب البلاد التي فتحوها أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة، وأخلاق وسجايا، ومقدرة وكفاية، وتنظيم وإدارة، أقبلوا عليها بالعقل النابغ، والشعور الرقيق، والذوق الرفيع، والقلب الولوع، واليد الحاذقة الصنّاع، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة، ومن عهد الطفولة إلى عهد الشباب الغض، فأمنت بعد خوف، واستقرت بعد اضطراب، وأخذت الأرض زخرفها، وبلغت المدنية أوجها، وتحولت الصحارى الموحشة والأراضي القاحلة إلى مدن زاخرة وأراض خصبة، وتحولت الغابات إلى حدائق ذات بهجة، والأشجار البرية إلى أشجار مثمرة مدنية، ونشأت علوم لا علم بها للأولين، وفنون وأساليب في الحضارة لا عهد لهم بها في الماضي، وانتشرت التجارة، وازدهرت الزراعة، فكأنما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ولبست ثوباً قشيباً.

وقصة بلاد السند والبنجاب لم تكن تختلف عن البلدان التي كانت متأخرة حضارياً وأدبياً، فحولها العرب المسلمون من طور الجاهلية إلى طور الإنسانية، ومن دور التأخر إلى دور التقدم.

كانت هذه البقعة من الأرض وما جاورها من البلدان تعيش في عزلة من العالم، يحكمها ولاة يعتبرون أنفسهم آلهة على الأرض، والناس كانوا يكفرون بين أيديهم، ويقدسونهم كتقديس العبد لربه، وكانت الأرض وخيراتها ملكاً لهم، والناس عبيداً عندهم، يفعلون ما شاءوا ويحكمون بما أرادوا، الرقاب تحت سيوفهم، والأعراض رهينة شهواتهم، الضعيف المكافح كان أذل من الحيوان، ولم يكن الشرف إلاّ بالوراثة، أما من ناحية العقيدة فلم تكن هناك ديانة واحدة، بل ديانات متفرقة، ليس فيما بينها رابط جامع، وكل ما في الأمر أنهم كانوا يعتزون بطقوس وتقاليد ورثوها من آبائهم وتمسكوا بها جهلاً وغروراً.

إن دخول الإسلام إلى بلاد السند وبلاد الهند، كان فاتحة عصر جديد، عصر علم ونور، وحضارة وثقافة، وكانت هذه البقعة من العالم تستحق عناية الباحثين والمؤرخين، ولكن للأسف أهملها المؤرخون باستثناء والدي المغفور له العلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله، الذي أفرد مؤلفاً من مؤلفاته في عرض مآثر المسلمين في شبه القارة الهندية بما فيها بلاد السند والبنجاب، فذكر أسماء المدارس الإسلامية والمستشفيات والمؤسسات الخيرية، والشوارع العظيمة والحدائق العامة، وما سعوا إليه من أساليب التنظيم المدني والإدارة الحازمة العادلة، غير أنه لم يركز اهتمامه على بلاد السند والبنجاب، بل مسح شبه القارة كلها مسحاً علمياً وتاريخياً، في كتابه «الهند في العهد الإسلامي»، الذي يعتبر موسوعة فيمـــا يتصل ببلاد الهند جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، وقد ترجم إلى الانجليزية والأردية.

أما أخونا الفاضل الباحث سعادة الدكتور عبد الله مبشر الطرازي الحسيني في كتابه القيم «موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب» فقد قام بدراسة شاملة لهذه المنطقة بالذات في شبه القارة الهندية، وما كانت عليها في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي في عهد العرب، وهو في بحثه أمين، وفي دراسته موفق، فقد اطلع على أكثر المصادر والمراجع لإكمال هذا التحقيق، واستعرض ما كتبه المستشرقون والمسلمون، وغيرهم من المواطنين الهنود، قارن بما لديه من الأخبار الصحيحة تلك الآراء التي تبنّاها أعداء الإسلام والمسلمين لتضليل الناس وإخفاء معالم الإسلام وخدمات المسلمين نحو الإنسانية جمعاء.

وإذا كان للبيروني فضل في تعريف بلاد الهند من ناحية العقيدة والتقاليد، وصاحب «نزهة الخواطر» في ذكر تراجم علماء الهند، فقد قيّض الله صاحبنا الدكتور عبد الله مؤلف هذا البحث الشامل للإبانة عما كان مطموراً في ثنايا الأسفار، وثنايا التاريخ من أمجاد المسلمين العرب في صدر الإسلام

والعصرين الأموي والعباسي، وخدماتهم التي أدوها للإسلام والإنسانية في بلاد السند والبنجاب وهي بلاد باكستان الحالية.

ويسعدني أن أنوه بالمؤلف الفاضل الذي تربطني به صلة الصداقة والتقدير، وأبدي إعجابي بجهده العلمي الرائع، وإخراج بحث على مستوى عال من التحقيق، وقد كنت كثير التردد إلى والده المجاهد العظيم سماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٥١م،وكان يعطف عليّ عطف الكبير على الصغير والغريب على الغريب.

وقد بحث المؤلف أيضاً الجوانب الاجتماعية التي كانت عليها بلاد السند وعدم إستقرار السلام فيها قبل دخول العرب المسلمين، والفصلان الأول والثاني من الباب السابع لهذا الكتاب يصوران تصويراً دقيقاً للظروف والملابسات الاجتماعية والخلقية والعقائدية التي كانت تلك المنطقة ترزح تحت وطأتها، وما آلت إليه من نظام وعدل وسلام بعد دخول الإسلام فيها.

وإني لمعجب بتنسيق البحث تنسيقاً علمياً، فقد بدأ المؤلف بحثه بتاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها وصلاتها بجيرانها، وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتحدث عن فتح تلك البلاد وإنتشار الإسلام والعلوم الإسلامية فيها، ثم أتى بإشادة مآثر المسلمين ومن نبغ منهم من الشعراء والأدباء والمؤلفين، كما أفرد فصولاً في ذكر أسماء الولاة العرب الذين تتابعوا على الحكم من قبل الخلفاء الأمويين والعباسيين مع حفظ تاريخهم ومدة حكمهم، والإصلاحات التي تناولوا بها في عصورهم.

جزى الله المؤلف الباحث عن العلم والعلماء خيراً، فإنه أغنى المكتبة الإسلامية بمؤلف يستحق كل تقدير وإعجاب.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

لكهنئو ـ الهند ١٥ / ١١ / ١٤٠٢ هـ

الموافق ٤ / ٩ / ١٩٨٢ م

الفهرس الإجمالي للموضوعات
في الجزء الأول

الفهرس الإجمالي للموضوعات في الجزء الأول

الباب الثالث

فتح العرب لبلاد السند والبنجاب وقيام الدولة الإسلامية بها

الباب الرابع

الديانات القديمة ودخول الإسلام في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

الباب الخامس

إنتشار العلوم الإسلامية وتقدم العلوم العقلية بيلاد السند والبنجاب

الفهرس الاجمالي للموضوعات
في الجزء الثاني

الفهرس الإجمالي للموضوعات في الجزء الثاني

الباب الأول

بلاد السند والبنجاب في شعر العرب
والشعراء السند في البلاد العربية

الباب الثاني

الحالة الاقتصادية في بلاد السند والبنجاب
في عهد العــرب

الباب الثالث

الحالة الاجتماعية ببلاد السند والبنجاب في عهـد العـرب

الباب الرابع

نظم الحكم ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب

الباب الخامس

نتائج الفتوحات الإسلامية في بلاد السند والبنجاب لخير العرب وأهل السند والبنجاب

الملاحـــق

فهرس الموضوعات

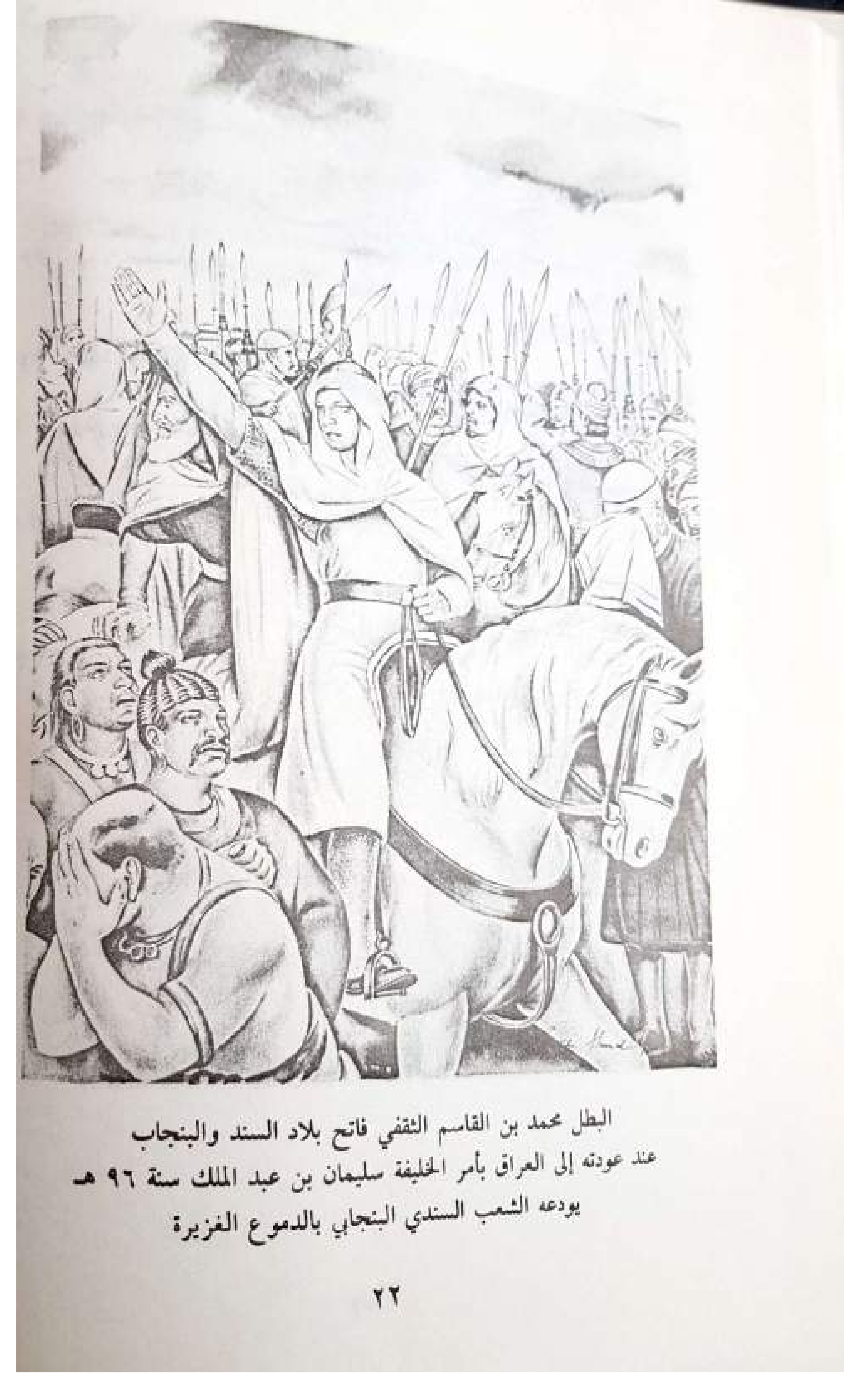
فهرس المراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن التاريخ شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل..

وتاريخ باكستان جزء عزيز من تاريخ الإسلام المشرق.

عبد الله الطرازي



البطل محمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند والبنجاب
عند عودته إلى العراق بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ
يودعه الشعب السندي البنجابي بالدموع الغزيرة

مقدمة

تاريخ الحضارة الإسلامية في بلاد السند والبنجاب
(باكستان الحالية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإن دراسة تاريخ الحضارات ممتعة حقاً، ذلك لأنها تعطينا فكرة عامة عن حياة كل مجتمع عظيم في كل ركن من أركان هذا العالم الكبير، وبالتالي تحيطنا علماً بالتطور البشري كله منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، وذلك بعد أن بدأ الإنسان حياته على صفحة هذه الأرض، ومر بمراحل مختلفة وهو يتنقل من عصر إلى عصر في طريق تطوره، حتى استطاع أن يصل في النهاية إلى مرحلة حضارية تليق بمقامه الإنساني المكرم في هذا الوجود.

ويلاحظ أن معظم الحضارات القديمة بصفة عامة، قد نشأت على وديان الأنهار الكبيرة كالنيل والفرات والسند، وعليها ازدهرت حتى اشتهرت في الآفاق، ويرجع السبب في ذلك إلى توافر العوامل الطبيعية والجغرافية والاقتصادية التي ساعدت في بادىء الأمر على قيام مجتمعات كبيرة متقدمة في مثل تلك الوديان، وأدت بعد ذلك إلى بذل الجهود الفكرية لقيام تلك الحضارات العظيمة بها.

على أن كل حضارة مثلما تقوم بالتدريج بفضل عوامل طبيعية وإنسانية، فإنها تزول أيضاً تدريجياً حين تضعف تلك العوامل، وذلك بعد ما تصل الحضارة إلى قمة الازدهار والمجد وتفي بكل متطلبات الحياة الكريمة، فعندئذ

تقف الحركة الايجابية للحضارة بسبب ما، لتتجه الحضارة بحركتها السلبية نحو الانحطاط شيئاً فشيئاً آخذة طريقها نحو الزوال.

وقد يرجع السبب في زوال الحضارة إلى حدوث خلل في تلك العوامل الطبيعية أو الاقتصادية أو الفكرية التي كانت قد ساعدت على قيامها من قبل، وبالإضافة إلى ذلك فإن الحضارة قد تنتهي أحياناً لأسباب خارجية كالحملات والغزوات الكبيرة المدمرة التي تقضي عليها وعلى آثارها، أو لأسباب داخلية حين تكثر الحروب الأهلية وتزداد معها الأزمة الاقتصادية وتشتد الخلافات الفكرية والمذهبية وتكثر المشاكل الاجتماعية في البلاد.

إن حضارة وادي السند التي تم اكتشاف آثارها في المناطق الأثرية الكثيرة في بلاد السند مثل منطقة موهنجودارو وهربا وامري وجنهود ارو وجهوكر وكوت ديجي وغيرها قد قامت وانتهت أيضاً بسبب نفس العوامل التي ذكرناها فيما سبق، وأهمية حضارة وادي السند من الناحية الاقليمية هي أنها تعتبر بمثابة اللبنة الأولى لتاريخ الحضارة الإنسانية في شبه القارة الهندية كلها، ومن الناحية الدولية فإنها لا تقل شأناً عن غيرها من الحضارات العالمية القديمة كالحضارة المصرية والحضارة اليونانية والحضارة العراقية والحضارة الايرانية، وقد كانت حضارة السند هذه معاصرة لتلك الحضارات العظيمة بحيث يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وعلى ذلك فإننا إذا اعتبرنا مصر في القديم منبعاً للحضارة في القارة الإفريقية واعتبرنا العراق مركزاً للحضارة في آسيا، فإن وادي السند بلا شك كان مصدراً للحضارة في شبه القارة الهندية، وبذلك يكون وادي السند قد لعب دوره الفعال في تقدم ركب الحضارة العالمية نحو الأمام في تلك العصور الماضية البعيدة.

وإن الآثار التي عثر عليها في مصر والعراق والسند متشابهة إلى حد بعيد، وهي تدل على وجود العلاقات التجارية بين المناطق الحضارية في الأزمان القديمة، ويمكن لنا القول بأن تلك العلاقات التجارية قد مهدت

الطريق للروابط الفكرية والثقافية بين البلاد المتحضرة بصفة خاصة والبلاد الأخرى بصفة عامة، بحيث انتقلت الأفكار والأداب والعلوم بواسطة التجار والسياح من بلدة إلى بلدة مما أدى ذلك إلى استفادة الشعوب بعضها من البعض في النواحي المختلفة، وكانت تلك الروابط في مجموعها بمثابة رابطة إنسانية شاملة تربط بين بني نوع الإنسان في أنحاء العالم.

وكما قلنا إن كل حضارة مثلما تقوم بفضل عوامل خلاقة لها فإنها تزول حين تضعف تلك العوامل، وربما تقوم محلها حضارة أخرى إذا اكتملت العناصر الدافعة لقيامها مرة ثانية ولو بعد زمن بعيد، وهذا ما حدث بالنسبة للحضارة في بلاد السند التي مرت بعد عهد حضارة موهنجود ارو بمراحل تاريخية كثيرة، وكانت هذه المراحل التي دامت أكثر من ثلاثة آلاف سنة هي مراحل الانحطاط والتأخر والاضطراب، وذلك بسبب الحالات الطبيعية والاقتصادية أحياناً، وبسبب الظروف السياسية والحربية في كثير من الأحيان، بحيث تعرضت بلاد السند قديماً لحملات خارجية كبيرة متالية قام بها الغزاة الأجانب من الجهات المختلفة فقد غزاها الآريون والهون والسيت والهنود واليونان والفرس وغيرهم، ولم يترك هؤلاء الغزاة أثراً طيباً في ميدان الثقافة والفكر أو في ساحة المدنية والحضارة، بل كانوا عموماً يعملون لصالحهم الخاصة، مهملين شؤون البلاد ومصالح الشعب السندي، ولذلك بقيت بلاد السند متأخرة في النواحي الكثيرة، وقد استمرت تلك السلسلة من الحملات والغزوات الكبيرة إلى القرن الخامس للميلاد، حتى قامت ببلاد السند دولة بوذية، وفي عهدها شعرت البلاد بشيء من الاستقرار والرفاهية، ولكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً بسبب قيام الفتن الداخلية السياسية والمذهبية والاجتماعية، وكانت الحروب الأهلية الدامية جارية بين الأحزاب السياسية من جهة وبين أصحاب المذاهب المختلفة من جهة أخرى، وقامت نتيجة لذلك دولة برهمية طاغية في القرن السابع للميلاد وظلت قائمة إلى أن فتح

العرب بلاد السند في القرن الثامن للميلاد (أواخر القرن الأول للهجرة) وحتى هذا التاريخ كان الشعب السندي لا يزال يعاني الكثير من المشاكل السياسية والخلافات المذهبية والمظالم الاجتماعية، وكان يتمنى أن تقوم في البلاد وحدة سياسية وحرية دينية وحياة اجتماعية عادلة لينعم الشعب بالاستقرار والرخاء، وتأخذ البلاد طريقها نحو التقدم والازدهار، نحو إعادة بناء النهضة والحضارة.

وقد أحسن المؤرخ توينبي التعبير حين قال بأن التاريخ يعيد نفسه، فما حركة الليل والنهار إلا كعجلة دائرة مستمرة تعبر عن حركة الحياة والتطور الإنساني مع تكرار الأحداث.

وكذلك أعاد التاريخ نفسه بالفعل في بلاد السند والبنجاب عندما قامت بها الدولة العربية الإسلامية، بعد أن تم فتحها على يد البطل الشاب محمد ابن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ واستمرت حتى سنة ٤١٦ هـ، وفي عهد هذه الدولة العربية الإسلامية عادت الوحدة والحرية والعدالة إلى حياة الشعب السندي والبنجابي، وقد اهتم العرب ببلاد السند والبنجاب، وعرفوا كيف ينهضون بتلك البلاد التي يحكمونها والتي يعتبرونها جزءاً عزيزاً من وطنهم الكبير وهو الوطن الإسلامي، فاهتموا بادىء الأمر بتأسيس حكومة منظمة عادلة لأول مرة في تاريخ هذه البلاد، وحين اطمأنوا بأن الأمور الإدارية المختلفة قد أخذت وضعها الطبيعي في البلاد متجهة نحو الاستقرار، اتجهوا بالاهتمام البالغ إلى نهضة البلاد من الناحية الفكرية والعلمية، فمن جهة قاموا بنشر الإسلام والعلوم العربية والإسلامية التي أتوا بها معهم، ومن جهة أخرى عملوا على ازدهار العلوم العقلية والعملية والفنية الموجودة في البلاد حتى تكون النهضة شاملة، وكان من أهم الأعمال الفكرية والثقافية التي قام بها العرب في هذا الصدد، هو أنهم أخذوا العلوم والثقافات المختلفة في العالم من ضمنها العلوم والثقافة المعروفة ببلاد السند والبنجاب، وبعد دراستها والتحقيق فيها اختاروا منها ما يناسب تعاليم دينهم الإسلامي، ثم مزجوها بثقافتهم

العربية وأخرجوها في صورة جديدة تشتمل على جوهر الحضارات كلها، فقدموها إلى شعوب العالم وإلى أهل السند والهند، بالإضافة إلى قيامهم بنقل علوم الشعوب السندية والهندية إلى شعوب العالم في مشارق الأرض ومغاربها، وفتحوا أبواب التعارف والتقارب بين تلك الشعوب المختلفة من جديد بعد أن كانت شبه القارة الهندية قد بقيت منعزلة عن العالم الخارجي زمناً طويلاً منذ زوال حضارة موهنجود ارو، وبذلك أقام العرب رابطة فكرية عظيمة بين الشرق والغرب مرة أخرى، استمرت إلى يومنا هذا.

ولم يمض أكثر من قرن واحد على حكم العرب، حتى اشتهرت بلاد السند والبنجاب بالنهضة في جميع النواحي، ولا سيما في الناحية العلمية والثقافية، وقد برز العلماء السند والبنجابيون ليشاركوا اخوتهم العرب في داخل البلاد وخارجها، مشاركة فعالة في دفع عجلة النهضة العلمية نحو الكمال والمجد، حتى صارت بلاد السند والبنجاب مركزاً للعلم ومعبراً هاماً للثقافات المختلفة في ذلك العصر، ثم وصلت هذه النهضة بالتدريج إلى مرحلة حضارة يمكن تسميتها بالحضارة العربية الإسلامية ببلاد السند والبنجاب.

وبذلك أشرقت شمس الحضارة من جديد على بلاد السند والبنجاب مع فجر الإسلام، بعد أن عاشت تلك البلاد نحو ثلاثة قرون من الزمن في الظلام والتأخر، ويرجع الفضل في قيام هذه الحضارة وبقاء آثارها الخالدة في تلك البلاد حتى يومنا هذا إلى تعاليم الإسلام السامية التي تدعو إلى وحدانية الله، وإلى الحق والخير والفضيلة، وإلى طلب العلم والمعرفة، وإلى المساواة والأخوة، وإلى العمل البناء لخير الإنسانية جمعاء، ويرجع الفضل في ذلك أيضاً إلى سماحة العرب مع شعوب البلاد المفتوحة وحبهم الخير للجميع وتقديرهم للعلم والعلماء، فالعرب أينما حلوا لم يحاولوا القضاء على الآثار الباقية للمدنية أو الحضارة التي وجدوها في البلاد المختلفة في ميادين الفكر والعلم والفن، بل اهتموا بها وشجعوا على تقدمها وازدهارها وحاولوا الاستفادة منها

ولذلك كانت حضارتهم العربية الإسلامية حضارة عالمية أيضاً بقدر الإمكان، بمعنى الكلمة ومقبولة عند الجميع.

وهكذا استطاع العرب أن يقيموا حضارة عظيمة ببلاد السند والبنجاب، على أن هذه الحضارة أيضاً كغيرها من الحضارات تعرضت للأخطار وأخذت تفقد قوتها بسبب الظروف السياسية، ولكن بالرغم من أن العهد العربي الذي بدأ في سنة ٩٢ هـ واستمر أكثر من ثلاثة قرون وانتهى في سنة ٤١٦ هـ، فإن آثار العرب الفكرية والمذهبية والاجتماعية لم تنته، بل بقيت مشرقة تنير العقول والقلوب بنور العلم والإيمان، وظلت معها العلاقات الروحية والعلاقات الثقافية قائمة بين العرب وإخوتهم السند والبنجابيين، بل ازدهرت قوة الأخوة الإسلامية بمرور الأيام والسنين.

وكان من نتائج تلك الآثار الطيبة التي تركها العرب ببلاد السند والبنجاب أن فتحت أجزاء من بلاد الهند الواسعة أيضاً على أيدي المسلمين بعد ذلك بزمن قصير في القرن الخامس الهجري، وقامت بها سلطنة إسلامية عظيمة، نتيجة للفتوحات الإسلامية التي قام بها السلطان محمود الغزنوي، ومعنى ذلك أن انتشار الإسلام في بلاد الهند على أيدي الغزنويين اللاحقين، لم يكن إلا امتداداً لانتشاره في بلاد السند والبنجاب على أيدي العرب السابقين، ومن هنا أطلق أهل السند على بلادهم اسم (السند باب الإسلام) أي الباب الذي دخل منه نور الإسلام إلى شبه القارة الهندية كلها، ويقيم أهل باكستان كل عام احتفالاً كبيراً لإحياء ذكرى يوم الفتح العربي لبلادهم السند والبنجاب.

ويكفي أن نرى للفتح العربي الإسلامي المبارك ببلاد السند والبنجاب ثمرة عظيمة تتمثل في قيام دولة باكستان الإسلامية بها في ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ تلك الدولة المسلمة العظيمة التي استمدت اسمها من روح الإسلام حين سميت باسم باكستان أي الأرض الطاهرة.

عبد الله الطرازي

تمهيد

إن هذا الموضوع الذي تم اختياره لإعطاء حقه خدمة للعلم والتاريخ والإسلام، رغم صعوبته الشديدة وطول فترته التاريخية، موضوع هام قد ترك مكانه خالياً بين صفحات التاريخ منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر، ألا وهو التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب، ذلك التاريخ الذي لا يخص أهل باكستان وحدهم وإنما يخص العرب أيضاً، لأن تاريخ المسلمين أينما كانوا وفي كل العصور والأزمان هو تاريخ مشترك يكمّل بعضه بعضاً، ولا يمكن فصل جزء منه عن الأجزاء الأخرى.

ولكن للأسف لم يعط الباحثون لهذا الموضوع حقه الكامل باهتمام خاص يليق بمقامه في دراسة مستقلة شاملة، وشاء القدر أن أتيحت لي الفرصة لكي أبذل جهداً كبيراً لسد هذه الثغرة المهمة في تاريخنا الإسلامي المجيد.

إن الذين كتبوا قليلاً عن أخبار بلاد السند والبنجاب في عهد العرب ينقسمون إلى قسمين: الأجانب غير المسلمين ثم المسلمين من العرب والعجم، فالأجانب من المستشرقين والمؤرخين الأوروبيين والهنود، لم يقصدوا أن يكتبوا بالتفصيل ولم يشأوا التحدث عن بلاد السند والبنجاب بالاهتمام، وإنما ذكر البعض منهم في كتبهم المختلفة عنها شيئاً بسيطاً من الناحية التاريخية والجغرافية بصفة خاصة، والبعض الآخر من الناحية الفكرية والمذهبية بصفة عامة، واكتفي أكثرهم بالاشارة السريعة إلى الناحية السياسية بذكر فتح العرب لبلاد السند والبنجاب بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، على أن ذلك الفتح لم يكن إلا حدثاً غير مهم في تاريخ العالم، وأنه كان مجرد حملة قام بها العرب

بقصد غزو البلاد لاستغلال خيراتها من ناحية ومحاولة نشر الإسلام بين شعوبها بقوة السيف أو بفرض الجزية من ناحية أخرى، لا شك في أن مثل هذه الكتابات كانت لمصلحة الاستعمار الأوروبي ولمصلحة دول أخرى في المنطقة، وذلك بالإساءة إلى سمعة العرب والمسلمين من جهة، وتشويه الروابط الطيبة بين العرب والسند من جهة أخرى، ولذلك تعمد هؤلاء الأجانب المغرضون أن يتناسوا الحقائق التاريخية وينكروا العلاقات الثقافية والدينية والاجتماعية الوثيقة التي تربط بين الطرفين منذ قرون عديدة، والتي لا تزال آثارها باقية في أجمل صورها وأسمى معانيها.

وأما من المسلمين الذين كتبوا عن بلاد السند والبنجاب في بعض كتبهم المختلفة، فإنهم أيضاً ينقسمون إلى قسمين، فمنهم من اتبع مع الأسف الشديد - حتى أوائل هذا القرن - طريقة بعض الباحثين الأوروبيين أو المؤرخين الأجانب الذين كانوا يهدفون في مؤلفاتهم إلى مقاصد خاصة لمصلحة الاستعمار أو لمصلحة بلاد أجنبية لأسباب كثيرة، بحيث لم يتنبه الكتّاب المسلمون إلى تلك المقاصد فقبلوا الكثير مما أضافه هؤلاء الأجانب إلى التاريخ زوراً وبهتاناً، بل سجلوه في كتبهم التاريخية بدون تحقيق، واكتفوا بذكر عبارات موجزة عن فتح العرب لبلاد السند والبنجاب من الناحية التاريخية، على أن آثار الفتح الإسلامي قد انتهت سريعاً دون نتائج كبيرة، وبذلك ارتكب هؤلاء المسلمون أيضاً أخطاء جسيمة في حق تاريخهم بدون قصد، وذلك بسبب اعتمادهم الكامل في أخذ البيانات من كتب أولئك المؤرخين الأوروبيين والأجانب المغرضين الذين كثيراً ما شوهوا وجه الحقائق في التاريخ الإسلامي.

ثم في منتصف هذا القرن العشرين، ظهر بين الكتّاب المسلمين في القارة الهندية بعض المفكرين المسلمين الذين تنبهوا للحقيقة المرة، وأرادوا أن يذكروا في كتبهم الثقافية المختلفة بعض جوانب تاريخ بلاد السند والبنجاب ولو

بالاختصار، وذلك محاولة منهم في أن يعطوا لتاريخ هذه البلاد شيئاً من حقه بقدر الامكان، معتمدين على بعض المراجع العربية والفارسية الأصلية، لا على كتب الأجانب المليئة بالأخطاء والتشويهات، فتحدثوا عن بعض أخبار الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والبنجاب وبعض آثارها، ولكنهم لم يوفقوا تماماً في أن يعطوا لأعمال العرب الفاتحين حقها الكامل بالتقدير، في جميع الميادين السياسية والثقافية وكذلك الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما في نشر الإسلام والعلوم الإسلامية والعربية، تلك الأعمال العظيمة التي أنجزوها بعد بذل الجهود الجبارة في خلال حكمهم الطويل الذي دام أكثر من ثلاثة قرون (٩٢ - ٤١٦ هـ)، كما لم يستطع هؤلاء الكتّاب المسلمون أن يعطوا صورة كاملة عن العلاقات المختلفة بين العرب والسند، ولا عن دور أهل السند في قيام النهضة العربية الشاملة في العصر العباسي ومشاركتهم في بناء صرح الحضارة الإسلامية.

ويرجع النقص الكبير عند هؤلاء الكتّاب المسلمين إلى عدم تيسر مطالعة جميع الموضوعات لهم، ودراستها في المراجع المختلفة باللغات العديدة، وذلك إما لضيق الوقت وقلة الصبر أمام المعلومات الكثيرة للفترة التاريخية الطويلة، تلك المعلومات التي لها صلة بتاريخ بلاد السند والبنجاب وأخبارها المتنوعة، وهي متناثرة ومبعثرة هنا وهناك بين مئات الكتب القديمة والحديثة، يصعب جمعها بمراجعة الكتب التاريخية والجغرافية، والكتب الدينية والمذهبية والفلسفية، والكتب العلمية والأدبية والثقافية المختلفة، كما يصعب ترتيبها بسبب كثرة الاختلافات والغموض وكثرة الأخطاء والنقوص، وإما لعدم معرفتهم بلغات عديدة التي دونت بها تلك الكتب التي تتحدث عن بلاد السند والبنجاب أهمها العربية والفارسية، ثم الأردية والسندية، وكذلك الانجليزية والفرنسية، ولعدم استطاعتهم الوصول إلى كثير من الكتب الثقافية الإسلامية الأخرى التي لا تتعلق بصفة مباشرة بأخبار بلاد السند والبنجاب،

ولكنها في الحقيقة تحتوي على كثير من البيانات القيمة عنها، بحيث لم يخطر على بال هؤلاء الكتّاب المسلمين الذين كتبوا شيئاً عن بلاد السند بأن المواد التاريخية الناقصة في الكتب المعروفة، ولا سيما المواد الثقافية والعلمية وأخبار العلاقات المختلفة بين العرب والسند طوال تلك القرون، يمكن الحصول عليها وجمعها وتكميلها بدراسة مثل هذه الكتب الإسلامية الأخرى، غير المتعلقة ببلاد السند، دراسة فاحصة شاملة بالصبر والسهر.

وقد حاولت أنا هذه المحاولة بتوفيق من الله، ونجحت محاولتي بمطالعة عشرات بل مئات الكتب العربية القديمة في الموضوعات الإسلامية المختلفة غير المتعلقة ببلاد السند والبنجاب، فخرجت منها بذخيرة علمية كبيرة وبيانات ثقافية مدهشة وأخبار متنوعة مفيدة للغاية، كلها تشير إلى وجود أوثق العلاقات الطيبة بين العرب والسند في جميع المجالات، كما تشهد على قيام نهضة عظيمة ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب.

فبعد دراسة المراجع التاريخية الإسلامية المتعلقة بأخبار بلاد السند والبنجاب، وبعد البحث الدقيق في الكتب العلمية والثقافية المختلفة غير المتعلقة بتلك البلاد، وبعد المقارنة بين المراجع الأصلية الأساسية القديمة والمراجع الأخرى الحديثة، ودراسة ما كتبه الأجانب مع مقارنتها بما كتبه المسلمون، في اللغات المختلفة، استطعت بعد هذا كله أن أقوم بتسجيل تاريخ بلاد السند والبنجاب وثقافتها الإسلامية في عهد العرب، وذلك في صدر الإسلام وفي العصرين الأموي والعباسي في صورة صحيحة كاملة مشرقة، بعد إصلاح الأخطاء والرد على الأباطيل عند كثير من الكتّاب الأجانب، وبعد تصحيح السهو ورفع الغموض وتكميل النقص والنسيان عند بعض الكتّاب المسلمين.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن هدفي لم يكن من البحث والتحقيق والدراسة

في هذا الموضوع، أن أسجل كل ما قدمه العرب من الخدمات العظيمة لبلاد السند والبنجاب فحسب، بل كان هدفي أيضاً أن أسجل كل ما استفاده العرب من فتح هذه البلاد، فقد كان يفهم حتى الآن من مطالعة الكتب التاريخية العربية أن العرب هم الذين أفادوا بلاد السند وأهلها كثيراً في عهدهم من النواحي المختلفة، السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية، وكان هذا الاعتقاد سائداً حتى عند بعض الكتّاب المسلمين الذين كتبوا شيئاً عن بلاد السند في كتبهم التاريخية والثقافية، والحقيقة أن العرب أيضاً استفادوا من فتح بلاد السند في النواحي الكثيرة التي لا تأتي أخبارها كاملة في الكتب التاريخية المعروفة، وإنما يمكن معرفتها من الكتب العربية والإسلامية الأخرى غير التاريخية التي لا يعتقد الكثيرون عادة عند قيامهم بأبحاث علمية عن بلاد السند والبنجاب بأنها تحوي على شيء مهم من أخبار تلك البلاد وهي ـ كما قلنا ـ منبع للمعلومات المتنوعة القيمة والبيانات الكثيرة النادرة ولا سيما من الناحية الثقافية، واشتراك علماء السند في بناء النهضة العلمية العظيمة في العصر العباسي في البلاد العربية عامة وفي بغداد دار الخلافة خاصة، وبذلك لا تقل هذه الكتب المختلفة أهمية عن المراجع التاريخية المشهورة، بل إن مثل هذه الكتب يكمل النقص الكبير للمعلومات في المراجع المعروفة وترفع من قدرها العلمي والتاريخي.

لمعرفة تاريخ بلاد السند وأخبارها المختلفة، لا توجد أمامنا سوى مراجع أساسية قديمة قليلة بالعربية والفارسية التي لها علاقة قوية بذكر حالات بلاد السند، يمكن لنا الاعتماد عليها (وهي المراجع التي اعتمد الآخرون على بعضها في كتبهم العلمية والثقافية) ثم يمكن لنا الاستعانة بالمراجع الإسلامية المختلفة بالعربية والفارسية التي ليست لها علاقة مباشرة بتاريخ بلاد السند (وهي المراجع التي لم يتيسر للآخرين أن يطلعوا على معظمها) وبها تكتمل المعلومات التي نجدها في المراجع الأساسية، وأخيراً يمكن لنا الاستفادة من

الكتب والأبحاث الأخرى القديمة والحديثة في اللغات المختلفة، بالعربية والفارسية والسندية والأردية والكجراتية وكذلك بالانجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها.

وإن المراجع الأساسية القليلة التي تتحدث عن بلاد السند والبنجاب من الناحية التاريخية بصفة خاصة ومن النواحي الأخرى بصفة عامة، تنقسم إلى مجموعات عديدة من حيث نوعيتها وأهميتها كالآتي:

المراجع المحلية القديمة: هي الكتب التي ألفت في عهد العرب ببلاد السند والبنجاب نفسها، ولم يبق منها سوى كتاب واحد وهو كتاب «منهاج الدين والملك» الذي اشتهر باسم «جچنامه» وقد ألفه عالم عربي باللغة العربية في أواخر العصر الأموي ببلاد السند، ثم قام عالم عربي آخر بترجمته إلى الفارسية في أوائل القرن السابع الهجري ببلاد السند، والنسخة العربية الأصلية مفقودة وبقيت النسخة الفارسية المترجمة، ثم هناك بعض الكتب المحلية التي ظهرت ببلاد السند في القرون التالية لعهد العرب، مثل كتاب تاريخ بهادرشا هي بالفارسية الذي يحتوي على باب مستقل عن بلاد السند، وهو وإن كان يشتمل على بيانات كثيرة مستمدة من كتاب جچنامه فإنه يتميز بمعلوماته الأخرى عن بلاد السند، ولكنه لسوء الحظ قد ضاع مع حوادث الدهر، وكذلك من الكتب المحلية المتأخرة مثل تاريخ معصومي وتحفة الكرام وهما بالفارسية أيضاً في تاريخ بلاد السند ولكن ليست لأمثالها من الكتب أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ بلاد السند في عهد العرب، لأنها لا تحتوي على معلومات جديدة تكون قابلة للتحقيق سوى أسماء بعض الولاة العرب ببلاد السند كأبي تراب، تلك الأسماء التي لم يرد ذكرها في الكتب العربية والفارسية القديمة، وكذلك نلاحظ في كتب التاريخ العام لبلاد الهند أبواباً مستقلة عن بلاد السند مثل تاريخ فرشته وتاريخ رحيمي وآئين اكبري وتاريخ طاهري وطبقات اكبري وطبقات ناصري وغيرها وكلها بالفارسية وطبعاً متأخرة عن

عهد العرب ببلاد السند، ولكن هناك كتاب مهم جداً يدخل في زمرة المراجع المحلية عن العهود القديمة وإن كان قد تم تأليفه في العصر الحديث وهو في تاريخ راجستان بالهند، عبارة عن روايات قديمة عن راجستان على شكل الأزجال والأشعار القومية، وقد قام المستشرق تود بجمعها ووضعها في قالب كتاب تاريخي وهو يحتوي على بعض بيانات قديمة عن بلاد السند والبنجاب أيضاً في عهد العرب، وبالمثل نجد بيانات أخرى حول بلاد السند والبنجاب في الكتب التاريخية عن الكجرات والكاتيا وار وغيرها من المناطق الهندية المجاورة لبلاد السند والبنجاب.

المراجع العربية القديمة: وهي الكتب التي ألفت في خارج بلاد السند، وتعد في المرتبة الأولى بين المراجع التاريخية مثل كتب المؤرخ المعروف المدائني وهي ثلاثة كتب في أخبار بلاد السند والبنجاب اهمها باسم تاريخ ثغر السند، ولكنها فقدت أيضاً، ونجد ذكر بيانات كثيرة منها في بعض الكتب العربية التي كتبت بعدها مباشرة بزمن قليل مثل فتوح البلدان للبلاذري، على أن كتب المدائني هذه تعتبر من أقدم الكتب التي ألفت عن بلاد السند والبنجاب، ثم يليها كتاب فتوح البلدان للبلاذري (المتوفى ٢٧٩ هـ) الذي يعتبر أول كتاب عربي موجود في تاريخ الفتوح تم تأليفه في العصر العباسي الثاني، يتحدث عن فتح بلاد السند والبنجاب وأخبارها التاريخية في العصرين الأموي والعباسي، ثم يليه تاريخ اليعقوبي لليعقوبي (المتوفى ٢٨٤ هـ) الذي لا يختلف كثيراً في بياناته عن فتوح البلدان إلا في بعض الأخبار المتعلقة بالولاة العباسيين المتأخرين في بلاد السند والبنجاب.

المراجع التاريخية الأخرى: وهي الكتب التي ألفها شخصيات بارزة في علم التاريخ مثل الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ) وكتابه يعرف باسم كتاب أخبار الرسل والملوك، وابن الأثير (المتوفى ٦٣٠ هـ) وكتابه المعروف باسم التاريخ

الكامل، وابن خلدون (المتوفى ٨٠٨ هـ) الذي يعتبر بدوره من أئمة المؤرخين وله كتاب هام اشتهر باسمه وهو تاريخ ابن خلدون، وان بيانات هذه الكتب في الغالب توافق البيانات الواردة عند البلاذري واليعقوبي، ولكن مع شيء من التفصيل ومع اختلافات بسيطة في ذكر أسباب الأحداث وتعيين سنواتها ومع اختلافات كبيرة في أسماء المدن والأماكن السندية.

المراجع التاريخية المساعدة : هي الكتب التي لا تختص بالتاريخ وحده بل تحتوي على أخبار مختلفة لبلاد السند والبنجاب، أخبار ثقافية واجتماعية ومذهبية واقتصادية، وهي أيضاً لشخصيات كبيرة مثل المسعودي (المتوفى ٣٤٦ هـ) له من الكتب، كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والاشراف، والبشاري المقدسي (المتوفى ٣٧٥ هـ) وله كتاب أحسن التقاسيم، ونجد في مثل هذه الكتب بيانات جديدة للتطورات السياسية والمذهبية التي حصلت في القرن الرابع الهجري أي في أواخر عهد العرب ببلاد السند والبنجاب، وهي البيانات التي لا نجد أمثالها في الكتب التاريخية السابقة، وهي لذلك بيانات مهمة للغاية.

المراجع الجغرافية العربية : وهي الكتب والمذكرات التي سجلها الجغرافيون والسياح العرب عن أخبار بلاد مختلفة بما فيها بلاد السند والبنجاب، وهي تضم بين سطورها علاوة على المعلومات الجغرافية عن المدن والطرق التجارية والمواصلات والمناخ، تضم معلومات أخرى قيمة عن الحالات الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية، منها كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (المتوفى ٣٠٠ هـ) وكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته (أواخر القرن الثالث الهجري) وكتاب البلدان لابن الفقيه (القرن الثالث الهجري) ومذكرات السفر لسليمان التاجر (القرن الثالث الهجري) ومذكرات السفر لأبي زيد السيرافي (القرن الثالث الهجري) وكتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار (القرن الثالث الهجري) ومسالك الممالك للأصطخري (القرن الرابع

الهجري) وكلها كتب ألفت عن مشاهدة ذاتية ودراسة شخصية، ولذلك لها أهميتها الخاصة، ولا سيما كتاب تاريخ الهند للبيروني (المتوفى ٤٤٠ هـ) الذي يعد من أعظم الكتب التاريخية والعلمية.

المراجع الأدبية والمذهبية: وهي من مؤلفات الكتّاب العرب القدماء المعروفين مثل الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) ومن كتبه الأدبية التي تضم أخباراً متنوعة عن العلوم الفكرية وعن العلماء السند والبنجابيين، كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب فخر السودان على البيضان وغيرها، وابن النديم (المتوفى ٣٨٥ هـ) وله كتاب في أسماء العلماء والأدباء وكتبهم المختلفة وهو كتاب الفهرست الذي يعتبر كتاباً نادراً في نوعه، وابن قتيبة (المتوفى ٣٧٦ هـ) ومن أشهر كتبه الشعر والشعراء، ومطهر المقدس (المتوفى ٣٢٢ هـ) وله كتاب البدء والتاريخ وهو في الأخبار المذهبية، وعبد القاهر البغدادي (المتوفى ٤٢٩ هـ) وله كتاب الفرق بين الفرق وهو في تاريخ المذاهب والديانات، والشهرستاني (المتوفى ٥٤٨ هـ) الذي له كتاب باسم كتاب الملل والنحل في تاريخ الديانات المختلفة.

وقد كانت هذه الكتب المذكورة كلها معروفة عند المؤرخين المعاصرين من المسلمين والأوروبيين الذين كتبوا شيئاً عن تاريخ بلاد السند والبنجاب أو عن حالاتها المختلفة في ايجاز شديد، كل واحد منهم حسب تخصصه ونوعية موضوعه وبقدر ضرورته، وذلك في مواضع مختلفة ولكن بشكل غير جامع ولا كامل حتى في موضوعه المتعلق ببلاد السند.

وبالإضافة إلى تلك المراجع الأساسية، توجد كتب أخرى كثيرة - كما أشرنا إليها سابقاً - ليست لها علاقة مباشرة بتاريخ بلاد السند والبنجاب، ولكنها تحتوي بين موضوعاتها المختلفة على معلومات قيمة وخاصة من الناحية الثقافية والعلمية، ويمكن تقسيمها أيضاً إلى عدة مجموعات.

الكتب التاريخية المختلفة : وهي الكتب التي تتحدث عن تاريخ بلاد عربية وغيرها، مثل كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ) في أجزاء كثيرة، وكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر في عدة أجزاء أيضاً، وهكذا تاريخ الأندلس وتاريخ مصر وتاريخ إيران وتاريخ الغزنويين وتاريخ الفاطميين، فكل تلك الكتب القديمة تضم بين جوانبها معلومات تاريخية ولا سيما ثقافية وفكرية تتعلق ببلاد السند والبنجاب وأهلها وعلمائها العظام، تلك البيانات التي لا تجد أكثرها في الكتب الأخرى.

الكتب العلمية والثقافية : وهي الكتب التي دونت في تاريخ العلوم (عند الأقوام المختلفة) وفي علم الرجال وعلم الأنساب، وفي علم التفسير والمفسرين، وفي علم الحديث والمحدثين، وفي علم الفقه والفقهاء، وفي العلوم الفكرية والفلسفية ورجالاتها، وهي كتب كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى، ومعظمها تحتوي بين سطورها على أسماء عشرات وعشرات من علماء السند في البلاد العربية وغيرها من البلاد الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، وتذكر مؤلفاتهم الكثيرة وخدماتهم العظيمة للإسلام، ومنها كتاب التعريف بطبقات الأمم للصاعد الأندلسي (المتوفى ٤٦٢ هـ) وهو في تاريخ العلوم عند الأقوام المختلفة ويعتبر من الكتب النادرة في نوعه، وكذلك كتب السمعاني وابن الجوزي وابن الجزري وابن قتيبة وابن خلكان والكتبي وابن حجر وغيرهم من الكتّاب والنساب والعلماء العرب الكبار في العصر العباسي.

ولم يطلع الدارسون والباحثون في تاريخ بلاد السند والبنجاب على معظم هذه الكتب القديمة القيمة التي ليست لها علاقة مباشرة بتاريخ تلك البلاد، ومن ثم كانت بياناتهم غير كاملة في الجوانب الفرعية التي كتبوا عنها بالنسبة لبلاد السند والبنجاب.

وبعد ذلك هناك كتب أخرى حديثة في مختلف الموضوعات، وهي الكتب

التي لا نعدها من المراجع الأساسية، ولكن يستحسن دراستها للرد على بعض الأباطيل عند كثير من الكتّاب الأجانب، واصلاح بعض الأخطاء عند الكتّاب المسلمين، وهذه الكتب تنقسم إلى مجموعتين هما:

الكتب الأجنبية الحديثة : وهي الكتب الجغرافية والتاريخية والفكرية للمستشرقين الأوروبيين، فالذين كتبوا أو قاموا بدراسات ميدانية في الناحية الجغرافية مثل كاننجهام وهيج وراورتي وابت ولامبريك، قد أفادوا التاريخ والجغرافيا كثيراً حين أوضحوا المعلومات السابقة الغامضة عند الجغرافيين والمؤرخين العرب القدماء ولولا أبحاثهم لبقيت معلومات كثيرة غير واضحة وخاصة في تعيين الأماكن القديمة وآثارها التاريخية، وكذلك من الناحية الفكرية ولا سيما المذاهب والفلسفة نجد أمثال نيكلسون وزينر واربري وريتر وماسينون وجولد زيهر وأرنولد، قد وصلوا في أبحاثهم العلمية إلى حقائق كثيرة، رغم اختلاف بعضهم مع البعض في موضوعات عديدة لم يصلوا إلى رأي يقبله الجميع، وأما في ميدان التاريخ فقد تعمد معظمهم التجاهل عن حقائق تاريخية كثيرة التي هي في صالح المسلمين، وذلك لمصلحة أهدافهم الخاصة، بل تعمد بعضهم بتشويه بعض الحقائق وتقديمها في صورة غير صحيحة، كما فعل هافيل الانجليزي وموجدار الهندي وغيرهما، وحتى المؤرخ الانجليزي المعروف اليت الذي جمع المواد التاريخية لبلاد السند والهند في عهد العرب من بعض الكتب العربية والفارسية، فقد جمع نصوصاً معينة منها حسب هواه وحسب ما يتفق مع السياسة الانجليزية، بحيث تعمد أن يجمع البيانات التي يمكن الفهم منها بأن العهد الإسلامي في القارة الهندية كان عهداً قبيحاً ومليئاً بالظلم، بينما يجعل العهد الانجليزي عهداً مجيداً، وحاول اليت أن يظهر ذلك بطريقة غير مباشرة، ويمكن لنا فهم ذلك من المطالعة الدقيقة للنصوص التاريخية المعينة التي اختارها اليت المغرض عن قصد وتعمد، ثم المطالعة الفاحصة لجميع النصوص التاريخية بما فيها النصوص المهمة لصالح

الحكام المسلمين التي تركها اليت في تلك الكتب بل تجاهلها لأنها لا تتفق مع الهدف الذي من أجله ألف كتابه تاريخ الهند لمصلحة الاستعمار الانجليزي في تلك القارة، بينما نجد ماجدار الهندي لا يكتفي بأن يختار النصوص الضعيفة التي قد تكون ضد المسلمين بعد تغافله عن النصوص القوية التي هي لصالح المسلمين، بل نراه أحياناً إذا لم يجد نصوصاً ضعيفة فإنه يغير النصوص القوية التي في صالح المسلمين ويؤولها ضد المسلمين، وبذلك أساء مثل هؤلاء إلى التاريخ الإسلامي إساءة كبيرة بتشويه الحقائق.

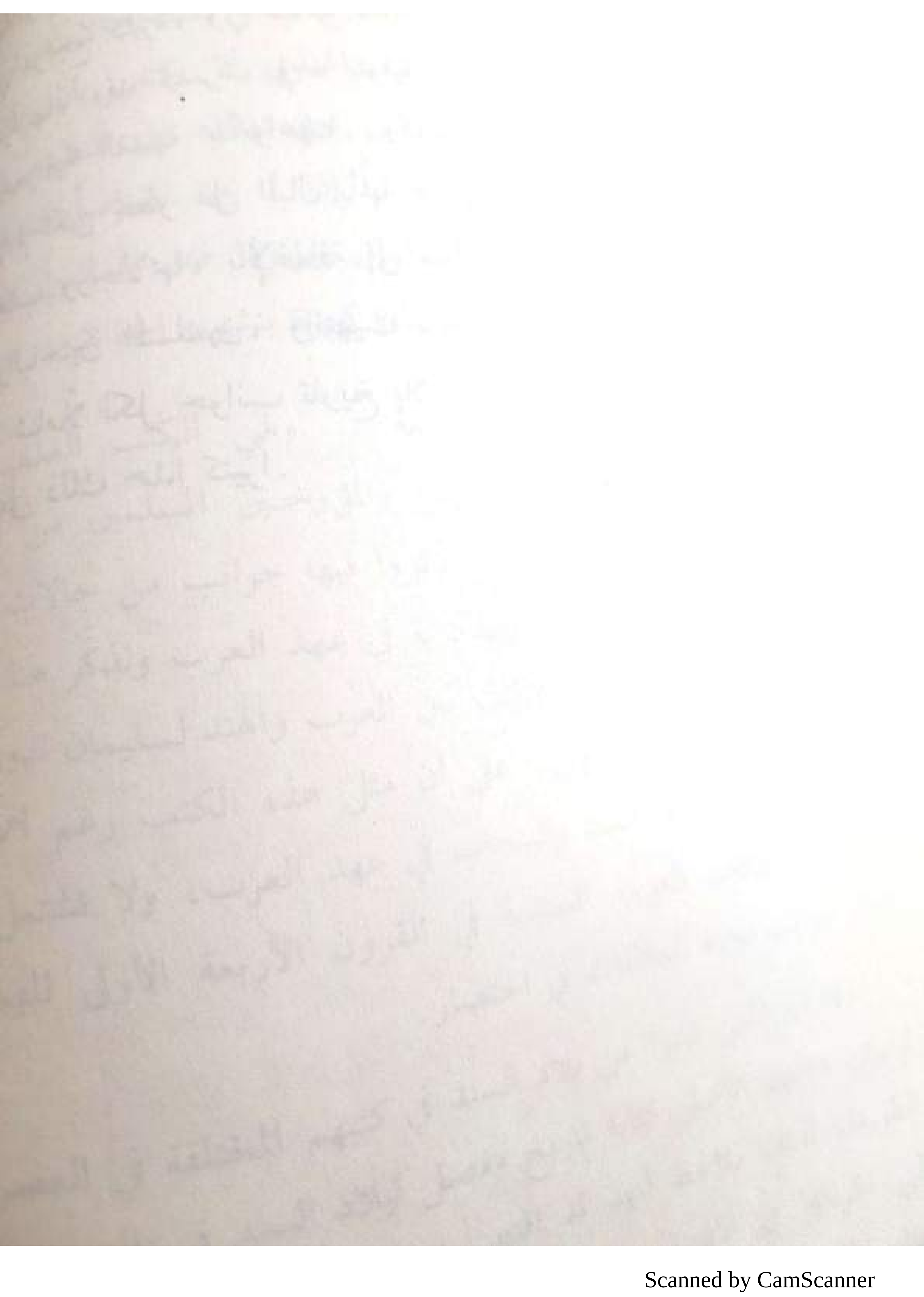
الكتب الإسلامية الحديثة المختلفة : وهي الكتب العلمية والثقافية والتاريخية التي ألفها بعض المفكرين والمؤرخين المسلمين من أهل السند والهند، وهي كتب كثيرة جداً وقد ذكروا فيها جوانب من حالات بلاد السند والبنجاب من الناحية التاريخية والفكرية في عهد العرب ونذكر هنا بعضها على سبيل المثال، فمنها كتاب العلاقات بين العرب والهند لسليمان ندوي، وكتاب تاريخ السند لأبي ظفر ندوي، على أن مثل هذه الكتب رغم أهميتها ليست كتباً تاريخية عن بلاد السند والبنجاب في عهد العرب، ولا تشتمل على جميع جوانب العلاقات العربية السندية في القرون الأربعة الأولى للهجرة، وإنما تذكر جوانب معينة للعلاقات في اختصار.

وبما أن الذين كتبوا عن بلاد السند في كتبهم المختلفة في العصر الحاضر، لم يكن هدفهم الأصلي كتابة تاريخ مفصل لبلاد السند في تلك الفترة التاريخية الطويلة، لذلك نلاحظ أنهم قد اقتصروا على مطالعة بعض الكتب الأساسية التي ذكرناها في الأقسام الأولى من المراجع واعتمدوا على البيانات الواردة فيها، ولذلك لم يكن ما كتبوه كاملاً ولا شاملاً لكل الجوانب المتعلقة ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب، وبالتالي بقيت أخطاء تاريخية كثيرة كما هي بدون الاصلاح لعدم اطلاعهم على المراجع المختلفة الأخرى كلها.

وهكذا نرى أن أمامنا مواد متنوعة كثيرة، في التاريخ والجغرافيا وفي

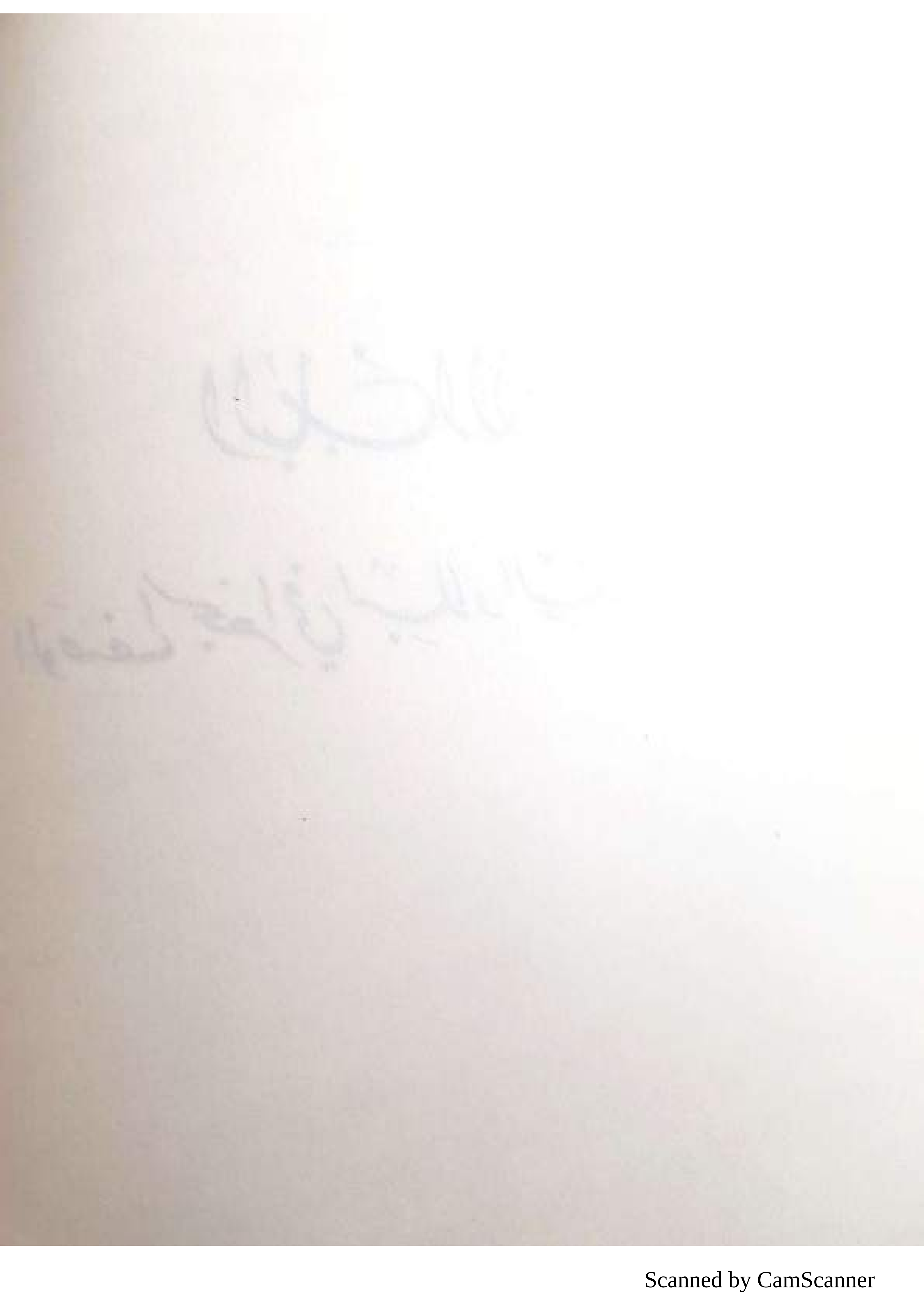
العلوم الأدبية والإسلامية عن بلاد السند والبنجاب، ولكن هذه المواد متفرقة هنا وهناك في مراجع كثيرة، وفي لغات عديدة، تحتاج إلى جهد كبير في جمعها ودراستها وترتيبها، وقد تيسرت لي ـ بتوفيق من الله ـ دراسة جميع الكتب التاريخية والجغرافية القديمة بأنواعها، وكذلك الكتب الأدبية والإسلامية المختلفة التي لم تكن تخطر على البال بأنها تحوي كنوزاً علمية وثقافية عن بلاد السند والبنجاب ورجالاتها، بالإضافة إلى مطالعة الكتب الحديثة للمستشرقين الأوروبيين والباحثين المسلمين، وانتهيت بانجاز هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون جامعاً شاملاً لكل جوانب تاريخ بلاد السند والبنجاب في عهد العرب، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً.

عبد الله الطرازي



البَابُ الأَوَّل

الوَصفُ الجغرافي لِبِلادِ السِّندِ والبنجَاب



الباب الأول

الوصف الجغرافي لبلاد السند والبنجاب

كانت شبه القارة الهندية في القديم تنقسم إلى جزأين جغرافيين، فكان الجزء الأكبر يسمى بلاد الهند والجزء الأصغر يسمى بلاد السند والبنجاب.

وبما أن بلاد السند والبنجاب التي تسمى في الوقت الحاضر «بلاد باكستان» كانت ولاية من الولايات التابعة للخلافة الأموية والخلافة العباسية حتى أوائل القرن الخامس الهجري، فإني أبدأ الحديث هنا بالبحث عن سبب تسمية تلك البلاد باسم «السند» ثم أتحدث عن حالاتها الجغرافية وأصل سكانها، في الفترة التي سبقت الفتح العربي لتلك البلاد إلى نهاية عهد العرب بها أي حتى سنة ٤١٦ هـ.

الفصل الأول

تسمية بلاد السند

اختلف المؤرخون والجغرافيون بشأن اسم بلاد السند، فقد ذكر لامبريك بأن الاسم القديم لبلاد السند كان «سندهو» الذي أطلقه أهل هذه البلاد في بداية الأمر على نهر السند[1] ثم أطلق الاسم «سنده» على المنطقة التي كان

---

(1) Sind, A General Introduction, by H. I. Lambrick, Hyderabad Sind, 1964, Vol. 1, P. 1.

يجري عليها الجزء الأسفل لنهر السند، كما أطلق اسم فارسي «بنجاب» أي المياه الخمسة على المنطقة التي كانت تجري عليها الأنهار الخمسة لبلاد السند حتى الموضع الذي كانت تتجمع عنده تلك الأنهار بما فيها الجزء العلوي لنهر السند[١] وكان من المناسب أن يطلق الاسم «سند» منذ البداية على بلاد السند كلها، وهي الأرض الممتدة إلى مئات الأميال وعرضها نحو مائة ميل التي اخضر كل جزء منها بفضل هذا النهر العظيم، ولولاه لكانت بلاد السند صحراء جرداء لا زرع فيها ولا حياة.

ويذكر أبت بشأن الاسم «سندهو» بأنه كان اسماً سنسكريتياً قديماً لنهر السند والمنطقة معاً[٢] ويعتقد البعض منهم راورتي بأن اليونانيين بدلوا لفظ «سندهو» إلى لفظ «أندس» وأطلقوه على نهر السند وعرفوه إلى شعوب أوروبا[٣] بينما يرى أبت أن اليونانيين قد أخذوا الاسم «أندس» من الفرس وأعطوه للروم، ثم قدمه الروم إلى العالم الأوروبي مع فكرة جديدة وهي أن «أندس» ليس اسماً يوناني التكوين للاسم «سندهو» بل هو اسم فارسي مستقل بذاته لنهر السند وقد احتفظ بكيانه دون أن يطرأ عليه أي تغيير[٤] ويرى ايتكين بأن «سندهو» الذي كان اسماً قديماً لنهر السند معناه في اللغة السنسكريتية «البحر» كما كان المراد بكلمة «سند» في قديم الأزمان هو وادي بالسند[٥].

ونجد هناك اسماً قديماً لبلاد السند عند اليونانيين وهو «سنتهوس» وقد ورد ذكره في كتاب يوناني قديم مؤلفه غير معروف وقد ألف في القرن الأول

---

(١) Sind. A General Introduction. by Lambrick. P. 1.

(٢) Sind. A re-interpretation of the unhappy valley. by J. Abbott. London 1924. P. 23.

(٣) The Mihran of Sind. by Raverty. Journal of the Royal Asiatic Society Bengal. 1892. P. 156. Note 3.

(٤) Sind . A re-interpretation of the unhappy valley. by J. Abbott. London. P. 23.

(٥) Gazetteer of Sind. by E. H. Aitken. 1907. P. 9. Chap. 1.

للميلاد[١] بينما يذكر ابت في كتابه اسماً صينياً قديماً آخر لنهر السند وهو «ستنهو» يرجع تاريخه إلى ما قبل الميلاد في الغالب[٢] وربما أخذ اليونانيون اسم ستنهوس من هذا الاسم الصيني وأطلقوه على بلاد السند مع إضافة الحرف الأخير إليه وهو حرف السين، على أن الاسم (ستنهو) يشبه الاسم المعروف (سندهو) عند أهل السند منذ قديم الزمان، وعلى ذلك يمكن لنا القول بأن أقدم اسم لبلاد السند هو «سندهو» بمعنى وادي السند، ثم خفف بعد ذلك في اللغة السندية إلى (سنده) وكتب في اللغة الأردية (سند) وأضيف إليه الألف واللام في اللغة العربية للتعريف فأصبح (السند) فسميت البلاد عند العرب ببلاد السند ونهرها بنهر السند.

وهناك رواية شرقية تقول بأن اسم السند منسوب إلى «سند بن حام بن نوح»[٣]، ولا يمكن لنا الاعتماد على هذه الرواية لعدم وجود دليل تاريخي عليه، وأما الجغرافيون والمؤرخون العرب والفرس بعد الإسلام لمدة عدة قرون لا يعلقون شيئاً على تسمية السند في كتبهم ومذكراتهم، وإنما يطلقون اسم السند بصفة عامة على المناطق المحيطة بنهر السند الكبير وإن اختلفوا بالنسبة لحدود بلاد السند.

---

(١) The Periplus of the Erythrean Sea, by an unknown author, quoted by Lambrick, P. 1.

(٢) Sind, A re- interpretation of the unhappy valley by J. Abbott, London P. 23.

(٣) كتاب هيئت العالم للشيخ محمد أعظم تتوي (بواسطة كتاب تحفة الطاهرين للشيخ محمد أعظم تتوي، طبع حيدر آباد سنة ١٩٥٦)، والتتوي بمعنى الديبلي أيضاً نسبة إلى مدينة ديبل القديمة، وهذا هو نص قوله باللغة الفارسية: «سند ولايتي ست كه به سند بن حام بن نوح منسوب است».

الفصل الثاني

الحالات الطبيعية لبلاد السند والبنجاب

نتحدث في هذا الفصل عن الحالات الطبيعية لبلاد السند وهي تشمل المناخ والأرض (الحدود - الصحارى - الهضبات والجبال - السهول ووادي نهر السند - التربة والنبات - الأنهار) وغير ذلك.

المنـــاخ :

لا يمكن لنا بيـان مناخ بلاد السند في عبارات بسيطة مختصرة، ومع ذلك يمكن لنا القول بأن المناخ بصفة عامة في بلاد السند، شديد الحرارة صيفاً وشديد البرودة شتاء، والمطر قليل جداً في فصل الصيف[1].

والمناخ في جنوب السند معتدل أي لا حار شديد ولا بارد جداً في معظم شهور السنة، ولكن المناطق الجبلية منها باردة جداً في الشتاء وحار جداً في الصيف، إلا أن الجهات الجنوبية من هذه المناطق تمتاز بالاعتدال[2] والمناخ في الجهات الساحلية الجنوبية رطب بسبب البحر ولعدم وجود الجبال فيها بحيث تصل إليها الرياح الجنوبية الغربية إلى مسافة مائة ميل داخل السند حتى تنتهي الرطوبة هناك بسبب حرارة الصحراء[3] وعموماً يعتبر مناخ جنوب السند

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 1.

(٢) جغرافية السند، لشير أحمد خان، بواسطة تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ١٠.

(٣) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 1.

أحسن مناخ في بلاد السند كلها[1] .

والمناخ في شمال بلاد السند شديد الحرارة في الصيف وشديد البرودة في الشتاء، وتعتبر مدينة جيكب آباد الحالية أشد المدن حرارة ببلاد السند وربما في القارة الهندية كلها[2] ، كما أن المناخ في شمال بلاد السند جاف بسبب عدم وصول الرياح وانتهائها في المناطق الصحراوية في وسط السند[3] .

والمناخ في وسط بلاد السند معتدل عموماً بسبب وجود نهر السند والأنهار المتفرعة الأخرى، ولكن المناطق الصحراوية به شديدة الحرارة صيفاً وشديدة البرودة شتاء[4] يمطر مطر قليل بداخل السند لا بسبب الرياح وإنما بسبب الانقلابات الجوية المحلية[5] فالمطر عموماً قليل ببلاد السند، ويسقط في بعض الجهات منها، والظاهرة الغريبة أن كمية المطر تكثر في المناطق الصحراوية بينما تقل في الأودية والمناطق القابلة للزرع[6] .

وموسم الحر في بلاد السند يستمر لمدة سبعة أشهر كاملة، وفي الشهرين الأخيرين منها تبلغ درجة الحرارة من ١٢٠ إلى ١٢٥ درجة فرانهايت بحيث يشعر الإنسان بالحرارة كأنها خارجة من الفرن[7] ثم في الشهرين التاليين تقل الحرارة، وأما في الشهور الثلاثة الباقية فيكون الجو فيها بارداً وجافاً بدون المطر وهو فصل الشتاء[8] وتشتد الحرارة أحياناً في بعض أجزاء بلاد السند مثل

---

(١) Gazetteer of Sind, P. 6.

(٢) Ibid, P. 6.

(٣) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 1.

(٤) جغرافية السند، لبشير أحمد خان، براوسطة تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ١٠.

(٥) Sind, A General Introduction, by Lambrick P. 1.

(٦) Gazetter of Sind, P. 6.

(٧) Sind, A General Introduction, By Lambrick, P. 1.

(٨) Ibid, P. 1.

مدينة جيكب آباد وتصل إلى درجة أنها تغير لون الإنسان من الأبيض إلى الأسود في أيام قليلة، وتكون أشعة الشمس حادة جداً وتجري الرياح المسمومة المحرقة وتؤذي الناس كثيراً، وعندما تزداد مياه الأنهار ببلاد السند تكثر النوامبس والبراغيث والضباب، فيشتد الضيق بالناس[1] وبالتالي تكثر أمراض الحمى كالمالبريا والتيفود وأمراض المعدة كالاسهال والمغص والدوزنتريا وأمراض الصدر كضيق التنفس وغير ذلك.

وتنقسم بلاد السند من حيث العرض إلى ثلاث مناطق مناخية، وهي: منطقة السند الشمالية العليا، ومنطقة السند الوسطى، ومنطقة السند الجنوبية السفلى، وأهالي بلاد السند يطلقون على تلك المناطق هذه الأسماء بالترتيب: سيرو - فيكهولا - لار[2] ولكن معظم الجغرافيين الأجانب يقسمون بلاد السند إلى قسمين كبيرين هما: السند الشمالية والسند الجنوبية، وبناء على هذا التقسيم ينطبق التقسيم السياسي أيضاً عندهم في الأزمان القديمة[3].

الحــدود:

كانت حدود بلاد السند تتغير كثيراً في العصور القديمة، بحيث كانت المناطق التي تقع في قبضة حكام السند، يطلق عليها كلها اسم السند، وفي عهد الملك داهر الذي كان يحكم بلاد السند قبل الفتح العربي، كانت الحدود حسب ما ذكره صاحب جچنامه كالآتي: فقد كان يحد السند من الشمال الغربي منبع نهر جهلم وسلسلة جبال كابل، وكانت هذه الحدود تمتد حتى نهر هلمند، وفي الجنوب الغربي كانت حدود إيران تتصل بالحدود الساحلية للسند عند منطقة مكران، ومن الجنوب كان يحد السند بحر العرب ومن الجنوب الشرقي كان يحد السند خليج كش (كچه) وفي الشرق كانت حدود السند

(١) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ١٠.
(٢) Sind. A General Introduction, by Lambrick, P. 4.
(٣) Ibid, P. 4.

الشرقية تتصل بحدود الهند عند مدينتي راجبوتانه وجسلمير.

وفي عهد العرب كانت بلاد السند تتكون من الاقليم الشمالي الغربي ومنطقة البنجاب مع المنطقة المجاورة الممتدة إلى أرض أفغانستان حتى نهر هلمند، ومنطقة بلوجستان، بالإضافة إلى منطقة السند الحالية ومنطقة كش (كچه) وكانت هذه المناطق كلها تسمى بلاد السند في عهد العرب[1].

والجغرافيون العرب قد اختلفوا بشأن حدود بلاد السند في عهد العرب، وقد ذكر بعضهم شيئاً من التفصيل وبعضهم اكتفى بالإشارات البسيطة الغامضة والخاطئة أحياناً، ولعل ذلك كان بسبب الظروف السياسية التي مرت على بلاد السند، بحيث كانت بعض المناطق تخرج من أيدي العرب ثم تعود إلى حكمهم، ولذلك يصعب بيان حدود بلاد السند وتعيينها من أقوال هؤلاء الجغرافيين، فمثلاً يقول المقدسي: وضع هذا الاقليم هو أنه يقع في شرقه بحر فارس وفي غربه كرمان وسجستان وأعمالها، وفي شماله تقع بقية بلاد الهند، وفي جنوبه تقع مفازة مكران وجبال القفص ومن ورائها بحر فارس[2].

ويصور لامبريك أحد الجغرافيين الأوروبيين المعاصرين حدود وادي السند فيقول: تحد وادي السند من الشرق المنطقة الصحراوية المسماة تهار الممتدة إلى ثلاثمائة ميل، ومن الجنوب تحد الوادي المنطقة الصحراوية التابعة لاقليم كش (كچه) وفي الشمال تحد الوادي الأراضي الرملية المرتفعة على شكل هضبات،

---

(١) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ١٢ وكذلك انظر الهند في نظر العرب لضياء الدين باللغة الأردية ج ١ ص ١٣١ في الحاشية.

(٢) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي ج ٢ ص ٤٨١ وبحر فارس هو بحر العرب ويذكره البعض باسم بحر المحيط، وذكره البعض الآخر باسم بحر عمان أيضاً (انظر الهند في نظر العرب ج ٢ ص ١٦٦ في الحاشية - تحفة الطاهرين ص ١٨٢) وكذلك انظر معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٥ ص ٧٥١، تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٤٦ و٢٥٢، كتاب الأقاليم للاصطخري ص ٢٧٦.

وتغمر مياه الفيضان هذه الأراضي التي تشكل الحدود، فيصبح من الصعب تعيين الحدود في هذه المنطقة في أيام الفيضانات، ومن الغرب تحد الوادي الأراضي الحجرية المرتفعة التي تسمى كجر والتي تنحدر نحو الغرب أي نحو منطقة بلوجستان على أن المناطق الرملية الواقعة في شمال السند على الحدود مع الهند تابعة لمدينة راجبوتانه الهندية وأما المناطق الجبلية الواقعة في غرب السند على تلك الحدود فانها تابعة لاقليم بلوجستان[1].

الصحـــارى :

سبق أن أشرنا إلى أنه لولا نهر السند العظيم لكانت بلاد السند صحراء جرداء لا زرع فيها ولا حياة، ومع ذلك لا يزال جزء كبير من بلاد السند عبارة عن مناطق صحراوية شاسعة ذات صفات عجيبة، وأهمها الصحراء الشرقية.

يلاحظ في الصحراء الشرقية أن رياح مـالون الساحلية تحمل الرمال من الغرب الجنوبي لصحراء تهار وتسقطها على شكل هضبتين عظيمتين، ويتكون وسطهما وادٍ طويل ممتد مع اتجاه الرياح ومع طول الهضبتين إلى مسافات طويلة جداً، وعلى خط البلاد أي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي[2] وتشتد قوة هذه الرياح في الجنوب الشرقي لصحراء تهار ولا سيما بالليل، بحيث تزيل الرمال عن صفحة الوادي وتكشف تربته الخصبة، ولذلك تنمو عليها نباتات صغيرة بدون الأوراق مثل (كهب ـ بوك ـ بره ـ لاني ـ آك) وينمو في الأجزاء الرطبة من الوادي بعض الأشجار المتوسطة في الطول والنادرة في النوع مثل (كرر ـ كبر) كما ينمو في الأجزاء الصلبة بعض الأشجار الأخرى مثل (كندي ـ بير) وكذلك ينمو فيه نوع جيد من البرسيم الذي ينمو بماء

---

(١) Sind. A General Introduction, By Lambrick. P. 2.

(٢) Ibid. P.6.

الري، ويرسل الناس مواشيهم وابلهم وأغنامهم إليه بقصد التسمين، ولكن من الصعب الحصول على المياه في هذا الوادي ولا بد من حفر الأرض بعمق نحو ثلاثمائة قدم حتى يحصل المرء على الماء، فيزرع بعض الأنواع من الغلات والخضروات الضرورية في الأجزاء التي تجتمع فيها مياه الأمطار[1].

وفي الأجزاء الشمالية والوسطى للوادي تكثر الكتل الترابية وهي منتشرة على مساحة بضع مائة أميال وتسمى دروان ومن مميزاتها أن أشكالها تتغير بقوة الرياح ولذلك لا يمكن نمو النباتات عليها، ولا يمر المسافر من هذه الناحية لعدم وجود الماء والزرع بها[2].

وسكان هذا الوادي في الصحراء الشرقية ببلاد السند، يعيشون في هذه المنطقة الصحراوية منذ القرون البعيدة ولم يتغيروا كثيراً في حياتهم الاجتماعية، ويشتغلون برعي المواشي والأغنام ويتاجرون في الجلود والأصواف والسمن في المناطق الساحلية ويحصلون بقيمتها على بعض الغلات اللازمة لمعيشتهم البدوية البسيطة، كما أنهم يزرعون بعض الغلات الضرورية في موسم المطر، ويستعملون الجمال في الأعمال الزراعية، ويقيمون في أكواخ بنوها من الخوص، ويرجع السبب في قلة السكان بوادي الصحراء الشرقية إلى قلة وجود العيون المائية الحلوة للشرب،بينما تكثر به البحيرات المالحة وهي غير قابلة بلا شك للشرب والزرع، والسكان عموماً يعتمدون في معيشتهم في هذه الصحراء على المراعي، ولذلك إذا قل المطر أو ندر ينتشر بينهم القحط وتموت الماشية، وأما الجمال فإنها لا تموت لتعودها على أكل الأشجار الشوكية الصحراوية، وفي الأيام العادية تسير القوافل التجارية من داخل السند مارة بهذه الصحراء حتى تصل إلى مدينة جيسلمير الهندية على الحدود، وعلى العموم فإن هذه الصحراء الواسعة تعتبر بمثابة سد كبير يمنع الاتصال بين أهالي بلاد

---

(1) Sind, A General Introduction, by Lambrick. P. 8.

(2) Ibid, P. 8.

السند وأهالي المناطق الواقعة في شرق هذه الصحراء[1] ويحتمل وقوع الزلازل الخفيفة في جميع المناطق المختلفة ببلاد السند ولكن وقوعها في المناطق الصحراوية الشرقية والمناطق الجنوبية أكثر احتمالاً[2].

السهول ووادي نهر السند:

يلاحظ أن معظم أجزاء وادي السند سهوله منبسطة خضراء، وهذه الخضرة مختلفة الأنواع، ويتوقف هذا الاختلاف على نوع التربة في كل منطقة[3] فإذا ألقيت نظرة عابرة على وادي نهر السند الجنوبي من منطقة عالية، فإن شبكة من الأنهار تجذب الأنظار إليها ويعتقد المشاهد أن هذه المنطقة التي تبلغ من الطول ٣٠٠ ميل والعرض بين ٣٠ إلى ٨٠ ميلاً منطقة خصبة للغاية، فهو يشاهد في ركن من الوادي سنابل القمح والشعير وأشجار القطن وعلى ضفتي النهر بيوت الفلاحين ومخازن الغلات والقنوات وأشجار ببول، كما يشاهد في ركن آخر من الوادي الهضبات الرملية والأراضي البور المرتفعة عن سطح البحر، وكذلك يشاهد في بعض أجزاء الوادي غابات صغيرة، بينما لا يشاهد الإنسان في سهول جتى سالت وفي منطقة شهداد كوت وصحراء بت أي أثر للزرع أو الخضرة، بل يجدها منطقة صحراوية خالية من الحياة، ويشاهد في جزء من منطقة روهري ميادين مليئة بالمزروعات والخضروات وفي الجزء الآخر منها مجموعات من الأشجار والأخواص[4].

ومن مميزات المناظر الطبيعية ببلاد السند أنه تكثر بها بحيرات صغيرة، وأراض وحلة، كما تكثر بها البطط والطيور المائية مثل الأوزة وأهم هذه

---

(١) Sind, A General Introduction, By Lambrick, P. 12.

(٢) Gazetteer of Sind, by E. H. Aitken, P. 6.

(٣) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 15.

(٤) Gazetteer os Sind, P. 2.

البحيرات بحيرة منوجهر الواقعة في منطقة دادو بالسند[1] .

ويعتقد العلماء الجيولوجيون في وجود السهول والميادين الواسعة ببلاد السند بأن مياه البحر قديماً كانت تمتد إلى هذه المناطق بسبب الانقلابات الأرضية الثالثة بحيث أخذ سطح الأرض يرتفع وأخذت الجبال والهضبات تظهر وانكمش البحر إلى الخلف تاركاً وراءه تلك السهول والميادين الواسعة بما فيها الجبال والهضبات[2] .

التربة والنبات :

من ميزة تربة بلاد السند أنها تختلف من مكان إلى مكان، وبالتالي تختلف المزروعات والخضروات والفواكه والأشجار، وإن التربة السندية عموماً تمتاز بالصلابة، وأهل السند يسمونه «پكى» ولونها أصفر ترابي فاتح، ولذلك تكثر في السند الأشجار الشوكية المتنوعة، وفي جهة من السند على شاطىء البحر يوجد نوع من التربة تسمى «التربة البحرية» أي التربة الرملية الخليطة بنوع من التربة البيضاء الدقيقة، وهذا النوع من التربة يؤذي غبارها السكان كثيراً عندما تهب الرياح فتضر العيون، وفي هذه المنطقة الرملية ينمو نوعان من الأشجار الصغيرة بدون الأوراق يسميان «خيب وفوك»، وكذلك ينمو هنا نوع من النبات يسمى «آك» أوراقه كبيرة بالنسبة لحجم النبات، وفي جزء آخر من السند يوجد نوع آخر من التربة تسمى «كللر» وهي التربة المالحة جداً ولذلك لا ينمو عليها أي نبات، وفي وادي نهر السند الشمالي فإن التربة مالحة قليلاً ولذلك ينمو هناك بعض الأشجار مثل (سندي خبار - جنكلي نيل) وغيرهما[3] .

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 16.
(٢) Ibid, P. 16.
(٣) Ibid, P. 16.

وفي دلتا السند تسمى التربة «التربة الخام» فمن ميزاتها أنها تجذب مياه الفيضان إلى جوف الأرض، ثم تتكون على سطحها طبقة أخرى من التربة وهي الغرين الناتج عن رواسب مياه الفيضان، ولذلك تكثر النباتات التي تحافظ على الدلتا من أخطار البحر والأمطار والفيضانات، بحيث تقع في الجهة العليا للدلتا غابة تمارسك وأسفلها الحشائش الطويلة التي تغطي الأرض في هذه المنطقة، وأما بالقرب من الساحل فتكثر الكتلات الحجرية وفي الأودية تكثر الأشجار وتعتبر هذه المنطقة أخصب رقعة في بلاد السند[1].

وكانت الحرف لكثير من سكان بلاد السند قديماً، رعي المواشي والإبل والأغنام، وكذلك صيد الأسماك والطيور وبعض الحيوانات في مناطق مختلفة، كما كانوا يزرعون الغلات الضرورية[2] ثم في عهد العرب تحسنت الحياة في بلاد السند في شتى المجالات، في الزراعة والتجارة والصناعة وفي ميادين العلوم والفنون، بحيث تقدمت البلاد من كل ناحية.

الهضبات والجبال :

يقول العلماء الجيولوجيون بعد البحث والتنقيب في المنطقة الجبلية الغربية ببلاد السند، وكذلك بمنطقة الهضبات الحجرية الواقعة على الأراضي العالية بوادي السند، بأنها قد تكونت في الدورة الثالثة للتقلبات والهزات الأرضية الكثيرة، فظهرت هذه المناطق بعد انسحاب مياه البحر منها، وتدل على ذلك الآثار البحرية الباقية مثل الودع التي وجدت على عمق آلاف من الأقدام، وقد اختارت هذه المناطق لنفسها شكلاً جامداً بسبب تلك الهزات الأرضية، ويرتفع سطح الأرض بها عن البحر، وتبدو على شكل سواحل جبلية متجهة

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P.22.

(٢) Ibid, P. 28.

من الشمال إلى الجنوب[1].

وأهم السلاسل الجبلية ببلاد السند يسمى (سلسلة كرتهار) وهي تقع في الجهة الغربية بحيث تبدأ من الشمال الغربي للسند وطولها ١٥٠ ميلاً وارتفاعها ما بين ٤٠٠٠ و٧٠٠٠ قدم[2] وعند بحيرة منجهر تقع هذه السلاسل على عرض البلاد ويبلغ الارتفاع إلى ٥٠٠٠ قدم وتعتبر بمثابة حدود طبيعية لبلاد السند في هذه الناحية، بحيث إذا نظر الإنسان إليها من الوديان فإنها تبدو كسد عال طويل منيع، وتوجد في عشرة مواضع منها منخفضات بها ممرات يمكن لقوافل الجمال أن تمر بها، والجزء الأوسط منها يسمى (راجناتي) وبه أخدود ضيق، وفي بعض الأماكن منها توجد شلالات مائية[3] ومعظم أجزاء سلسلة كرتهار يتكون من الطبقات الجيرية والطبقات الحجرية متكونة من الحصاة، وتكثر عليها نهيرات صغيرة التي تنشأ عن الأمطار وخاصة في الجهات العالية وتجري متجهة إلى الأسفل نحو الوديان فتتلف ما بها من الزرع والخضر، ولكنها مياه معظم هذه الأنهار تنتهي داخل الجبال نفسها ما عدا بعضها كنهر كج الذي يخرج من الجبال إلى الخارج ويصل الوادي. وفي منطقة كج وعلى مساحة ١٠ أو ١٢ ميلاً تكثر الأماكن ذات المناظر الطبيعية الجميلة، فيشاهد بها شلالات مائية وبحيرات صغيرة وحولها كتل صخرية في أشكال عمودية رائعة، كما يشاهد فيها الأنهار الجارية وفي بعض أجزائها الزراعة البسيطة، وأهل السند يطلقون على هذه السلاسل الجبلية اسم (بن) في اصطلاحهم الخاص[4] والسلسلة الجبلية الثانية تسمى (لاكهي) وهي تقع في

---

(1) The Geology of Western sind, by W. T. Blondord, M. G. S. I., Vol XVII. 1880 (quoted by Lambrick. P. 38)

(2) Gazetteer of Sind . P. 6.

(3) Sind, A General Introduction, By Lambrick. P. 38.

(4) Ibid. P. 41.

الجنوب الشرقي لسلسلة كرتهار[1] وتمتد إلى مسافة ٧٠ ميلاً والطبقات العالية منها مكونة من طبقات جيرية والطبقات السفلية منها متكونة من طبقات نارية ويصل ارتفاع هذه السلسلة إلى ٢٣٠٠ قدم[2].

وهناك سلسلة ثالثة تسمى (جبال راجبوتانه) التي تقع على الحدود السندية الهندية وتعتبر من أقدم الجبال في العالم ويقع في وادي هذه السلسلة اقليم كش (كچه) التابع لبلاد السند[3].

والسلاسل الجبلية التي تقع في الشرق الجنوبي لبلاد السند تسمى سلسلة (راني كوت) وهذه السلسلة تعتبر أكثر تسلسلاً من السلاسل الجبلية الواقعة في الغرب الجنوبي لبلاد السند وتكثر أسفل هذه السلاسل نهيرات جارية في كل وقت، وهناك أيضاً كثير من الجبال المنفردة في وادي السند ولها اتصال بسلسلة جبال غرب السند، وبعض هذه الجبال متكونة من الطبقات الجيرية وبعضها متكونة من الجرانيت الأحمر[4].

ومن مميزات هذه المناطق الجبلية ببلاد السند، أنه تكثر فيها عيون ساخنة مفيدة للصحة، وتندر النباتات ولكن تكثر الأشجار الجبلية الصغيرة والحشائش التي تستخدم كعلف للأغنام والمواشي، وبها أيضاً بعض الحيوانات الجبلية، وعلى مرتفعات غرب سلسلة جبال كرتهار توجد مجموعات من أشجار التمر كما تكثر بأعاليها الأشجار الغابية للزيتون، بينما تكثر في الأجزاء الجنوبية الغربية أشجار الصبارة، وأما على ضفاف الأنهار والنهيرات فتنمو أنواع من النباتات والحشائش التي تنبت عادة في الأودية، أهمها أشجار تمارسك وحشائش بامبر وأشجار كاندي وأشجار أخرى غابية تنمو بنفسها مثل أشجار بير وخبار

---

(١) Gazetteer of Sind, P. 6.

(٢) Sind, A General Introduction, By Lambrick, P. 44.

(٣) Ibid, P. 46.

(٤) Ibid, P. 46.

وبيول، ومن أهم ميزات هذه المناطق الجبلية أيضاً هو وقوع أودية أسفل كل سلسلة جبلية، وأخيراً فإن مساحة هذه المناطق الجبلية ببلاد السند تبلغ سبعة آلاف ميل مربع(١).

وكان هناك في القديم طريقان تجاريان بالقرب من بحيرة منجهر، طريق منها كان يتجه إلى أخدود سلسلة كرتهار، ماراً بأودية كثيرة. والطريق الثاني كان يتجه نحو الجنوب ماراً بسلسلة لاكهي والجبال التي تقع حولها حتى يتصل بوادي باران، ومن هنا يتفرع إلى عدة طرق تمر بالجبال الجنوبية وتتصل بالمناطق المختلفة ببلاد السند(٢).

وكانت القوافل التجارية بالجمال تسير في هذه الطرق لنقل البضائع من جهة إلى جهة أخرى حيث لم تكن توجد أسواق تجارية منظمة في تلك المناطق الجبلية التي كانت تعيش فيها القبائل السندية القديمة منذ زمن بعيد، وكانت هذه القبائل كثيراً ما تهجم على القوافل التجارية وتنهب الأموال والبضائع التجارية وتضر بالمصلحة العامة، والدليل على وجود تلك القبائل قديماً في هذه المناطق الجبلية هو المقابر المنثورة هنا وهناك(٣) وبالنسبة لهذه المناطق الجبلية لا توجد معلومات كافية في كتب تاريخ السند.

ولولا العثور على الآثار القديمة أخيراً في المناطق الأخرى من بلاد السند وذلك بعد الحفريات ولا سيما في منطقة موهنجود ارو الأثرية، لكان من الممكن لنا القول بعدم وجود المدنية والحضارة قديماً ببلاد السند، إذا كنا أعطينا الاعتبار لتلك الآثار القديمة التي عثر عليها في مثل هذه المناطق الجبلية وحدها قبل الحفريات(٤).

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 47.

(٢) Jhalowan Gazetteer, P. 23 (quoted by Lambrick, P. 48).

(٣) Sind, A General Introduction, By Lambrick, P. 49.

(٤) Ibid, P. 49.

وبهذه المناسبة يكفي أن نشير هنا إلى أن الحفريات الحديثة قد أثبتت وجود حضارة عريقة عظيمة ببلاد السند يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، تلك الحضارة التي لا تقل شأناً عن غيرها من الحضارات القديمة المعروفة في الهند واليونان والعراق ومصـــر.

الأنهـــار :

نهر السند: لقد اختلف الباحثون الغربيون والكتّاب الشرقيون من العرب والفرس والهنود بشأن الاسم القديم لنهر السند ومصدره، وأعطوا للنهر أو نسبوا إليه أسماء كثيرة منها: سندهو ـ سنده ـ السند ـ مهران ـ سنتو ـ ملان ـ آب سند ـ بنج آب ـ اندس ـ وغيرها.

يقول البعض بأن «سندهو» كان اسماً سنسكريتياً قديماً للنهر[١] ويخالف ذلك البعض بأن (سندهو) كان اسماً فارسياً أعطاه الفرس أصلاً للنهر[٢]، وقال فريق بأن «اندس» اسم يوناني التكوين جاء من (سندهو) استعمله الأوروبيون بعد ذلك[٣]، وقال فريق آخر بأن (سند) كان اسماً قديماً للنهر سماه بذلك الفرس[٤] ويرى البعض بأن (سنـد) اسم أطلقه أهـل السند أنفسهم على النهر والبلاد في قديم الزمان وهـو الذي يستعمـل إلى وقتنا هذا[٥].

ويذكر البعض اسمين صينيين قديمين للنهر وهما (سنتـو» و «ملان»[٦] وكذلك يذكر البعض الآخر أسماء فارسية للنهر مثل «آب سند» و «بنج آب»

---

(١) Sind, A re-interpretation of the unhappy valley by Abbott P. 23.

(٢) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ٢.

(٣) Sind, A re- interpretation of the unhappy valley by Abbott. P. 23.

(٤) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ٢.

(٥) المرجع السابق ص ٢.

(٦) Sind, A re- interpretation of the unhappy valley by Abbot P. 23.

وغيرهما وكذلك اختلفوا في معنى الاسم (سندهو) فقال فريق معناه (النهر) عند الفرس[1] وقال فريق آخر معناه (البحر) باللغة السنسكريتية الهندية[2].

وأما معظم الجغرافيين والمؤرخين العرب (في القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة) يذكرون اسمًا واحداً للنهر وهو (نهر السند) على أنه منسوب إلى اسم البلاد[3] وبعضهم يسمون النهر باسم خاص أو لجزء معين منه وهو (نهر مهران) بينما يستعمل البعض كلا من الاسمين مرادفاً للآخر[4] والبعض منهم يفرق بين الاسمين من حيث البدء والانتهاء للنهر، على أن (نهر السند) يطلق على النهر كله وأن (نهر مهران) اسم يطلق على جزء من النهر[5] ولكنهم جميعاً لا يعلقون على سبب التسمية وتاريخه، والبعض منهم يذكرون اسمًا فارسياً للنهر وهو (بنج آب) ومعناه المياه الخمسة أي الأنهار الخمسة، إشارة إلى النهر وفروعه، وأما الاسم (اندس) المعروف عند الأوروبيين كان ولا يزال غير مستعمل عند العرب[6]، وهناك آراء أخرى كثيرة حول اسم النهر والبلاد، وليس هنا مجال للبحث بالتفصيل[7].

وعلى العموم يبدو لي أن الاسم (سندهو) الذي أطلقه أهل بلاد السند على نهرهم العظيم في القديم هو أقدم اسم لهذا النهر، ثم اختصر الاسم إلى (سنده) و (سند) وأضاف إليه العرب الألف واللام فصار (السند) وكذلك سميت به البلاد، ومنذ القرن الأول الهجري كان العرب يقولون عن البلاد (بلاد السند) وعن النهر (نهر السند) وأحياناً يذكرونه أيضاً باسم (نهر مهران)

---

(١) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ٢.

(٢) Gazetteer of Sind, P. 9.

(٣) مثل ابن خرداذبه وابن رسته وابن الفقيه والمسعودي.

(٤) مثل الأصطخري والمقدسي واليعقوبي والبلاذري.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٠٧.

(٦) The Mihran of Sind, by Raverty, P. 156, Note 3.

(٧) India , by Max Mullor.

كما اشتهر هذا النهر عند الأوروبيين منذ قرون طويلة باسم (اندس) ولا يزال معروف به عندهم .

من صفات نهر السند: إن كل مظاهر النعم والخيرات من المزروعات والخضروات ومن العقاقير والتوابل والأزهار والعطور، ومن الطيور والحيوانات، التي تشاهد ببلاد السند، بفضل نهر السند العظيم الذي أجراه الله من أجل الإنسان، فماء النهر كلما وصل بقعة من الأرض جعلها خضراء يانعة وملأها بالحياة والرفاهية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ فلولا وجود هذا النهر لكانت بلاد السند منطقة صحراوية جرداء، خالية من جمال الزرع وبهجة الحياة.

ينبع نهر السند من جبل كيلاس ببلاد التبت، ويبلغ طوله نحو ١٨٠٠ ميل، بحيث يجري الثلث منه في داخل بلاد السند أي ٥٨٠ ميلاً أو ٥٩٠ ميلاً[١] ويمر النهر ببلاد كشمير ثم في اقليم البنجاب، وفي البنجاب تلتقي الأنهار الخمسة بنهر السند ثم يجري النهر الكبير من البنجاب (الملتان) إلى داخل بلاد السند ثم يتفرع إلى فروع كثيرة في أراض واسعة ويتكون منها أحد عشر مصباً، بعضها قابل للملاحة حيث تدخلها السفن التجارية، ثم يصب النهر في النهاية في بحر العرب[٢] .

وعرض النهر بصفة عامة وسيع في معظم أجزائه، وأحياناً يصل العرض إلى ربع ميل مثلاً بعد أخدود بككر، بينما يكون العرض قبل هذا الأخدود أكثر اتساعاً، وأما العمق بسيط في معظم أجزائه، بحيث يبلغ ما بين ٤-٦ أقدام في الأوقات العادية، وفي بعض المواضع يصل العمق إلى ٦٠ قدماً كما هو في أخدود بككر[٣] .

---

(١) Gazetteer of Sind, P. 9.

(٢) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ٤ .

(٣) Sind, A General Introduction by Lambrick, P. 19.

نظـام جريانـه : هو أن نهر السند ينبع من أعالي الجبال فيجري في اتجاه واحد نحو وادي السند، وفي الموسم الذي يكثر فيه المطر فان الثلوج تذوب في جبال همالايا فتزداد المياه وتفيض كالسيل، وتشتد سرعة جريان النهر بنسبة ٢٠ إلى ٤٠ مرة ويتسع عرض النهر بنسبة ١٠ إلى ٢٠ مرة ويرسب غرين الماء على السهول والوديان الواسعة مما يزيد الأرض خصوبة[١].

وفي المنطقة الجنوبية السفلى لبلاد السند لا يكون فرق كبير بين سطح الأرض وسطح البحر بحيث تغمرها المياه عندما يأتي الفيضان، وفي بعض المواضع يرتفع ماء النهر لدرجة أن النهر يغير اتجاهه في السير نتيجة لارتفاع قاع النهر بسبب تجمع الغرين فيه، فينشأ فرع آخر للنهر وتتكون بين النهرين أرض مرتفعة عن سطحيهما، تسمى بالانجليزية ريدج ثم بمرور الزمن يرتفع قاع النهر القديم حتى ينسد هذا النهر ويصبح للنهر طريق جديد لمسافة عدة أميال فقط، وكانت هذه العملية مستمرة لآلاف السنين قديماً وقد نشأ عن ذلك ميادين واسعة مرتفعة وأودية كثيرة، وتنحدر هذه الميادين من الشمال إلى الجنوب نحو البحر انحداراً تدريجياً بسيطاً[٢].

وأحياناً يشكل النهر في سيره شكلاً ثعلبياً حلزونياً لمسافة بضعة أميال، وبعد قليل يشكل مرة أخرى شكلاً حلزونياً آخر ولكن بعكس الاتجاه والشكل السابقين، وهذا التشكيل لا يزيد من طول النهر إذا قيس في اتجاه واحد، وكان يحدث هذا في أماكن عديدة من النهر قديماً[٣].

ومن ميزات هذا النهر في القديم أنه كان يغير مجراه في أماكن كثيرة ما عدا في مكانين وهما أخدود بككر وأخدود كوتري، وكان من أسباب تغييره للمجرى أن تربة وادي النهر كانت لينة ساعدت على سقوط جانبي النهر أيام

---

(١) Sind. A General Introduction, by Lambrick, P.19.

(٢) Ibid. P. 19.

(٣) Ibid. P.19.

الفيضانات مما أدى ذلك إلى تسرب المياه إلى الطرفين، وكذلك كان سطح أرض السند منحدراً بصفة عامة، وهذا أيضاً ساعد النهر أحياناً في تغيير طريقه من المستقيم إلى شكل حلزوني في عدة أماكن، هذا بالإضافة إلى انخفاض ضفاف النهر الذي ساعد على تسرب المياه وخروجها من مجراها الأصلي[1] وبصفة عامة فإن اتجاه النهر أو طوله أو عرضه لا يتغير كثيراً، كما أن النهر منذ زمن طويل لا يغير مجراه إلا بمقدار خمسة أو ستة أميال يميناً أو شمالاً وذلك أحياناً[2].

ويمر النهر بثلاث مراحل في سيره، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الجبال وبها المنبع ويحمل منها الغرين، ثم المرحلة الثانية وهي مرحلة الأودية ثم يصل النهر حاملاً بالغرين إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الدلتا، وكان اقليم السند قديماً في هذه الدلتا، والنقطة التي يتفرع منها النهر إلى فرعين رئيسين قبل أن يصب في البحر، تقع على بعد ١٠٠ ميل عن ساحل البحر، وعند التقاء النهر بالبحر فإن اصطدام المائين يدفع المياه إلى دائرة واسعة ويرسب الغرين في نطاق هذه الدائرة عند الساحل داخل البحر، وبمرور الزمن تتكون أرض جديدة في هذه الدائرة وتنضم شيئاً فشيئاً إلى الدلتا، وهكذا تتسع مساحة الدلتا بالتدريج وبصفة مستمرة[3].

---

(١) Gazetter of Sind, P. 10.

(٢) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 19.

(٣) Ibid, P. 20.

الفصل الثالث

التقسيم الجغرافي والسياسي لأقاليم بلاد السند والبنجاب

أولاً : التقسيم الجغرافي:

كانت بلاد السند تنقسم قديماً إلى أربعة أقاليم جغرافية وهي: السند العليا والسند الوسطى والسند السفلى واقليم كش (كچه).

السند العليا: تبلغ مساحتها ١٠٣٠ ميلاً مربعاً، وتقع في غربها منطقة كش (كچه) ويبلغ الطول في الجهة الشمالية منها ٣٤٠ ميلاً، وفي الجهة الجنوبية ٢٦٠ ميلاً، وفي الجهة الشرقية ٢٨٠ ميلاً، وفي الجهة الغربية ٢٥٠ ميلاً[١] وكانت العاصمة القديمة لهذا الاقليم هي مدينة الور Alor أو كما يسميها الرحالة السائح الصيني هيون سونج Hiuen Tsange باسم (پيچن - بابولو Pi.-chin - pa - pu - Lo)[٢].

السند الوسطى: تبلغ مساحتها ٤١٧ ميلاً مربعاً، ويبلغ الطول في الجهة الشمالية وكذلك في الجهة الجنوبية ١٦٠ ميلاً، وفي الجهة الشرقية وكذلك في الجهة الغربية ٤٥ ميلاً، ومن أهم مدنها القديمة، مدينة سهوان Sahwan[٣].

---

(١) Ancient Geography of India, by Cunningham. P. 248.

(٢) Ibid, P. 234.

(٣) Ibid, P. 243.

السند السفلى: تبلغ مساحتها نحو ٥٠٠ ميل مربع، تمتد الجهة الشرقية منها إلى صحراء عمر كوت Omar Kote وتمتد الجهة الغربية منها إلى جبال مانز Capa Maz ويبلغ طول الجهة الغربية الجبلية حتى عمر كوت ١٦٠ ميلاً، ومن عمر كوت إلى جبال مانز ٨٠ ميلاً ومن جبال مانز إلى مصب نهر السند ١٣٥ ميلاً، ومن مصب نهر السند إلى عمر كوت ١٤٠ ميلاً[١].

اقليم كش (كچه): يقع هذا الاقليم في الجنوب الغربي لمدينة الور عاصمة بلاد السند على بعد ٢٦٧ ميلاً[٢] وهذا البيان يوافق البيانات الواردة في مراجع أخرى أيضاً[٣] وكانت كوت سواره Kote Swara العاصمة القديمة لاقليم كش (كچه) ومساحتها خمسة أميال مربعة فقط[٤].

ويرى لامبريك أن بلاد السند تنقسم إلى ثلاث حالات جغرافية طبيعية من حيث طول البلاد، وهي السلاسل الجبلية والسهول النهرية والصحارى الرملية[٥] وبلاد السند تشبه بلاد مصر من الناحية الطبيعية والجيولوجية والمناخية إلى حد كبير في كثير من أجزائها[٦] ويؤيد هذا الرأي بعض الجغرافيين العرب أيضاً[٧].

ويقول البعض بأن بلاد السند كانت تنقسم قديماً من الناحية الجغرافية الطبيعية إلى قسمين فقط، وهي المنطقة العالية أي المنطقة الشمالية لبلاد السند، ثم المنطقة السفلية وهي المنطقة الجنوبية لبلاد السند، وفي السندية

---

(١) Ancient Geography of India, by Cunningham. P.302.

(٢) M. Julien's Hioung Thsang, Vol. 1, P. 207 (Quoted by Cunningham) P. 204.

(٣) M. Julien's Hioung Thsang, Vol. 1, P. 175(quoted by Cnningham. P. 304).

(٤) Ancient Geography of India, by Cunningham. P. 305.

(٥) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 4.

(٦) Ibid, P. 3.

(٧) انظر اليعقوبي ص ٣٣٥ والأصطخري ص ٧٦ وابن الفقيه ص ٦٣ والمسعودي (التنبيه والاشراف ص ٤٩) و(مروج الذهب جـ ١ ص ٨٢).

تسمى المنطقة الشمالية (لار) والمنطقة الجنوبية (سرا) وكان الجزء الشمالي لبلاد السند عبارة عن الأرض الواقعة في شمال مدينة سهوان أو سيوستان القديمة التي تقع في وسط بلاد السند، وكانت تمتد هذه الأرض حتى حدود افغانستان، أما الجزء الجنوبي لبلاد السند، فكان عبارة عن الأرض الممتدة في جنوب مدينة سهوان حتى بحر العرب[1].

ويرى لامبريك أن بلاد السند من حيث العرض تنقسم إلى ثلاث مناطق مناخية طبيعية وهي: السند الشمالية العليا، والسند الوسطى والسند الجنوبية السفلى، وأن أهالي بلاد السند يطلقون على هذه المناطق الثلاث الأسماء الآتية بالترتيب (سيرو- فيكهولا - لار) ولكن معظم الجغرافيين الأجانب يقسمون بلاد السند إلى قسمين فقط وهما: السند الشمالية والسند الجنوبية، وبناء على هذا التقسيم ينطبق التقسيم السياسي أيضاً عندهم في معظم الأزمان القديمة[2].

ثانياً: التقسيم السياسي:

يقسم صاحب ججنامه بلاد السند من ناحية التقسيم السياسي إلى خمسة أقاليم هي: اقليم برهمن آباد، واقليم سيوستان، واقليم اسكلنده، واقليم الملتان (البنجاب)، واقليم الور، وكانت الور عاصمة المملكة السندية عند فتح العرب لبلاد السند أي في نهاية القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وذلك في عهد الملك داهر.

اقليم برهمن آباد: كانت تقطع في اقليم برهمن آباد من المدن الشهيرة مثل النيرون والديبل ومناطق لوهانه وسهتا وسمه وغيرها.

---

(١) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي باللغة الأردية ص ٣.

(٢) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 4.

اقليم سيوستان : كانت تدخل في نطاق هذا الاقليم منطقة البودهية ومدينة جهنكان ومنطقة جبل روجيان أي جبل بسايه حتى حدود مكران.

اقليم اسكلنده : كانت تقع في دائرة هذا الاقليم من المدن القديمة مثل بابيا وتلواريه وججبوره وبوده بور وغيرها.

اقليم الملتان (البنجاب): كانت تدخل فيه من المدن القديمة مثل سكه وبرهمبور وكرور واشهار (شاهار) وكبه (كبنه) حتى حدود بلاد كشمير.

اقليم الور (أرور) : كانت الور عاصمة بلاد السند ومركز هذا الاقليم ومقر الملك السندي، وكانت تقع في هذا الاقليم من المدن القديمة مدينة كروان والقيقان ونبرهاس (برهاس) وغيرها[1] .

وكان على كل اقليم حاكم برتبة نائب الملك من أقرباء الملك داهر الذي في عهده فتح العرب بلاد السند[2] .

---

(١) ججنامه باللغة الفارسية ص ٥.
(٢) المرجع السابق ص ١٤ و ١٥.

الفصل الرابع

الأقوام والقبائل ببلاد السند والبنجاب

في العصور القديمة قبل الإسلام ثم من صدر الإسلام إلى العصر العباسي

أولاً : أهم الأقوام القديمة ببلاد السند قبل الإسلام:

سكنت بلاد السند أقوام عديدة قبل الإسلام بزمن بعيد، ويرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، أهمها القوم الدراوردي والقوم الآري.

(أ) القوم الدراوردي:

يعتبر القوم الدراوردي أول قوم من بين الأقوام القديمة التي أتت إلى بلاد السند من الخارج، وسكنتها قبل قدوم الأريين إليها، والقوم الدراوردي هم أصحاب الحضارة العظيمة التي كانت في منطقة موهنجود ارو الأثرية ببلاد السند ومنطقة هربا الأثرية وكان زمنهم ببلاد السند ما بين سنة ٣٢٥٠ وسنة ٣٨٠٥ قبل الميلاد[١].

وتدل الآثار الموجودة للغة الدراوردية في اللغة البروهية السندية القديمة

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 206.

وكذلك انظر (الهند في العهد الإسلامي لسيدرياست علي ندوي ص ١) وقد عثرت على الآثار القديمة في منطقة موهنجودارو بيلاد السند في سنة ١٩٢٢ في وادي نهر السند وكذلك في جنوب اقليم بنجاب.

على أن سكان بلاد السند كانت لهم صلة قوية بأقوام عديدة قبل قدوم الأريين الفرس إلى بلاد السند واندماجهم بأهلها(١) .

وكذلك تدل الآثار القديمة على أن سكان وادي نهر السند قد ظلموا فترة من الزمن تحت سيطرة قوم البربر الذين أتوا إلى بلاد السند قبل الفرس عند زحفهم نحو الشرق عن طريق بلوجستان، ونتيجة للحملة التي قام بها هؤلاء البربر على بلاد السند من جهة الشمال والغرب، قد أجبر بعض القبائل السندية القديمة المتفرعة من القوم الدراوردي أن تترك مواطنها الأصلية لتسكن أماكن أخرى في الشمال والغرب ببلاد السند، كما اضطر بعض القبائل الأخرى إلى أن تندمج بعضها ببعض بسبب عوامل كثيرة(٢) .

وأيضاً تدل الهياكل البشرية التي عثر عليها في منطقة موهنجود ارو على أن سكان هذه المنطقة كانوا ينتسبون إلى أقوام عديدة، وأما سكان منطقة بحيرة مانچهر Lake of Manchhar وهم قوم موهانا Mohana السندي، فقد زعموا أن دماءهم لم تمتزج بدماء خارجية(٣) .

(ب) القوم الآري:

يعتبر القوم الآري هو القوم الثاني الكبير الذي أتى إلى بلاد السند من الخارج، ويرجع أصل الآريين إلى جنس «اندوجرمن» وقد تحركوا في قوافل عديدة على شكل هجرات كبيرة من وسط آسيا وزحفوا نحو الشرق والغرب حتى وصلوا إلى بلاد السند، وأن القافلة الأولى وصلت بلاد السند في سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، والقافلة الأخيرة في سنة ٦٠٠ قبل الميلاد، وقد قضى الآريون بعد قدومهم على نفوذ الدراوردين الذين كانت لهم حضارة موهنجود

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 206.
(٢) Ibid, P. 206.
(٣) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 207.

ارو العظيمة، وثبتوا أقدامهم في البلاد وحكموها، في حين تشتت أمر القوم الدراوردي وساءت حالة قبائله المختلفة، وكانت للاريين حضارة بسيطة في بداية الأمر ثم ارتقت بمرور الزمن[1] ولكنها لم تصل إلى درجة حضارة موهنجود ارو وهربا التي كانت للدراورديين السكان الأصليين لبلاد السند القديمة.

ثانياً: أهم الأقوام ببلاد السند بعد الإسلام:

بعد الإسلام أتت أقوام أخرى إلى بلاد السند، وسكنتها واندمجت بالأقوام القديمة بها كالدراوردية والأرية وقبائلها، وكان لهذه الأقوام الجديدة أثر كبير على أهل بلاد السند من نواحٍ مختلفة.

(أ) العــرب:

العرب هم القوم الثالث الكبير الذي أتى إلى بلاد السند من الخارج، في أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وفتحوها وحكموها أكثر من أربعة قرون من الزمان، والعرب من النسل السامي، وقد تركوا آثارهم العظيمة في كل بقعة من بقاع بلاد السند في النواحي المختلفة، السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والعمرانية، وأعادوا إلى بلاد السند مجدها في صورة حضارة أعظم من حضارتهم السابقة.

على أن البعض يرى بأن القوافل العربية كانت تأتي إلى بلاد السند والهند منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وأنها سكنت المناطق الساحلية واندمجت بمرور السنين بأهالي تلك المناطق وأن القافلة الأولى من الحملة العربية البرية التي وصلت إلى حدود بلاد السند بعد ظهور الإسلام فإنها سكنت اقليم مكران، وأنها اقتربت من نهر السند ثم تراجعت إلى مكران وذلك في سنة

---

(1) Oxford History of India, Vol. 1, PP. 49 - 66.

٢٣ هـ [١]، ثم بعد فتح العرب لبلاد السند في سنة ٩٢ هـ سكنت قبائل عربية مختلفة في المدن والمناطق الكبيرة بها، واندمج العرب مع أهلها مما كان لذلك أثر كبير في انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في هذه البلاد الواسعة.

(ب) أقـــوام أخـــرى:

بعد انتهاء العهد العربي ببلاد السند في سنة ٤١٦ هـ، بدأت أقوام أخرى مختلفة تأتي إلى بلاد السند، وذلك منذ القرن الخامس الهجري وتسكن هذه البلاد وهي: الترك والتاجيك والپتهان والمغول والتتر والفرس وغيرهم، وهذه الأقوام أيضاً اندمجت في الأقوام الموجودة من قبل في بلاد السند ولعبوا أدوارهم على مسرح التاريخ السندي[٢].

(جـ) الأوروبيـــون:

وفي القرون الأخيرة جاء الأوروبيون وسكنوا مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية مشتغلين بالتجارة في أول الأمر كالبرتغاليـين والانجليز ثم انتهى نشاطهم في القرن الماضي باستعمار الانجليز للقارة الهنديـة بما فيها بلاد السند، ولكن الأوروبييـن لم يندمجوا بأهالي هذه البلاد كغيرهم من الأقوام.

كان هذا هو السرد المختصر عن الأقوام القديمة الموجودة قبل قدوم العرب إلى بلاد السند، وكذلك بعد قدومهم إليهـــا.

ثالثاً: أهم القبائل السندية القديمة:

من الأقوام القديمة التي سكنت بلاد السند على شكل قبائل كبيرة بأسماء مختلفة قبيلتان كبيرتان وهما الزط Jote والميد Meds وكانتا تسكنان مناطق

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٥٦٨ و ٢٧٠٦ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ١١٣ و١٢٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٥.

(٢) هذه الأقوام الأخرى بعد العرب، لا تدخل في بحثنا ولذلك أشرنا إليها اشارة عابرة.

مختلفة في بلاد السند، وقد دخل معظم القبائل الزطية والميدية في الإسلام في عهد العرب[1].

ويؤخذ من البيانات الواردة في الكتب السنسكريتية بأن قوم الزط كانوا يشتغلون على السفن الصغيرة بالتجارة والنقل، بينما قوم الميد كانوا يشتغلون بالرعي[2] ويظن البعض بأن أحد الكتّاب قد أخطأ في استعمال الاسمين بحيث وضع أحدهما موضع الآخر، بدليل أن نسل قوم الزط لا يزالون يعملون بالرعي في حين نسل قوم الميد يعملون بالسفن[3] ويسكنون نواحي مكران ويستخدمون البحر في الأسفار[4].

والحقيقة أن الجغرافيين والمؤرخين العرب أيضاً اختلفوا بشأن هذين القومين وقبائلهما بالنسبة للمناطق التي كانا يسكنانها وكذلك بالنسبة لأعمالها وحرفهما وصفاتها. يذكر الأصطخري بأن قوم الميد كانوا يسكنون أخصاصاً وآجاما ويتغذون بالسمك وطير الماء، بينما قوم الزط كانوا يسكنون على شطوط نهر السند من حد الملتان حتى البحر وكانت لهم مراع كثيرة في البرية بين نهر مهران وبين مدينة قامهل التي تقع على الحدود السندية الهندية[5].

ويذكر ابن خرداذبه بأن قوم الزط كانوا يحافظون على الطريق بين كرمان والمنصورة بينما كان قوم الميد لصوصاً وقطاع طرق[6] ويقول ابن حوقل بأن جماعات من الزط كانت تقيم في المنطقة الواسعة ما بين المنصورة ومكران على

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٦٢ - التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٤٩.
(٢) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 209.
(٣) Baluchistan District Gazetteer, Series, 1907, Vol III, Lasbela, P. 57.
(٤) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 209.
(٥) المسالك والممالك للأصطخري ص ١٧٧.
(٦) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٦٢.

طول نهر السند في الأكواخ المبنية من الخوص، وكان غذاؤهم السمك والطيور المائية، كما أن جماعات اخرى منهم كانت تسكن بعيداً عن النهر في مناطق صحراوية ورعوية وكان طعامهم اللبن والجبنة والخبز[١] أي انهم كانوا رعاة مواش وأغنام وكانت حياتهم كحياة البـدو.

ويذكر الإدريسي بأن الميد كانوا يسكنون صحراء كش (كجه) وأحياناً وصلوا حتى قرب مدينة الور وحدود مكران أيضاً، ويذكر في موضع آخر بأن الميد قوم رحل بدو وتتصل مراعيهم في دخل السند حتى مدينة قامهل الواقعة على الحدود السندية الهندية، وهم قوم كثيرو العدد ولهم ابل وأغنام[٢] ويقول صاحب نخبة الدهر بأن قوم الزط كانوا يقيمون بأرض واسعة تقع ما بين المنصورة وبين مكران على نهر السند وكان طعامهم السمك وطير الماء[٣].

ويذكر المسعودي بأن نهر مهران له بطائح واسعة وآجام عظيمة من القنا والخيزران والقصب نحو ثلاثمائة فرسخ وفيها يسكن قوم من السند يقال لهم الميد وهم خلق كثير ولهم بوارج في البحر يقطعون على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وإلى جدة والقلزم وغيرها[٤].

ويقول البلاذري بأن أهل مدينة سرست سالموا محمد بن القاسم الثقفي ومدينة سرست مغزى أهل البصرة اليوم (القرن الثالث الهجري) وأن أهلها من الميد الذين يقطعون في البحر[٥].

ويذكر بأن عمران البرمكي والي بلاد السند [٢٢١ - ٢٢٦ هـ] قد هاجم

---

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ٢٢٠.
(٢) نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان للادريسي جـ٨ بالاقليم الأول في الكتاب (روما)
(٣) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٧٦.
(٤) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٤٩.
(٥) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩.

قوم الميد في منطقتهم وحاربهم وهزمهم وأخضعهم، كما أنه حارب قوم الزط المشاغبين وجعلهم يطيعون لحكمه، ويقول في موضع آخر بأن عمران البرمكي غزا الميد في منطقة أخرى وقتل منهم ثلاثة آلاف لقيامهم بالفتن وعدم إطاعتهم للعرب، كما أنه خرج إلى القيقان موطن الزط فقاتلهم وغلب عليهم وقضى على فتنتهم وبنى مدينة في منطقة القيقان سماها البيضاء وأسكنها الجند لمراقبة الزط وعاد إلى المنصورة، ويذكر أيضاً بأن محمد بن الفضل بن ماهان سار في سبعين سفينة حربية إلى ميد الهند فقتل منهم خلقاً وافتتح مدينة فالي ثم رجع إلى سندان بعد أن قضى على فتنة الميد، وسندان كانت من المدن الواقعة داخل حدود بلاد الهند وتقيم فيها أيضاً مجموعات كبيرة من الميد[١].

وقد ورد في كتاب ججنامه - وهو يعتبر أقدم مرجع تاريخي لبلاد السند - بأن قوم الزط كانوا قطاع طرق وكانوا يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند المختلفة[٢].

ويعلق صاحب كتاب «الهند في نظر العرب» على ذلك بأن الميد والزط كانوا من الأقوام القديمة ببلاد السند، وكان الميد معروفين بالوحشية والنهب والسرقة، ولذلك كانوا يتخذون قرب الصحارى مساكن لهم، وكذلك الزط[٣] حتى يسهل عليهم القيام بعمليات النهب والسرقة والاضطرابات والفتن بعيداً عن سلطة الحكومة.

وخلاصة القول: يرى لامبريك والمسعودي وصاحب كازيتيربلوجستان بأن قوم الميد كانوا يشتغلون في البحر بالقرصنة، وأما قوم الزط فكانوا يشتغلون بالرعي، ويرى الأصطخري وابن خرداذبه والإدريسي بأن الميد كانوا يسكنون

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٤.

(٢) ججنامه باللغة الفارسية ص ١٧٠.

(٣) الهند في نظر العرب (هندوستان عربون كي نظرمين) باللغة الأردية جـ ١ ص ١٧٣، في الحاشية

في المناطق الصحراوية، بالقرب من نهر السند وكانوا يشتغلون بالرعي، في حين يرى صاحب ججنامه وابن حوقل وصاحب نخبة الدهر بأن قوم الزط كانوا يقيمون على طول شاطىء النهر في أماكن عديدة وكانوا قطاع الطرق، وحدد البلاذري بأن أهم منطقة كان يسكنها قوم الميد هي منطقة القيقان وكانت سلطتهم بها قوية.

وهكذا نجد آراء وبيانات مختلفة عند المؤرخين الغربيين والشرقيين والعرب بشأن مساكن هذين القومين (أو القبيلتين الكبيرتين) وأعمالهما وطريقة معيشتهما، ولذلك يمكن لنا القول بأن قوم الزط وقوم الميد كانتا لهما فرق كثيرة بأسماء قبائل عديدة وكانوا يسكنون مناطق مختلفة في بلاد السند، وكان أفراد كل من القومين يشتغلون بالسفن بالقرصنة في البحر وكذلك بالرعي أو قطع الطرق في البر، وذلك حسب البيئة والظروف المحيطة بهم، وعلى العموم كان كل من القومين خطراً على الأمن والدولة، وكانت الحكومات السندية القديمة والحكومة العربية كثيراً ما تفشل في اخضاع هذين القومين وتوجيههما نحو الحياة الكريمة، بل من المؤسف أن نقول بأن تلك العادات والتقاليد التي نشأت عليها القبائل الزطية والميدية أصبحت وراثية عند بعض فروع تلك القبائل التي تسكن مناطق نائية في بلاد السند.

رابعاً: أهم القبائل السندية في عهد العرب:

لقد أشرنا سابقاً بأن القومين الزط والميد كانا قومين سنديين كبيرين معروفين وقد استمرت قبائلهما منذ مئات السنين إلى عهد العرب، وقد امتازا بتعصبهما القومي والوطني، وكان كلاهما يتنافسان على حكم البلاد[1] وكان الزط أكثر عدداً وأقوى نفوذاً وأخطر على الأمن والدولة من الميد، ولذلك نرى محمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند (٩٢ ـ ٩٥ هـ) قد اهتم بدراسة

(١) ججنامه باللغة الفارسية ص ١٧٠.

حياة قبيلة الزط الكبيرة التي تنتسب أصلاً إلى قبيلة لوهانه Luhans الهندية ببلاد السند، وقد علم أنهم قوم ليست بينهم الطبقات، بل كلهم طبقة واحدة يعيشون عيشة وحشية كسكان الغابات، وأن الجهل منتشر بينهم وهم قطاع الطرق الذين يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند فينهبون الأموال ويقتلون الأنفس بغير الحق، كما أنهم يقومون دائماً بالاضطرابات والفتن ضد الحكومة[1] ولذلك عاملهم معاملة شديدة مثل معاملة الملك جج ملك السند الأسبق لهم، فقد علم محمد بن القاسم الثقفي من الوزير سياكر السندي وبعض زعماء السند بأن الملك جج كان قد وضع قيوداً في تصرفات وتحركات هذه القبيلة وخاصة بمنطقة اللوهانه باقليم برهمنا باد، مثلما فعل قديماً مع قبيلتي سرانه وساكا Sarnah and Sakha القديمتين الطاغيتين، فقد أمر الملك جج بأن يسحب كل فرد من الزط كلباً حتى يكون معروفاً بين الناس وأخذ منهم الضمانات على سلامة القوافل التجارية وسلامة المسافرين وفرض عليهم عقوبة الموت أو الحرق لمن يسرق منهم، فقد اضطر محمد بن القاسم الثقفي أيضاً إلى وضع نفس القيود عليهم حتى يضمن الأمن والاستقرار في البلاد، لكنه خفف عنهم تلك القيود بالتدريج، بينما كان محمد بن القاسم الثقفي يعامل القبيلتين سما وسهيته Sammaah and Shaitas اللتين تسكنان أيضاً بنواحي برهمنا باد معاملة طيبة للغاية لسلوكهما الحسنة في حياتهما الاجتماعية[2].

ويذكر لامبريك بأن في الفترة ما بين عهد الدولة المارية القديمة Maurya وبين عهد العرب كان سكان بلاد السند متأثرين بثقافات وعادات وتقاليد مختلفة للأقوام السابقة التي حكمتهم أو سيطرت عليهم مثل الفرس والبربر وغيرهما، بل امتزجت الدماء المحلية بدماء تلك الأقوام الواردة من الخارج

---

(١) Sind, A General Introduction, by Lambrick, P. 209.

(٢) ججنامه باللغة الفارسية ص ١٧٤ و١٧٥.

حتى ظهر ببلاد السند نتيجة لذلك الخلط قومان مشهوران بقبائلهما المتفرقة الكثيرة وهما قوم الزط وقوم الراجبوت، وحين جاء العرب إلى بلاد السند كان معظم القبائل السندية تنتسب إلى هذين القومين المعروفين[1] بالإضافة إلى وجود قوم الميد بقبائله المتفرقة في مناطق مختلفة ببلاد السند.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التاريخ قد أثبت بأن العرب المسلمين كانوا يعاملون هذه الأقوام أو القبائل الكبيرة حتى التي لم تدخل الإسلام معاملة طيبة وعادلة ما دامت تطيع الحكومة، كما يعترف التاريخ أيضاً بأن العرب الذين فتحوا بلاد السند وحكموها رغم قلة عددهم، قد استطاعوا بفضل سياستهم الحكيمة وأخلاقهم الحميدة أن يؤثروا تأثيراً قوياً من الناحية الاجتماعية والمذهبية في تلك الأقوام أو القبائل المختلفة ذات تقاليد عجيبة وعادات سيئة وصفات وحشية.

خامساً: القبائل الأخرى المتفرعة في عهد العرب:

ورد في ججنامه في عدة مواضع بأن قواد الجيش في عهد الملك داهر السندي كانوا من البرهميين وكان يطلق عليهم اسم التهاكرة Thakurs[2] وهم كانوا أصلاً ينتسبون إلى قبيلة الراجبوت الهندية القديمة ويتصفون بالمهارة الحربية والشجاعة، وكان يطلق عليهم أيضاً اسم سودها Sodhas وقد انضم عدد كبير من هؤلاء القواد التهاكرة إلى محمد بن القاسم الثقفي أيام الفتوحات وخدموا الجيش العربي في أثناء حملاته الحربية وكان لهم دور فعال في انتصارات العرب[3].

وقد نزحت قبائل سندية مختلفة من شمال وشرق بلاد السند وسكنت

---

(١) Sind. by Lambrick. P. 211

(٢) ججنامه باللغة الفارسية ص ٥٥ و١٣٥ و١٧٧

(٣) ججنامه بالفارسية ص ١٣٥ و١٧٧ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣١.

اقليم بنجاب وأشهرها قبيلة عرفت باسم «زط بنجاب» التي تفرعت من قبيلة الزط الكبيرة، ثم تفرعت هذه القبيلة في بنجاب إلى قبائل كثيرة مثل سيال وجويو وكوهاوار Sials - Joyes - Khuhawars وهذه القبائل اشتهرت فيما بعد باسم واحد هو قبيلة سيراي Sirai بعد أن اتحدت واندمج بعضها إلى بعض لعوامل سياسية واجتماعية[١].

وكانت ببلاد السند قبيلة أخرى باسم قبيلة سومرا Somra وهي متفرعة من قبيلة سودها التي استمرت بالتمسك بمذهبها البرهمي الهندي ولم تدخل فروع منها في الإسلام في عهد العرب، إلا قبيلة سومرا هذه التي دخلت في الإسلام في أواخر عهد العرب وفيما بعد، كما كانت هناك قبيلة تعرف باسم كوكهر Khokhars التي تفرعت من قبيلة راتهور Rathors المتفرعة من قبيلة راجبوت الكبيرة Rajputs وقد دخل معظم أفرادها في الإسلام واشتهروا باسم قبيلة سيراي Sirai في بلاد السند. وأما قبيلة لوهانه البرهمية Hundu Lohanas التي لم تدخل الإسلام في عهد العرب فكانت تسكن بعض الأجزاء من اقليم كش (كچه) ومنطقة كاتياوار وبعض أجزاء أخرى من بلاد السند[٢].

وقبيلة سهتا Shatas التي كانت تسكن بلاد السند، وخاصة في اقليم برهمنا باد فقد دخلت جماعات كبيرة منها في الإسلام في عهد العرب، وبعضها بقي على مذهبه القديم، وكانت هذه القبيلة مسالمة مع العرب وعاملهم محمد ابن القاسم الثقفي وغيره من حكام العرب في كل وقت معاملة طيبة وكانت هناك قبيلة سمه Sammah التي دخلت الإسلام في عهد العرب وكانت تسكن المناطق الزراعية، بينما كانت قبيلة لوهانه غير المسلمة تسكن المدن وتشتغل بالأعمال التجارية، ولذلك كان بين القبيلتين المسلمة وغير المسلمة فرق من الناحية الفكرية والبدنية، كما كانت في اقليم بنجاب قبيلة تسمى الوره Alora

---

(١) Sind . A General Introduction, by Lambrick, P. 213.

(٢) Ibid, P. 215.

لها صلة بقبيلة لوهانه ببلاد السند وقد أخذت اسمها من اسم المدينة المعروفة الور[1] ويفهم من ذلك أنها نزحت من داخل السند إلى منطقة بنجاب وفي الغالب أنها لم تدخل الإسلام في عهد العرب.

ومعظم سكان صحراء تهار Thar في النصف الجنوبي منها ينتسبون إلى قبيلة سودي الراجبوتية Sudhi Rajputs وقد دخلت جماعات منها في الإسلام، وأما القبيلة الشهيرة ماهار Mahars التي كانت تسكن المناطق الشمالية الشرقية لصحراء السند فقد دخل معظم أفرادها في الإسلام في عهد العرب، بينما قبيلة ماهار الراجبوتية التي كانت تسكن السند الشرقية الشمالية أيضاً لم تدخل الإسلام في عهد العرب[2].

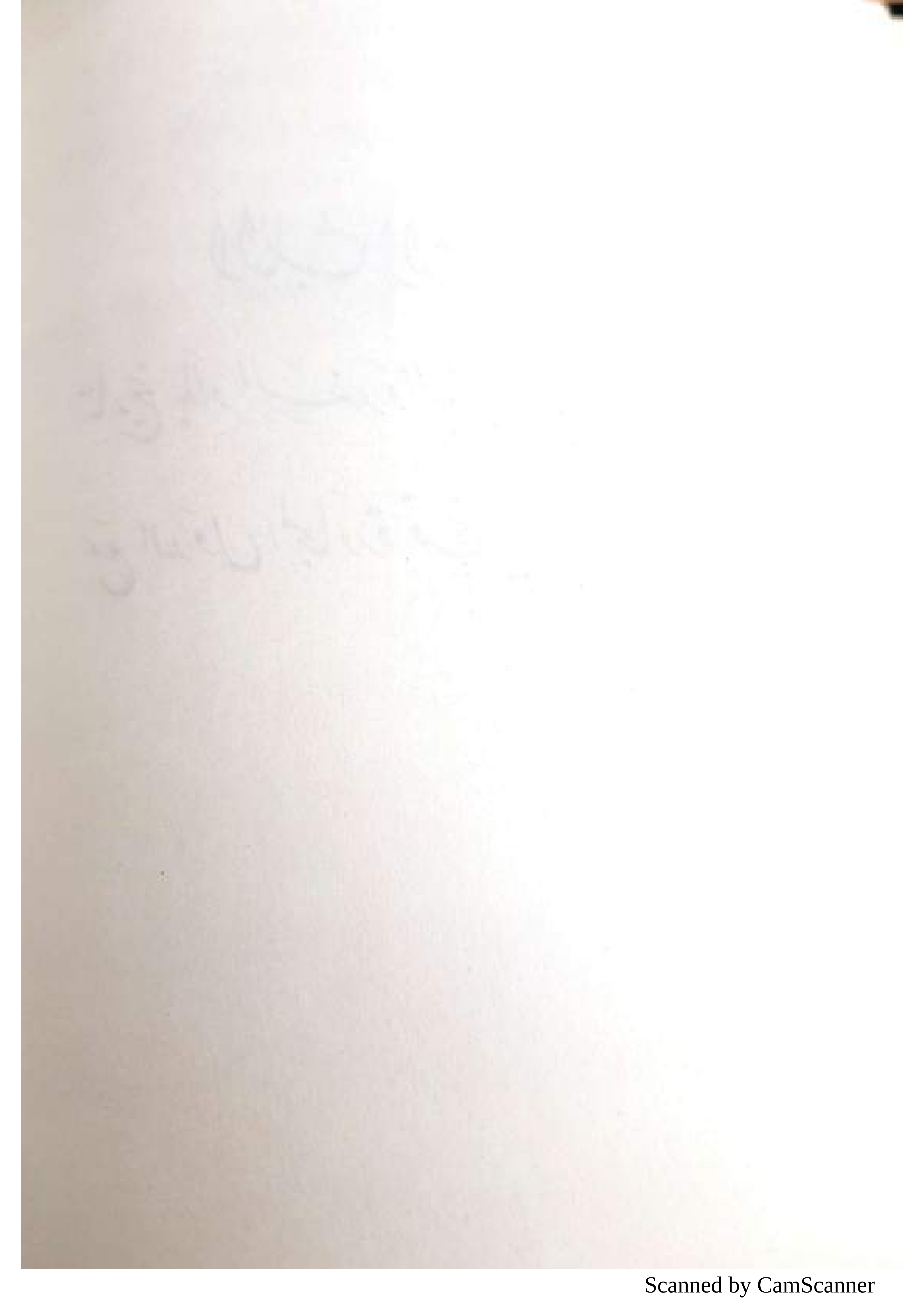
---

(١) Sind. A General Introductions, by Lambrick, P. 216.

(٢) Ibid, 218

الباب الثاني

تاريخ بلاد السند والبنجاب وعلاقاتها مع الدول المجاورة قبل الفتح الإسلامي



الباب الثاني

تاريخ بلاد السند والبنجاب وعلاقاتها مع الدول المجاورة قبل الفتح الإسلامي

نحاول هنا في هذا الباب أن نعرف قليلاً عن العلاقات الخارجية لبلاد السند مع جاراتها إيران والبلاد العربية قديماً، وكذلك نحيط علماً بحالاتها الداخلية، السياسية والمذهبية والاجتماعية قبل الفتح العربي.

الفصل الأول

علاقات بلاد السند والبنجاب مع بلاد إيران قديماً

إذا تصفحنا صفحات التاريخ وأمعنا النظر فيها، نجد أن العلاقات بين بلاد السند وبلاد إيران، كانت علاقات مختلفة منذ عصور قديمة جداً وكانت مستمرة بحكم الجوار، وكان من الطبيعي أيضاً أن تقع حروب بينهما في بعض فترات من التاريخ، فقبل الإسلام كانت الجيوش الايرانية كثيراً ما تشن الحملات وتقوم بالغارات على المناطق السندية الواقعة على الجهة الغربية لنهر السند، كما كانت الجيوش السندية تصل أحياناً إلى داخل الحدود الايرانية، وبعد ظهور الإسلام أيضاً تكررت حملات ايران على بلاد السند إلى أن فتح

العرب هذه البلاد، وبذلك انتهت السيطرة العسكرية والسياسية المتقطعة للفرس على بعض أجزاء بلاد السند.

ونريد هنا أن نتحدث باختصار عن العلاقات السياسية والثقافية والتجارية التي كانت موجودة بين بلاد السند وبلاد ايران قبل الميلاد في العهد الساساني، ثم بعد الإسلام في عهد الحكم العربي ببلاد السند، وذلك على ضوء المعلومات البسيطة التي حصلنا عليها من بعض الكتب التاريخية القديمة.

(أ) علاقة بلاد السند ببلاد ايران قبل الميلاد:

لقد عثر بين الآثار القديمة على خطابات لملوك الدولة الاكمينية الايرانية (٥٥٠ ـ ٣٢٣ ق. م) في القرن السادس قبل الميلاد، وذلك في الجزء الشمالي الغربي من بلاد السند، مما يدل على وجود العلاقات بين بلاد ايران وبلاد السند في ذلك العهد القديم جداً، ومن الناحية السياسية دلت الآثار الحجرية القديمة على أن الملك دارا الأول (٥٢٥ ـ ٤٨٦ ق. م) الذي حكم بلاد ايران حكماً قوياً قد فتح وادي السند ابتداء من منطقة بنجاب إلى بعض الأجزاء المحيطة لنهر السند في ذلك العهد، وتعتبر حملة دارا الأول سنة ٥١٨ قبل الميلاد أول حملة ايرانية على بلاد السند(١).

وبعد دارا الأول جاء الملك زيراس الذي حكم ايران فترة قصيرة (٤٦٤ ـ ٤٦١ ق.م) وكانت جيوشه تشتمل على الهنود والسند أيضاً، ثم ابتداء من عهد الملك دكاد يرى إلى عهد الملك دارا الثالث كانت بلاد السند تحت سيطرة الحكم الايراني حتى استولى الاسكندر الأكبر المقدوني على منطقة بنجاب التابعة لبلاد السند في سنة ٣٢٣ قبل الميلاد، فزالت بذلك السيطرة الايرانية

---

(١) Article, by Prof. Norman Brown, in Pakistan Miscellany, Karachi, 1958, PP. 22 - 25.

عن بلاد السند البنجاب لفترة من الزمن[١].

ويتبين لنا من النقوش التاريخية التي وجدت في اقليم برهمن آباد (بهمن آباد) ببلاد السند على وجود علاقات سياسية بين الدولة الايرانية الاكمينية والدولة السندية في تلك العصور القديمة[٢].

ومن الناحية الثقافية، فإن الآثار القديمة التي وجدت في منطقة موهنجود ارو الأثرية التي يرجع تاريخها إلى نحو ٥٠٠٠ سنة تقريباً (خمسة آلاف سنة) تثبت وجود حضارة قديمة ببلاد السند، وتدل أيضاً على وجود العلاقات الفكرية بين أهل السند وأهل ايران قبل التاريخ[٣]، وكانت هذه العلاقات الثقافية مستمرة بين الدولتين إلى القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد.

ومن الناحية التجارية أيضاً تدل تلك الآثار القديمة التي عثر عليها ببلاد السند على وجود العلاقات التجارية بين بلاد ايران وبلاد السند والبلاد المجاورة منذ آلاف السنين، فمن بين ما عثر عليه بعض الأختام التي كانت تستخدم للختم على الأوراق الرسمية المرسلة إلى الخارج، والطرود الكبيرة ولعلها كانت طرود القطن، ومن البضائع التي كانت تتبادل كالأحجار الكريمة والتماثيل الحجرية والكؤوس والطوب الأحمر، وكان يستورد حجر الفيروز من ايران، وربما كانت الأخشاب أيضاً تصدر إلى ايران[٤].

---

(١) Ibid. PP. 22 - 23.

تأسست الدولة الاكمينية الايرانية سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وانتهت سنة ٣٢٣ قبل الميلاد بغزو الاسكندر الأكبر لبلاد ايران القديمة وكذلك غزا الاسكندر الأكبر بلاد السند والبنجاب في نفس السنة.

(٢) العلاقات الثقافية والسياسية بين السند وايران (سنده اور ايران كي تعلقات - سياسي أور ثقافتي) مقال باللغة الأردية للباحث الكبير الأستاذ بير حسام الدين الراشدي السندي في مجلة نقوش بالعدد رقم ١٠٦ أكتوبر / ديسمبر ١٩٦٦ لاهور باكستان ص٥٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٥٣٤.

(٤) Ancient Trad in Pakistan, Article By Sir Wheeler, Pakistan Miscellany, Vol. II, P.12.

(ب) علاقة بلاد السند بايران في العهد الساساني:

أسس أردشير الأول الدولة الساسانية في ايران التي دامت نحو أربعة قرون من الزمان (٢٢٦ م - ٦٥٢ م) واتسعت سيطرتها بعد فترة قصيرة حتى اشتملت على غرب الهند ووسطها والجزء الشمالي الغربي منها، وأرسل ملوك طوران ومكران بالبيعة إلى أردشير الأول، وكان اقليم طوران واقليم مكران يدخلان في نطاق الدولة السندية الواسعة في ذلك العهد.

وكذلك في القرنين الثالث والرابع للميلاد كانت الدولة الساسانية تسيطر على مناطق طوران ومكران وكش (كچه) ولكن اقليم بنجاب لم يكن تحت سيطرة ايران، وإنما كانت تحت سيطرة ملوك كوشان، وكانت دولة كوشان في ذلك العهد تتكون من وادي كابل واقليم بنجاب وأجزاء من بلاد السند، وعلى ذلك فإن الحكم الساساني في هذه المناطق السندية قد بدأ في عهد أردشير الأول واستمر إلى عهد بهرام الثاني، ثم بدأت السيطرة الايرانية من جديد على بلاد السند في عهد شاه بور الثاني واستمرت حتى سنة ٣٦٥ ميلادية ثم انقطعت هذه السيطرة السياسية لايران في فترات معينة بسبب الظروف الداخلية وضعف الدولة الساسانية، وخاصة في عهد بهرام كور الخامس وفي عهد حفيده فيروز الذي مات سنة ٤٨٤ ميلادية(١).

وتشير بعض الروايات إلى أن بلاد السند كانت منفصلة عن بلاد الهند في عهد الدولة الهيلينية الهندية وكانت تابعة لحكم ايران سياسياً، ثم أيضاً كانت منفصلة عن بلاد الهند في عهد الدولة الكوبتية الهندية في القرن الرابع الميلادي(٢).

---

(١) ايران بعد عهد الساسانيين «ايران بعد ساسانيان» باللغة الفارسية ص ١٧٩ و ١٨٠.

(٢) Article by Brown, in Pakistan Miscellany, by Olaf Caroe, London, 1962, pp. 9-84.

(ج) علاقات بلاد السند ببلاد ايران في عهد انوشيروان:

عادت العلاقات السياسية بين بلاد السند وبلاد ايران في عهد أنوشيروان الملك الساساني بعد انقطاعها فترة من الزمن، فامتدت السيطرة الايرانية حتى نهر السند[1] وقد صالح كثير من ملوك أقاليم السند والهند انوشيروان وأرسلوا إليه بهداياهم الثمينة معبرين بذلك عن تقديرهم له، وكان ذلك خوفاً من كثرة جيوشه وسعة ملكه وغلبته على البلاد الأخرى وقتله لكثير من حكامها الذين رفضوا البيعة له[2] وقد كتب أحد ملوك الهند إلى انوشيروان رسالة بدأها بألقاب كثيرة منها عظيم الشرق وامبراطور ايران، وأرسل اليه هدايا كثيرة بينها ألف من من العود وعشرة أمناء من الكافور وجاما من الياقوت الأحمر فتحته شبر وهو مملوء بالدر وجارية جميلة طولها سبعة أذرع، تلمس أشفار عينيها الخدين وبين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها، وكانت تمتاز بصفاء لونها ورقة قامتها وضفائر تجرها وجلداً ألين من جلد الحية كالحرير، وكان خطاب الملك مكتوباً على لحاء الشجر المعروف باسم الكاذي له لون حسن وريح ذكية[3].

ومن الناحية الثقافية فإن العلاقات كانت طيبة بين الطرفين، فقد طلب الحكيم برزويه الايراني من الهند كتاب كليلة ودمنة وموضوعه في اصلاح الأخلاق وتهذيب النفس، وترجمه من السنسكريتية إلى الفارسية وقدمه إلى كسرى انوشيروان، وكذلك نقلت لعبة الشطرنج إلى ايران في عهد أنوشيروان[4].

---

(1) The Pathans 650, B. C.-1957, by Olaf Caroe, London, 1962, P. 79.

(2) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٢٠١.

(3) كتاب الذخائر والتحف ص ١٤ - مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٢٠١.

(4) طبقات الأمم ص ٢١ - مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٢١٣.

وهكذا كانت العلاقات السياسية والثقافية وكذلك التجارية قائمة بين بلاد السند وبلاد ايران في العهد الساساني، حتى عهد يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين الذي قضى العرب عليه في سنة ٣١ هجرية أي في القرن السابع للميلاد، وبذلك زالت الدولة الساسانية الكبيرة عن الوجود ودخلت بلاد ايران تحت حكم العرب.

(د) علاقة بلاد السند ببلاد ايران قبيل عهد العرب:

في بداية القرن السابع الميلادي وبعد ظهور الإسلام قام الحاكم الايراني هرمز بعدد من الحملات البحرية على سواحل بلاد السند، حتى وقع في أسره عدد كبير من أهالي السند وأخذهم معه إلى ايران وكان معظمهم من قوم الزط لأن أغلبية أفراد الجيوش السندية كانت منهم، ولما أراد العرب الحملة على ايران عقدت الدولة الساسانية معاهدة الصلح مع بلاد السند ويموجبها جاءل الملك هرمز قوم الزط بايران وأدخلهم في الجيش الايراني لمحاربة العرب بهم. ثم في عهد أبي بكر رضي الله عنه وقعت حرب ذات السلاسل بين ايران والعرب في سنة ١٢ هـ (٦٣٤ م) وقتل خالد بن الوليد هرمزاً، ووقع آلاف الأسرى من الزط في أيدي العرب وقبلوا الإسلام برغبتهم وسكنوا العراق، ثم في عهد عمر رضي الله عنه وقعت واقعة القادسية بين الايرانيين والعرب في سنة ١٤ هجرية (٦٣٦ م) فطلب الملك يزدجرد الثالث مساعدة عسكرية من حلفائه ولا سيما ملك بلاد السند الذي أرسل إليه الأسلحة والفيلة وأهدى له فيله الأبيض المقاتل الذي كان بمثابة قائد لتلك الفيلة المحاربة وقد قتل في الميدان في اليوم الثالث من المعركة، وبعد ذلك أصبح من السهل للعرب ابعاد بقية الفيلة وقتل رستم القائد الايراني المشهور، والقضاء على جيش ايران في هذه الحرب[1] وفي القرن السابع الميلادي في عهد الدولة الهرشية الهندية أيضاً

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٤ و ٢٠ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٢ ص ٤١٢.

كانت بلاد السند تابعة للحكم الايراني سياسياً[1].

ثم ضعفت ايران بسبب حملات العرب المتكررة عليها، فانتهز الملك جج ملك بلاد السند هذه الفرصة واسترجع منطقة مكران التي كانت تحت سيطرة ايران[2] وبعد وفاة جج جاء ابنه الملك داهر ووحد البلاد كلها وظل يحكم سنوات طويلة، حتى حصل الفتح العربي الكبير بقيادة محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هجرية[3] وبذلك انتهت سيطرة ايران على بلاد السند بصفة نهائية.

ومن الناحية التجارية فقد أشار بعض الجغرافيين العرب ومؤرخيهم إلى أن العلاقات التجارية بين بلاد السند وبلاد ايران كانت مستمرة في عهد العرب. فيذكر المسعودي بأن القوافل التجارية كانت متصلة بين خراسان وبين الملتان باقليم البنجاب والمنصورة باقليم السند[4] ويقول ابن الفقيه بأن البضائع الايرانية كانت تصل إلى بلاد السند من خراسان[5] ويذكر الأصطخري بأن الإبل السندية كانت تصدر إلى خراسان وفارس وغيرهما[6].

ومن الناحية الثقافية والفكرية فقد كانت للغة العربية مكانة كبيرة في بلاد السند في عهد العرب بحكم الظروف السياسية ودخول الكثيرين من أهل السند في الإسلام، ومع ذلك كانت اللغة الفارسية رائجة في أماكن مختلفة من بلاد السند بسبب الجوار والتبادل بين بلاد السند وبلاد ايران، وكذلك بسبب وجود كثير من الفرس في بلاد السند حتى في الجيش العربي منذ عهد محمد بن

---

(١) Article by Prof. Brown, pp. 22-25.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٤٨، وكذلك انظر الغزو العربي لبلاد الهند لماجدار ص ١٦٥.

(٣) تاريخ المعصومي باللغة الفارسية ـ وكذلك انظر الغزو العربي لبلاد الهند لماجدار ص ١٦٥.

(٤) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣١٤ و٣٧٥.

(٥) كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٥١.

(٦) مسالك الممالك للاصطخري ص ١٨٠.

القاسم الثقفي[1] فقد ذكر الأصطخري بأن لسان أهل مكران كان الفارسية والمكرية (المكرانية) وزيهم أيضاً مثل زي أهل فارس والعراق[2] ويقول المقدسي بأن الفارسية كانت مفهومة في اقليم الملتان أيضاً[3] ونلاحظ أن الجغرافيين العرب لم يذكروا أهمية اللغة الفارسية عند ذكرهم للغة العربية ببلاد السند؛ ذلك لأن ايران ولغتها كانتا محكومتين في ذلك الوقت، إلا أن الفارسية مع ذلك كانت لها أهمية كبيرة عند أهل السند[4].

وهكذا كانت العلاقات بين بلاد السند والبنجاب وبلاد ايران قديمة ومستمرة في صورها المختلفة في كل العهود السابقة حتى عهد العرب ببلاد السند والبنجاب وبعد ذلك.

** ** ** **

---

(١) انظر جحنامه بالفارسية ص ٩٩.

(٢) المسالك والممالك للأصطخري ص ٤٠ و١٧٧.

(٣) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي ص ٤٨٠.

(٤) مجلة نقوش ص ٥٣٤ مقال الباحث السندي الأستاذ پير حسام الدين الراشدي.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية بين بلاد السند والبنجاب وبلاد الهند قبل عهد العرب

إذا بحثنا في تاريخ العلاقات السياسية القديمة بين بلاد السند وبلاد الهند قبل الميلاد، وبعده أيضاً حتى القرن السادس الميلادي، نلاحظ أن كثيراً من المؤرخين الشرقيين والباحثين الغربيين لم يناقشوا هذه المسألة مناقشة جدية في موضع واحد وبشكل جامع واضح، وإنما تشير الكتب التاريخية القديمة والحديثة إشارات سريعة بطريقة غير مباشرة إلى وجود العلاقات السياسية بين بلاد السند وبلاد الهند في العصور القديمة المختلفة، أو تشير إلى انفصال بلاد السند سياسياً عن بلاد الهند في بعض الأوقات والعهود ولكن هذه الاشارات في الغالب غامضة وبدون بيان الأسباب والنتائج، ونحاول هنا أن نرتب بعض هذه الاشارات التاريخية بقدر الامكان ونعرضها.

ففي عهد الدولة المورية الهندية كانت بلاد السند جزءاً منها وتابعة لها سياسياً[1] وكذلك كانت الدولة الأشوكية The Asoka's Empire التي استمرت من سنة ٢٧٣ حتى سنة ٢٣٢ قبل الميلاد، تحكم بلوجستان ومكران وكش (كچه) والسند بالإضافة إلى أجزاء كبيرة من بلاد الهند[2] ثم من سنة ٢٠٠ ق.م. إلى سنة ٢٥٠ بعد الميلاد، كان الجزء الشمالي الغربي لبلاد الهند

---

(١) A Short History of Pakistan, by Dr. A.H. Dani, Karachi, 1967, Vol. 1, P. 12.

(٢) Ibid. P. 112.

وكذلك بلاد السند موضع هجوم الغزاة من الخارج، فاتخذ السيثيانيون The Scythians من سيستان (شاكستان القديمة) عاصمة لهم، وكان اقليم كجرات بالهند ووادي السند تحت حكمهم، وكذلك حكمت الدولة الساكاسية The Sakas هذه المناطق المذكورة في القرن الثالث الميلادي، حتى قضت عليها الدولة الكوبتية الهندية في سنة ٤٠٠ ميلادية تقريباً، وقد اختلف المؤرخون فيما إذا كانت بلاد السند تابعة أم غير تابعة للامبراطورية الكوبتية الهندية في أوائل القرن الخامس الميلادي، فيعتقد البعض بأن بلاد السند لم تكن تابعة لها. ويرى البعض الآخر بأنها كانت تابعة لها اسمياً[١] بينما يرى آخرون بأن الامبراطورية الكوبتية الهندية كانت تسيطر على بلاد السند تماماً وتحكمها سياسياً[٢] وأما في نهاية عهد الحكم اليوناني بالهند والسند فإن بلاد السند كانت منفصلة عن وسط الهند وشمالها سياسياً وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

ثم في القرن السابع الميلادي نجد الامبراطورية الهرشية الهندية The Harsha Empire قد وصلت سيطرتها حتى اقليم البنجاب فقط، ولكن بلاد السند لم تكن تحت سيطرتها، وبعد وفاة الملك هرشا بدأت الفوضى تنتشر في أنحاء بلاد الهند لسنوات عديدة، وفي هذا الزمن وقعت حملة خارجية على بلاد الهند بواسطة الهون The White Huns الذين تدخلوا في سياسة الهند، ونتيجة لذلك ظهرت إمارات كثيرة في بلاد الهند، وبدأت أسرة راجبوت في الهند تتحد حتى استطاع الراجبوتيون الهنود بهذا الاتحاد أن يفرضوا كيانهم على بلاد الهند منذ أوائل القرن الثامن الميلادي أي قبل الفتح العربي لبلاد السند، بحيث أطلق على هذا الدور من التاريخ اسم العهد الراجبوتي، وفي هذا العهد كان أفراد الأسرة الراجبوتية حكاماً على معظم تلك الامارات الهندية[٣]، وفي الغالب لم

---

(١) Article of Prof. Brown, in Pakistan Miscellany, P. 25.

(٢) Ibid, P. 24.

(٣) The Oxford History of India; by smit, Oxfor, 1964, P. 190.

تكن بلاد السند داخل هذا الاتحاد لأن بلاد السند كانت دولة قوية ومستقلة بذاتها كما يستنتج من عبارات ججنامه عن عهد الملك جج وابنه الملك داهر، حتى جاء عهد العرب وفصلت بلاد السند عن بلاد الهند سياسياً بصفة نهائية، وصارت بلاد السند تابعة للخلافة الأموية بتشكيل حكومة عربية سندية إسلامية في سنة ٩٢ هجرية.

الفصل الثالث

حالة بلاد السند والبنجاب سياسياً ومذهبياً واجتماعياً قبل الفتح الإسلامي

نلاحظ أنه بالرغم من دخول بلاد السند في الدور التاريخي، فإن المعلومات عن هذا الدور غير كافية، وإنما المرجع الوحيد الذي يمكن لنا الاعتماد عليه والذي يعطي لنا فكرة اجمالية عن هذه الفترة هو كتاب ججنامه الذي جمع مواده وكتبه بالعربية مؤرخ عربي في أواخر العصر الأموي، ثم قام عالم عربي آخر بترجمته إلى الفارسية في سنة ٦١٣ هجرية، وقد أخذ منه المؤرخون القدماء مثل صاحب تاريخ المعصومي وصاحب تاريخ فرشته وغيرهما، وكذلك اعتمد عليه كثير من المؤرخين الشرقيين والغربيين، ومعنى ذلك أنه لا يوجد أي كتاب في تاريخ بلاد السند قبل ججنامه عن العهد الذي سبق صدر الإسلام، وعلى العموم نحاول الاستفادة من هذا المرجع بقدر الامكان.

كانت الدولة الهرشية الهندية يؤيدها أصحاب المذهب البرهمي الهندي وهم البراهمة الذين أوجدوا نظام الطبقات، بحيث قسموا الشعب إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى تسمى طبقة البراهمة أو الكهان والسدنة ورجال الدين، والطبقة الثانية تسمى طبقة الاكشترية وهي الطبقة الحاكمة والمحاربة، والطبقة الثالثة تسمى طبقة الفيشية وهي طبقة التجار والصناع والزراع التي توفر وسائل العيش للبراهمة والحكام، ثم الطبقة الرابعة تسمى طبقة الشودرية

ووظيفتها خدمة تلك الطبقات الثلاث في أحقر الأعمال كنظافة البيوت ورفع القاذورات، على أن أفراد الطبقات الثلاث الكبرى من أصل آري، وقد أتوا إلى بلاد السند قبل الميلاد بزمن بعيد وحكموها، بينما أفراد طبقة الشودرية هم أصحاب البلاد الأصليين وقد أخرجهم البراهمة من ميدان السياسة والحكم والتعليم بل أذلوهم واعتبروهم طبقة المنبوذين وحرموهم من كل حقوقهم الطبيعية الشرعية، فهم ليسوا حتى في منزلة العبيد وقد أخرجوهم من دائرة الإنسانية حسب نظام الطبقات هذا.

ونتيجة لمظالم نظام الطبقات وأصحابه البراهمة، ظهر ببلاد الهند مصلح اجتماعي وهو بوذا بمذهبه الاجتماعي الجديد، وبدأ يحارب مظالم البراهمة بآرائه الثائرة، يريد الخلاص للطبقة الشودرية المظلومة من تلك العبودية والذلة، ويريد الوصول بهم إلى حياة العزة والسعادة، وسرعان ما انتشرت مبادىء هذا المذهب بعد عهد هرشا حتى أيده بعض الملوك في الهند والسند، ومن هنا بدأ الصراع الرهيب بين المذهب البرهمي القديم والمذهب البوذي الجديد، واستطاع البراهمة أن يطردوا الكثيرين من البوذيين والشودرية من وسط بلاد الهند، فانتشروا في الجنوب والغرب وخاصة في بلاد السند.

ورغم وجود الاختلاف الكبير بين البوذيين والشودرية من الناحية الفكرية والاجتماعية، فقد نشأ بين الفريقين نوع من الاتحاد السياسي، وأصبحت لهم قوة أيضاً في بلاد السند ضد البرهميين حتى جاء عهد الملك جج (سنة ١ - ٤٠ هـ) الذي كان ابناً لسادن برهمي فأيد مذهبه وجعله مذهباً رسمياً للدولة، وبذلك عادت القوة إلى البراهمة مرة أخرى في بلاد السند، واشتد الصراع المذهبي في أنحاء البلاد، مما أثر ذلك كثيراً على تدهور الحالات الاجتماعية والفكرية والمذهبية والاقتصادية، لدرجة أن معظم الشعب السندي كانوا يتمنون أن تتاح لهم فرصة ليتخلصوا من هذه الفوضى المذهبية والمظالم الطبقية واستبداد الحكام، ولينجوا بأرواحهم من أنواع وسائل التقتيل والتشريد

والتعذيب من جانب البراهمة، وأن يشعروا بالطمأنينة والسلام في ظل العدالة الاجتماعية حتى ينعموا بالرفاهية الاقتصادية ويتمتعوا بالحرية الفكرية والمذهبية.

هكذا كانت بلاد السند تعيش في هذه الفترة من التاريخ في حالة سيئة من الناحية الاجتماعية والمذهبية بصفة خاصة، ومن الناحية الاقتصادية والفكرية والسياسية بصفة عامة، ونتحدث الآن عن الحالة السياسية لبلاد السند ابتداء من عهد الملك سهرس الثاني بن ساهسي الأول إلى عهد العرب.

عهد دوائج وعهد سيهرس الأول:

حكمت بلاد السند أسرة حاكمة قبل الإسلام لمدة ١٣٧ سنة وذلك من سنة ٤٨٥ ـ ٦٢٢ م أي حتى السنة الأولى الهجرية، وأسماء ملوكها بالترتيب: دوائج ثم سيهرس الأول ثم ساهسي الأول ثم سيهرس الثاني، ثم ساهسي الثاني[1] وفي عهدها انتقل البوذيون على شكل هجرات كبيرة إلى بلاد السند بعد طردهم من بلاد الهند، ولذلك يمكن التخمين بأن حكام هذه الدولة كانوا بوذيين غير متعصبين.

عهد الملك سيهرس الثاني:

إن أول ضوء يلقيه التاريخ على بلاد السند يبدأ في عهد الملك سيهرس الثاني بن ساهسي الأول، الذي كان يجلس على عرش بلاد السند في القرن السادس الميلادي وكانت بلاده تنقسم إلى خمس ولايات هي: برهمنا بادوسيوستان واسكلنده والملتان والور، وكانت الور عاصمة البلاد كلها يقيم

---

(١) ججنامه باللغة الفارسية ص ١٤.

بها الملك وأما بقية الولايات فكان يحكمها أمراء من أقرباء الملك[1] وقد حكم هذا الملك بلاد السند فترة من الزمن حكماً عادلاً ونشر الأمن والاستقرار، حتى أتى ملك نيروز الايراني بجيش كبير عن طريق كرمان ودخل بلاد السند فخرج إليه ملك السند واشتبك معه في حرب دامية قتل فيها الكثيرون من الجانبين، كما أصيب الملك السندي بسهم وقضى نحبه، وعاد الملك نيروز إلى بلده[2] ولا تذكر كتب التاريخ سبب وقوع هذه الحرب بين بلاد ايران وبلاد السند، ويبدو من صفات هذا الملك السندي أيضاً أنه كان بوذي المذهب.

عهد ساهسي الثاني:

ولما وصل خبر موت الملك السندي إلى العاصمة قام رجال الدولة بتتويج ولي العهد ساهسي الثاني بن سيهرس وأجلسوه على عرش أبيه، وحكم البلاد بالعدل والانصاف سنوات طويلة، وفي عهده حضر شاب برهمي فقير إلى القصر وقابل الحاجب رام والوزير برهيمن وقال لهما: أنا اسمي جج بن سيلائج السادن وأبي وأخي يعملان في معبد الور، وقد أردت أن أتشرف بمقابلة الحاجب الذي اشتهر بالفصاحة والبلاغة، وأرجو منه أن يتكرم باعطاء عمل لي في الديوان فأقوم بانجازه بكل أمانة وإخلاص، حيث انني أحفظ كتب الهند الأربعة (رك ـ جج ـ أسام ـ أثرين) وفي هذه الأثناء وردت رسائل من مدينة الديبل فأعطى الحاجب خطاباً إلى جج فقرأه جيداً وكتب الرد بأسلوب جميل وألفاظ رقيقة وخط حسن، فأعجب به الحاجب وعينه كاتباً في الديوان، ولما توفي الحاجب تعين جج رئيساً للديوان واستطاع أن يضبط أمور القصر والدولة بسياسة وحكمة[3] .

---

(١) حجنامه بالفارسية ص ١٤ .

(٢) يذكر البعض بأن منطقة نيروز كانت بمثابة مملكة مستقلة صغيرة بايران على الحدود الايرانية السندية وكانت تسمى أيضاً سيستان.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ١٧ ـ ٢٠ وكذلك انظر ماجدار ص ١٦٥ و١٦٦.

ثم حدث ذات يوم أن الملك ساهسي الثاني كان جالساً في الخلوة مع الملكة سونهن(١) وقدم جج إلى القصر للمقابلة العاجلة ليعرض عليه رسائل هامة وصلت من حدود الديبل، فأشار الملك على الملكة أن تدخل الستار وتحتجب فقالت: إن كثيراً من الخدم يدخلون القصر وجج هذا رجل برهمي (رجل دين) فلماذا كل هذا الحجاب منه؟ فدعه يدخل علينا، ووافق الملك على دخوله، ولما رأته الملكة وسمعت حديثه، عشقته لجماله وحلاوة لسانه، وفيما بعد أظهرت له الحب ولكنه رفض ذلك في أول الأمر خوفاً من الملك إلا أنه سرعان ما تبادل معها الغرام حتى وصل الخبر إلى سمع الملك فلم يصدقه لحسن ظنه في الملكة(٢).

ثم مرض الملك ساهسي الثاني وساءت حالته حتى توفي، وأخبرت الملكة ججا بأن الملك كان عقيماً فلم يترك ولداً يرثه العرش وأشارت عليه أن يصبح هو ملكاً حتى تبقى حياتها في أمان من شر أقرباء الملك بعد أن انتشرت حولها الاشاعات، ووافق جج على ذلك وبحثت الملكة عن حيلة، وأمرت بقيد الأطباء في القصر حتى لا يصل خبر الوفاة إلى الشعب والأمراء، ثم استدعت أقرباء الملك واحداً بعد واحد بحجة أن الملك يريد مقابلتهم وسجنتهم بل قتلت الكثيرين منهم، ثم أمرت بانعقاد المجلس في القصر وحضره ممثلون عن جميع طبقات الشعب، وأمرت الملكة أن يخرج الوزير إليهم ويخبرهم بأن الملك لا يستطيع الخروج لضعفه وأنه قرر أن يجلس جج على العرش نيابة عنه حتى لا تتعطل أمور الدولة وقضايا الرعية، وقد سلم إليه خاتم الملك لينوب عنه، فأجلسوا ججا على العرش ثم بعد قليل أعلنوا وفاة الملك(٣).

---

(١) صاحب ججنامه يذكرها باسم سونهيتوا وأما صاحب تاريخ المعصومي فيذكرها باسم سونهن.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٢١، ٢٢، وكذلك تاريخ المعصومي بالأردية ص ١٧.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ٢٣ - ٢٥ وكذلك تاريخ المعصومي بالأردية ص ١٧.

عهد جج بن سيلائج :

وهكذا وصل جج البرهمي إلى العرش والحكم بمساعدة الملكة الأرملة العشيقة، وبعد ذلك وصل خبر وفاة الملك إلى أخيه الأمير مهرت حاكم جتور الذي طالب بالعرش على أنه الوريث الشرعي، وخرج لمحاربة الملك جج ولكنه قتل في المعركة مع جج بعد أن خدعه جج في المبارزة، ثم تزوج الملكة الأرملة سوهن التي أنجبت منه ولدين دهرسيه وداهر وابنة باسم ماين[1] وأحضر جج أخاه جندر الراهب وعينه رئيساً على ديوان المظالم[2].

وبعد أن نظم الملك جج أمور مملكته الداخلية، أراد الاستفادة من الاضطرابات السائدة في مملكة فارس الجارة، فسار إلى مكران واستولى عليها بعد أن كانت دولة ايران تسيطر عليها، وجعل من مجرى ماء يفصل ما بين كرمان ومكران حداً لبلاده من الجهة الغربية، ثم قام جج بالجولة في أنحاء البلاد للقضاء على الفتن والمتمردين ولتحديد بقية الحدود، فحارب أمراء الأقاليم الأربعة وحكام الحدود وقتل بعضاً منهم وأخضع الباقين لحكمه، وعين حكاماً جدداً على الأقاليم وحدد حدود بلاد السند مع بلاد كشمير، كما أخضع قومي الزط واللوهانه الطاغيين في اقليم برهمنا باد، ووضع عليهم قيوداً في الملابس والتحركات والأعمال[3].

ثم توفي الملك جج في مدينة الور عاصمة البلاد بعد أن دام حكمه أربعين عاماً[4] ويبدو أنه كان قد جلس على عرش بلاد السند في السنة الأولى للهجرة بعد وفاة الملك سيهرس الثاني[5] بدليل أنه في العام الثاني من حكمه

(١) يذكر البعض دهرسيه باسم (دهرسين) ويذكر ماين باسم (مائي ـ مائن ـ مائين). أيضاً.
(٢) تاريخ المعصومي بالأردية ص ١٧ حجنامه بالفارسية ص ٢٦.
(٣) انظر حجنامه بالفارسية ص ٣١ ـ ٤٩ لمعرفة تفاصيل أمور الدولة في عهد جج.
(٤) حجنامه بالفارسية ص ٥٠.
(٥) الغزو العربي للهند لماجدار بالانجليزية ص ٤.

أي في السنة الثانية الهجرية قام بالجولة في أنحاء البلاد للقضاء على الفتن وتعيين الحدود[1] ومعنى ذلك أنه توفي في سنة ٤٠ هجرية تقريباً، كما يفهم من عبارة ججنامه، ولكن صاحب تاريخ المعصومي يقرر وفاته في سنة ٤٥ هجرية[2] وبالنسبة للتواريخ نجد اختلافات كثيرة عند المؤرخين.

عهد جندر بن سيلائج:

بعد وفاة الملك جج جلس على العرش أخوه جندر في سنة ٤٠ هجرية وحكم بلاد السند لمدة سبع سنوات وقضى على بقية الفتن، ونشر الاستقرار في البلاد حتى توفي في العام الثامن من حكمه وذلك في سنة ٤٨ هجرية[3].

عهد الملك داهر بن جج:

بعد وفاة جندر ساد الاضطراب أنحاء المملكة السندية وانقسمت البلاد إلى قسمين، وجلس داهر بن جج على العرش بمدينة الور بداخل السند، بينما اعتلى عرش اقليم برهمناباد الأمير دارج بن جندر ابن عم داهر لمدة سنة واحدة (٤٨ - ٤٩ هـ) حتى ثار عليه الأمير دهرسيه بن جج وطرده واستولى على عاصمة برهماناباد (٤٩ - ٧٩ هـ) وبذلك تقاسم الأخوان حكم المملكة لمدة ثلاثين سنة[4] وكانا يتبادلان نقل مقر الحكم، فتارة كانت العاصمة مدينة الور وتارة تكون العاصمة مدينة برهماناباد، ثم وقع الخلاف بين دهرسيه وبين داهر بسبب اتخاذ القرار من جانب داهر بالزواج من أخته الأميرة مائي (ماين) وكان ذلك القرار نتيجة لرأي أحد المنجمين حين أخبر الملك داهر

---

(١) ججنامه باللغة الفارسية ص ٤٨ - ٥٠.

(٢) تاريخ المعصومي باللغة الأردية ص ٢٣ وججنامه باللغة الفارسية ص ٥٠.

(٣) ججنامه ص ٥٠ - ٥٣ ولكن يلاحظ أن صاحب تاريخ المعصومي قد تجاهل فترة حكم جندر.

(٤) ججنامه ص ٥٤ على أن صاحب ججنامه يجعل حكم دهرسيه خمس سنوات فقط بينما ماجدار يجعله ثلاثين سنة اعتماداً على وثائق قديمة.

بأن أخته الأميرة ماين ستكون من نصيب شخص يصبح ملكاً على كل بلاد السند[1] فانشغل فكر داهر بهذا الخبر الخطير واستشار وزيره الذي نصحه بالزواج منها حتى لا يفلت زمام الحكم من يده، وبذلك قرر الزواج مضطراً لأسباب سياسية، وقد استنكر هذا الخبر شقيقه الكبير الأمير دهرسيه الذي كان ملكاً على اقليم برهمناباد، فنصحه بالعدول عن هذه الفكرة ولكنه لم يقبل ذلك، فتوجه الأمير دهرسيه بجيشه نحو العاصمة الور لمحاربة الملك داهر ولكنه فشل في القضاء عليه، وكان قد عسكر بالقرب من قصور الور وقلعتها، ومرض فجأة متأثراً بفشله وحزنه ومات في ذلك المعسكر، وبعد ذلك تم زواج الملك داهر من أخته ماين[2].

وبذلك استقل الملك داهر بحكم البلاد ابتداء من سنة ٧٩ هجرية، ووحد المملكة وحكمها لمدة ثمان سنوات أخرى، حتى فوجىء بهجوم حاكم ولاية الباتيه عليه وكان يلقب بنائب الملك ويسمى الأمير رمل (رَمَل) ويبدو أنه كان من أقرباء الملك داهر وحصل خلاف بينهما، واقترب حاكم الباتيه من العاصمة في سنة ٨٧ هـ، واستطاع داهر أن يقهره بسهولة بعد أن ظن أنه كاد يفقد الحكم، وذلك بمساعدة محمد العلافي العربي ورفاقه العرب.

فقد ذكر صاحب ججنامه هذه المعركة بالتفصيل، فيقول: إن حاكم منطقة الباتيه المسمى الأمير رمل أراد الاستيلاء على حكم بلاد السند، وقام بالحملة على مناطق كثيرة من البلاد حتى وصل بسرعة عجيبة إلى العاصمة في زحفه المفاجىء، وفزع الملك داهر وكان يعلم بقوة حاكم الباتيه، فنصحه الوزير بأن يطلب المساعدة من محمد بن الحارث العلافي العربي لأن العرب اشتهروا في فن الحرب، فطلب الملك داهر المساعدة فأشار العلافي عليه بأن

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٥٥ - ٦٦ وكذلك تاريخ المعصومي بالأدرية ص ٢٣.
(٢) تاريخ المعصومي بالأدرية ص ٢٣ وأيضاً ججنامه بالفارسية ص ٦٥ - ٦٧.

يأمر الجيش بحفر الخنادق على بعد فرسخ من معسكر العدو وينتظروه فيها للوقت المناسب، وتوجه هو بنفسه مع فرسانه الأشداء البالغ عددهم خمسمائة وبعض المبارزين من قواد داهر نحو معسكر العدو، الذي كان مطمئناً من فتح العاصمة في صباح الغد بعد أخذ راحة، ولم يكن يخطر على باله أن داهراً يقوم بمهاجمة ليلة قاضية، لأن قوة داهر كانت محصورة ومعلومة، ولكن الخطة العسكرية التي نفذها العلافي لم تكن معروفة عند أهل السند وهي القيام بهجوم ليلي خاطف في ظلام الليل فاستولى على خيول العدو وعلى كثير من أسلحته، ثم هجم فجأة على المعسكر من كل ناحية في الوقت الذي كان العدو نائماً ومجرداً من السلاح، فدخل الرعب في القلوب، وبعد حرب دامية انتصر العلافي ووصل الملك داهر بجيشه أيضاً، وأصبح العدو محاصراً من كل جهة فوقع في الأسر نحو خمسين ألف من جنود العدو، وغنم العلافي عدداً كبيراً من الخيول والأسلحة الكثيرة، وبذلك انهزم العدو وقرر الانسحاب من تلك المنطقة، وكان العلافي رجلاً عربياً من بني سامة وكان من القواد العرب المتمردين في الدولة الأموية، وقد التجأ بعد مقتل القائد عبد الرحمن بن أشعث إلى ملك السند مع خمسمائة فارس من رجاله الأشداء خوفاً من بطش الحجاج ابن يوسف الثقفي حاكم العراق، وبايع بالطاعة ملك السند الذي رحب به وأكرمه واستفاد منه في وقت الضرورة[1].

وبعد ذلك حكم الملك داهر بلاد السند بضع سنوات أخرى حتى وقع النزاع بينه وبين العرب في إثر حادثة السفن، وذلك باستيلاء قراصنة السند على السفن العربية التجارية المارة بموانىء السند، وعدم اهتمام الملك بذلك بالإضافة إلى حمايته للمتمردين العرب وتشجيعه لهم بمحاربة ولاة العرب بإقليم مكران، وعلى ذلك قرر العرب فتح بلاد السند في سنة ٩١ هجرية.

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٦٩ ـ ٧١.

الفصل الرابع

العلاقات التجارية بين بلاد السند والبنجاب والبلاد العربية قبل الفتح الإسلامي

نتحدث هنا عن نشأة العلاقات التجارية بين بلاد السند والهند والبنغال وبين البلاد العربية قبل الفتح العربي لبلاد السند، وعن معرفة العرب بموانئ بلاد الهند والسند واختلاطهم بأهاليها، وأهم الموانئ الهندية والسندية القديمة، التي كان للعرب نشاط تجاري كبير فيها، والطرق التجارية البحرية والبرية، والصادرات والواردات، وتقوية العلاقات التجارية بين هذه البلاد بعد ظهور الإسلام.

نشأة العلاقات التجارية قبل الإسلام:

لم يكن يفصل بين البلاد العربية وبين بلاد السند وبلاد الهند إلا البحر، ولكن هذا البحر نفسه كان يربط بين الطرفين بطرقه البحرية وموانيه الكثيرة، وبما أن البلاد الواقعة على شواطىء البحار تكون تجارية، فلذلك كان البحر أول حلقة وصل بين العرب وبين أهل السند والهند، فمنذ آلاف السنين كان تجار العرب يأتون إلى سواحل بلاد الهند والسند، وينقلون منتجاتها وثمارها إلى البلاد العربية بل أيضاً إلى أوروبا عن طريق مصر والشام، وبالتالي كانوا

يوصلون البضائع العربية والأوروبية إلى بلاد السند والهند والصين[1] وكان هذا الطريق التجاري الهام في أيدي العرب لقرون طويلة قبل الإسلام وبعده.

وقد ورد في التاريخ أن الذين كانوا يسيرون بالقوافل التجارية قديماً في الشرق كانوا عرباً من ذرية إبراهيم عليه السلام، ومن بعد عهد يوسف عليه السلام إلى عهد ماركو بولو وداسكودي جاما كانت البلاد العربية أسواقاً عظيمة لمنتجات بلاد الهند والسند[2].

وكذلك ذكر بعض الباحثين أن الروابط بين البلاد العربية والقارة الهندية بما فيها بلاد السند كانت روابط قديمة جداً، فالملك سليمان كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطواويس من بلاد الهند والسند، كما كانت في الإسكندرية جالية هندية قد ذبحت بأيدي جماعة «كـاراكـالا» الهندية في أوائل القرن الثالث الميلادي، وكان من الطبيعي أن يهتم العرب بالتجارة بين الشرق والغرب وقد فعلوا ذلك[3] وقال رينود إن العرب باشتراكهم مع الفرس في ميدان التجارة العالمية قد تمتعوا في هذه السواحل الهندية السندية حتى القرن الرابع عشر الميلادي (السابع الهجري) بالنفوذ الذي تمتع به البرتغاليون من بعدهم[4].

ويذكر التاريخ القديم أن أول قوم خاض البحار وتاجر فيها هم الفينيقيون وهم من العرب القدماء، وكان ساحل الشام بمثابة ميناء مركزي لهم في البحر الأبيض المتوسط، كما اتخذوا من ميناء البحرين ميناء رئيسياً لهم في

---

(١) علاقات العرب بالهند (عرب وهندكي مقلعات) بالأردية لسليمان ندوي ص ٨.

(٢) See: Elphinstone; History of india, Vol. I. ch. X. about Trade.

(٣) مجلة ثقافة الهند مقال للباحث الهندي دكتور تاراشند عدد مارس ١٩٥٠.

(٤) المرجع السابق.

البلاد الشرقية، وكانوا أيضاً يتجهون بسفنهم التجارية الكبيرة من ساحل الشام إلى سواحل اليونان وأوروبا وشمال أفريقيا، وهناك أقوام أخرى عربية التي سكنت منطقة الشام واشتهرت بالتجارة في البحار كالكنعانيين والآراميين وغيرهم[1].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيراً من كتب التاريخ لا تذكر عن أهل الهند والسند بأنهم كانوا يمارسون أعمال التجارة في البحر أو أنهم كانوا يشتغلون في البحار ويقودون السفن، وذلك منذ عهد اليونان إلى عهد العرب، بل تذكر تلك الكتب أسماء العرب واليونان والروم على أنهم كانوا تجاراً للمنتجات الهندية في البحر، وكذلك يذكر ماركوبولو في مذكراته أسماء العرب في التجارة القديمة[2].

ويرى الفنستن أن أهل الهند والسند لم يكونوا ملاحين ولم يتجرأوا على خوض البحار وإنما كانوا يتنقلون من ميناء إلى ميناء في نهر السند ونهر كنكا بالهند، إلا أهل كارومندل بجنوب الهند الذين استطاعوا أن يسافروا في البحر حتى جزر جاوة[3] ولكن سليمان ندوي يختلف مع رأي الفنستن وغيره ويرى أن أهل السند وأهل اقليم كجرات من بين سكان القارة الهندية كانوا يسافرون في البحار وكان لهم فيه نشاط تجاري، ودليله على ذلك ما ذكره بزرك بن شهريار في مواضع كثيرة من كتابه أسماء بعض الملاحين ورجال الأعمال والتجار من أهل الهند والسند كما كان بعض الهنود والسند يظهرون على سفن العرب عند عدن قبل سنة ٣٠٠ هجرية، أي في أواخر القرن الثالث الهجري[4].

---

(١) علاقات العرب بالهند (عرب وهندكي تعلقات) بالأردية سليمان ندوي ص ٨٠.

(٢) المرجع السابق ص ٨١.

(٣) انظر تاريخ الهند لالفنستن عن التجارة في الباب العاشر من الكتاب ـ كارومندل كانت مدينة عامرة وميناء تجاريا بجنوب الهند.

(٤) علاقات العرب بالهند (عرب وهندكي تعلقات) بالأردية لسليمان ندوى ص ٨٢ و٨٤ و١٦٥.

ولكن الأدلة التي يقدمها سليمان ندوي من ذلك المرجع العربي حول خوض أهل الهند والسند للبحار وسفرهم إلى البلاد العربية وغيرها تتعلق بعهد العرب ببلاد السند، وليس قبل ذلك، ولا شك في أن العرب كانوا سادة البحار منذ قرون طويلة وبعد اختلاطهم بأهل السند بسبب الفتح العربي أو بأهل الهند بسبب زيادة نشاط العرب التجاري في بلاد الهند، فإنهم علموا الملاحة لأهل الهند والسند، كما أن كثيرين منهم قد سافروا إلى البلاد العربية وأقاموا فيها وتعلموا من العرب حرفاً جديدة قد تكون الملاحة واحدة منها.

ثم إن سليمان ندوي الذي حاول اثبات وجود الملاحة البحرية في بلاد الهند والسند على أيدي سكانها، فإنه لم يشر إلى وجود صناعة السفن في بلاد الهند والسند وحتى في عهد العرب، وهذا يضعف الأدلة التي قدمها بشأن الملاحة الهندية السندية في قديم الزمان أي قبل قدوم العرب إلى بلاد السند في أواخر القرن الأول للهجرة.

معرفة العرب بموانئ بلاد السند والهند وأهلها:

بما أن تجارة العرب لبلاد السند والهند قبل الإسلام كانت في الغالب عن طريق البحر، فلذلك كان من الطبيعي أن يقتصر اتصال العرب على السواحل، ولا سيما الساحل الغربي والجنوبي، وكان من البديهي أيضاً أن تكون لتجار العرب وبحارتهم بحكم العمل صلة قوية بأهل الهند والسند، ومعرفة بالمدن الواقعة على هذا الساحل الطويل لبحر العرب، بل كان العرب يذهبون إلى ما وراء تلك البلاد، كانوا يذهبون إلى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر أندونيسيا، حتى كونوا لهم جاليات في بعض ثغور هذه البلاد ولا سيما على سواحل جنوب الهند وسواحل خليج البنغال[1].

---

(1) بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب مقال للدكتور محمد يوسف نشر في مجلة كلية الأداب بجامعة القاهرة في عدد مايو سنة ١٩٥٠ ص ٩٨.

أهم موانئ بلاد الهند وبلاد السند قديماً:

لقد بدأت تشتهر أسماء موانئ الهند والسند والبنغال منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الثالث الهجري، وذلك قبل عهد العرب بقليل ثم في عهدهم ببلاد السند، وبعد ذلك بقيت الأسماء مستعملة معروفة إلى يومنا هذا، وكان أهم الموانئ في نظر العرب بعد خليج العرب، مثل ميناء تيز باقليم مكران وميناء الديبل ببلاد السند ثم موانئ تانه (تهانه) وكهمبايت وسوباره وجيجور في اقليم كجرات ببلاد الهند، وكذلك موانئ كولم ومليبار وقمار (رأس كماري) في اقليم مدارس ببلاد الهند أيضاً، وكانت سفن تجار العرب تصل إلى هذه الموانئ كلها ثم تتجه إلى ميناء البنغال وموانئ الجزر الهندية ثم ميناء القامرون (كامروب) في الآسام وهكذا تستمر هذه السفن في سيرها حتى تصل إلى موانئ الصين، وقد ذكر الجغرافيون العرب أيضاً تلك الموانئ وصفاتها في كتبهم[1].

الطريق البحري التجاري قديماً:

بينا فيما سبق أن الطريق التجاري بين بلاد الهند والسند وبين بلاد أوروبا، كان في أيدي العرب قديماً لقرون عديدة، وكان لهذا الطريق أهمية جغرافية كبيرة، وبسببه وقعت انقلابات عظيمة في العالم، ثم انتقل ذلك الطريق إلى أيدي اليونانيين في عهد الاسكندر الأكبر بعد أن استولوا على مصر وايران وبلاد الهند والسند في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم بعد ظهور الإسلام عاد هذا الطريق إلى العرب الذين سيطروا على البحر الأبيض المتوسط أيضاً بحيث أدخلوا جزره المهمة مثل الكريت وقبرص في ممتلكاتهم وبقي ذلك الطريق التجاري العالمي بين العالم الشرقي والعالم الغربي في أيدي العرب لقرون عديدة، حتى استطاع

---

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ٢٢٠ المسالك والممالك للأصطخري ص ١٧٥ ـ أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٧٩ ـ مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٨.

الأوروبيون بعد ذلك أن ينتزعوه منهم في القرن الرابع عشر الميلادي أي التاسع الهجري[1].

وكان خليج العرب هو الطريق الثاني بين البلاد العربية وبلاد السند والهند، وكان الفرس والعرب ينقلون بضائعهم التجارية من هذا الطريق بحراً وبراً، وكانوا يمرون بجميع المدن الواقعة على سواحل الهند والسند، وبجزر بحر المحيط الهندي كالبنغال والأسام حتى يصلوا إلى موانى الصين، ثم كانوا يعودون من نفس الطريق إلى البلاد العربية مارين بموانى بلاد فارس[2].

الطريق البري التجاري قديماً :

كانت بلاد السند متصلة براً أيضاً بالبلاد العربية عن طريق البلاد المجاورة كبلاد فارس وخراسان، وكانت القوافل التجارية العربية تأتي إلى بلاد السند وتعود[3] وكان لذلك طريقان، فالطريق الأول كان يبدأ من منطقة القندهار ببلاد السند وينتهي في خراسان، والطريق الثاني كان يبدأ من مكران ببلاد السند وينتهي أيضاً في بلاد فارس، ومنها كانت تسير القوافل إلى البلاد العربية[4] ويقول البعض بأن قوافل تجار العرب كانت تتحرك من العراق وتسير براً حتى تصل كرمان بايران ثم تسير منها إلى مكران ومنها تتفرع إلى قوافل عديدة متجهة إلى مناطق مختلفة بداخل بلاد السند[5].

الصادرات والواردات بين العرب وأهل الهند والسند:

كانت لمنتجات بلاد الهند والسند أهمية كبيرة في العالم كله في القديم، ولا

---

(١) علاقات العرب بالهند ص ٤٧ و٤٨ وكذلك انظر مجلة ثقافة الهند عدد مارس سنة ١٩٥٠ مقال الباحث الهندي دكتور تاراشند.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ و٤٨.

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ١٥٧ و٣٤٩.

(٤) انظر علاقات العرب بالهند ص ٨٥ بالاردية.

(٥) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي ص ٢٣٥ بالاردية.

سيما عند العرب، فمثلاً حين سأل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أحد السياح العرب أن يقول رأيه في بلاد السند والهند، أجاب الرجل العربي في جملة جامعة: «بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر»[1].

وكان تجار العرب قديماً ينقلون من بلاد الهند والسند بضائع مختلفة مثل الأقمشة والعاج والذهب والفضة والعملات الذهبية وأنواع التوابل والسكر والأرز والمسك وجوز الهند وغيرها[2] كما كانت الابل السندية ذات السنامين تصدر إلى خراسان وفارس وغيرهما[3] وكانت هذه البضائع والمنتجات تنقل إلى خارج بلاد السند قبل الإسلام وبعده، وخاصة في عهد العرب ببلاد السند بواسطة التجار العرب.

وأما بالنسبة للبضائع التي كانت تستورد إلى بلاد السند قبل الإسلام فإننا لم نحصل على بيانات كافية من الكتب التاريخية إلا إشارات سريعة بسيطة، فمثلاً الجلد المصبوغ والدقيق كانا يستوردان من الخارج[4] والتمر الممتاز من البصرة[5] والخيول الأصيلة من البلاد العربية[6] والزمرد من مصر [7] والخمر من العراق[8] والعود من الهند من أجل المعابد السندية وغير ذلك[9].

تقوية العلاقات التجارية بعد ظهور الإسلام:

يعد ظهور الإسلام قويت العلاقات التجارية بين بلاد الهند والسند وبين

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٣٩٦.
(٢) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٧١ سلسلة التواريخ لأبي زيد السيرافي ص ١٤٧.
(٣) المسالك والممالك للأصطخري ص ١٧٧.
(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٨٠.
(٥) تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٤٩.
(٦) تاريخ الكامل لابن الأثير جـ ٥ ص ٥٥.
(٧) سلسلة التواريخ لأبي زيد السيرافي ص ١٤٧.
(٨) نزهة المشتاق للادريسي، الجزء الثامن من الاقليم الأول في الكتاب.
(٩) سلسلة التواريخ لسليمان التاجر ص ٩٣.

البلاد العربية، ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه في خلال سنتين استطاع العرب أن يدخلوا بلاد الشام والعراق، وفي عهد عمر رضي الله عنه دخلوا بلاد ايران حتى وصلوا خليج العرب، وكذلك ساروا عن طريق فلسطين وسوريا حتى وصلوا إلى القاهرة والاسكندرية، وكان كل من الناحيتين في أيدي أقوام عظيمة، فقد كان خليج العرب مركزاً تجارياً في أيدي الفرس، ومنه كانت السفن التجارية تتحرك نحو بلاد السند والهند والصين، حاملة أنواع البضائع من جهة إلى جهة أخرى وبالعكس، بينما كانت الاسكندرية مركزاً تجارياً في أيدي الروم وميناء عاماً للبلاد الواقعة في البحر الأبيض المتوسط[1] ثم لما استولى العرب على هذه البلاد وفتحوها راجت تجارة العرب مع بلاد السند والهند حتى فتح العرب بلاد السند، وبذلك زادت العلاقات التجارية تحسناً وتقدماً في هذا الجزء الشرقي مع الاتصال بالجزء الغربي من العالم.

العلاقات التجارية تسببت في نشأة العلاقات السياسية:

مما هو جدير بالذكر أن العلاقات التجارية القديمة بين البلاد العربية وبين بلاد السند والهند قد تسببت في بدء العلاقات السياسية، وكانت من أهم الأسباب التي وجهت المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة إلى شن الغارات البحرية هو بغية تأسيس دعائم حكمهم على المدن الواقعة في سواحل السند وسواحل اقليم كجرات بالهند منذ سنة ١٥ هجرية، وكان العرب الفاتحون يتلهفون للحصول على الاذن من الخليفة عمر رضي الله عنه لخوض البحار والتقدم للغزو والفتح، ولكن الخليفة لم يكن يأذن لهم بذلك بدون الدراسة والتأكد من مصلحة المسلمين وسلامة أرواحهم، ومع ذلك قام بعض القواد العرب المتحمسين بالمناورات البحرية وببعض الغارات

---

(١) علاقات العرب بالهند ص ٨٥ بالأردية.

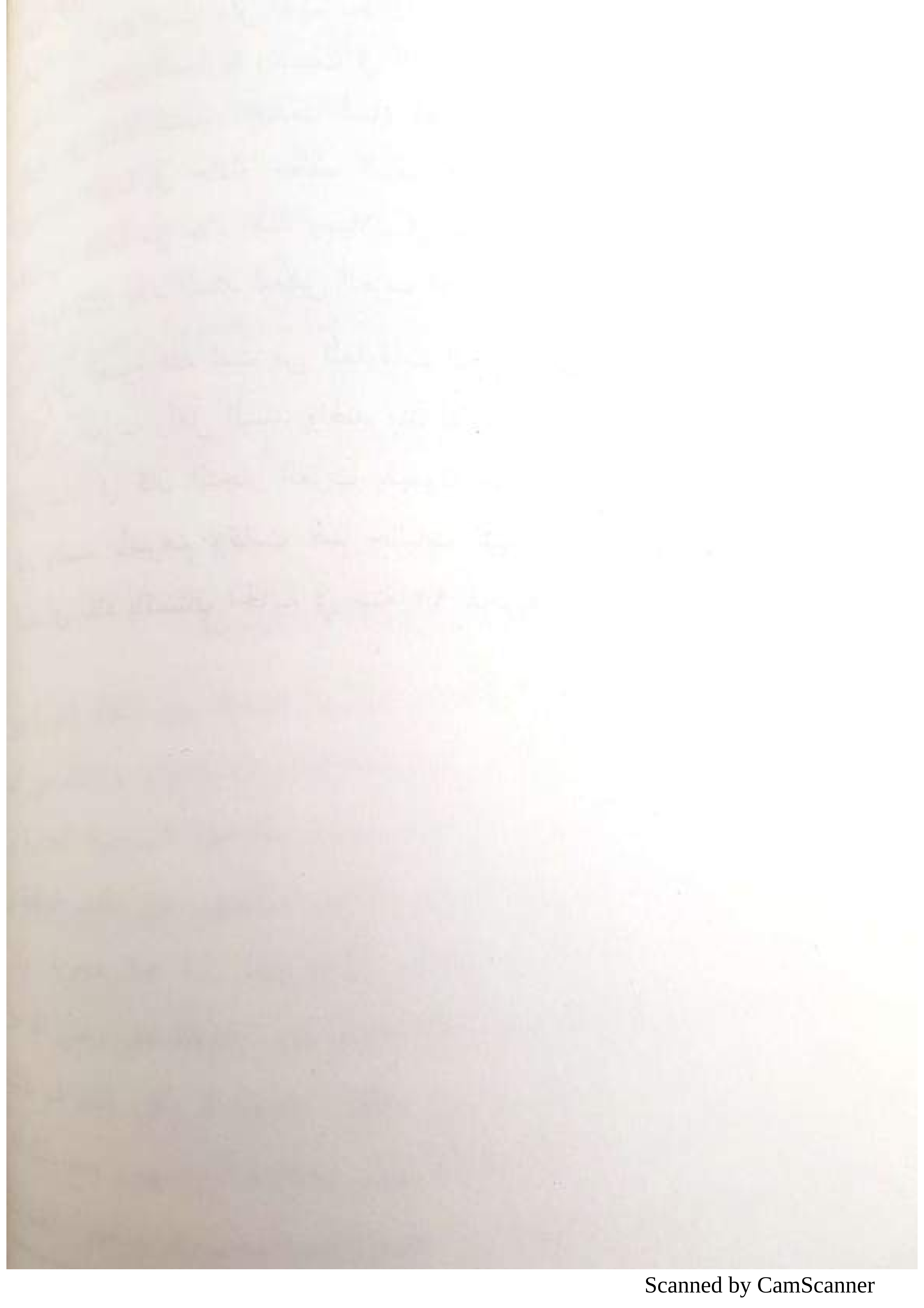
والغزوات، وقد تكررت مثل هذه المحاولات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، وفي عهد الخليفة علي رضي الله عنه، حتى استولى العرب على بعض أجزاء من بلاد السند مثل اقليم مكران[1]، ثم في نهاية القرن الأول الهجري ساءت العلاقات التجارية وتسببت في التدخل العسكري والسياسي من جانب العرب في بلاد السند، عندما أساء أهل السند وملكهم داهر إلى هذه العلاقات الطيبة في حادثة خطف السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل السندي، قادمة من بلاد الهند وسيلان في طريقها إلى البلاد العربية، بالإضافة إلى حماية ملك بلاد السند لبعض العرب المتمردين ضد الدولة الأموية[2].

وعلى العموم فقد ثبت من المعلومات السابقة أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وأهل السند والهند منذ آلاف السنين وذلك عن طريق البحر والبر معاً، كما كان التجار العرب يقيمون على الموانى والمدن الساحلية لبلاد الهند والسند بأسرهم وكانت لهم جاليات كبيرة بها قبل الفتح العربي لبلاد السند أي بلاد باكستان الحالية في سنة ٩٢ هجرية.

---

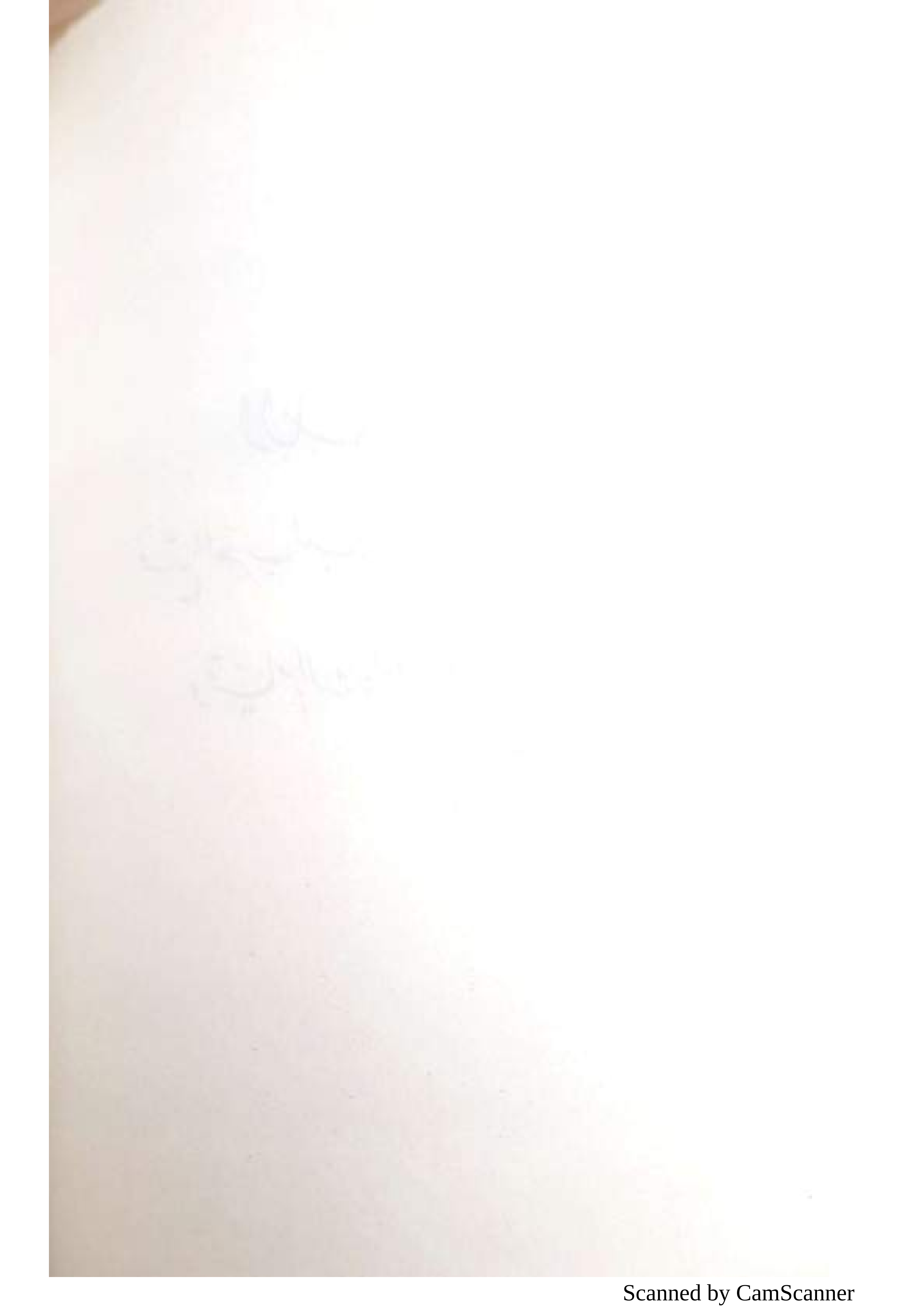
(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٠.

(٢) الملاحة العربية (عربون كي جهازراني) باللغة الأردية لسليمان ندوي ص ٤٤.



الباب الثالث

فتح العرب لبلاد السند والبنجاب وقيام الدولة الإسلامية بها



الباب الثالث

فتح العرب لبلاد السند والبنجاب وقيام الدولة الإسلامية بها

تمهيد :

قبل أن نتحدث عن تفاصيل أخبار فتح العرب لبلاد السند والبنجاب، والحكم العربي الذي بدأ في سنة ٩٢ هـ واستمر حتى سنة ٤١٦ هـ في تلك البلاد، يستحسن أن نستعرض في البداية بإيجاز سير الفتوحات الإسلامية في البلاد المختلفة، منذ فجر الإسلام إلى أواخر العصر الأموي، والتطورات السياسية في العصر العباسي.

ففي عهد الخلفاء الراشدين وصلت تلك الفتوحات الإسلامية في زحفها إلى حدود بلاد السند حتى دخلت منطقة مكران (ثغر السند) تحت حكم العرب وأصبحت ولاية عربية صغيرة منذ عهد الخليفة الأموي الأول معاوية (٤١ - ٦٠ هـ) وكانت تلك المنطقة بمثابة باب هام لبلاد السند الواسعة التي فتحت كلها بعد ذلك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي في سنة ٩٢ هـ[1] وصارت بذلك ولاية كبيرة من الولايات الإسلامية المعروفة في التاريخ، بقيام الدولة العربية بها على يد فاتحها العظيم محمد بن القاسم

---

(١) اختلف المؤرخون بشأن تحديد السنة التي فتح فيها العرب بلاد السند والملتان، بعضهم جعلها ٨٩ هـ وبعضهم ٩٠ هـ ولكن الأصح هو سنة ٩٢ هـ التي وصل فيها محمد القاسم إلى بلاد السند وبدأ فتوحاته فيها.

الثقفي. وقد ظلت هذه الدولة قائمة إلى أواخر العصر العباسي الثاني، ثم في العصر العباسي الثالث انفصلت عن الخلافة العباسية ولكنها ظلت باقية في أيدي الحكام العرب، منقسمة إلى دولتين عربيتين حتى سنة ٤١٦ هـ، دولة في المنصورة بإقليم السند ودولة في الملتان بإقليم البنجاب، يرفرف عليهما علم الإسلام عالياً خفاقاً.

الفصـــل الأول

صورة موجزة لأهم الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

منذ أن جهر الرسول ﷺ بدعوته إلى الإسلام، حاربه كثير من أصحاب الجاه والمركز في مكة، وانضمت إليهم قبائل عربية كثيرة، ولكن الرسـول الكريم ظل يجاهـد ويناضل في سبيل الله ونصرة دينه ونشر الخير، واشترك بنفسه في حروب دامية ضد الكفار رغم قلة أصحابه، وكان الانتصار له وللحق في جميع تلك الغزوات والحروب، حتى أخضع القبائل والمدن في شبه الجزيرة العربية لحكمه، وبذلك أسس دولة عربية إسلامية، ثم أراد أن يهتم بالسياسة الخارجية والدعوة إلى الإسلام، فأرسل الكتب والبعوث إلى الملوك والأمراء في بلاد مختلفة، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسالته، ولكن بعض هؤلاء سخروا من دعوته وقتلوا وفود الإسلام من أصحاب الرسول ﷺ.

ثم قرر الرسول ﷺ فتح البلاد المجاورة لنشر الإسلام فيها بعد أن رفض ملوكها ذلك، وجهز قبل وفاته حملة لغزو بلاد الشام عقد لواءها للبطل الشاب أسامة بن زيد، وكان أسامة في الخامسة عشر من عمره حين استشهد والده على أيدي الروم، فما كاد يبلغ الثامنة عشر حتى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام تكريماً لذكرى أبيه المجاهد أن يعقد لواء الجيش لابنه أسامة ويسيره لقتال الروم ليأخذ بثأر أبيه وثأر من استشهـد معه من المؤمنين،

ويؤدب الروم الذين سخروا من دعوة الرسول ﷺ واعتدوا على رسله وقتلوا أصحابه الكرام، ولكن رسول الله ﷺ قد مرض في هذا الوقت وانتقل إلى جوار ربه سبحانه وتعالى.

وبعد ذلك رأى أسامة أن ينزل عن إمرة الجيش ليترك الاختيار للخليفة الجديد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي أبى إلا أن ينفذ رغبة الرسول ﷺ، فسير أسامة إلى مشارف الشام، لأنه رأى في ذلك مناورة حربية وسياسية يشعر بها الأعداء في الداخل والخارج بقوة الحكومة العربية وثبات مركزها[1].

وعندما هم الجيش الإسلامي بالتحرك، خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة رسول الله ﷺ، واتجه نحو جيش الإسلام ماشياً لتوديعه، وكان أسامة راكباً، فلما رأى الخليفة يتجه إليه أراد النزول من فرسه، فمنعه الخليفة عن ذلك، فقال أسامة: «يا خليفة رسول الله، لتركبن أو لأنزلن» فقال الخليفة: «والله لا تنزلن ولا أركبن، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه» ثم وصاه فقال: «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً (لأحد) وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله»[2].

---

(1) انظر تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢١٢.
(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ١٣٩.

هكذا شرع أبو بكر رضي الله عنه للمسلمين آداب الجهاد والقتال، فأوصاهم بالضعفاء خيراً، وحثهم على أن يؤمنوا الناس على أموالهم وأرواحهم، ولا يتعرضوا لشعائرهم الدينية، وكان أسامة ذلك الفتى اليانع والقائد الشاب والمسلم الورع، خير من يقوم على تنفيذ هذه السياسة التي تتفق مع ما جاء به القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وهو يعتبر بحق مثلاً رائعاً ضربه ذلك الدين السمح وذلك النبي العربي الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وقام على تنفيذه خلفاء المسلمين وقوادهم المجاهدون الأجلاء.

وقد انتصر أسامة رضي الله عنه، وكيف لا وهو الذي اختاره الرسول الحكيم ﷺ ببعد نظره، وقد بعث أسامة بذلك الانتصار كل البشر والسرور في نفوس المسلمين بعد أن أحزنتهم حروب الردة، وأصبح لانتصاره من الأهمية ما يتفق مع قيمته الحقيقية، بل اعتبر فيما بعد فاتحة للحملة التي وجهت لغزو بلاد الشام كلها، ووجه أبو بكر رضي الله عنه اهتمامه بعد ذلك إلى اخماد آثار الفتن والثورات الداخلية ليشغل العرب بالحروب الخارجية، لأنها كانت تفي بما أمر به الدين من نشر الإسلام، فجمع الجيوش لفتح البلاد فأنفذ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الحيرة، وأرسل جيشاً كبيراً إلى بلاد الشام[1].

وتم معظم الفتوح الإسلامية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، ففتحت بلاد فارس وفلسطين والشام ومصر، وزادت الدولة العربية في رقعة أملاكها على حساب الدولتين العظيمتين وهما الدولة الفارسية والدولة الرومانية الشرقية أو الدولة البيزنطية، وقد سهل ذلك على العرب فتح بقية ولايات الدولة الرومانية الشرقية التي كان بينها وبين العرب من صلة الجنس والجوار وتقارب في اللغة وعلاقات في التجارة، بالإضافة إلى وجود الانقسامات الدينية

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢١٤.

والسياسية بين الأمم التي كانت تحكمها الدولة الرومانية بسبب زيادة الضرائب زيادة ناء تحتها الأهلون، فرحبوا بحكم العرب ليتخلصوا من الحكم الروماني، واستبداد الكنيسة البيزنطية. وأما في بلاد فارس فقد كان الفرس أمة مستقلة متجانسة في جنسيتها ولغتها ودينها، ومن ثم كانت مقاومة الفرس للعرب مقاومة أمة لأمة أخرى، ومما ساعد على القضاء على الامبراطورية الفارسية وجود الخلافات المذهبية بين أصحاب الزردشتية والمانوية والمزدكية، وكانت هذه الدولة تؤيد الزردشتية التي كان الناس قد ضاقوا بأحكامها الجائرة وظلم حكام الدولة الساسانية، كما كانت هذه الدولة نفسها قد وصلت إلى حالة ضعف بسبب الفساد الاجتماعي والتفكك السياسي والخلافات المذهبية، هذا بالإضافة إلى أن الدولة الساسانية كانت قد عمرت طويلاً نحو أربعة قرون من الزمان، فقد أسسها أردشير بن بابك سنة ٢٢٦ ميلادية وكان آخر ملوكها يزدجرد الثالث الذي قضى عليه العرب سنة ٣١ هجرية (سنة ٦٥٢م تقريباً) وبذلك زالت الدولة الفارسية[١].

فتح العـراق وفارس:

كان العرب يرون بلاد الفرس أصعب منالاً من بلاد الروم، ومن ثم كانوا يتهيبون غزوها، وقد وجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً إلى أطراف العراق بقيادة خالد بن الوليد ومعه المثنى بن حارثة، فأخضع القبائل العربية التي كانت تقيم جنوبي نهر الفرات وانتصر على الفرس، واستولى على الحيرة والأنبار، وما لبث العرب أن قهقروا أما جيش الفرس الكثيف الذي أعده يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان بقيادة القائد الفارسي المعروف رستم، وارتدوا إلى أطراف الصحراء، وظلت الحال على ذلك إلى آخر أيام الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، حيث وجه خالد بن الوليد لمساعدة المسلمين

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢١٥ و٢١٦.

في قتال الروم بالشام وفلسطين. فلما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزاد الاضطراب في بلاد فارس، كتب المثنى بن حارثة إلى الخليفة عمر بذلك، وما كان من جلوس يزدجرد الثالث على العرش مع حداثة سنه، وحثه على انتهاز هذه الفرصة، وكان الخليفة عمر قد اطمأن من ناحية الروم بعد هزيمتهم في أجنادين سنة ١٥ هجرية، فوجه اهتمامه إلى غزو العراق، فأرسل سعد بن أبي وقاص لفتحها، ولما توجه سعد بن أبي وقاص إلى القادسية (١٥ هـ / ٦٣٦ م) وكانت باب العراق فالتقى بالقائد الفارسي رستم في جيش يبلغ ثلاثين ألف مقاتل، على حين كان جند العرب نحو ثمانية آلاف، وكان الفرس يضحكون من نبل العرب ويشبهونه بالمغازل، ودارت المعركة بين الطرفين وانتصر العرب بقوة إيمانهم في النهاية، حيث قتل رستم وعدد كبير من جند الفرس وهرب الباقون، وغنمت أموالهم، ثم تبعهم سعد بن أبي وقاص إلى جلولاء (سنة ١٦ هـ) وأوقع بهم وأسر إحدى بنات كسرى وقتل عدداً كبيراً من الفرس[١] وكان من أثر فتح جلولاء أن اعتنق الإسلام دهاقين الفلاليج والنهرين وبابل وكوثي وغيرهم، فأقرهم الخليفة عمر رضي الله عنه على ما بأيديهم من البلاد ورفع عنهم الجزية[٢].

وهرب يزدجرد الثالث ملك بلاد فارس إلى نواحي أصبهان (سنة ١٩ هـ) ثم في سنة ٢٠ هـ تجمع حوله المقاتلون من الري وأصبهان وهمذان وغيرها، بحيث بلغ جيشه ٦٠,٠٠٠ مقاتل[٣] وفي رواية أخرى ١٠٠,٠٠٠ جندي، ولما علم بذلك الخليفة عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة يأمرهم أن يسير ثلثاهم لمحاربة يزدجرد الثالث ويبقى ثلثهم لحفظ بلدهم وديارهم، كما أرسل جيشاً آخر من أهل البصرة، وتولى القيادة على جيش العرب في نهاوند

---

(١) تاريخ الأمم والممالك للطبري جـ ٤ ص ١٣٢ - ١٤٠.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٢٧١.
(٣) المرجع السابق ص ٣٠٩ - و٣١٠.

(سنة ٢١ هـ) النعمان بن مقرن المزني وانتصر العرب رغم استماتة الفرس، وعرفت هذه الموقعة بفتح الفتوح لشدتها وأهميتها، وبعد ذلك زحف العرب إلى الأهواز وفتحوها صلحاً على أن يؤدي أهلها الجزية والخراج، ثم توجه عروة بن زبن إلى الري في ثمانية آلاف مقاتل ففتحها، كما فتح المسلمون بعد ذلك قومس صلحاً[1] وكاتب سويد بن مقرن المزني ملك جرجان وسار إليه فوافق الملك على الصلح.

ويظهر أن الاصبهبذ حاكم بلاد طبرستان الواقعة على ساحل بحر الخزر (قزوين) خشي سوء العاقبة، فحذا حذو ملك جرجان القريبة من بلاده، فطلب من المسلمين الصلح على ألا يكون بينهما قتال، فكتب إلى سويد بن مقرن المزني عهداً على مثال العهد الذي أعطاه أهل جرجان[2].

ثم غزا المغيرة بن شعبة عامل الكوفة آذربيجان وفتحها عنوة وفرض عليها الخراج، وظل العرب يتابعون فتوحهم طوال سنة ٢٢ هـ في هذه البلاد الشاسعة الأرجاء، فقد ندب سراقة بن عمرو قائداً على الجيش وهو عبد الرحمن بن ربيعة للمسير إلى بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروفة بالدربند، وأمر الخليفة عمر رضي الله عنه بحبيب بن مسلمة عاملاً على بلاد الجزيرة، فطلب شهربراز ملك هذه البلاد من عبد الرحمن أن يأتيه ففعل، ثم عبر له عما يكنه من سخط وكراهية للأرمن الذين يقيمون حول بلاده، وأعرب له عن نياته الطيبة نحو المسلمين وطلب إليه أن يعفيه من الجزية، إذ كان يرى فيها ما يشعر بالذلة على أن يعاون العرب في حروبهم، ووافق الخليفة على ذلك.

ووجه القائد سراقة أربعة جيوش إلى البلاد المحيطة بأرمينيا، ولما تم له

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٢٧١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٤ ص ٢٥٦.

فتحها كتب إلى الخليفة عمر يبشره بالفتح، ولكنه لم ينعم بثمرة تلك الانتصارات، وحالت منيته دون اتمام هذه الفتوح، وخلفه عبد الرحمن بن ربيعة الذي عهد إليه الخليفة بغزو بلاد الترك ولكنه لم يتمكن إلا من فتح بعضها[1].

وأما يزدجرد الثالث فقد ظل العرب يطاردونه ويستولون على بلاده حتى انه اضطر إلى الفرار إلى أقصى الحدود الشرقية، وما زال أمره يضعف حتى قتل بخراسان في خلافة عثمان رضي الله عنه في سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) وبموته زالت الدولة الساسانية الكبيرة، وتحققت دعوة النبي ﷺ بتمزيق ملك الأكاسرة وقامت دولة إسلامية مكانها ودخل الفرس في الإسلام أفواجاً أفواجاً.

فتح الشام وفلسطين:

كان حكام الروم في أواخر أيامهم يعاملون الأهالي بالظلم ويسومونهم العذاب فتأفف من جورهم أهالي البلاد التي كانت تحت سلطانهم، ومالوا إلى الخلاص من ربقة الذل والاستعباد، ولم يكن الروم من القوة بحيث يتمكنون من دفع العرب عن بلادهم وكانت نيران الانتقام والحقد تأكل قلوبهم من جراء الغارة التي شنها على بلادهم البطل العربي الشاب أسامة بن زيد، فجمع الامبراطور هرقل جيشاً جراراً عسكر به على مقربة من حدود بلاد العرب وفلسطين[2] فدعا الخليفة أبو بكر المقاتلين من أرجاء جزيرة العرب، فلبوا الدعوة بحماسة بالغة، ونظم الجيوش ونفذ إلى الشمال بعد أن عقد لواء الجيش لأربعة من الأمراء هم: أبو عبيدة بن جراح وهو القائد العام ووجهته حمص ومركز قيادته الجابية، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين، ويزيد بن سفيان ووجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الأردن، وأمرهم

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٤ ص ٢٥٦.

(2) تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٣٩.

بالتعاون أثناء الفتوحات[1].

سار عمرو بن العاص في طريق ايلياء حتى وصل إلى فلسطين، ونزل بغمر العربات، فلما علم هرقل بوصول كتائب المسلمين، اراد ان يشغل كل كتيبة منهم بكتيبة من جنده الكثير ليضعف من قوتهم، ولما بلغ الخليفة عمر رضي الله عنه بأن جيش الروم يزيد على مائة ألف، أرسل عبد الله بن عمر ابن الخطاب في ألف فارس داهم بهم عشرة آلاف من الروم وحمل بنفسه على كبيرهم وقتله، ودخل الرعب في قلوب الروم فانهزموا، واستولى المسلمون على ما كان معهم من الأسلحة والمؤن وستمائة أسير، وقتل من المسلمين سبعة فقط في هذه المعركة حسب رواية الواقدي[2].

وفي الصباح قدم على المسلمين عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف مقاتل، فأقبل عمرو بن العاص ورتب الجند وأمرهم بتلاوة القرآن وجعل يحببهم في القتال ويرغبهم في ثواب الله وجنته، ونشب القتال المرير بين الطرفين حتى المساء وانتهى بهزيمة الروم، وكانت خسارة الروم خمسة عشر ألفاً، وخسارة المسلمين مائة وثلاثين قتيلاً، من بينهم سعيد بن خالد اخو عمرو بن العاص لأمه[3] وهكذا انتصر عمرو بن العاص في حروبه ضد الروم بالبسالة والشجاعة.

وفي الوقت الذي اشتغل فيه المسلمون بفتح البلاد التابعة للدولة البيزنطية في الشام وفلسطين، وصلت أنباء الشام بأن أبا عبيدة بن جراح لم يقو على مدافعة الروم في جبهته، بينما كانت انتصارات المسلمين تتوالى في العراق، فكتب الخليفة أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير من العراق لمساعدة جيوش

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٤ ص ٣٨ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ١٩٥.
(٢) فتوح الشام للواقدي جـ ١ ص ٩ و ١٠.
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١١ ولكن الطبري ذكر العدد سبعين ألفاً بينما ذكره ابن الأثير تسعين ألفاً من الروم.

العرب في الشام، وأن يتولى القيادة مكان أبي عبيدة بن جراح، فترك خالد مكانه على جند المسلمين بالعراق للمثنى بن حارثة وسار هو على جيش كبير إلى الشام ووصل إلى مدينة بصرة وهزم الروم واستولى على المدينة بمساعدة واليها رومانوس الذي اعتنق الإسلام[1].

وجهز الامبراطور هرقل أربعة جيوش لمحاربة جيوش المسلمين الأربعة، على أن قتالاً عنيفاً نشب بين الطرفين وكانت جيوش الروم بقيادة ماهان وعددها ثمانون ألفاً، ولحق به جبلة بن الأيهم ملك غسان مع جيش يبلغ ستين ألفاً، بينما بلغ عدد جيش المسلمين نحو أربعين ألفاً[2].

واجتمع العرب على مقربة من نهر اليرموك، واشتبكوا مع الروم في اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، في الوقت الذي وصل فيه خبر وفاة الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، وتولى الخلافة عمر رضي الله عنه وانتصر المسلمون حتى فتحت دمشق على يد خالد بن الوليد وتولى القيادة أبو عبيدة بن جراح بأمر الخليفة عمر رضي الله عنه.

فتح بيت المقدس:

لما علم هرقل وهو في بيت المقدس بانتصار المسلمين في اليرموك، رحل إلى حمص واتخذها مقراً لأعماله الحربية، وسارت الجيوش الإسلامية تفتح المدن واحدة بعد واحدة حتى فتحت حمص ثم حماة وتسرين واللاذقية وحلب، على القائدين خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن جراح، بينما فتحت بيسان وفلسطين ويافا ونابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا وبيروت حرباً أو صلحاً على يد القائدين عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وبقيت بيت المقدس

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٤ ص ٣٩ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ٢ ص ١٩٨.

(2) المرجعان السابقان ولكن الواقدي (جـ١ ص ١٢٠) يقول بأن جيش الروم كان يبلغ خمسمائة ألف أو أكثر.

في أيدي الروم[1].

ثم توجه جيش عربي بقيادة عمرو بن العاص إلى بيت المقدس، ورفض أرطبون واليها التسليم وصب الروم بمناجيقهم على أسوار بيت المقدس المسلمين الذين أصيبوا بخسائر فادحة وتعبوا من شدة البرد، ولكنهم ظلوا يحاصرون المدينة أربعة أشهر لم ينقطع فيها القتال، وعدوا الاستيلاء عليها عملاً دينياً أكثر منه سياسياً، لأنهم كانوا يعظمون بيت المقدس بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، لكونها مركز الأرض المقدسة، حتى استسلم أهل بيت المقدس صلحاً، وهكذا ضعف سلطان الروم من البلاد السورية ونواحيها بعد حروب طويلة، قتل من المسلمين نحو خمسة وعشرين ألفاً، مما جعل فتح هذه البلاد غالياً عليهم[2].

فتح مصر :

استولى الروم على مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد، وبذلك صارت ولاية رومانية، تدين بالوثنية كغيرها من الولايات إلى أن ولد المسيح وأخذ الدين المسيحي ينتشر شيئاً فشيئاً حتى صار ديناً رسمياً للدولة الرومانية في سنة ٣٨١ ميلادية في عهد الامبراطور تيودوسيس وقد ذاق المصريون نحو ثلاثة قرون كثيراً من المتاعب والآلام بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والدينية، وتمنوا الخلاص من ظلم الروم على يد المسلمين[2].

وفي سنة ١٨ هجرية (٦٣٩ م) حين قدم الخليفة عمر رضي الله عنه إلى الجابية من أعمال دمشق، أثنى إليه عمرو بن العاص وكان أحد القواد الأربعة الذين ندبهم الخليفة أبو بكر رضي الله عنه لفتح الشام وفلسطين، وقال له:

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢٢٨.
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٩ - ٢٣١.

«إئذن لي في السير إلى مصر» وذكر له: «أنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم» فتردد الخليفة عمر في الأمر وأشفق على المسلمين أن يصيبهم الاخفاق، ولم يستطع أن يعد لفتح هذه البلاد جيشاً كبيراً لتفرق جند المسلمين في الشام والجزيرة وبلاد فارس، فلم يزل عمرو بن العاص يهون على الخليفة فتح مصر ويعظم أمرها، مبيناً له أن استيلاء المسلمين عليها معناه تثبيت فتوحاتهم في الشام وفلسطين وتأمينها من ناحية الجنوب، وأن بقاءها في يد الروم يعرض سيادة العرب في بلاد الشام للخطر، حتى أذن الخليفة عمر له بفتحها، وعقد له لواء الجيش على أربعة آلاف جندي.

سار عمرو بن العاص بجيشه مخترقاً رمال سيناء حتى وصل العريش سنة ١٨ هـ وفتحها من غير مقاومة، ثم تقدم حتى وصل بلبيس وبها وجد الأرطبون الذي كان والي بيت المقدس وقد فر إلى مصر قبل تسليم بيت المقدس، فهزمه عمرو بن العاص واستولى على مدينة بلبيس بعد قتال دام شهراً، ثم زحف إلى تندوفناس التي سماها العرب فيما بعد باسم أم دنين ثم سميت المقش، وهنا نشب القتال بين المسلمين والبيزنطيين ودام عدة أسابيع، وطلب عمرو بن العاص المدد، فأمده الخليفة عمر بأربعة آلاف على رأسهم أربعة من كبار الصحابة وهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الأسود، وكتب الخليفة لعمرو بن العاص: «قد أمددتك بأربعة آلاف فيهم رجال الواحد فيهم بألف رجل» ولما وصل هذا المدد إلى عين شمس، سار عمرو بن العاص لملاقاته وتقدم تيودور قائد الروم بجيشه في نحو عشرين ألفاً فوضع له عمرو بن العاص كميناً في الجبل الأحمر شرقي العباسية، وآخر على النيل قريباً من أم دنين، ولاقاه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين، خرج الكمين الذي كان في الجبل الأحمر وانقض على الروم، فاختل نظامهم وعرجوا إلى أم دنين، فقابلهم الكمين الآخر هناك،

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢٣١.

فاصبحوا بين جيوش العرب الثلاثة، وحلت بهم الهزيمة رغم كثرتهم، ولم يبق
منهم إلا عدد قليل سار بعضهم الى النيل وفر البعض الاخر الى حصن
نابليون[1] .

ولما ثبت قدم عمرو بن العاص في أم دنين وعين شمس التي صارت
مركزاً لقيادته الحربية، ولم يبق أمامه سوى حصن نابليون، فسار إليه وحاصره
سنة ٢٠ هـ وكان ذلك وقت فيضان النيل، وطال أمد الحصار إلى سبعة أشهر
لمناعة أسوار المدينة وقلة معدات الحصار عند العرب، ولما رأى المقوقس حاكم
مصر صبر العرب وشجاعتهم وتأكد بأنهم سيفتحون الحصن، خرج هو مع
نفر من قومه ولحقوا بجزيرة الروضة، وأرسل إلى عمرو بن العاص يطلب منه
الصلح، وتم الصلح وكتب المقوقس إلى الامبراطور الروماني هرقل بذلك فرد
عليه يوبخه ويحقر من قوة المسلمين، وكتب بمثل ذلك إلى قواد الروم الذين
كانوا مع مقوقس مصر، فأعادوا الكرة على المسلمين ونبذوا صلحهم. وأما
المقوقس فإنه لم يعبأ بهرقل بل أعلم عمرو بن العاص أنه لم يخرج عما عاهده
عليه، وأن القبط موفون له ما صالحهم عليه وصار القبط في مصر أعواناً
للمسلمين العرب الفاتحين، فلم تبق أمام المسلمين من فتح المدن الكبيرة
سوى الاسكندرية[2] .

وكانت الاسكندرية عند استيلاء العرب على مصر، قصبة الديار المصرية،
وثانية حواضر الامبراطورية الرومانية الشرقية بعد القسطنطينية، وأول مدينة
تجارية في العالم، وقد أيقن الروم أن سقوط هذه المدينة في أيدي العرب يؤدي
حتماً إلى زوال حكمهم في مصر، لذلك بادر الامبراطور الروماني إلى ارسال
الجيش إليها ونشطوا للدفاع عن المدينة وأغلقوا أبوابها وتحصنوا فيها.

وزحف عمرو بن العاص نحو الاسكندرية التي كان تيودور قائد الجيش

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢٣٥.
(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكيم ص ٥٩ - ٦٣.

الروماني قد تحصن فيها، وقاتل المسلمين بشدة وكانت الامدادات العسكرية تصل إليه من الروم باستمرار، ولم تقل حامية الاسكندرية عن خمسين الف جندي مزودين بالمؤن الوفيرة والأسلحة الكثيرة، على حين بلغ جند العرب نحو اثني عشر ألفاً، وظل عمرو بن العاص وجيشه يردون غارات الأعداء ويقابلون هجمات الروم نحو أربعة أشهر، فأقلق هذا الخليفة عمر رضي الله عنه الذي بعث إلى عمرو بن العاص كتاباً يلومه فيه هو والمسلمين، فقرأ عمرو ابن العاص الكتاب وعقد لواء الجيش لعبادة بن الصامت وولاه قتال الروم، ففتح الله الاسكندرية على يديه بالقتال والقوة، وبذلك تم فتح مصر وكل المدن التابعة لها[1].

وكذلك بعد أن تولى الخلافة عثمان رضي الله عنه، لم تنقطع سلسلة الفتوحات التي قام بها المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه. فقد فتحت بلاد أخرى مثل أرمينيا وقبرص وأجزاء من أفريقيا، وواصل المسلمون العمل على توطيد نفوذهم فيها من جديد، وفي عهد الخليفة عثمان فتحت أيضاً بلاد طبرستان على يد سعيد بن العاص، وقد قيل إن جيش المسلمين كان يضم الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم وعبد الله بن عباس وعمرو بن العاص والزبير بن العلوام، وكذلك اضطر ملك جرجان إلى طلب الصلح من سعيد بن العاص، وتعهد أن يدفع له جزية سنوية[2].

أما في عهد الخليفة علي رضي الله عنه فلم تكن هناك فتوحات خارجية تذكر، بل كانت الأمة العربية مشغولة بالفتن السياسية الداخلية التي قامت على إثرها الدولة الأموية في سنة ٤١ هجرية.

---

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكيم ص ٧٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٨٨ ـ الولاة للكندي ص ٩.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢٥٨.

الفصل الثاني

محاولة العرب لفتح بلاد السند في عهد الخلفاء الراشدين

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ):

منذ فجر الإسلام فكر بعض الحكام المسلمين في غزو بلاد السند وبلاد الهند وفتحها لنشر دعوة الإسلام فيها، وذلك بعد أن فتح العرب بلاد فارس ومصر والشام وغيرها، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانطلقوا وراء انتصاراتهم يضيفون نصراً إلى نصر وأرضاً إلى أرض حتى أخذت تتسع رقعة الدولة الإسلامية وتمتد شرقاً إلى حدود بلاد السند، وبذلك أضاء العرب الفاتحون مشارق الأرض ومغاربها بنور الإسلام.

الحملة البحرية الأولى للعرب على سواحل السند والهند في سنة ١٥ هـ:

فكر والي عمان والبحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي أن يقوم بمناورة بحرية لاختبار القوة العربية، وقيل لتأديب قراصنة السند والهند الذين كثيراً ما يغيرون على السفن التجارية العربية وينهبونها، ويرى البعض أنه فكر في فتح السواحل السندية والهندية لنشر دعوة الإسلام فيها، فقام في عمان بتجهيز ثلاث وحدات من البحرية وجعل فرقة منها بقيادة شقيقه الحكم بن أبي العاص الثقفي، وجعل الثانية بقيادة شقيقه الأصغر المغيرة بن أبي العاص الثقفي، وقاد هو الفرقة الثالثة وذلك في سنة ١٥ هـ.

توجه عثمان بن أبي العاص الثقفي بجيشه بحراً نحو مدينة تانه (تهانه)

على ساحل الهند وغزاها وانتصر فيها، ثم عاد بالجيش إلى عمان، وتوجه الحكم بن أبي العاص الثقفي إلى مدينة بروص (بهروج) على ساحل الهند أيضاً وفتحها، بينما سار المغيرة بن أبي العاص الثقفي بفرقته البحرية نحو مدينة الديبل وهي ميناء هام على ساحل السند كانت تقع في موضع مدينة كراتشي الحالية بباكستان، ففتحها وانتصر على أهلها[1] وفي رواية استشهد في المعركة هناك[2] وكانت هذه هي أولى الغارات البحرية العربية والحملات الإسلامية التي وجهت إلى سواحل السند والهند ولكن المؤرخين القدماء لم يوضحوا أسباب تلك الحملة ونتائجها[3] وإن كان السبب الرئيسي كما أشرنا من قبل هو توسيع رقعة الدولة الإسلامية ونشر دعوة الإسلام في تلك البلاد، بالإضافة إلى تأديب قراصنة السند المهاجمين على السفن العربية التجارية، وإنما

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ (طبع مصر) وكذلك انظر ججنامه بالفارسية ص ٧٢ ـ تاريخ الهند لاليت ج ١ ص ٣٧٤ بالانجليزية بروص (بهروج) مدينة قديمة بالهند وتقع الآن شمال اقليم سورت وكانت مدينة بروص ميناء قديماً لكنه فقد أهميته على مر الزمن.

تانه (تهانه) مدينة هندية قديمة وميناء قديم على البحر في شمال مدينة بومباي الحالية على بعد ١٥ ميلاً. ويرى صاحب تاريخ السند أن السفينة التي وصلت إلى تانه بالصدفة لا بالقصد وغزاها العرب واغتنموا ثم عادوا إلى عمان (تاريخ السند ص٢٦) لعله يقصد أن اتجاه العرب كان نحو سواحل السند فقط. ويقول صاحب تاريخ الإسلام في الهند أن احد العلماء المعنيين بالتاريخ في بومباي أخبره أنه شاهد في تانه بعض المقابر الإسلامية القديمة التي يعتقد المسلمون هناك بأنها ترجع إلى ذلك العهد القديم (تاريخ الإسلام في الهند ص ٧١ في الحاشية).

الديبل: تحقيق موقع مدينة الديبل لا يزال موضع نقاش بين الباحثين الشرقيين والغربيين، ويرى راورتي مثلاً أن الديبل كانت تقع على بعد ١٥ ميلاً من مدينة تهته ويرى البعض أنها تقع في موضع بهمبور. (انظر المجلة الاسيوية لجمعية البنغال سنة ١٨٩٢ ص ٣٢٢ في الحاشية رقم ٥) بينما يرى اليت أنها تقع موضع مدينة كراتشي الحالية.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٧٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ ولكن صاحب تاريخ السند (ص ٢٦) يذكر بأنه عاد بالجيش إلى عمان.

(٣) يرى صاحب تاريخ السند (ص ٢٦) في سبب الحملة بأنها كانت حملات أولية مؤقتة وكان الغرض منها معرفة أحوال بلاد السند كما كانت رداً على القراصنة وتهديداتهم للعرب حيث أنهم كانوا يهاجمون السفن العربية التجارية وعلى المسافرين وينهبون الأموال ثم يلجأون إلى مواني السند طلباً للراحة والأمان.

اكتفى المؤرخون بالاشارة إلى بعض نتائج تلك الحملات الثلاث، فقد ذكر البلاذري بأن المسلمين قد أحرزوا النصر في الديبل بالسند ولكنه لم يصرح بنتيجة حملتي تانه وبروص بالهند وإن كان بيانه بعودة الجيش العربي من تانه إلى عمان يدل على انتصار المسلمين في تانه أيضاً وبذلك بقيت نتيجة معركة بروص غامضة عنده[1] وأما صاحب جچنامه فإنه يذكر معركة الديبل وحدها ولكنه لا يصرح بانتصار المسلمين ولا هزيمتهم، وإنما يكتفي بالاشارة إلى مقتل قائد الجيش العربي وهو المغيرة بن أبي العاص الثقفي[2] ولا توجد بيانات بشأن تلك الحملات عند اليعقوبي والمسعودي والطبري وابن خلدون وغيرهم من مؤرخي العرب القدماء.

الحملة البرية الأولى للعرب على بلاد السند في سنة ٢٣ هـ:

بعد تلك الحملات البحرية التي قام بها والي عمان والبحرين على بعض المدن الساحلية بالهند والسند، وبعد العودة إلى عمان كتب عثمان بن أبي العاص إلى الخليفة عمر عن نتيجة تلك المناورات أو الحملات البحرية التي نجح فيها، ولكن الخليفة لم يعجبه سماع ذلك[3] لأسباب أولها أن الوالي المذكور قام بهذه الحملات بدون إذن الخليفة الذي هو المسؤول الأول عن مصالح المسلمين وأرواحهم، ثانياً أن العرب في سنة ١٥ هجرية لم يكونوا بعد قد كونوا وحدات بحرية عسكرية منظمة حتى يقوموا بمثل تلك الحملات البحرية، ثم إن القوات العربية كانت في هذا الوقت مشتتة في مناطق وبلاد كثيرة ومشغولة بالفتوحات والتنظيم، ولذلك لم ير الخليفة الحكيم من الصواب أن يقوم العرب بمثل هذه المغامرات بالحملة على بلاد واسعة بعيدة كبلاد الهند

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥.
(٢) جچنامه بالفارسية ص ٧٢.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥.

والسند دون اتخاذ استعدادات كاملة ضامنة للنجاح المستمر، ولذلك نرى الخليفة عمر رضي الله عنه يقول قولته المعروفة مخاطباً عثمان بن أبي وقاص الثقفي: «يا أخا ثقيف! حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»[1] ولكن الخليفة عمر بعد مضي سنوات اقتنع بقوة العرب نسبياً ووافق عند إصرار القواد العرب بفتح بلاد السند والملتان المجاورة لبلاد فارس بشرط أن تكون الحملة برية عن طريق ايران حتى يضمن سلامة جيش الإسلام، وفي سنة ١٧ هـ أعطى لواء اقليم كرمان ببلاد فارس إلى سهيل بن عدي ولواء اقليم مكران ببلاد السند إلى الحكم بن عمرو التغلبي، وأذن لهما بالسير لفتح هاتين المنطقتين فلم يستتب مسير القائدين حتى دخلت سنة ١٨ هـ فأمدهما الخليفة عمر بجيوش أخرى من أهل الكوفة، وببعض القواد المساعدين بحيث انضم شهاب بن المخارق بن شهاب المازني وجيشه إلى القائد الحكم بن عمرو التغلبي، وانضم عبد الله بن عبد الله بن عتبان وجيشه إلى القائد سهيل بن عدي[2] ومع ذلك لم يتهيأ سيرهما إلا في سنة ٢٢ هـ فسارا إلى بلاد العجم حتى وصلا كرمان وفتحاها[3].

ثم في سنة ٢٣ هـ وصل الحكم بن عمرو التغلبي أحد أمراء الفتوحات بجيشه إلى اقليم مكران ببلاد السند ولحق به شهاب بن المخارق المازني وفتحا مكران بسهولة، وانضم إليهما سهيل بن عدي ومساعده عبد الله بن عبد الله ابن عتبان بعد فتح مكران، وسار القواد الأربعة بجيشهم الموحد متجهين إلى داخل بلاد السند حتى اقتربوا من نهر السند وكان أهل مكران قد نزلوا على شاطئه وعسكروا به كما أمدهم ملك بلاد السند بجيش كثيف بقيادة الأمير

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٥٦٨ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ٣٥ ليدن.
(٣) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ١١٣ وكرمان اقليم بإيران يقع على الحدود مع بلاد السند.

راسل حاكم ولاية من ولايات السند الذي عبر النهر فالتقى بالمسلمين، ودارت معركة حامية وانتهت بانتصار المسلمين وقتل راسل وعدد كبير من جيشه بينما تقهقر باقي الجيش السندي، فتبعهم العرب حتى نهر مهران بالسند ثم رجعوا إلى مكران بأمر الخليفة عمر وأقاموا فيها[1].

وكان الحكم بن عمرو التغلبي قد كتب إلى الخليفة عمر بالفتح وبعث إليه بالأخماس مع القائد صحار العبدي واستأمره في الفيلة التي وقعت في أيدي العرب، ويبدو أن الخليفة عمر لم يكن مقتنعاً بأن الوقت مناسب لفتح بلاد السند، فقد سأل صحار العبدي أن يصف له تلك البلاد فلما وصفها، قال الخليفة: «والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت» وكتب إلى الحكم بن عمرو التغلبي وسهيل بن عدي يقول: «لا يجوز مكران أحد من جنودكما واقتصرا ما دون النهر»[2] أي اكتفوا بالاستيلاء على مناطق من الجزء الغربي لنهر السند ولا تعبروه إلى الجهة الشرقية لأن ذلك خطر عليكم لقلة عددكم وكثرة أهل تلك البلاد الواسعة.

ولما وصل أمر الخليفة عمر إلى الجيش العربي بعدم التقدم نحو داخل بلاد السند لأسباب جغرافية واقتصادية وعسكرية، قال القائد العربي المتحمس في ذلك هذه الأبيات:

لقد شبع الأرامل غير فخر — بفيء جاءهم من مكران
أتاهم بعد مسبغة وجهد — وقد صفر الشتاء من الدخان
فإني لا يذم الجيش فعلي — ولا سيفي يذم ولا سناني

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٥٦٨ـ تاريخ ابن خلدون جـ٢ص ١١٣ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ٣ ص ٣٥ وقد أخطأ كل من الطبري وابن خلدون وابن الأثير بأن راسل كان ملك السند والحقيقة أن راسل أورتبيل كان حاكماً لولاية سندية، بينما كان ملك السند هوجج الذي تولى الحكم سنة ١ هـ واستمر حتى سنة ٤٠ هـ ولكن (راسل) أو (رتبيل) كان يلقب بنائب الملك (انظر ججنامه ص ١٥).

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٧٠٦.

غداة أدافع الأوباش دفعا | إلى السند العريضة والمداني
ومهران لنا فيما أردنا | مطيع غير مسترخي العنان
فلولا ما نهى عنه أميري | قطعناه إلى البدد الزواني

وقد ظل الجيش العربي باقياً في مكران حتى استشهد الخليفة عمر رضي الله عنه في نهاية هذه السنة نفسها ٢٣ هـ بعد أن تمت فتوحات كبيرة في عهده المبارك[١].

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤ ـ ٣٥ هـ):

ثم تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ٢٤ هـ، وبعد ذلك بقليل أمر واليه في العراق بأن يوجه إلى ثغر الهند[٢] أي ثغر السند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه الوالي إلى بلاد السند حكيم بن جبلة العبدي، فلما جمع المعلومات عن تلك البلاد وعاد، أوفده الوالي إلى الخليفة عثمان الذي سأله عن أحوال البلاد، فقال العبدي: «يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها، قال الخليفة: صفها لي، فقال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال الخليفة له: أخابر أنت أم ساجع ! قال: بل خابر»، فلم يأمر الخليفة بغزو داخل بلاد السند[٣] مع أن الجيش العربي كان لا يزال موجوداً في ذلك الوقت في اقليم مكران ببلاد السند منذ عهد الخليفة عمر، واكتفى العرب بالتمسك بحكم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٥٦٨ و ٢٧٠٦.

(٢) يلاحظ أن بعض المؤرخين العرب يذكرون أحياناً اسم (الهند) بدلاً من اسم (السند) مع أنهم يقصدون (السند) كما تدل على ذلك البيانات الواردة في كتبهم والحوادث التاريخية بالسند.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ و٥٣٦ ـ ججنامه بالفارسية ص ٧٣ ـ وكلا المصدران متفقان. وشل: قليل، دقل: رديء، وقد ذكر الطبري (جـ ١ ص ٢٧٠٦) هذا الوصف عن لسان صحارى العبدي الذي أرسله حكم بن عمرو التغلبي حاكم مكران إلى الخليفة عمر، ولكننا اعتمدنا على كلام كل من البلاذري وججنامه اللذين جعلا هذا الوصف في عهد الخليفة عثمان وعن لسان حكم بن جبلة العبدي، لأنهما أقدم زمناً عن الطبري وأقرب إلى عهد الخلفاء الراشدين.

ذلك الاقليم ثغر السند[1] .

وفي سنة ٢٩ هـ بعد أن صار عبد الله بن عامر بن كريز القشيري والياً على العراق بدلاً من أبي موسى الأشعري[2] عين عبيد الله بن معمر التميمي حاكماً على مكران، فأثخن فيها حتى بلغ نهر السند[3] وظل يحكم اقليم مكران بضع سنوات، حتى استشهد الخليفة عثمان رضي الله عنه في سنة ٣٥ هـ[4] .

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥ - ٤٠ هـ):

وفي سنة ٣٥ هـ تولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي أوائل سنة ٣٩ هـ عين تاغرين دعر قائداً على الجيش العربي الذي تقرر ارساله لغزو بلاد السند، وضم إليه جماعة من قواد العرب، ولكن تاغرين عين نيابة عنه قائداً آخر وهو الحارث بن مرة العبدي وكان قائداً شجاعاً وبعد أن وصلوا مكران ساروا جميعاً إلى القيقان وقد استعد من أهلها عشرون ألفاً للحرب، بينما كان الجيش العربي بقيادة الحارث بن مرة العبدي ألف جندي فقط، فاشتبك الفريقان وانتصر المسلمون بعد معركة دامية، وأسر العرب آلافاً من أهل القيقان[5] وفي هذا الوقت وصل إليهم الخبر باستشهاد الخليفة علي رضي الله عنه، وأن معاوية قد صار خليفة المسلمين وذلك في سنة ٤١ هـ فعاد الجيش العربي من القيقان إلى مكران[6] .

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٧٣ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٣ ص ٧٧ .
(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١ ص ٢٨٢٩ .
(٤) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٥) جچنامه ص ٧٦ و ٧٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٢١ ويذكر الاسم تاغر ابن داعورا .
(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٢١ .

ثم في سنة ٤٢ هـ اشتبك الحارث بن مرة العبدي مرة أخرى في حرب دامية مع أهل القيقان، ولكنه استشهد في هذه المعركة مع معظم القواد والجنود لقلة عددهم أمام تلك الكثرة وقد نجا عدد قليل من الجند العرب الذين تقهقروا إلى مقرهم في مكران ثغر السند[1] ذلك الاقليم الذي ظل تحت حكم العرب حتى فتحت بلاد السند كلها على يد محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ.

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦ والقيقان: هي منطقة كيكان وتسمى الآن قلات وهي ذلك الجزء من بلاد السند الذي يتصل بخراسان (فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦).

الفصل الثالث

صورة موجزة لأهم الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي

قبل أن نتحدث عن فتوحات محمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند والبنجاب، يستحسن لنا أن نستعرض هنا الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي في صورة موجزة حتى نعرف اتصال الأحداث التاريخية بعضها ببعض.

دور العصر الأموي في الفتوحـات:

يعتبر العصر الأموي في تاريخ الإسلام، هو العصر الزاهر للفتوحات الإسلامية، ويقترن ذكره دائمًا بالكفاح والنضال في سبيل إعزاز الدين وإعلاء شأن الإسلام والعروبة، ولكن الأحزاب الإسلامية المعارضة التي برزت منذ ولادة الدولة الأموية على مسرح التاريخ، وقامت في وجه الأمويين تعلن عليهم الحروب المتتالية كانت كافية لاحباط الهمم وتوهين العزائم، ومع ذلك شقت الدولة الأموية طريقها بين تلك المتاعب والعقبات، فكانت تتقي باحدى يديها ما يواجهها من ضربات في الداخل، وتضرب باليد الأخرى هؤلاء الأعداء الأجانب، الذين كانوا يحيطون بالدولة الإسلامية الفتية فتردهم إلى الوراء وترغمهم على الخضوع، حتى استطاعت أن تمد سلطانها ذات اليمين وذات الشمال فوصلت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الصين شرقاً، وإلى المحيط الأطلسي غرباً، وإلى سهول آسيا وجنوب غرب أوروبا شمالاً، وإلى المحيط الهندي والصحراء الأفريقية الكبرى جنوباً.

وهذه الفتوحات الخالدة التي تمت في العهد الأموي هي لا ريب عوامل البناء والعمد القوية التي ارتفع عليها صرح الدولة وسط العواصف الهوجاء التي كانت تناوشها، والزلازل العنيفة التي كانت تنبع من داخلها وتتسلط عليها في كل وقت وحين، ولا ندري لو كان الجو صفا لبني أمية ونعموا بالهدوء والسلام في الداخل، ماذا كان سيتم على أيديهم من فتوحات ؟ أغلب الظن أن الأرض كانت ستبدل غير الأرض، وأن موجة الفتح الإسلامي كانت ستكتسح كل ما يصادفها من عقبات فيعلو لواء الإسلام خفاقاً في أغلب الأنحاء من أرض الله الواسعة[1].

كان معاوية بن أبي سفيان قد ورث عن أسلافه من الخلفاء الراشدين ملكاً واسعاً عريضاً يحتاج إلى جهود مضنية حتى يتوطد الأمن والسلام في ربوعه، ولكن ذلك لم يكن يصرف معاوية عن التطلع إلى المزيد من المجد والسلطان، فرتب الأمور وجهز الجيوش حتى يتابع الغزو والجهاد، وحتى لا يركن المسلمون إلى الكسل والخمول وحتى يحافظوا على ما ورثوه من أمجاد[2].

وفي عهد معاوية حاولت أطراف بلاد فارس أن تتخلص من الجزية المفروضة عليها فقامت بثورة ضد الحكم العربي، فأخضعتها جيوش معاوية ثم تابعت الزحف شرقاً للتوسع في الفتح فعبرت نهر جيحون وفتحت بلاد بخارى وسمرقند وترمذ وغيرها، وكان الرومان قد أكثروا من الغارات على حدود الدولة الإسلامية في الناحية الشمالية الغربية، فأعد معاوية العدة وجهز الجيوش وانتصر عليهم في مواقع كثيرة، وبنى أسطولاً بلغت عدته ٢٧٠٠ سفينة، واستولى بهذا الأسطول الضخم على قبرص ورودس وغيرها من جزر الروم وأرسل جيشاً كبيراً لفتح القسطنطينية في سنة ٤٨ هـ وكان الجيش يضم عدداً من الصحابة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

---

(١) انظر الدولة الأموية في الشرق للدكتور محمد الطيب النجار ص ١١٥.

(٢) فتحت في عهد الخلفاء الراشدين بلاد الفرس والشام ومصر وجزء من بلاد المغرب.

الزبير وأبو أيوب الأنصاري، وكان الجيش بقيادة ابنه يزيد بن معاوية فلم يجد هؤلاء الكبار من الصحابة غضاضة في ذلك فقاتلوا تحت إمرته وأخلصوا له النصح، وجاهدوا حق الجهاد ولكنهم لم ينالوا من أسوار القسطنطينية وحصونها المنيعة شيئاً، ولم يستطيعوا فتحها وأحرقت النيران كثيراً من سفن المسلمين وقتل في هذه المحاولة أبو أيوب الأنصاري، ودفن بالقرب من سور القسطنطينية ولا يزال قبره بها وعليه مسجد مشيد كان يتوج فيه خلفاء آل عثمان، وعلى الرغم من فشل تلك المحاولة فقد استولى العرب على جزيرة كبيرة بالقرب من القسطنطينية وبقيت في أيديهم سبع سنوات ثم تركها يزيد ابن معاوية في مدة خلافته[1].

وأما في أفريقيا فقد كثرت الثورات وكان لدولة الروم ضلع كبير فيها، لأن نفوذ المسلمين في تلك البلاد كان على حساب تلك الدولة إذ كان الشمال الافريقي قبل ذلك جزءاً من ممتلكاتها، وقد أرسل الخليفة معاوية في سنة ٥٠ هـ عقبة بن نافع في عشرة آلاف جندي فأعاد فتح افريقيا ونشر الإسلام في ربوعها وبنى مدينة القيروان، كما بنى مسجدها الجامع ثم تابع عقبة بن نافع الفتح في عهد يزيد بن معاوية واجتاح الشمال الافريقي كله حتى وصل إلى المحيط الأطلسي ونظر إلى الماء فقال: «يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك»[2] يقصد بذلك فتح بلاد الأندلس وما حولها.

وبعد عهد الخليفة معاوية انقسمت الدولة الإسلامية وتفرقت وحدتها وأدى ذلك إلى طمع الدولة الرومانية في استرداد شيء من نفوذها القديم وارجاع بعض البلاد التي فتحها المسلمون من قبل، وكان عقبة بن نافع قد وصل الى شاطىء المحيط الأطلسي فتحالف الرومان مع البربر وتعاونوا على

---

(١) الدولة الأموية في الشرق للدكتور محمد الطيب النجار ص ١١٦ و١١٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٠٨.

إضعاف النفوذ العربي وتمكنوا من قتل عقبة بن نافع وهزيمة جيشه الذي تراجع إلى برقة، وفي نفس الوقت الذي دبروا مؤامرتهم في الشمال الافريقي كانوا يغيرون على بلاد الشام أيضاً لاعادة سيطرتهم عليها[1].

وتولى عبد الملك بن مروان الخلافة في هذه الظروف العصيبة فعقد هدنة مع الدولة الرومانية لكسب الوقت حتى يتهيأ له الجو المناسب ويتخلص من أعدائه في الداخل، ثم حدث خلاف بينه وبين امبراطور الدولة الرومانية حول مسألة الورق، فتجددت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين، ودارت رحى قتال في آسيا الصغرى، وقد اشترك الامبراطور البيزنطي بنفسه في القتال ولكنه ارتد منهزماً أمام جيوش الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي[2].

قواد عظام في تاريخ الفتوحـــات:

ثم تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك، فعادت أيام الفتوحات الإسلامية الأولى على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وانصرف الناس إلى الجهاد في سبيل الله وجعلوه هدفهم وغايتهم لنصرة الدين والحق ولنشر العلم والفضيلة، فكتب الله لهم النجاح والتوفيق، وقد اشتهر في عهد الخليفة الوليد أربعة من القواد العرب الكبار الذين لهم أثر عظيم في هذه الفتوحات، وهم قتيبة بن مسلم الباهلي وموسى بن نصير ومسلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن القاسم الثقفي.

وأما القائد قتيبة بن مسلم فقد ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي على خراسان سنة ٨٦ هـ[3] فخرج قتيبة بن مسلم إلى بلخ فاتحاً غازياً وتلقاه دهاقينها وعظماؤها وساروا معه مؤيدين له، ولما عبر النهر قابله ملك

---

(١) الدولة الأموية في الشرق ص ٨١٨.
(٢) انظر التفصيل في «الأمويون والبيزنطيون» للدكتور ابراهيم العدوي ص ١٧٨.
(٣) كانت العراق وفارس وخراسان كلها تحت حكم والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي.

الصغانيان وأهداه كثيراً من الهدايا وسلم إليه بلاده، وفي سنة ٨٧ هـ أغار قتيبة بن مسلم على الصغد وقاتلهم قتالاً شديداً وانهزموا وتفرقوا وفتحت مدينة بيكند، غنمت العرب منها غنائم كثيرة، وفي سنة ٨٨ هـ استخلف قتيبة بن مسلم على مدينة مرو[1] أخاه بشار بن مسلم وواصل فتوحاته ففتح بلاد كرمينة[2] ثم سار إلى بخارى وتمكن من فتحها بعد كفاح طويل، وفي سنة ٩٣ هـ غزا قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند وفتحها بعد قتال شديد، وفي سنة ٩٤ هـ اتجه إلى مدينة خجند[3] وتمكن من فتحها بعد نضال عنيف، ثم فتح مدينة كاشان وهي عاصمة بلاد فرغانة[4] وبالرغم من علمه وهو في الطريق بوفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك مضى في سبيله حتى قرب من الصين فأرسل إلى ملكها وفداً بقيادة هبيرة الكلابي، وبعد أن دارت بينهم وبينه عدة مراسلات قال ملك الصين موجهاً كلامه إلى العرب: «انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فإني عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا أبعث إليكم من يهلككم ويهلكه»، فقال له هبيرة: «كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه» فأجاب ملك الصين: «فما الذي يرضي صاحبك؟» فقال له هبيرة: «انه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطي له الجزية» فقال ملك الصين: «فإننا نخرجه من يمينه، فنبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث ببعض أبنائنا فيختم، ونبعث إليه بجزية يرضاها»[5] ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة

---

(١) مرو عاصمة خراسان.

(٢) بلاد كرمينة تقع بين بخارى وسمرقند.

(٣) خجند (خوجند) من بلاد فرغانة وهي اقليم متاخم للتركستان الغربية.

(٤) الدولة الأموية في الشرق للدكتور محمد الطيب النجار ص ١٢١.

(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٥ ص ٢٦٩ ـ ٢٧١.

غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجاز الوفد فساروا حتى قدموا على القائد العظيم قتيبة بن مسلم، فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطىء التراب، ثم بعد ذلك عاد قتيبة بن مسلم إلى خراسان[1].

ويتضح من ذلك مدى ما كان يتمتع به القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم من هيبة كبيرة ونفوذ عظيم، فإن مثل هذا الاذلال الذي أصاب ملك الصين يقوم مقام الفتح لهذه البلاد أو يزيد، وهو يعطينا فكرة واضحة عن الروح الإسلامية التي كانت تعمر القلوب وتملي إرادتها في عزة وإباء، وكيف كان الأعداء يذعنون أمام تلك الروح القوية التي يتمتع بها مثل هؤلاء القادة العظام.

وأما القائد موسى بن نصير فهو فاتح بلاد الأندلس، وهي شبه الجزيرة التي يفصلها عن الشمال الأفريقي ذلك المضيق الصغير الذي عرف فيما بعد بمضيق جبل طارق، وكان عقبة بن نافع قد وقف على شاطىء المحيط الأطلسي في عهد يزيد بن معاوية فمنعته مياه المحيط من التقدم ومواصلة الغزو والفتوح، ولكن موسى بن نصير تطلع إلى ما وراء الماء من ناحية الشمال فرأى بلاد الأندلس، وصمم على غزوها لنشر الإسلام في تلك البلاد، فضلاً عن أن أهل الأندلس كانوا يساعدون الروم في الشمال الأفريقي واتخذت مساعدتهم صبغة دينية كانت تعرقل نفوذ المسلمين في كثير من الأحيان، فكان فتح بلاد الأندلس قاطعاً لدابر هذا الشر الذي يتجدد ويتفاقم خطره[2].

ففي رمضان سنة ٩١ هـ أرسل موسى بن نصير حملة صغيرة مكونة من

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن جـ ١ ص ٤٨١.
(٢) الدولة الأموية في الشرق ص ١٢٦ و١٢٨ وكذلك انظر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي جـ ٢ ص ١١٧.

خمسمائة مقاتل بقيادة طريف بن مالك لغزو الشاطىء الجنوبي الغربي للأندلس فاجتازوا البحر في السفن وغزوا الثغور الجنوبية، ثم أرسل موسى بن نصير في رجب ٩٢ هـ حملة كبيرة مكونة من سبعة آلاف مقاتل بقيادة البطل طارق بن زياد، فأسرع الملك لذريق ملك القوط بجيوشه وقد بلغ عددها مائة ألف مقاتل والتقى بجيش طارق بن زياد بالقرب من مدينة سدونه[1] ولما رأى طارق كثرة الأعداء طلب من موسى بن نصير أن يمده بقوة أخرى فأمده بخمسة آلاف من البربر، وانتصر المسلمون بقوة إيمانهم، وقتل من جيوش الأعداء عدد كبير وولوا مدبرين هاربين وغرق الملك لذريق في النهر، ثم فتح القائد العربي طارق بن زياد مدن اشبيلية وقرطبة ثم طليطلة عاصمة الأندلس، وأطلق لليهود والمسيحيين حريتهم الدينية، ثم وصل القائد الكبير موسى بن نصير نفسه إلى الأندلس وانضم إلى القائد طارق وفتحا مدناً أخرى مثل ليون وقشتالة وأرغون وقطلونية، وكانت هذه المدن الكبيرة تستسلم بلا قتال أو مقاومة حتى تم اخضاع شبه الجزيرةالاندلسية كلها عدا الأقاليم الجبلية الواقعة في الشمال الغربي[2] .

وأما القائد مسلمة بن عبد الملك بن مروان، فقد كان له جهاد متواصل مع الروم في آسيا الصغرى، فافتتح كثيراً من معاقلها الهامة مثل حصون طوانة وعمورية وهرقلة وسبسطية وقمونية وطرسوس وغيرها حتى ألقى المسلمون الرعب في قلوب الروم[3] ولما اطمأن الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى أن أخاه مسلمة بن عبد الملك قد مهد الطريق إلى القسطنطينية، بدأ في إعداد حملة لمهاجمتها، ثم أكمل هذه المهمة العظيمة من بعده أخوه الخليفة سليمان بن

---

(١) بني في موضعها الآن مدينة اسمها شريش.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ١٢٣ وكذلك انظر نفح الطيب للمقري جـ١ ص ١١٢ لمعرفة أخبار القائد طارق بن زياد وخطبته المشهورة.

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية للشيخ محمد الخضري جـ ٢ ص ٢٧٥.

عبد الملك سنة ٩٨ هـ فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة مسلمة بن عبد الملك[1] وحاصر المسلمون القسطنطينية حصاراً شديداً على الرغم من برد الشتاء القارس الرهيب، ولكن طال الحصار حتى مات الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ، وجاء بعده الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز فآثر أن يدعم ما فتحه المسلمون من بلاد بدل أن يوزع قوتهم في فتوحات جديدة فعاد المسلمون دون أن يتحقق لهم هذا الأمل[2] ثم تحقق فتح القسطنطينية لمصلحة المسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح في سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م، وبذلك انتهت سيطرة الروم على آسيا الصغرى بصفة نهائية.

وأما القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي، فهو فاتح بلاد السند والبنجاب، وهي البلاد الممتدة من حدود إيران غرباً إلى جبال الهملايا في الشمال الشرقي، وهي بلاد باكستان الحالية، وكانت هذه البلاد في عهد الوليد بن عبد الملك ملجأ للمتمردين العرب ضد الدولة الأموية، كما كان يخرج منها أحياناً بعض القراصنة فيغيرون على السفن التجارية العربية، فإذا طلب من ملكهم داهر أن يرد للمسلمين كرامتهم واعتبارهم لم يستجب فكان ذلك مما دعا والي العراق الحجاج بن يوسف إلى أن يلح على الخليفة الوليد في فتح بلاد السند ليرد هذا العدوان ويؤمن طريق التجارة وحدود البلاد الإسلامية، ولما استجاب الخليفة أعد الحجاج حملة كبيرة لغزو بلاد السند وجعل القيادة لصهره وابن أخيه الفتى الشجاع محمد بن القاسم الثقفي الذي بدأ فتوحاته لتلك البلاد سنة ٩٢ هـ وظل يفتح المدن وينتقل من نصر إلى نصر حتى دانت له جميع بلاد السند والبنجاب، وأقام بها دولة عربية إسلامية استمرت حتى سنة ٤١٦ هـ في أيدي العرب.

---

(١) الأمويون والبيزنطيون ص ١٨٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٩١.

وهكذا يتبين لنا إلى اين وصلت الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، بفضل إخلاص قادة المسلمين في الجهاد لخدمة الإسلام ولخير الإنسانية، وبفضل روح الأخوة والاتحاد التي كانت تربط المسلمين بعضهم ببعض في ذلك العصر.

الفصل الرابع

الولاة العرب في العصر الأموي باقليم مكران ببلاد السند

(٤١ - ٩٢ هـ)

خلافة معاوية بن أبي سفيـان الأموي (٤١ - ٦٠ هـ):

تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤١ هـ، وكان والي العراق في هذا الوقت عبد الله بن عامر بن كريز القشيري، وكان يشرف على أمور بلاد السند أيضاً، فأقره معاوية في منصبه، وقد اهتم معاوية ببلاد السند وعين الولاة على اقليم مكران السند، وأرسل الحملات الكثيرة لاخضاع الجزء الغربي لنهر السند حتى يتمهد الطريق لفتح بلاد السند كلها بغزو الجزء الشرقي لذلك النهر، واقامة حكومة عربية إسلامية في هذا الركن من القارة الهندية الكبيرة.

ولاية المهلب بن أبي صفرة (٤٤ - ٤٦ هـ):

عين والي العراق عبد الله بن عامر على ثغر السند أي اقليم مكران والياً جديداً وهو المهلب بن أبي صفرة في سنة ٤٤ هـ[١] وفي عهد معاوية كانت منطقة القيقان هي الهدف الرئيسي لحملات العرب لخطورتها، وقد تمت عدة محاولات لاخضاع تلك المنطقة التي تعتبر منطقة حصينة، فكانت الحملة الأولى

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣١.

عليها في العصر الأموي بقيادة المهلب بن أبي صفرة الذي قاتل أهل القيقان بشدة وأخضعهم ثم عاد إلى مكران مقر القيادة وأقام فيها لمدة سنتين[1].

والبلاذري يذكر سير حملة المهلب بأن جيش العرب سار حتى أتى (بنه ولاهور) وهما مدينتان تقعان بالقرب من مدينة الملتان بإقليم بنجاب، واشتبك بأهلها وانتصر عليهم وفي ذلك يقول الشاعر:

ألم تـر أن الأزد ليلة بيتـوا   ببنـة كانـوا خـير جيش المهلب

ثم واصل المهلب السير إلى منطقة القيقان فلقيه في أول الأمر ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة، فقاتلوه وقتلوا جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتمشير منا؟ فخذف الخيـل، فكان أول من حذفها من المسلمين[2].

ولاية عبد الله بن سوار بن همام العبـدي (٤٦ - ٤٩ هـ):

أمر عبد الله بن عامر والي العراق في سنة ٤٦ هـ أن يتولى حكم مكران ثغر السند عبد الله بن سوار بن همام العبدي الذي وصل إلى مكران مع جيشه المتكون من أربعة آلاف فارس مقاتل وأقام بها شهوراً[3] ثم غزا القيقان

---

(١) فتوح البلدان جـ ٣ ص ٥٣١، ويرى ماجمدار ص ١٢ أن المهلب قد فشل في مهمته في مكران فعاد إلى العراق.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣١، ويقول صاحب تاريخ السند أبو ظفر ندوي (ص ٣٥ و٣٦) بأن المهلب كان أحد القواد في جيوش عبد الرحمن بن سمرة وقد اتجه بجيشه إلى الهند (يقصد السند) من طريق ممر خيبر قرب بشاور الحالية، الممر الذي أتت منه الأقوام القديمة إلى القارة الهندية فهو لذلك يعتبر أول عربي قام بالحملة على الهند (السند) من هذه الناحية حيث كان ممر خيبر باباً مهماً من أبواب القارة الهندية.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ٧٨ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣١ - ويذكر اليت في تاريخ الهند بالانجليزية جـ ١ ص ٤٢٣ سنة توليه الحكم ٤٦ هـ وكذلك يرى ويل ذلك (Well: Geschichte der Chabfen, Vol. 1, P. 291).

وانتصر على أهلها وحصل على غنائم كثيرة[1] ثم سافر إلى دار الخلافة وأهدى إلى الخليفة معاوية خيولاً قيقانية وبعد أيام عاد إلى مكران، وكان أهل القيقان قد استعدوا للحرب من جديد بعد أن استولوا على الطرقات والممرات الهامة في المنطقة، فتوجه الجيش العربي واشتبك الفريقان فقتل معظم أفراد الجيش العربي وقائدهم عبد الله بن سوار نفسه كما قتل عدد كبير من أهل القيقان وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين، وعاد باقي الجيش العربي ومعه القائدان ياسر ابن سوار العبدي وحاتم بن قتيبة البهلي إلى مكران[2] وبعد مقتل عبد الله بن سوار والي مكران، أنشد أحد الشعراء قصيدة في تأبينه وتعزيته عند الخليفة معاوية وقد جاء فيها :

من كابن سوار إذا جاشت مراجله ... في الحرب ولا أوقدت نار لها بعده
كانت مراجله للرزق ضامنة ... فانهن بنات الحرب والجوده

وقال الأعور الشني أيضاً قصيدة جاء فيها:

أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها ... إنا وجدنا ابن سوار كسوار
لا يسمن الخيل إلا ريث يمهلها ... وما سواه فتردى طول أعمار[3]

وقال شاعر ثالث يمدحه في قصيدة جاء فيها:

وابن سوار على علاته ... موقد النار وقتال الشغب

فقد كان عبد الله بن سوار سخياً لم يوقد أحد ناراً غيره في معسكره، ورأى ذات ليلة ناراً فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة نفساء يعمل لها خبيص فأمر

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣١ ـ ججنامه بالفارسية ص ٧٩.
(2) ججنامه بالفارسية ص ٧٩ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٣٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣١ ولكنه يذكر أن عبد الله بن سوار قد قتل على أيدي جماعة من الترك الذين كانوا يسكنون القيقان واليت الانجليزي أيضاً يذكر ذلك نقلاً عن البلاذري.
(3) ججنامه بالفارسية ص ٧٩.

أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً[1].

ولاية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي (٤٩ - ٥١ هـ):

لما تولى حكم العراق زياد بن أبي سفيان وكان يشرف أيضاً على أمور بلاد السند، عين على ثغر السند اقليم مكران رجلاً فاضلاً وهو سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي في سنة ٤٩ هـ وهو أول من أحلف الجند بالطلاق وفيه يقول الشاعر:

رأيت هذيلاً أحدثت في يمينها ... طلاق نساء ما تسوق لها مهرا

لهـا علـى حلفـة ابن محبق ... إذا رفعت أعناقها حلقاً صفرا[2]

وصل سنان إلى مكران وقضى على الفتن والاضطرابات فيها، ثم قام باصلاحات كثيرة، وأقام فيها حامية وجعلها مركزاً لقيادته[3] وفي الغالب أقام مسجداً جامعاً ضمن الاصلاحات، وقد بقي سنان بحكم مكران مدة سنتين وشهراً حتى عزله زياد والي العراق عن الحكم ونقله إلى منصب آخر[4] ويرى البعض أن قواته عجزت عن التقدم إلى داخل نواحي مكران ولذلك عزله[5] وهذا غير صحيح حيث أنه تولى حكم مكران للمرة الثانية بعد مضي سنتين من نقله إلى العراق.

ولاية راشد بن عمرو الحديدي الأزدي (٥١ - ٥٣ هـ):

تولى حكم اقليم مكران ببلاد السند راشد بن عمرو الحديدي الأزدي في

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٢١.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٣٢.
(٣) أيضاً جـ ٣ ص ٥٣٣.
(٤) حجنامه بالفارسية ص ٨١ وكذلك انظر تاريخ الهند لاليت بالانجليزية ج ١ ص ٤٢٤.
(٥) الغزو العربي للهند لماجدار ص ١٣ بالانجليزية.

سنة ٥١ هـ بأمر والي العراق زياد بن أبي سفيان، وكان رجلاً معروفاً بالشجاعة، عظيم الهمة، عزيز النفس رغم صغر سنه، فلما وصل إلى مكران توجه مع كبار العرب والأعيان لمقابلة سنان بن سلمة الذي كان لا يزال موجوداً هناك، فوجده قائداً ممتازاً، فاستشاره في أمور بلاد السند[١] وبعد ذلك جهز جيشاً كبيراً وتوجه نحو منطقة القيقان وحارب أهلها الطغاة المشاغبين وانتصر عليهم وحصل على خراج السنة الماضية والسنة الحاضرة، ولذلك كانت حملته على القيقان ناجحة[٢] وبقي في القيقان سنة كاملة ينظم أمورها المختلفة، ثم عاد إلى مكران مقر الحكم ماراً بطريق سيوستان للقضاء على المتمردين هناك، ولما وصل إلى ما بين جبلي (مندر وبهرج) خرج أهل المنطقة من قوم الميد لمحاربته وكان عددهم نحو خمسين ألفاً، ولم يكن راشد بن عمرو يتوقع ذلك، ودارت الحرب الدامية واستمرت طول اليوم حتى استشهد راشد ابن عمرو في المعركة وذلك في سنة ٥٣ هـ تقريباً وعاد باقي الجيش إلى اقليم مكران[٣] .

ولاية سنان بن سلمة الهذلي للمرة الثانية (٥٣ ـ ٥٧ هـ):

بعد استشهاد راشد بن عمرو الحديدي الأزدي في سنة ٥٣ هـ أمر زياد ابن أبي سفيان والي العراق أن يتولى سنان بن سلمة الهذلي حكم مكران ثغر السند للمرة الثانية وأكرمه كثيراً لأنه كان مناضلاً وابن صحابي جليل، فقد

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٨١.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣ ـ جچنامه ص ٨٢ وكذلك تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ٤٢٤ بالإنجليزية.

(٣) جچنامه بالفارسية ص ٨٢ ـ فتوح البلدان جـ ٣ ـ ص ٥٣٢ ـ ويذكر البلاذري عن مقتل راشد بأنه بعد أن فتح القيقان توجه إلى منطقة الميد وغزاهم وقتل في المعركة، ولا يعين المكان ولكن صاحب جچنامه يذكر الموضع بأن راشداً سار في طريق سيوستان متجهاً إلى مكران حيث قتل في المعركة مع الميد في سيستان وهي (سيوستان) كما حققها اليت الانجليزي لأن في النسخ الخطية الثلاثة لكتاب جچنامه ورد الاسم هكذا (ساوتان) و(سوستان) و (سيستان).

كان سنان ولد في عهد الرسول ﷺ الذي قال لأبيه: «أبشر بابنك» وسماه سناناً، ولما تولى سنان حكم بلاد السند للمرة الثانية رأى الرسول ﷺ في المنام يقول له: «إن أباه كان يفتخر بشهامته وقد آن له أن يثبت ذلك»[1].

وبمناسبة تولية سنان حكم مكران قال شاعر في ذم مكران وبيان خطورة منصب الوالي فيها:

وأنت تسير إلى مكران ... فقد شحط الورد والمصدر
ولم تك من حاجتي مكران ... ولا الغزو فيها ولا المتجر
وحدثت عنها، ولم آتها ... فما زلت من ذكرها أوجر
بأن الكثير بها جائع ... وأن القليل بها معور[2]

ثم تحرك سنان بجيشه وفتح بعض المناطق الجديدة الواقعة بين مكران والقيقان، وكان يترك في كل موضع يفتحه أثراً طيباً. حتى وصل القيقان ومنها سار إلى منطقة البودهية المجاورة، فغدر به أهلها فاستشهد هناك[3] في سنة ٥٦ هـ تقريباً بعد أن حكم مكران مدة سنتين[4].

وقال الشاعر ابن خلاص البكري هذه القصيدة:

أبلغ سنان بن منصور واخوته ... أعني هذيلاً كراماً غير أغمار
إنا عتبنا عليكم في إمارتكم ... والدهر ذو قلب في الناس دوار
يعطي الجزيل وينسى غير مستتر ... ولا يريد ثناء بعد اقفار
لم ينزل القوم إذ جفت قناتهم ... كابن المعلى ولا مثل ابن سوار

(١) ججنامه بالفارسية ص ٨٢.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٢.
(٣) ججنامه ص ٥٢ - تحفة الكرام ص ٩ - وانظر أيضاً تاريخ الهند لابست بالانجليزية ج ١ ص ٤٢٥.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٢.

ولا ابن مرة إذ أودى الزمان به ... كم فلل الدهر من ناب وأظفار[1]

ولاية عباد بن زياد (٥٧ - ٥٩ هـ):

بعد مقتل سنان كلف عباد بن زياد وهو احد قواد العرب الكبار وابن حاكم خراسان، وذلك في سنة ٥٧ هـ تقريباً أن يتوجه بجيشه من خراسان نحو مكران ثغر السند، فسار من طريق سيستان حتى وصل كش (كچه) وقطع الصحراء متجهاً نحو القندهار فحارب أهلها وهزمهم وفتح المدينة بعد أن أصيب عدد كبير من رجال المسلمين، فقال الشاعر المعروف ابن مفرغ الذي كان مع الجيش العربي هناك قصيدة مرثية في الشهداء الذين قتلوا في معركة القندهار وقد جاء فيها:

كم بالجروم وأرض الهند من قدم ... ومن سرابيل قتلى لا هم قبروا

بقندهار ومن تكتب منيته ... بقندهار يرجم دونه الخبر[2]

وكان عباد قد رأى أهل القندهار يلبسون ملابس طويلة فعمل عليها وراجت عند العرب حتى سميت بالعبادية، وقد ظل عباد مدة سنتين في مكران بعد أن نجح في حملاته في هذه المنطقة ثم عاد إلى خراسان[3].

ولاية المنذر بن الجارود العبدي (٥٩ - ٦٣ هـ):

في سنة ٥٩ هـ اختار زياد بن أبي سفيان والي العراق لحكم مكران ثغر السند أبا الأشعث المنذر بن الجارود العبدي، فوصل مكران وزحف منها بجيشه إلى القيقان فأخضع أهلها ثم انتقل إلى البوقان وفتحها وغنم كثيراً، ثم

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٨.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٢ وقد انفرد البلاذري بأخبار ولاية عباد بن زياد.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٢. القندهار: ربما هي مدينة قندابيل الواقعة في منطقة البودهية (انظر ملحق داود بوته لكتاب ججنامه ص ٢٥).

عاد إلى القيقان، فأقام فيها معسكراً عربياً منظماً كبيراً، لمواجهة أهل القيقان المشاغبين، وبعد ذلك قام أهل قصدار ضد العرب فتوجه إليهم وفتح قصدار من جديد، وبذلك أضاف المنذر إلى المناطق المفتوحة بمكران مدناً جديدة مثل البوقان وقصدار، وبقي يحكم مكران لمدة من الزمن[1] حتى توفي سنة ٦٢ هـ وقال الشاعر يرثيه:

حل بقصدار فأضحى بها ... في القبر لم يقفل من القافلين
لله قصدار وأعنابها ... أي فتى دنيا أجنت ودين[2]

ولاية الحكم بن المنذر بن الجارود العبدي (٦٣ - ٦٤ هـ):

وبعد أشهر من وفاة المنذر تعين ابنه الحكم بن المنذر بن الجارود العبدي حاكماً على اقليم مكران ببلاد السند، وكان شاباً شجاعاً، أقام والي العراق عبيد الله بن زياد حفلاً لتكريمه بمناسبة توديعه للسفر إلى بلاد السند، وخلع عليه خلعة الإمارة وأنشد الشعراء القصائد الغراء في مدحه من بينهم الشاعر (عبد الله الأعور الحواري) قال في قصيدته:

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... أنت الجواد والجواد محمود
سرادق المجد عليك محدود ... بنت في الجود من أصل الجود[3]

ولكن التاريخ لا يذكر شيئاً عن أعماله في مكران، إلا أنه لظروف خاصة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣ - ورد في جچنامه ص ٨٢ بأن المنذر بن الجارود تولى حكم مكران سنة ٦١ هـ لكنه مات عند حدود (بورالي) بطوران في الطريق قبل أن يصل إلى مكران، ولكن المؤرخ الانجليزي اليت يؤيد رأي البلاذري بانه وصل إلى مكران وقام بفتوحات جديدة (تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ٤٢٥). البوقان: مدينة من المدن الداخلية في اقليم مكران، قصدار: من مدن مكران.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣.

(٣) جچنامه بالفارسية ص ٨٤ و٨٥ وقد انفرد بهذه البيانات عن ولاية الحكم بن المنذر.

استدعي إلى دار الخلافة بعد مضي ستة أشهر من توليه الحكم في مكران[1].

ولاية حري بن حري الباهلي (٦٤ - ٦٨ هـ):

تولى حري بن حري الباهلي حكم مكران، بأمر والي العراق عبيد الله بن زياد في سنة ٦٤ هـ فوصل مكران وفتح بعض المناطق المجاورة لها، كما أخضع أهل مدينة قصدار من جديد بعد قتال عنيف وحصل منهم على غنائم كثيرة في أثناء الحرب[2]. ويبدو أنه قضى على الفتن في مدينة البوقان أيضاً حيث يدل على ذلك قول الشاعر الذي كان في جيشه وهو يقول:

لولا طعاني بالبوقان ما رجعت معه سرايا ابن حري بأسلاب[3]

ويذكر البلاذري أهل البوقان اليوم مسلمون[4] أي في القرن الثالث الهجري ولا توجد أخبار أخرى عن حري بن حري الباهلي، وبقي في مكران عدة سنوات وربما حتى سنة ٦٨ هـ ثم مات بها ونقل إلى العراق، وتولى حكم مكران نائبه هناك.

عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٧٥ هـ):

تولى الخلافة عبد الملك بن مروان الأموي في سنة ٦٥ هـ وانشغل لمدة عشر سنوات بالفتن الداخلية، وأهمل لذلك أمر مكران ببلاد السند، حتى تولى حكم العراق والولايات الشرقية الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٧٥ هـ

---

(١) تاريخ السند لأبي ظفر ندوي بالأدرية ص ٣٨ وكذلك ججنامه بالفارسية ص ٨٥.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣ ـ وكذلك انظر الغزو العربي للهند لماجدار الهندي ص ١٢ بالانجليزية.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٢ ص ٥٣٣.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣ وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بجوار البوقان مدينة أخرى سماها (البيضاء) حين كان والياً على بلاد السند (٢٢١ ـ ٢٢٦ هـ) في خلافة المعتصم بالله وشيد فيها مسجداً جامعاً ودخل سكانها البوذيون في الإسلام في القرن الثالث الهجري (الكامل لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢٠).

وكانت أمور بلاد السند أيضاً مفوضة إليه، وكان الحجاج رجلاً شديداً وسياسياً داهية، استطاع أن يصلح الكثير من الأمور المتعلقة بالخلافة الأموية.

ولاية سعيد بن أسلم الكلابي (٧٥ - ٨٠ هـ):

لما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي حكم العراق والولايات الشرقية، عين على مكران ثغر السند سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي الذي وصل إلى مكران وتولى الحكم[١] وقام بتنظيم الأمور الإدارية والمالية، وعين موظفين جدد لذلك ولا سيما محصل الخراج واستطاع أن يحصل من الخراج أموالاً كثيرة بالسياسة والحكمة لا الشدة[٢] وكان في بلاد السند جماعة من العرب المتمردين كانوا قد هربوا إلى هذه البلاد أيام الفتن السياسية السابقة ودخلوا تحت حماية داهر ملك بلاد السند، وكانوا معروفين بالعلافيين وعليهم قائدان منهم وهما معاوية العلافي ومحمد العلافي، وكان الحجاج قد أمر سعيداً بأن يحاربهم إلا أنهم أسرعوا بالخروج عليه وقتلوه بل استولوا على الحكم في مكران أيضاً في سنة ٨٠ هـ تقريباً[٣] وفي ذلك يقول الشاعر المعروف (الفرزدق) وهو يرثي سعيداً والي مكران:

سقى الله قبراً من سعيد فأصبحت ... نـواحيه أكفـان عليك ثيـابها
لقد ضمنت أرض بمكران سيداً ... كـريماً إذا الأنـواء خفّ سحابها

---

(١) ججنامه بالفارسية ٨٥ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٢ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٤٢ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ٢٣ و ٢٦ - وكذلك يذكره اليت الانجليزي في تاريخ الهند ج ١ ص ٤٢٧. ولكن ماجمدار الهندي في كتابه الغزو العربي للهند لا يذكر شيئاً عن ولاية سعيد وفتنة العلافيين في مكران.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٨٥.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٤٣ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ٢٣ و ٣٦ - وكذلك انظر اليت الانجليزي في كتابه تاريخ الهند جـ ١ ص ٤٢٧.

إذا ذكرت عيني سعيداً تحدّرت   لها عبرات يستهل انسكابها[1]

عهد العلافيين في مكـران (٨٠ ـ ٨٥ هـ):

بعد مقتل سعيد بن أسلم الكلابي والي مكران، تولى العلافيون حكم مكران ببلاد السند، وظلوا يحكمونه بتأييد من داهر ملك بلاد السند.

ويقول صاحب ججنامه في سبب خروج العلافيين على سعيد بن أسلم، بأن سعيداً كان قد قابل رجلاً من الأزد في مكران يسمى سفهوي بن لام الحمامي وطلب منه أن يعمل معه للقضاء على العلافيين فرفض الرجل ذلك بل أهان سعيداً بقوله أنه عار عليه أن يعمل معه، فغضب سعيد عليه وقتله وأرسل رأسه إلى الحجاج ولما علم بذلك العلافيون واجتمع زعماؤهم معاوية ومحمد العلافيان وكليب بن خلف المغني وعبد الله بن عبد الرحيم العلافي في مكران وبحثوا موضوع سفهوي وقالوا إنه كان من بلدنا من أهل عمان ولماذا يقتله سعيد؟ وقرروا الانتقام فخرجوا على سعيد في الطريق وقتلوه واستولوا على حكم مكران أيضاً[2] ويبدو أن سعيداً قتل في منطقة قنابيل كما تدل على ذلك أبيات الشاعر.

وغضب الحجاج لسماع مقتل سعيد، فأمر أحداً من بني الكلاب حتى قتل سليمان العلافي الذي كان يقيم في العراق وأرسل برأسه إلى أسرة سعيد، وقد أنشد الشاعر (صعصعةبن محربة الكلابي) قصيدة بدار الخلافة في رثاء سعيد وذم العلافيين المتمردين، وقد جاء فيها:

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٨٦.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٨٦ ، يذكر البلاذري أسماء العلافيين هكذا: معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي، واسم العلاف هو ربان بن حلوان بن الحارث بن قضاعة وهو أبو جرم (فتوح البلدان جـ ٣ ص ٥٣٣) وابن خلدون يذكر أسماء العلافيين هكذا: معاوية بن الحرب الكلابي العلافي وأخوه (تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٤٢).

أعــاذل كيف لي بهمــوم نفسي	بــذكــري تــابعــاً فيهــا سعيــدا
واخــوانــاً لــه سلفــوا جميعــاً	غــطــارفــة من الأدنـين صيــدا
إذا مــا الدهــر حل فلم يكــونــوا	بمــا قــد حــل من أمــر شهــودا
بقنــدابيــل حيــث تــرى المنــايــا	وقــد لاقت بهــم كــرمــاً وجــودا
ولا نشمت بنــا شــوقــاً ستلقى	من الآجــال مــطرقــة حــديــدا[1]

وبذلك ظل العلافيون يحكمون اقليم مكران ببلاد السند وما حولها من المناطق التي فتحها العرب عدة سنوات، والحجاج يغلي غضباً عليهم وعلى ملك بلاد السند الذي كان يساندهم، ولذلك أعد الحجاج جيشاً قوياً ليقضي على هؤلاء المتمردين وأن يعيد مكران إلى حكم دار الخلافة وتم له ما أراد.

ولاية مجاعة بن سعر التميمي (٨٥ ـ ٨٦ هـ):

ولى الحجاج بن يوسف الثقفي على اقليم مكران ثغر السند أحد القواد العرب وهو مجاعة بن سعر التميمي وجهزه بجيش قوي وأمره بالمسير نحو مكران والقضاء على العلافيين المتمردين، وقبل أن يصل مجاعة إلى مكران، كان العلافيون قد تركوها هاربين إلى داخل بلاد السند وقد لجأوا عند حاميهم داهر ملك بلاد السند، وذلك سنة ٨٥ هـ تقريباً[2] ودخل مجاعة مكران ونظم أمورها الإدارية والمالية، ثم توجه إلى نواحي مكران ففتح قندابيل وغيرها من جديد[3] ولكنه توفي بعد مضي عام في مكران وذلك سنة ٨٦ هـ، وقال الشاعر في رثائه:

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٨٦.
(٢) المرجع السابق ٨٨.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ٤ ص ١٣ و٢١ وكذلك انظر تاريخ الهند لاليت ج ١ ص ٤٢٨ بالإنجليزية.

ما من مشاهدك التي شاهدتها إلا يزينك ذكرها مجاعا[1]

وهكذا استطاع مجاعة بن سعر التميمي أن يقضي على فتنة العلافيين المتمردين ضد الدولة الأموية وضد الحكم العربي في مكران وأن يطردهم إلى داخل بلاد السند، وأن يعيد حكم مكران إلى الولاة الأمويين.

خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (٨٦ ـ ٩٦ هـ):

تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٦ هـ، وبتوليه الخلافة عادت أيام الفتوحات الإسلامية، وظهر في عهده قواد عظام فتحوا بلاداً عظيمة كبلاد تركستان وبلاد الأندلس وبلاد السند وغيرها، وبذلك اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، وبفضل هذه الفتوحات انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ولاية محمد بن هارون النمري (٨٦ ـ ٩٢ هـ):

عين الحجاج بن يوسف على مكران ثغر السند محمد بن هارون بن ذراع النمري والياً في سنة ٨٦ هـ [2] وأمره أن ينشىء ديواناً منظماً للخراج، وأن يقبض على العلافيين المتمردين ضد الدولة الأموية في نواحي مكران، ووصل محمد بن هارون إلى مكران واستطاع أن يقبض على أحد زعماء العلافيين

---

(١)ججنامه بالفارسية ص ٨٨ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤ ـ وقد قرر صاحب ججنامه سنة تولية مجاعة هي سنة ٨٥ هـ كما جعل سنة وفاته ٨٦ هـ، ولكن صاحب تاريخ السند أبو ظفر ندوي (ص ٤٠) يجعل سنة وفاته ٧٦ هـ وهذا بلا شك خطأ، وكذلك توجد عنده تواريخ أخرى غير صحيحة أو تواريخ تختلف عن التواريخ المذكورة في المصادر الموثوقة بها.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٨٨ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ ـ وكذلك تحفة الكرام ص ٧ و ٩ وأيضاً تاريخ الهند لاليت الانجليزي ج ١ ص ٤٢٨ ولكن صاحب تاريخ فرشته يذكر أن محمد بن هارون تولى حكم مكران سنة ٨٧ هـ.

وارسل رأسه إلى الحجاج، وذلك بعد فتح بعض المناطق المحيطة بمكران[1].

وفي السنين الأخيرة من حكم محمد بن هارون في مكران حوالي سنة ٩٠ هـ وقعت حادثة كان لها أثر كبير على السياسة وعزم الحجاج على فتح بلاد السند، فقد اهدى ملك سرنديب (سيلان) إلى الحجاج والخليفة تحفاً نادرة وهدايا ثمينة من الدرر والجواهر وكثيراً من الغلمان والجواري، وحمل كل ذلك على ثماني عشرة سفينة كبيرة، ووجهها نحو العراق[2] وبعض هذه السفن كانت سفناً تجارية عربية، وبعضها تحمل النساء المسلمات اللاتي ولدن في بلاد سيلان وقد مات آباؤهن وكانوا تجاراً بها وبعضها تحمل الحجاج العرب والنسوة العربيات كانوا يقصدون مشاهدة دار الخلافة وزيارة بيت الله الحرام[3] فقد أراد الملك السيلاني أن يتقرب بذلك إلى الحجاج والخليفة ويعبر عن تقديره للمسلمين، وبينما كانت السفن تسير في طريقها إلى العراق مارة بالقرب من ميناء الديبل ببلاد السند، خرجت جماعة من اللصوص يقال لهم «تكامرة» من سكان الديبل واستولوا على السفن ونهبوا الأموال وأخذوا النسوة المسلمات والجواري والتجار العرب معهم إلى داخل مدينة الديبل[4] واستطاع بعض التجار من الهرب إلى الحجاج الذي سمع القصة منهم فتضايق وغضب حين علم بوقوع النسوة المسلمات في أيدي هؤلاء اللصوص القراصنة السند، وكان الحجاج متضايقاً منذ سنين عديدة من تصرفات هؤلاء القراصنة وهجومهم على السفن التجارية العربية بين حين وآخر، ومن حماية ملك بلاد السند للعلافيين العرب المتمردين ضد الدولة الأموية، وهذه الحادثة أشعلت نار الغضب في نفس الحجاج إلا أنه قرر أن يسلك طريقة دبلوماسية لانقاذ

---

(١) جحنامه بالفارسية ص ٨٨ ـ وكذلك انظر تاريخ الهند لاليت الانجليزي ج ١ ص ٤٢٩.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤ ـ جحنامه بالفارسية ص ٨٩ ـ وسميت سرنديب (سيلان) باسم (جزيرة الياقوت) لحسن وجوه النسوة فيها.

(٣) جحنامه بالفارسية ٨٩.

(٤) جحنامه بالفارسية ٨٩ ـ وكذلك انظر تاريخ الهند لاليت الانجليزي ج ١ ص ٤٢٩.

تلك النسوة، فإن لم تنفع فعليه تدبير الأمر بالقوة، وأرسل الحجاج مبعوثاً مع رسالة إلى واليه محمد بن هارون في مكران وأمره أن يبعث المبعوث المذكور إلى داهر ملك السند، وسلم المبعوث العربي رسالة الحجاج إلى الملك داهر بشأن الافراج عن السيدات المسلمات والتجار العرب واعادة السفن، ولكن الملك السندي أجابه برد جاف شديد بأن الذين استولوا على تلك السفن جماعة من القراصنة اللصوص ولا يستطيع القبض عليهم[1] وكان الملك قادراً على اعادة النسوة والتجار، وقد ثبت بعد سنتين من الحادثة أن تلك النسوة والتجار العرب كانوا في سجن الديبل وأن بعض النسوة كن في العاصمة السندية نفسها، كما سنعرف ذلك من الأحداث التاريخية التالية. مما يدل على تشجيع الملك للقراصنة واشتراكه في العملية ضد العرب، وكذلك تشجيعه بتقديم المساعدات إلى العرب المتمردين كالعلافيين للعمل ضد الحكم العربي في اقليم مكران من بلاد السند.

وعلى أي حال، اشتد غضب الحجاج ونفذ صبره وزاد غيظاً حين سمع رد الملك السندي، ذلك الرد السلبي الذي لا يقبله المنطق. فكيف لملك قوي مثله لا يستطيع القبض على أولئك القراصنة، إن صح ذلك بأنهم كانوا قراصنة وليسوا من التابعين له، وأين يختفي هذا العدد الكبير من النسوة المسلمات والجواري والتجار وتلك الأموال والبضائع الكثيرة في مدينة صغيرة كمدينة الديبل ؟ ولذلك أصبح من حق الحجاج أن يتأكد من سوء نية الملك داهر نحو العرب، وأن يفكر في كيفية انقاذ تلك النسوة المسلمات ولو بارسال جيش إلى الديبل.

حملة القائد عبيد الله بن نبهان السلمي سنة ٩٠ هـ:

جهز الحجاج جيشاً عربياً بقيادة عبيد الله بن نبهان السلمي ووجهه عن

(١) ججنامه بالفارسية ص ٨٩ و٩٠.

طريق عمان بحراً نحو مدينة الديبل السندية حيث بها النساء المسلمات والتجار العرب في السجن الحكومي في قلعة الديبل، ولكن الحملة فشلت وانهزم الجيش العربي لأن الملك داهر كان يقف مستعداً للقضاء عليه واستشهد قائد الحملة أيضاً مع عدد كبير من الجند العرب[1].

حملة القائد بديل بن طهفة البجلي سنة ٩١ هـ:

لم يسكت الحجاج ولم ييأس ولم يستسلم لتلك الهزيمة المنكرة التي لحقت بالجيش العربي في مدينة الديبل، فقد جهز جيشاً آخر بقيادة القائد بديل بن طهفة البجلي في سنة ٩١ هـ وأمره بالسير إلى الديبل لانقاذ النسوة المسلمات واعادتهن إلى العراق، وسار الجيش براً إلى عمان ثم ايران ومنها إلى اقليم مكران، وكان جيش بديل جيشاً صغيراً مكوناً من ثلاثمائة فارس محارب، على أن الحجاج كان قد أمر والي مكران محمد بن هارون أن يمده بثلاثة آلاف جندي من المشاة والفرسان، وحين وصل بديل إلى مكران أمده محمد بن هارون بالجند المطلوب[2] وعلم بذلك الملك داهر وجهز جيشاً كبيراً بقيادة ابنه الأمير جيسيه قوامه أربعة آلاف مقاتل وعشرات الفيلة المحاربة وأنواع الأسلحة، ولما وصل بديل إلى مدينة الديبل دارت معركة عنيفة دامية بين العرب والسند، واستمرت من الصباح حتى المساء، وكان فرس بديل يهيج من هيبة الفيلة فربط عينيه وقاتل بشجاعة نادرة واستطاع بمفرده أن يقتل نحو ثمانين شخصاً من العدو في الميدان حتى استشهد في نهاية المعركة وانهزم الجيش العربي ووقع بقية أفراده في الأسر[3] حيث أدخلهم الملك السندي في

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤ - ججنامه بالفارسية ص ٩١ - كذلك انظر تاريخ الهند لاليت الانجليزي ص ٤٣١ ولكن صاحب ججنامه لا يذكر شيئاً عن مقتل قائد الحملة ولا نتيجة المعركة.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ٩١ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ٩٢ - تحفة الكرام ص ١٠ - وتاريخ الهند لاليت الانجليزي ج ١ ص ٤٣١.

سجن الديبل، بجانب النسوة المسلمات والتجار العرب وبقية جنود الشهيد عبيد الله بن نبهان قائد الحملة السابقة.

ووصل خبر شهادة بديل القائد الشاب فاحترق قلب الحجاج حزناً عليه، فقد كان يعزه كثيراً ويقدر بطولاته، وهنا أقسم الحجاج على أن يغزو بلاد السند ويفتحها لينشر في ربوعها الإسلام، بعد ان يأخذ بثاره من ذلك الملك المعاند، وكتب الحجاج تقريراً مفصلاً إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بالأحداث المؤلمة، واستأذنه في ارسال جيش كبير لتخليص تلك النسوة وتأديب الملك السندي، بل ليفتح بلاد السند، ولكن الخليفة لم يوافقه في أول الأمر على أن تلك البلاد واسعة وبعيدة عن دار الخلافة وصعبة جغرافياً وأن فتحها يكلف الدولة نفقات كبيرة وأرواحاً كثيرة، فكتب إليه الحجاج للمرة الثانية مبيناً له خططه العسكرية وضامناً النصر للعرب ومتعهداً بأن يرجع إلى خزانة الدولة ضعف ما ينفقه على فتح بلاد السند، وعندئذ وافقه الخليفة على ذلك ولتلك الأسباب السياسية وغير السياسية[1].

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ ججنامه بالفارسية ص ٩٢.

الفصل الخامس

فتوحات محمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند والبنجاب
(٩٢ - ٩٦ هـ)

تحرك جيش الفتح العربي:

في سنة ٩٢ هـ[1] عين الحجاج بن يوسف الثقفي صهره وابن أخيه محمد ابن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي قائداً أعلى على الجيش العربي لفتح بلاد السند، وكان محمد بن القاسم فارساً شجاعاً رغم صغر سنه، فقد كان يبلغ من العمر ١٧ عاماً فقط عندما تولى هذه المهمة

---

(١) اختلف المؤرخون في سنة الحملة، فقرر صاحب ججنامه والمعصومي وصاحب تاريخ السند وصاحب تحفة الكرام، أن محمد بن القاسم وصل إلى مكران في أواخر سنة ٩٢ هـ وقد قبل هذا التاريخ ماجدار الهندي واليت الانجليزي والجغرافي الانجليزي ايت وغيرهم وكلهم متفقون أيضاً على مقتل داهر ملك بلاد السند في سنة ٩٣ هـ، ولكن البلاذري لا يذكر السنوات بالتحديد وإن كان تسلسل بياناته يوافق مع التواريخ الواردة في ججنامه بينما نجد ابن الأثير يذكر السنة التي قتل فيها داهر وهي سنة ٨٩ هـ، ومعنى ذلك أن محمد بن القاسم وصل مكران سنة ٨٨ هـ. وهذا ليس بصحيح وقد تبعه بعض المؤرخين الأجانب، وأما الطبري فيجعل مقتل داهر سنة ٩٠ هـ ثم يذكر في حوادث سنة ٩٤ هـ بأن محمد بن القاسم فتح أرض الهند، ثم يذكر في حوادث سنة ٩٥ هـ بانه فتح آخر الهند مدينة الكيرج فمعنى ذلك انه جعل وصول محمد بن القاسم الى مكران سنة ٨٩ هـ، كما أنه يستخدم اسم الهند بدلاً من اسم السند، وهذا أيضاً غير صحيح. (انظر ججنامه ص ٩٤ - تاريخ معصومي ص ٢١ - الغزو العربي للهند لماجدار ص ١٦ - تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ٤٣٣ وكذلك انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير - فتوح البلدان للبلاذري).

العظيمة[1] وفي ذلك يقول الشاعر حمزة بن بيض الحنفي في قصيدة له:

إن الشجاعة والسماحة والنهى ... لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ... يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال شاعر آخر يمدحه أيضاً:

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ... ولداته إذ ذاك في أشغال[2]

وجهز الحجاج بن يوسف الثقفي جيش الفتوح أحسن تجهيز وأمده بالأسلحة والأموال والمؤن وبكل ما يحتاج إليه من صغيرة وكبيرة حتى الخيوط والأبر والخل، مما يدل على قوة عزمه لفتح هذه البلاد وتأديب ملكها على سلوكه مع العرب، وقد أمر محمد بن القاسم أن يسير بجيشه إلى الشيراز حتى ينضم إليه أصحابه هناك ويوافيه ما أعد له من الجيش والأسلحة والذخائر، ثم تحرك الجيش العربي المكون من ستة آلاف من الفرسان والمشاة من أهل العراق والشام وغيرهم وعلى مقدمتهم من القواد جهم بن زحر الجعفي، وتوجه الجميع نحو الشيراز[3].

وقد ودع أهل العراق جيش الفتوح بكل حفاوة وإعزاز، وبكل تقدير وتشجيع، حكومة وشعباً، وأنشد الحجاج بن يوسف عند توديع الجيش قصيدة مشيراً فيها إلى سبب من أسباب الفتح وهو إنقاذ النسوة المسلمات من سجن الديبل والإنتقام لمقتل القائد العربي بديل، فقال:

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤١ ـ ججنامه ص ٩٩ ـ تاريخ اليعقوبي ص ٤٤٣ ـ تاريخ المعصومي ص ٢١

(2) ججنامه ص ٩٤ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩هـ، عيون الأخبار لابن قتيبة جـ١ ص ٢٣٩ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ ـ ويذكر اليعقوبي اسم الشاعر زياد الأعجم.

(3) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٤ ـ ججنامه ص ٩٧ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠ ـ الكامل لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ.

دعا الحجاج فارسه بديل وقد نال العدو على بديل
وشمر ذيله الحجاج لما دعاه أن يشمره بديل
فدبت المال للغارات حثوا بلا عد يعدّ ولا بكيل[1]

وكان الحجاج بن يوسف يحب محمد بن القاسم الثقفي حباً شديداً ويقدر شجاعته النادرة رغم صغر سنه وينتظر له مستقبلاً عظيماً لخدمة الإسلام، وكذلك كان أصدقاء محمد بن القاسم الثقفي يعزونه لأنه كان يمتاز بخلق كريم، فقد كانوا يعطون عنه الصدقات ليحفظه الله من كل سوء وينصره بنصره العزيز فمن بينهم كان بكر بن وائل وعديل بن نفوح، فقد قال عديل في قصيدة يمدح محمد بن القاسم الثقفي، ويذكر أنه قدم حتى حلي بناته إلى الفقراء صدقة عنه ليرعاه الله برعايته وقد جاء فيها:

سلبت بناتي حليهن فلم أدع سواراً ولا طوقاً وقرطاً مذهبا
وما غرني الأذان حتى كأنما تعطلت البيض الأرانب أرنبا
من الدر والياقوت من كل حرة ترى سمطها فوق الخمار مثقبا
دعون أمير المؤمنين فلم يجب دعاء فلم يسمعن أماً ولا أبا[2]

تحرك الجيش العربي من الشيراز إلى مكران ببلاد السند:

وصل محمد بن القاسم الثقفي إلى الشيراز بجيشه سنة ٩٢ هـ وبقي ستة أشهر هناك، ورتب بقية أمور الجيش، ثم أمر بوضع المناجيق والأسلحة المختلفة والمؤن على السفن الحربية، وعين عليها قائدين هما خريم بن عمرو وابن المغيرة، وأمرهما أن يسبقاه بالتوجه بحراً إلى ميناء الديبل ببلاد السند

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٩٧ ، وقد انفرد بهذه البيانات.
(٢) المرجع السابق ص ١٠٣ والأبيات عنده غير موزونة أحياناً.

لحين وصوله إلى هناك ماراً بإقليم مكران[1].

وتحرك محمد بن القاسم الثقفي مع بقية الجيش عن طريق البر على الجمال نحو اقليم مكران ببلاد السند، وكان عدد الجيش ستة آلاف من الفرسان من أهل العراق والشام بخيولهم وكذلك ستة آلاف من المشاة من أهل ايران والعرب ومعهم ثلاثة آلاف من الجمال واستخدمت ١٥٠٠ جمل للركوب بحيث ركب كل أربعة من الجنود على جمل واحد، واستخدمت بقية الجمال وعددها ١٥٠٠ لحمل الأسلحة والمؤن الغذائية وغيرها، حتى وصل القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي بجيشه الكبير إلى إقليم مكران في أواخر سنة ٩٢ هـ فأقام بها أياماً ليستعد للزحف إلى داخل بلاد السند[2].

سمع داهر ملك بلاد السند بقدوم الجيش العربي إلى مكران، وفكر أن يخرج بنفسه من العاصمة للتوجه إلى مكران لمحاربة محمد بن القاسم الثقفي، ولكن رجال الدولة نصحوه بعدم الاستعجال في محاربته وأنه من السهل القضاء عليه بدون اشتراك الملك في الحرب[3] مثلما قضوا من قبل على حملة عبيد الله بن نبهان وحملة بديل بن طهفة على الديبل وسيقضون على محمد بن القاسم الثقفي أيضاً في نفس مدينة الديبل.

أولاً : فتوحات محمد بن القاسم في غرب نهر السند:

بعد أن نظم محمد بن القاسم الثقفي جيشه في مكران بدأ فتوحاته بالمدن والمناطق الواقعة في غرب نهر السند، وكانت العاصمة تقع في شرق نهر السند.

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ وكذلك انظر تاريخ الهند لاليت ج ١ ص ٤٣٦ بالانجليزية وذكر صاحب ججنامه بأن الجيش العربي سار من الشيراز إلى مكران، وذكر البلاذري بأنه تحرك من الري بينما ذكر المعصومي اسم (كرمان) بدل اسم الشيراز.

(2) ججنامه بالفارسية ص ٩٩ وقد انفرد بهذه البيانات.

(3) تاريخ معصومي بالفارسية ص ٢١ ـ ولم تذكر المصادر الأخرى عزم الملك داهر على الحرب.

فتـح قنزبور وأرمابيـل :

تحرك محمد بن القاسم الثقفي من مكران بجيشه، وقد انضم محمد بن هارون النمري والي مكران من قبل الحجاج مع جيشه المكون من أربعة آلاف جندي، وقام بالحملة على قنزبور[1] وحارب أهلها أياماً حتى فتحها[2] ثم توجه إلى مدينة أرمابيل[3] وفتحها أيضاً بعد قتال استمر أياماً، وكان محمد بن هارون والي مكران مريضاً فتوفي في أرمابيل ودفن سنة ٩٢ هـ بعد أن حكم سبع سنوات.[4]

فتـح الديبـل :

ثم قرر محمد بن القاسم أن يزحف نحو الديبل، وقد حان الوقت أن ينتقم للنسوة المسلمات وللكرامة العربية، فقسم الجيش بحيث جعل على المقدمة صاحب بن عبد الرحمن وعلى المؤخرة جهم بن زحر الجعفي وعلى الميمنة عطية بن سعد العوني وعلى الميسرة موسى بن سلمة الهذلي، كما جعل بعض القواد الكبار معه في القلب، وهكذا زحف الجيش حتى وصل إلى الديبل دون أن يتعرض له أهل البلاد في الطريق[5].

في يوم الجمعة من شهر محرم سنة ٩٣ هـ كان البطل الشاب محمد بن القاسم الثقفي في مدينة الديبل، كما وصلت السفن المحملة بالأسلحة والمؤن

---

(١) قنزبور: كانت عاصمة لاقليم مكران أيام الفتح العربي لبلاد السند.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٥ ـ تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٢٢٧ ـ وأما جحنامه لا يذكر شيئاً عن فتح قنزبور.
(٣) أرمابيل: كانت مدينة تقع بالقرب من الشاطيء البحري في حوالي منتصف الطريق بين ثغر الميناء البحري لاقليم مكران وبين الديبل.
(٤) جحنامه بالفارسية ص ٩٩ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٥ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ ويقول البلاذري بأن محمد بن هارون قد مات في مدينة قنبل المجاورة لمدينة أرمابيل.
(٥) جحنامه بالفارسية ص ١٠١ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٥.

والرجال أيضاً من الشيراز إلى ميناء الديبل في نفس الوقت المناسب المحدد[1] ووصلت رسالة الحجاج إلى محمد بن القاسم يقول فيها مشجعاً له بأنه قد عين رجالاً بارزين من العرب مساعدين له وهم أصحاب الخبرات والتجارب في ميدان القتال والجهاد ليقفوا بجواره ويساعدوه في مهمته وأهمهم عبد الرحمن بن مسلم الكلبي وسفيان بن الأبرد وقطن بن برد الكلابي وجراح بن عبد الله ومجاشع بن نوبه الأزدي وأفضلهم خريم بن عمرو الذي اشتهر بالشجاعة النادرة والخصال الحميدة وكلهم كانوا من ندماء الحجاج ومساعدين له والمقربين إليه[2] .

وحفرت الخنادق وركزت الرماح عليها ونشرت الأعلام، ووزعت الدوريات من الجند للمراقبة والاستكشاف وجهزت المناجيق التي كان بينها منجنيق كبير يعرف باسم (العروس) كان يستخدمه خمسمائة رجل، وبذلك استعد الجيش العربي للحملة[3] فأراد محمد بن القاسم الثقفي أن يفتح حصن الديبل أولاً، ولما بدأ بالهجوم عليه خرج رجل برهمي من الحصن يطلب الأمان، فأعطاه محمد بن القاسم الثقفي الأمان، فأخبره الرجل أنه ورد في كتب التنجيم عندهم أن بلاد السند تفتتح على أيدي جنود الإسلام، ولكن طالما كان العلم المنشور فوق المعبد موجوداً وهو طلسم وسحر في اعتقاد أهل بلاد السند فإنه لا يمكن للعرب فتح هذه المدينة، لذلك لا بد من إسقاط ذلك العلم حتى يدخل الرعب في قلوب أهل المدينة ويؤمنوا بالهزيمة ويحصل

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٠٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ في أحداث سنة ٨٩ هـ ولكن البلاذري لا يذكر السنة.

(2) ججنامه بالفارسية ص ١٠٢ .

(3) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٠٣ و ١٠٤ بالتفصيل ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ في أحداث سنة ٨٩ هـ، وقد حدد اليت الانجليزي عدد المناجيق بخمسة ولعله اعتمد على البيانات التاريخية الواردة في فتح بلاد فارس وغيرها، ولكن يفهم من ججنامه أن عدد المناجيق عند العرب في حربهم المصيرية مع داهر ملك بلاد السند كان ثلاثة فقط (انظر ججنامه ص ١٧٤) .

النصر للعرب، وكان هذا المعبد معبداً بوذياً كبيراً ويبلغ ارتفاعه نحو أربعين متراً، وكانت عليه قبة وعليها علم أخضر يتدلى أطرافها على الجهات الأربع[1] فلما سمع محمد بن القاسم ذلك الخبر من الرجل، قرر أن يستفيد من اعتقاد أهل تلك المدينة من الناحية النفسية فأمر قائد المنجنيق جعوبة المسلمي بضرب الراية، ووعده بعشرة آلاف درهم جائزة له إذا أصاب الهدف، واشترط جعوبة أن يقطع من طول المنجنيق بقدر مترين، فقال محمد بن القاسم إذا لم تنجح فقد ضاعت أهمية آلة المنجنيق، فقال جعوبة إذا لم أسقط العلم ولم أكسر قبة المعبد فلتقطع يدي، وعندئذ وافق محمد بن القاسم على قطع المنجنيق بعد حصوله على الإذن من الحجاج، ثم صوب الرامي منجنيقه فانطلقت القذيفة الحجرية الأولى وأسقطت العلم ثم أطلق قذيفته الثانية فكسر بها قبة المعبد بإتقان ومهارة دون أن يصيب مبنى المعبد بضرر، وبذلك دخل الرعب في قلوب سكان المدينة وهاجوا مستعدين للقتال، فتوجه عدد من الجند نحو المعبد وقتلوا اثنين من حراسه ودخلوه وأخرجوا منه ٧٠٠ جارية كن يعملن في خدمة الصنم ويقمن بالرقص التقليدي المذهبي[2] وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي يهاجم فيها العرب معبداً في بلاد السند.

وبعد ذلك اهتم محمد بن القاسم بفتح الحصن، فقسم الجيش في جوانب الحصن، بحيث جعل جهم بن زحر الجعفي مع فرقته في الشرق، وعطار بن مالك العشي مع فرقته في الغرب، وبنانة بن حنظلة الكلابي مع فرقته في الشمال، وعون بن كليب الدمشقي مع فرقته في الجنوب، بينما وقف هو نفسه بعيداً عن الحصن ومعه من القواد ذكوان بن علوان البكري وخريم بن عمرو

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٠٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ في أحداث سنة ٨٩ هـ. والبلاذري وابن الأثير يذكران لون العلم بأنه كان أحمر.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٠٥ ـ ١٠٨.

وابن المغيرة مع ألف فارس، ثم دقت الطبول وصدر أمر القائد بالهجوم الشامل على الحصن من كل جانب في وقت واحد، ووضعت السلالم وكان أول من صعد الحصن هو صعدي بن خزيمة الكوفي ومعه عجل بن عبد الملك بن قيس البصري، وبعد صعود العرب فوق الحصن فتحوا بابه وأمر محمد بن القاسم بقتل جميع من في هذا الحصن لكونهم مسلحين ورافضين التسليم[1] ولأن الحجاج كان قد أمره بذلك (بصفة خاصة استثنائية) أي بالنسبة لجنود هذا الحصن بالذات حيث سجن فيه التجار العرب ولا سيما النسوة المسلمات وفيه استشهد القائد بديل وغيره من قواد العرب، فكان هذا العمل القاسي بمثابة إنتقام لهؤلاء من جهة وتأديب لأهل الديبل وتحذير لحكامهم الذين بسلوكهم غير الطيب أجبروا العرب على الإقدام لمثل هذا العمل من جهة أخرى، ولكن الحجاج في نفس الوقت قد أمر محمد بن القاسم أن يعطي الأمان لكل من أراده في المدن الأخرى ولا يقتل أحداً إلا إذا كان مسلحاً يرفض التسليم، وفي أثناء فتح الحصن استطاع حاكم الديبل الأمير جاهين بن برساند راوت أن يقفز من فوق الحصن بالليل ويهرب عند داهر ملك بلاد السند[2].

الافراج عن النساء والتجار والجنود العرب من سجن الديبل:

ثم حضر رجل برهمي المذهب يسمى **سودين** الذي كان محمد بن القاسم الثقفي قد أعطاه الأمان، وأرشده إلى مكان السجن الذي فيه النسوة المسلمات

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ١٠٦ و١٠٧ بتفصيل. فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ باختصار - تاريخ اليعقوبي ص ٢٧٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ١١١ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠ - وكذلك انظر ماجمدار في الغزو العربي للهند بالانجليزية ص ١٦ ويعتبر ماجمدار قتل العرب لأهل الحصن وحشية ولكنه لا يعتبر اعتداء قراصنة السند على نساء المسلمين وسجنهن وكذلك نهبهم للاموال وقتل جنود العرب لمدة سنتين وحماية الملك داهر للقرصنة وحشية وهمجية..!

(2) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٥ - ججنامه بالفارسية ص ١٠٨ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤، ص ١١١.

والتجار والجنود العرب بعد حادثة السفن فأفرج عنهم وتركهم مدة في الحصر للراحة[1] وقيل إنه أرسلهم جميعاً إلى الحجاز ودار الخلافة[2].

وإن وجود النسوة المسلمات والتجار العرب والجنود المقيدين في السجن الحكومي لدليل قاطع على أن ملك بلاد السند كان يعلم ذلك بل هو الذي أمر بذلك، وقد كذب على الحجاج حين قال إنه لا يستطيع القبض على القراصنة ولا إعادة النسوة والأموال والسفن إلى العرب، ثم لما علم العرب بوجود تلك النسوة والتجار الأبرياء في سجن الديبل وقاموا بحملتين عسكريتين على الديبل، رفض داهر ملك بلاد السند أيضاً تسليم النسوة والتجار إلى العرب، وكان بعض حكام بلاد السند خائفين من عاقبة العناد والظلم والكبرياء من جانب داهر مع العرب، ولذلك نرى والي النيرون يبعث بوفد سري إلى الحجاج ويعلن الطاعة له قبل سنة كاملة من إرسال الحملة الكبيرة إلى بلاد السند بقيادة محمد بن القاسم.

إسلام سجان الديبل لدى محمد بن القاسم:

كان بين الأسرى المحكوم عليهم بالقتل من الرجال المسلحين في حصن الديبل، رجل برهمي يسمى (قبلة بن مهترائج) وكان مشرفاً على سجن الديبل، ولما أراد محمد بن القاسم قتله تنفيذاً لأمر الحجاج تشفع بالمسجونات والمسجونين العرب الذين عاملهم معاملة طيبة إيماناً منه بأن العرب سيفتحون الديبل وينقذونهم، فسأل محمد بن القاسم من المسجونين عنه فشكروا فيه نعفا عنه، وعندئذ أعلن السجان إسلامه فأكرمه محمد بن القاسم وفوض إليه الإشراف على الأمور المالية في الديبل[3] وهكذا كان العرب يحسنون إلى من

---

(1) جحنامه بالفارسية ص ١٠٨ و١٠٩.

(2) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢١.

(3) جحنامه بالفارسية ص ١٠٨ و١٠٩ - تاريخ السند بالأردية لأبي ظفر ندوي ص ٦١.

احسن إليهم او يعلن الإسلام ويدخل في حمايته، وكان هذا الديلي هو أول من دخل الإسلام أيام الفتح وعلى يد محمد بن القاسم نفسه.

إسكان العرب في الديبل وبناء مسجد لهم:

بعد ذلك قام محمد بن القاسم بتقسيم الغنائم والأموال على الجنود والمستحقين وأرسل بالأخماس إلى دار الخلافة، واختار موضعاً في الديبل وأسكن فيه أربعة آلاف من العرب وبنى لهم مسجداً جامعاً، وعين حميد بن وداع النجدي حاكماً على الديبل[1] وهكذا فتح محمد بن القاسم مدينة الديبل التي كانت مدينة تجارية مشهورة وميناء هاماً لبلاد السند[2] وانتهى من فتح الديبل وحصنها العظيم وتنظيم الأمور فيها في شهر رجب سنة ٩٣ هـ[3] ثم بدأ محمد بن القاسم يستعد لفتح مدينة النيرون[4].

فتح النيرون:

قطع محمد بن القاسم الطريق من الديبل إلى النيرون في ستة أيام وكانت المسافة بينهما ٢٥ فرسخاً ونزل في موضع من ضواحي النيرون ولم يكن نهر السند يمر به، فضاق الجنود من العطش حتى أمطرت السماء وامتلأت الخزانات بالمياه وشرب جنود الإسلام وحمدوا الله، وكان محمد بن القاسم قد أرسل بعض المناجيق والأسلحة والمؤن والجنود على المراكب الكبيرة في نهر ساكره إلى مدينة النيرون، بينما سار هو عن طريق البر مع بقية الجند والسلاح وكان بمعيته من القواد على المشاة مثل أبو الليث التميمي ومن قواد المناجيق مثل

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٥ ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص ١١١ ـ ابن خلدون جـ٤ ص ٦٠ ـ جچنامه ص ١١٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ص ٢٨٩ ـ جچنامه بالفارسية ص ١١٢.

(٣) تاريخ الهند لاليت الانجليزي ج ١ ص ٤٣٦.

(٤) النيرون: تقع الآن مدينة حيدر آباد الحالية في موضع مدينة النيرون القديمة.

جعوبة بن عقبة السلمي[1].

كان أهل النيرون متحصنين داخل المدينة في حين كان واليهم البوذي غائباً، وكان محمد بن القاسم متضايقاً من قلة المواد الغذائية اللازمة للجند وطال حصار المدينة لمدة أيام حتى عاد الوالي من العاصمة فأرسل رسوله إلى محمد بن القاسم مع الغلة ورسالة خاصة بخط الحجاج وأخبره أنه وأهل المدينة قد صاروا من أتباع العرب وذلك حسب الاتفاق السري الذي تم بينه وبين الحجاج قبل قدوم محمد بن القاسم إلى بلاد السند وفتح الوالي باب المدينة للعرب.

ثم حضر بهندركن والي مدينة النيرون البوذي عند محمد بن القاسم بالهدايا الثمينة والتحف النادرة وألبسه خلع التشريف ورحب به محمد بن القاسم وأكرمه ثم فكر في تدبير أمور المدينة معه وعين عليها والياً عربياً وبنى بها مسجداً للمسلمين على حين إتخذ من بهندركن مستشاراً سياسياً لنفسه[2].

فتح اقليم سيوستان :

بعد ذلك تحرك محمد بن القاسم من النيرون نحو سيوستان[3] ومعه والي النيرون البوذي، وقطعا نحو ثلاثين فرسخاً حتى وصلا إلى موضع يقال له موج[4] بسيوستان وكان للوالي النيروبي أتباع بوذيون هناك، وأما حاكم

---

(١) حجنامه بالفارسية ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق ص ١١٧.

(٣) سيوستان : يرى كانجهام أنها مدينة سيهوان التي تقع على صخرة شاهقة منعزلة بالقرب من بحيرة كبيرة على تلال الاكهي.

(٤) موج (ماوج) ويطلق عليها اسم قلعة سبوستان أيضاً وهي تقع على بعد ٣٠ فرسخاً من النيرون (حجنامه ص٩٣ و٩٥) وواضح أن موج كانت ضاحية لمدينة سيوستان أي سيهوان القديمة، كما يرى ذلك ماجدار الهندي ص ١٧ ويقرأها اليت الانجليزي باسم (بدج) أيضاً ج ١ ص ١٥٨.

سيوستان فكان برهمي المذهب وهو الأمير بجهرا بن جندر وابن عم الملك داهر فاجتمع البوذيون به وأخبروه بأنهم من النساك المسالمين ويؤمنون بما جاء في رسالة الحجاج إليهم قوله: كل من طلب الأمان له الأمان، وإذا وافق الحاكم فإنهم مستعدون ليكونوا واسطة الخير والصلح بينه وبين العرب الذين لا يخونون العهد ويعطونه الأمان بل ويكرمونه ولكن الحاكم لم يقبل ذلك[1].

وفي الوقت الذي وصل الجيش العربي إلى باب المدينة، كان نهر برسكال بسيوستان قد فاض من جهة ونهر السند قد اشتد من جهة أخرى، وصوبت المناجيق نحو المدينة لمدة أسبوع ليلاً ونهاراً حتى شعر السكان بالضيق والخوف وتوقفوا عن القتال، وعلم الأمير بجهرا أن السكان يئسوا من المقاومة فهرب في المساء من الباب الشمالي تحت ستار الليل المظلم وعبر النهر متجهاً إلى منطقة البودهية.

وبعد هروب الحاكم دخل محمد بن القاسم مدينة سيوستان (سيهوان) فاتحاً وأعلن أهلها البوذيون منهم الطاعة، ثم عين نواباً له على مراكز ووظائف مختلفة، وأمر بجمع الذهب والفضة والنقود من كل جهة تتعلق بالحكومة السابقة ما عدا ما في أيدي البوذيين الذين عاهدوا بالطاعة، ثم وزع الغنائم والأموال على الجنود وأرسل الأخماس مع رسالة الفتح إلى الحجاج[2].

إسلام أول جماعة كبيرة من البوذيين:

ومما هو جدير بالذكر هنا أن أول جماعة كبيرة من البوذيين من أهل بلاد السند الذين دخلوا الإسلام برغبتهم أيام الفتح وعلى يدي محمد بن القاسم كانوا قوم (جنه) في اقليم سيوستان، ولهم قصة طريفة في إسلامهم، لقد أرسلوا في البداية جاسوساً إلى معسكر العرب لمعرفة الأخبار وحين وصل

---

(١) جچنامه بالفارسية ص١١٨و١١٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠.

الجاسوس كان جنود الإسلام قد وقفوا في خشوع رهيب خلف إمامهم الشاب الصالح محمد بن القاسم الثقفي يركعون ويسجدون لله الواحد القهار في صلاتهم بالجماعة، فاندهش الجاسوس وتهيب من هذا المنظر الروحي وشعر بشعور عجيب يملأ بين جوانبه لم يستطع أن يفهمه وذهب إلى قومه وأخبرهم بما رأى من حركات وسكنات منتظمة خاشعة ، فقالوا إذا كان العرب هكذا يعبدون الرب ويطيعونه ولا يتركون صلاتهم حتى في أخطر الأوقات ويؤدونها بإيمان وعزم ويقين، وهم متحدون بهذا الشكل فلا يمكن لنا مقاومتهم، وهذا يدل على أن دينهم هو الدين القيم، واختاروا من زعمائهم وفداً أرسلوه إليه مع الهدايا وعرضوا له الطاعة، ولكنهم زادوا حباً وإخلاصاً حينما قابلوا محمد ابن القاسم وعرفوا أخلاقه الفاضلة وتأكدوا بأن الإسلام دين الحق والرشد والكمال فأعلنوا إسلامهم لديه وعادوا إلى قومهم ودعوهم إلى الإسلام فأسلموا جميعاً[1] .

فتح منطقة البودهية :[2]

ثم عزم محمد بن القاسم بالسير نحو منطقة البودهية، ونزل بالجيش على شاطىء نهر كنبه[3] وكان حاكم مدينة البودهية رجلاً بوذياً يسمى الأمير كاكه ابن بسامه، فقرر رجال الدولة والقواد القيام بغارة ليلية على معسكر المسلمين، ووافق الحاكم على ذلك وانضم قوم الزط إلى الجيش وتسلحوا بأنواع الأسلحة وساروا متجهين نحو معسكر العرب في ظلام الليل، ولكنهم لم ينجحوا في تقليدهم للعرب في تنفيذ الغارة الليلية، فقد ضلوا الطريق وساروا في

(١) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٢ و٢٣ .
(٢) البودهية: هي منطقة واسعة ذكرها الجغرافيون العرب باسم (البدهة) أيضاً وحاضرتها كانت قنداييل كما في (معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ١ ص ٥٢٧) .
(٣) نهر كنبه: نهر صغير يجري في موضع يقال له (مندهان) في منطقة البودهية (ججنامه ص ١٢١) .

الصحراء يتخبطون خبط عشواء حتى الفجر وعادوا إلى الحاكم وأخبروه بتلك الواقعة الغريبة[1].

ولما سمع الأمير كاكه تلك القصة توجه مع بعض قواده الخواص إلى معسكر محمد بن القاسم للمبايعة، وخلع عليه خلع التشريف حسب تقاليد ملوك السند، فقدم إليه كرسياً فخماً وجبة وعمة، ثم عين محمد بن القاسم فرقة بقيادة عبد الملك بن قيس الدقيقي للقضاء على المتمردين في تلك المنطقة، وساعده في ذلك الأمير كاكه نفسه حتى قهروا المتمردين وحصلوا منهم على غنائم وأموال كثيرة[2] وبعد ذلك قام محمد بن القاسم بالحملة على قلعة سيسم[3] التي كانت مقراً للحاكم وهزم القواد الموجودين فيها بعد حرب دامت يومين حتى فتحت القلعة ثم دخل المسلمون المدينة[4].

وكان بين أهل البودهية فريقان وهما (الراورتية)[5] و (التكاكر)[6] وكانا من أتباع الأمير بجهرا بن جندر حاكم الديبل السابق الهارب، وكانوا يدينون بالديانة البرهمية، فأعلنوا العصيان وعدم الطاعة للعرب، فقاتلهم العرب حتى

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٢١ ـ ١٢٣.

(٢) انظر التفصيل في ججنامه بالفارسية ص ١٢٣.

(٣) سيسم: يعتقد هيج أن سيسم يمكن أن تكون موضع شاه حسن في الوقت الحاضر، وهو عند الطرف الغربي لبحيرة مانجهر.

(٤) ججنامه بالفارسية ص ١٢٣.

(٥) الراورتية: يبدو أنهم كانوا جماعة من القواد والجنود وربما كان موطنهم مدينة راور فنسبوا إليها.

(٦) التكاكرة: يفهم من سياق كلام صاحب ججنامه في مواضع كثيرة بأنهم كانوا من كبار قواد الجيش السندي، وكانوا معروفين بالشجاعة والقوة البدنية وفن القتال، فلذلك كانت لهم مكانة عند الملوك، وينتسبون أصلاً إلى قوم الراجبوت، ويسميهم صاحب ججنامه بالفارسية (تكران) والمفرد تكر. (انظر ججنامه بالفارسية ص ٥٥ و١٣٤ و١٣٦ و١٧٧) وقد ذكرهم البلاذري أيضاً بأنهم قواد يلازمون الملك داهر في معركته مع العرب وذكرهم باسم التكاكرة (انظر فتوح البلدان جـ ٣ ص ٥٣٦) وأما اليت الانجليزي فيرى أن لقب (تهاكر) كان يطلق على الجنود المشاة (انظر تاريخ الهند لاليت ج ١ ص ١٦٤).

انهزم بعضهم وتقهقر التكاكر متنقلين الى موضع في أعلى منطقة البودهية، وهرب الراورتية الى ضاحية بالقرب من قنداييل[1] ومن هناك طلبوا الأمان لأنهم أصلاً كانوا مخالفين للملك داهر سراً بسبب قتله بعض زعمائهم فبعثوا رسلهم إلى البودهية عند محمد بن القاسم مع البيعة وقد فرضوا على أنفسهم جزية، قدرها ألف درهم من الفضة[2].

تنظيم أمور البودهية وبناء مسجد بها:

بعد ذلك قام محمد بن القاسم بتنظيم الأمور في منطقة البودهية ومدينتها وفرض على أهلها الخراج، كما أسكن جماعات من العرب في مناطق عديدة منها وبنى لهم بعض المساجد لاتساع المنطقة وعين حميد بن وداع النجدي حاكماً وعبد القيس الجارودي نائباً له على مدينة البودهية، وعلى حصن سيستم، وفوض إليهما الأمور الإدارية والعسكرية وأمرهما بالاهتمام برفاهية الشعب[3].

وبينما كان محمد بن القاسم يفكر في تدبير الأمر لعبور النهر وصل خطاب من الحجاج بن يوسف يشجعه على سرعة الحركة ويأمره بإعطاء وعود للزعماء بالمقاطعات والولايات، حتى يطمئنوا إليه ويساعدوه، ويبين له أن للحصول على السلطة وسائل أربع وهي: المداراة أو المساهمة أو المصاهرة ثم بذل المال والعطية ثم الرأي الصائب في محاربة الأعداء ومعرفة أمزجتهم ونقط ضعفهم ثم الرعب والهيبة والقوة والشهامة وأكد عليه عبور النهر قبل العدو حتى يدخل الرعب بذلك في القلوب ويثبت لنفسه الجدارة. وبعد ذلك بيّن الحجاج في رسالته أيضاً الغرض من الفتح وطرق معاملة الرعية الذين يدخلون في

---

(١) قنداييل: كانت قديماً عاصمة لمنطقة البودهية (انظر معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ٥٢٧).

(٢) ججنامه بالفارسية ص ١٢٤ وصاحب ججنامه يذكر خراجاً لا جزية!.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ و١٢٥.

الإسلام أو الذين يقبلون الطاعة أو الذين يرفضون الطاعة للعرب ثم كيفية حصول الجزية والخراج[١] وهكذا كان الحجاج في كل خطوة وكل مهمة يرشد قائده الشاب ويذكره بما يجب أن يفعله، فلذلك نرى لرسائل الحجاج أهمية عسكرية وسياسية في نجاح محمد بن القاسم في كل أمر كان يسعى إليه.

عودة محمد بن القاسم إلى النيرون لفتح قلعة أشبهار:

عاد محمد بن القاسم إلى النيرون وتوجه نحو مدينة أشبهار[٢] وبها حصن منيع، وهي مدينة صغيرة تقع بناحية النيرون، وكان معه بهندركن والي النيرون البوذي وكبار البوذية، واستعد أهل أشبهار للحرب وكان قد إنضم إليهم قوم الزط من سكان النيرون وضواحيها وأهل القرى المجاورة لها وحفر العرب خنادقهم وحاربوا لمدة أسبوع وبعد ذلك طلب أهل أشبهار الأمان فأعطاهم محمد بن القاسم الأمان وعين والياً على المدينة من طرفه وكتب إلى الحجاج بن يوسف بفتح القلعة وإعطاء الأمان لقوم الزط في النيرون[٣].

وبعد ذلك تقدم محمد بن القاسم نحو نهر السند، واشتبك في الطريق مع الأمير جاهين الذي كان قد هرب من الديبل بعد أن انتصر العرب هناك، فانهزم جاهين للمرة الثانية وفر هارباً، وزحف العرب حتى وصلوا إلى الضفة الغربية للنهر في مقابل جيور[٤] ومدينة راور[٥] اللتين تقعان في الجهة الشرقية للنهر[٦].

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٢٧ و١٢٩.

(٢) اشبهار: موضع بالقرب من مدينة النيرون.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ١٢٥ و١٣٢ ـ تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢١.

(٤) جيور: في ججنامه ص ١٣٣ و (جيبور) في ججنامه ص ١٦٠ و ١٦٧ كلاهما اسم لموضع واحد.

(٥) راور: اختلف الباحثون في تعيين مكان مدينة راور المجاورة لمدينة الور العاصمة القديمة، يرى هيج أن مكانها يقع على بعد ٨٠ ميلاً من برهمناباد وعلى مسافة ٧٠ ميلاً جنوبي شرقي مدينة حيدر آباد الحالية على الجانب البعيد من الدلتا (انظر منطقة دلتا اندس ص ٦٣ و٦٤).

(٦) ججنامه بالفارسية ص ١٣٣ طبع الهند.

بيعة موكه بن بسايه حاكم بت:

بعث الأمير موكه بن بسايه البوذي حاكم منطقة بت[١] برسوله إلى محمد ابن القاسم وأخبره أن بلاد السند ملك لآبائه وأجداده، كما أن صلة القرابة تربط بينه وبين الملك داهر ولكن الدلائل الحربية تشير إلى أن بلاد السند ستنقل إلى العرب ولذلك فهو مستعد للتعاون، ولكنه لا يريد أن يلومه قومه إن سلم نفسه بلا حرب ولا مقاومة، ولذلك لا بد من حيلة وأخبره أنه سيتوجه إلى فرح تزويج ابنة أمير منطقة ساكرا[٢] فإذا أرسل محمد بن القاسم فرقة مسلحة من جيشه قوامها ألف جندي على رأس الطريق فيمكن لهم إلقاء القبض عليه وأخذه أسيراً، فأرسل محمد بن القاسم جيشاً بقيادة بنانة بن حنظلة الكلابي فوصل موكبه مع مائة شخص من القواد من التكاكرة، فأسرهم العرب ورحب به محمد بن القاسم وترك له حكم منطقة بت وأهداه مائة ألف درهم وشمسية من ريش الطاووس وكرسياً فخماً، حسب تقاليد بلاد السند، وكذلك أهدى إلى التكاكرة الذين كانوا معه هدايا وخيولاً جيدة، كما جعل أراضي قصة[٣] ملكاً له ولذريته ثم أمره أن يجهز السفن والمراكب اللازمة لعبور النهر إلى الضفة الشرقية[٤].

مبعوث محمد بن القاسم إلى الملك داهر:

ثم أرسل محمد بن القاسم مبعوثه العربي المعروف بالشامي إلى الملك داهر ومعه مترجم ديبلي وهو قبله بن مهترائج الذي كان مشرفاً على سجن

---

(١) بت: حققها ماجدار الهندي على أنها الجزيرة الصخرية المسماة (بهاكر) أو (بكهر) التي تعتبر من المعالم الهامة لطوبوغرافية هذا الجزء من بلاد السند (المذكرة الجغرافية لماجدار ص ٥٣).

(٢) ساكرا: يحددها ماجدار بأنها تقع بقرب مدينة سكهر الحالية (المذكرة الجغرافية الملحقة عند ماجدار ص ٥٣).

(٣) قصة: يرى داود بوته بأن المقصود من قصة ربما هي (كجه) (انظر ملحق داود بوته لكتاب ججنامه ص ٢٦٥).

(٤) ججنامه بالفارسية ص ١٣٤ و١٣٥.

الديبل ودخل الإسلام بعد فتح الديبل[1] فلما دخل الديبلي على الملك لم يسجد له تعظيمًا حسب عادة السند مع ملكهم، وكان الملك داهر يعرفه فغضب وقال له: لو لم تكن رسولاً لقتلتك! فقال الديبلي المترجم: نعم إنني الآن مسلم ولا يصح في الإسلام أن يسجد إنسان لإنسان مثله وإنما السجود لله رب العالمين، وإن قتلتني فإن المسلمين ينتقمون لي، ثم بدأ الشامي في الحديث وقال: إن أميرنا محمد بن القاسم قد ترك لك الحرية في أن تختار عبور النهر إليه أو تسمح للعرب بالعبور حتى يتقابل الفريقان في ساحة القتال مادمت لا تريد التسليم أو الصلح[2].

واستشار الملك داهر وزيره سياكر فنصحه بالموافقة على عبور المسلمين للنهر لأنهم لو عبروه ستنقطع عنهم الامدادات العسكرية والمؤن الغذائية بحيث يصبح النهر من خلفهم ويكون الجيش السندي أمامهم فيسهل بذلك القضاء عليهم، ولكن محمد العلافي العربي وهو أحد المتمردين على الدولة الأموية قد نصحه بعدم السماح للعرب بالعبور لأنهم أشداء في القتال رغم قلتهم وقد نووا الجهاد في سبيل الله، فلن يتراجعوا في الحرب حتى الموت، والموت عندهم شهادة جزاؤها الجنة ورضوان الله، وإما الانتصار، وبهذا المبدأ والإيمان ترتفع معنوياتهم فيصبرون ويواصلون القتال ولاسيما بعد عبور النهر والاقتراب من العاصمة ويجدون أنفسهم في المرحلة الأخيرة من الحرب، وعندئذ ينتصرون في الوقت الذي يصعب على الجيش السندي منعهم من الاستيلاء على العاصمة، ثم أشار العلافي على الملك بأن يأمر قوم الزط

---

(1) انظر التفصيل في جچنامه بالفارسية ص ١٠٨ و١٠٩ و١٣٢ ويذكر صاحب جچنامه المترجم الديبلي بلقب (مولانا اسلامي) ولكن اليت الانجليزي أو غيره يذكر المترجم باسم (مولانا اسلامي) ولا يشير إلى اسمه الحقيقي وجنسيته ومذهبه ولا منصبه في القديم، معتقداً أنه عربي الأصل يعرف اللغة السندية، ولكننا بينا فيما سبق أن اسمه قبله بن مهترائج وكان مشرفاً على سجن الديبل وبرهمي المذهب وقد دخل الإسلام.

(2) جچنامه بالفارسية ص ١٣٦ - ١٣٨.

الغلاظ والمرد اللصوص والملاحين القراصنة أن يستولوا على الغلات والأخشاب والمواشي والعلف من حول العرب في كل مكان ولاسيما من طريق الجيش العربي الذي يزحف إلى العاصمة حتى يضيقوا ذرعاً من انتشار الجوع والمرض بينهم ويتفرقوا فرقاً وأحزاباً وعندئذ يسهل القضاء عليهم بهجوم عنيف[1].

وتحير الملك داهر بين الرأيين وأخيراً استقر رأيه على ترك الاختيار للعرب، فقرر محمد بن القاسم عبور النهر، ووقف بجيشه على الشاطىء الغربي يستعد والأمير موكه يساعده، وفي هذا الوقت وصل خطابان من الحجاج ينصحه بالتجلد والشجاعة ويأمر بسرعة العبور من موضع مناسب ويطلب منه إرسال خريطة للنهر لدراستها وإبداء الرأي[2].

استعداد الملك داهر للحرب:

استعد الملك داهر أيضاً للقتال، فرسم الخطط العسكرية وقسم الجيش إلى أربعة بحيث وقف الجزء الأكبر منه على الشاطىء الشرقي للنهر عند مدينة راور، وأمر الأمير جاهين أن يقف بالسفن الحربية على الشاطىء الشرقي أيضاً في الموضع الذي يقابل منطقة بت التي تقع على الشاطىء الغربي لمنع العرب من العبور من تلك المنطقة التي يسهل فيها العبور والمحاولة للقضاء عليهم داخل النهر أو اجبارهم على العبور من موضع مجاور يصعب لهم العبور فيه، وفي نفس الوقت أرسل الأمير جيسيه على السفن الحربية إلى الضفة الشرقية ليقف بجيشه في موضع مقابل لمنطقة بت، وأمر وزيره الثاني راسل أن يجهز جيشه وينتظر أمره للهجوم على العرب في الوقت المناسب بعد وصولهم إلى الضفة الشرقية[3].

---

(١) حجنامه بالفارسية ص ١٣٩ - ويرى ماجدار الهندي أن محمد العلافي كان ناصحاً أميناً في مسألة عبور النهر بينما كان الوزير السندي مخطئاً في السماح للمسلمين بعبور النهر.
(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ - ١٤٦.
(٣) حجنامه بالفارسية ص ١٤٦ و١٤٧ وكان مع الملك داهر رجل عربي يسمى (مروان بن هدبة التميمي) وكان من العلافيين يشير عليه أيضاً ببعض الخطط العسكرية العربية.

ثورة سيوستان وفتح قلقها مرة ثانية:

بينما كان محمد بن القاسم يستعد لعبور النهر وصل إليه الخبر بأن الأمير جندرام هاله الحاكم الأسبق على اقليم سيوستان قد استولى على القلعة وطرد الجنود العرب منها، فأجل محمد بن القاسم عبور النهر وارسل محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي على جيش مكون من ألف فارس وألفين من المشاة إلى سيوستان فانتصر الجيش العربي واستولى على القلعة وعين عليها والياً ونواباً أقوياء، ثم عاد إلى محمد بن القاسم ومعه أربعة آلاف محارب من قبيلة الزط من أهل سيوستان[1] وكان محمد بن القاسم يقصد بذلك أن يكون الطريق الخلفي مفتوحاً وفي أيدي العرب حتى يضمن وصول الإمدادات العسكرية والمؤن الغذائية إلى الجيش العربي المتقدم.

تعطل محمد بن القاسم عن عبور النهر لسوء حالة الجيش:

تحرك محمد بن القاسم بجيشه إلى منطقة جهم[2] الواقعة بجوار النهر لعدم تمكنه من العبور من المنطقة الشمالية التي كانت في أيدي السند، وتعطل هناك نحو خمسين يوماً بسبب تلك الاضطرابات التي قامت ضد العرب في سيوستان والخطط الجديدة للملك داهر في أماكن مختلفة، حتى نفذت المؤن الغذائية والعلف، وأصيبت الخيول بالمرض، وكان العرب يذبحون تلك الخيول المريضة ويأكلونها بينما كان أهل السند يحاصرونهم ويؤذونهم من كل جانب ويمنعون عنهم وصول الأغذية والمواشي والعلف عملاً برأي محمد العلافي كما كان المناخ في هذا الوقت حاراً جداً وتهب الرياح المسمومة مما أدى إلى اضطراب الجيش العربي وإصابة كثير من أفراده ببعض الأمراض كالعصبية

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦، جحنامه بالفارسية ص ١٤٥ و١٤٧، تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧.

(2) جهم: حقق كورنس اسم منطقة جهم (جهيم) باسم جيم بير وهو اسم للقبر الموجود في جزيرة صغيرة في النهر وتقع امام مدينة روهري (انظر المذكرة الجغرافية لكتاب الغزو العربي للهند ص ٥٣ ب).

وحدة المزاج والحمى، فساءت الحالة الصحية والنفسية للغاية، ولكن العرب عرفوا أن يصبروا بقوة الإيمان، وهنا أرسل الملك داهر رسالة بالتهديد إلى محمد بن القاسم وهو يعرض عليه الصلح في مقابل تقديم المساعدة الغذائية للعرب على أن ينسحبوا إلى الخلف ولكن محمد بن القاسم رفض ذلك بكل شجاعة وكرر قوله المشهورة بأنه لن يترك أرض السند قبل أن يرسل رأس داهر إلى الحجاج بالعراق[1].

وسمع الحجاج بن يوسف بما وصلت إليه حالة الجيش هناك، فأسرع بإرسال ألفين من الخيول العربية الأصيلة والمواد الغذائية والخل المجفف في القطن المحلوج وذلك للطعام والدواء، وكذلك أرسل الحجاج إلى محمد بن القاسم تشجيعاً له ورفعاً لمعنوياته فرمانا بألفاظ رقيقة وألقاب كبيرة بأنه قد عينه نائباً عنه في بلاد السند كلها وفوض إليه الأمور ليتصرف فيها كما يشاء، ولكنه في نفس الوقت حذره من الصلح وشجعه على عبور النهر والقضاء على داهر مهما كلفه ذلك من المال والروح، وأشار عليه مرة أخرى أن يعبر النهر من عند منطقة بت حيث يقل العرض والماء ويسهل العبور بعد دراسته للخريطة ونصحه أيضاً ببناء كوبري على الماء من القوارب لكسب الوقت في العبور ومجابهة الأخطار[2].

ولما وصل محمد بن القاسم إلى أرض ساكرة في منطقة جهم (جيم) جهز المراكب، وكان داهر قد بدأ يتغافل تحركات العرب ويشغل نفسه باللهو والصيد ولعب الشطرنج، حتى لا يظنوا أنه في خوف منهم، وقد حذره أحد الرهبان وكان يسمى (بهندوير) وهو في رتبة وزير من إهماله وتغافله وكبريائه وقد نصحه بتدبير الأمر قبل أن يصل إلى مرحلة يصعب معها العلاج[3] ولكن

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٤٧ - ١٥٠.
(٢) المرجع السابق ص ١٥٠ - ١٥١.
(٣) ججنامه بالفارسية ص ١٥١ - ١٥٤ وكذلك انظر فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦.

الملك السندي كان مطمئناً للخطة العسكرية التي وضعها على ضفتي النهر لمحاصرة العرب في وسط النهر.

إستعداد محمد بن القاسم لعبور النهر:

رتب محمد بن القاسم الثقفي الجيش وجهزه بالأسلحة والخيول وزوده بالمواد الغذائية وجمع المراكب اللازمة لعبور النهر، وقبل أن يعبر النهر بجيشه الأساسي أراد ان يسد الطرق على وجه محاولات الملك داهر من الأمام وحملات العدو من الخلف، فقسم الجيش إلى وحدات استطلاعية وفرق انتحارية وأرسلها إلى جهات متعددة في النهر، فرقة قوامها ستمائة فارس مقاتل بقيادة سليمان بن نبهان القرشي نحو الحدود الغربية لمدينة راور حتى يمنع الأمير جيسيه من التحرك ويعطله في هذه الناحية وقت عبور الجيش العربي للنهر، وفرقة أخرى قوامها خمسمائة فارس محارب لمراقبة طريق منطقة كندارة حتى تمنع وصول الإمداد إلى الملك داهر من هذه الناحية، وأمر فرقة ثالثة بقيادة كبار التكاكرة للوقوف في جزيرة بت للدفاع، وفرقة رابعة تقف خلف الجيش للطوارىء، وكذلك وجه فرقة عسكرية إلى كنبه وفرقة إلى جيبور قرب راور لمواجهة جيش داهر في خليج يقع بين راور وجيبور، وأخيراً أمر حاكم النيرون البوذي بهندركن أن يجمع مزيداً من الغلة ويوفر العلف للجيش الرئيسي استعداداً لعبور النهر[1].

بعد هذا التخطيط العسكري كله قرر محمد بن القاسم السير إلى الشاطىء، فأمر محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي بأن يتقدم بجيش صغير ويراقب الطريق، ويتبعه جيش آخر من ألف فارس بقيادة بنانة بن حنظلة الكلابي لحماية المقدمة، ثم سار هو مع بقية الجيش نحو الشاطىء، وأخذ معه من القواد الكبار مثل ذكوان بن علوان البكري والأمير موكه بن

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٥٥ و١٥٩ و١٦٠.

بسابه حاكم بت وجماعة من كبار قواد التكاكرة السند وقوم الزط حتى وصلوا إلى الشاطىء دون أن يتعرض أي جيش عربي للخطر في الطريق، وبعد الوصول إلى الشاطىء بأمان اختار محمد بن القاسم موضعاً للنهر يقل عرضه ثم أمر بإحضار المراكب المحملة بالرمال والأحجار والألواح الخشبية، وأمر بتسمير الألواح الخشبية على المراكب على هيئة جسر لاستعماله لعبور النهر والزحف نحو الشاطىء الشرقي حيث تقف جيوش العدو وأمر بالفرق والوحدات الانتحارية الدفاعية بالتوجه بسفنهم إلى جهات متعددة من النهر نحو الشاطىء الشرقي لمنع القوات السندية البحرية من التقدم، وحماية الجيش العربي الكبير في وسط النهر أثناء العبور، بينما أمر بقية الجيش العربي بالإسراع بتصفيف المراكب على امتداد الشاطىء الغربي وربط بعضها ببعض بمقدار عرض النهر وأن يركب الجنود عليها، ثم أمر بفك رأس المركب الأول من الشاطىء ليسير في النهر متجهاً نحو الشاطىء الشرقي[1].

وهكذا تم بناء الجسر المركبي وزحفت عليه القوات العربية في إتقان وسرعة وفي حذر وشجاعة، نحو الشاطىء الشرقي، ثم اندفعوا إلى الأرض الشرقية لبلاد السند فرساناً ومشاة كالسيل الجارف وأمطروا على الجيش السندي بسهامهم، واندهش الأعداء لهذا الهجوم الخاطف والوصول السريع، وقاتل العرب هؤلاء السند كالأسود الجسورة ودارت المعركة الدامية وكان النصر للمؤمنين، وبدأ قواد الملك داهر يهربون من الميدان ليلاً إلى العاصمة وأخبروا ملكهم بما حدث وبالهزيمة المنكرة لجيشه، فانزعج الملك لسماع ذلك الخبر وكاد يفقد وعيه[2].

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ و١٥٧.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ١٥٧و١٥٨ - يذكر ماجمدار الهندي في كتابه الغزو العربي للهند في الفصل الرابع ص ٢١ ب بأن محمد بن القاسم استطاع أن يعبر النهر على جسر من القوارب بدون خسارة.

ثانياً: فتوحات محمد بن القاسم في شرق نهر السند:

استطاع محمد بن القاسم بخططه العسكرية الموفقة أن يعبر نهر السند إلى الضفة الشرقية بكل نجاح، وأن يقترب من العاصمة السندية بعد أن فشلت خطط الملك داهر في منعه من عبور النهر أو القضاء عليه في أثناء العبور، ولكن يقظة العرب بقيادة قائدهم البطل أنقذت المسلمين من الهزيمة في هذه المرحلة الخطيرة، وقد جاء الدور للملك داهر أن يخرج إلى الميدان راغباً كان أو كارهاً، لقد دق ناقوس الخطر.

هزيمة جيش داهر بقيادة محمد العلافي:

رأى الملك داهر أن العرب قد استولوا على أماكن كثيرة من بلاده في الغرب ووصلوا إلى الشرق أيضاً وأخذوا ينتشرون في كل مكان، وكادوا يحيطون بالعاصمة والمدن المجاورة لها، فطلب الملك من محمد بن حارث العلافي أن يقود جيشاً لمحاربة العرب لأنه يعرف طريقة الحرب عند العرب، وسار العلافي بمقدمة الجيش لمحاربة العرب وكان العرب يطعنونه بألفاظ العار والخيانة حتى انهزم وتقهقر إلى الوراء[1].

هزيمة الأمير جيسيه وجيشه:

ولما انسحب محمد العلافي من الميدان منهزماً، عين الملك داهر ابنه الأمير جيسيه على جيش كبير لقتال العرب، فخرج بجيشه وأنواع الأسلحة، وعدد من الفيلة المقاتلة، كما خرج العرب بجيش بقيادة عبد الله بن علي الثقفي الذي حارب بشجاعة، وقتل كثيراً من جنود العدو، وقام بهجوم خاطف على قلب الجيش السندي وحاصر القواد وقتل معظمهم فهرب الأمير جيسيه من المعركة وانتصر جيش الإسلام[2].

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٦٠ ـ ١٦٢.

(٢) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٣ ـ جچنامه بالفارسية ص ١٦٢.

بيعة راسل بن بسايه:

لما سمع الأمير راسل بن بسايه أحد كبار القادة والحاكم الجديد لمنطقة بت من طرف الملك داهر، أن الأمير جبسيه انهزم وفر هارباً، علم أن الغلبة للعرب فأرسل مبعوثاً إلى محمد بن القاسم بأنه يريد المبايعة له والانضمام إليه وطلب منه أن يرسل جيشاً صغيراً لأخذه أسيراً إليه في أثناء توجهه إلى الملك داهر حتى لا يلومه القوم، فخرج راسل من المدينة وولى والده عليها وطلب منه أن يستسلم للعرب إن قدموا إليه، وأرسل محمد بن القاسم جيشاً من الفرسان وأسروا راسلاً على بعد خمسة فراسخ من مدينة كنبه فعاهد على الولاء والعمل تحت راية الإسلام وكان بوذي المذهب إلا أنه لم يعش طويلاً فقد توفي بعد شهور[1].

إستعداد محمد بن القاسم لمقاتلة الملك داهر:

ثم انتقل محمد بن القاسم ومعه الأمير راسل والأمير موكه إلى موضع يقال له نارائي[2] وكان الملك داهر يعسكر في موضع قريب منه يقال له قاجيجاق[3] وكانت بينهما بحيرة، وقد أشار راسل بضرورة عبور البحيرة، وأحضر القوارب ونقل عليها الجنود في ظلام الليل إلى داخل خليج هناك، ثم تقدموا قليلاً نحو جيبور حتى وصلوا عند نهر دوهاواه الذي تقع عليه قرى كثيرة فعسكروا هناك ليسهل القيام بالهجوم على الملك داهر من الأمام والخلف، وعلم داهر بوصول العرب إلى جيبور فترك أسرته في قلعة راور، وتحرك بجيشه ووقف على بعد فرسخ من العرب، وتقدم محمد بن القاسم إلى الأمام ووقف على بعد نصف فرسخ، وبذلك استعد الطرفان للحرب المصيرية[4].

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٦٥.

(٢) نارائي: اسم موضع بالقرب من مدينة راور على بعد أميال منها.

(٣) قاجيجاق: اسم موضع قريب من مدينة راور منطقة جيبور.

(٤) جچنامه بالفارسية ١٦٦ و١٦٨ - تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٣ - ٢٥.

وهكذا عسكر الجيشان، الجيش العربي في جهة والجيش السندي في جهة أخرى، وبينهما مسافة نصف فرسخ وميدان وسيع، ثم بدأت الحرب بحيث كانت تتقابل فرقة عربية مع فرقة سندية في حروب صغيرة لمدة أسبوع، وبعد ذلك بدأت الحرب بجميع فرق ووحدات الجيش لمدة ثلاثة أيام، ففي خلال عشرة أيام وقعت سبعة حروب وانتهت في النهاية بانتصار المسلمين[1].

فقد أرسل داهر في اليوم الأول فرقة بقيادة أحد القواد التكاكرة المشهورين فاشتبكت مع فرقة عربية واستمر القتال طول النهار حتى توقفت بعد أن قتل الكثيرون من الجانبين على أن الانتصار كان للجيش العربي، وفي اليوم الثاني خرجت فرقة سندية بقيادة الأمير جاهين وقتل جاهين وانهزم جيشه، وهكذا لمدة أسبوع كانت تخرج كل يوم فرقة سندية وتتقابل مع فرقة عربية وتنهزم[2].

ولذلك قرر الملك داهر أن يقود الجيش بنفسه بهجوم شامل على العرب، فجمع قواته كلها وعليها خمسة آلاف فارس من أبناء الأمراء والقواد المشهورين ومعهم مائة فيل حربي رهيب، وعشرة آلاف فارس مدرع ومسلح بالسيوف والرماح والخناجر، وثلاثين ألف جندي مشاة بالدروع والسهام والرماح، وعشرات آلاف من أفراد القبائل المختلفة، وركب الملك داهر فيلاً أبيضاً ضخمًا ولبس الدرع الحديدي وأمسك بالسهم وجلس معه غلامان يمدانه بالسهام أثناء القتال، وبهذا الاستعداد والتخطيط قرر الملك السندي أن يدخل المعركة الفاصلة[3].

الحرب المصيرية الأولى:

في يوم ٩ رمضان سنة ٩٣ هـ قام الملك داهر بتخطيط الجيش بحيث

---

(١) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٤.
(٢) ججنامه بالفارسية ص ١٦٨.
(٣) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٤ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٦٩ و١٧٠ و١٧٣.

جعل فرقة من الفرسان بقيادة الأمير جيسيه ومحمد العلافي ومعظم الفيلة في المقدمة، وجعل المشاة بالسهام في الميمنة وجعل الفرسان بالسيوف على الميسرة، واتخذ القلب لنفسه وحوله الفيلة مع بعض قادة الجيش[1].

وفي نفس الوقت كان محمد بن القاسم أيضاً مشغولاً بتوزيع فرق الجيش إلى مراكزها، بحيث جعل عطاء بن مالك القيسي مع جيشه من الفرسان في المقدمة، وجعل جهم بن زحر البجعي مع جيشه من الفرسان على الميمنة، وجعل ذكوان بن علوان البكري مع جيشه من المشاة على الميسرة، وجعل بنانة ابن حنظلة الكلابي مع فرقته في المؤخرة، واتخذ القلب لنفسه ومعه الأمير موسى ابن بسايه ومحرز بن ثابت وبعض القواد العرب والسند، وأعلن على الجيش بأنه إذا قتل في الميدان يصير محرز بن ثابت قائداً أعلى على الجيش العربي من بعده، وإذا قتل محرز صار سعيد قائداً أعلى على جيش الفتح والنصر[2] وذلك لبعد نظره حفظاً للنظام والوحدة بين قادة العرب وضماناً للنصر لهم.

وبدأت المعركة فتقدم محرز بن ثابت بفرقته من القلب واستشهد في الميدان ثم تقدم سعيد بفرقته من القلب وانهزم أيضاً ولعله قتل في المعركة، ثم تقدمت فرقة ثالثة من القلب بقيادة حسن بن محبة البكري واستشهد القائد وتقهقرت الفرقة منهزمة، وكان ذلك بسبب الفيلة المقاتلة، وعلم الملك داهر أهمية الفيلة وخطورتها على العرب فأمر بهجوم شامل وبعنف من الفيلة والفرسان على العرب الذين اضطربوا وتشتتوا، ولكنهم بعد ساعات قليلة استطاعوا أن يسيطروا على المعركة حين ناداهم محمد بن القاسم بأعلى صوته وحثهم على الصبر والجهاد، فقاموا بحملة شديدة على الجيش السندي بحيث قتلوا تسعة من الفيلة فتشجعوا بذلك، وأخذ الكفار يتقهقرون إلى الخلف حتى

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٧٠ و١٧١ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦.

(٢) ججنامه بالفارسية ص ١٧٢، ويذكر صاحب ججنامه بأن عربياً باسم (عبيد بن عتاب) من قواد العلافي قد التجأ الى محمد بن القاسم وأخبره بخطة العدو أثناء المعركة مع الملك داهر.

توقف القتال عند المساء[1] لقد كان هذا هو اليوم الأول من القتال المصيري الجماعي عند العرب ومقابلة الفيلة الضارية، وعلى اي حال فقد خرجوا من المعركة الرهيبة بلا هزيمة تذكر بعد تجربة قاسية لقوتهم وصلابتهم أمام تلك الجيوش التي تزيدهم بعشرة أضعاف، ولكن إيمان العرب بالجهاد وإيمانهم بالنصر المؤزر من عند الله كان أكبر قوة لهم وتبشرهم بأنهم لمنتصرون بإذن الله ماداموا قد أخصلوا النية لإعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام عالية خفاقة.

المعركة المصيرية الثانية والنهائية:

في اليوم التالي، يوم الخميس ١٠ رمضان المعظم سنة ٩٣هـ خرج الطرفان للقتال من جديد، وقد غير كل طرف خططه العسكرية، فقد ركب الملك داهر فيله الأبيض وسار في القلب وحوله القواد والفيلة، وجعل على المقدمة إبنه الأمير جيسيه مع عشرة آلاف فارس، وجعل على الميمنة أبي بن أرجن العربي وكوار بن كوار العربي من العلافيين مع بضعة آلاف من الفرسان، وجعل على الميسرة ابن عمه الأمير جبين مع بشر بن هول العربي وقتيبة بن بشر العربي من العلافيين، ومعهم بضعة آلاف من المشاة وجعل على المؤخرة ابنه الصغير الأمير دهرسين مع الأمير بيل حاكم كتبه والأمير جهتل حاكم قنوج، ونائله بن جونة العربي من العلافيين ومعهم عدد كبير من زعماء القبائل السندية المختلفة، ولاسيما قبيلة الزط الشرقية وآلاف مؤلفة من أفرادها[2] على أن جيش داهر الرئيسي كان مكوناً من عشرة آلاف فارس مدرع وثلاثين ألف من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان من أبناء الأمراء والقواد والزعماء، وأكثر من تسعين فيلاً مقاتلاً، ثم آلاف مؤلفة من قوم الزط وأعداد هائلة لا تقدر ولا تحصى من أفراد القبائل الأخرى، على أن

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٧٣.

(٢) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٤ و٢٥ - جچنامه بالفارسية ص ١٧٣.

مجموع الجيش النظامي والمتطوع كان نحو مائة وعشرين ألف فارس وجندي ومتطوع وخمسة آلاف قائد، وبهذا التكتيك العسكري الجديد وبهذا العدد الضخم تقدمت جيوش الملك داهر دفعة واحدة للقتال ضد العرب[1].

وفي الجانب الآخر من الميدان الفسيح الرهيب، كان القائد العربي الشاب محمد بن القاسم الثقفي مشغولاً بتوزيع الجيش الكبير إلى فرق ووحدات بحيث جعل على المقدمة خريم بن عمرو المدني مع فرقته من الفرسان لمقاتلة جيش الملك داهر في الوسط، وجعل على الميمنة بنانة بن حنظلة الكلابي مع فرقته من الفرسان، وجعل ذكوان بن علوان البكري مع فرقته من الفرسان على الميسرة، وجعل أبا صابر الهمذاني مع الأعلام في مقابل فرقة الفيلة عند المقدمة، بينما اتخذ القلب لنفسه ومعه من كبار القواد محارق بن كعب الراسي وهذيل بن سليمان الأزدي وزياد بن جليدي الأزدي ومسعود بن الشعري الكلبي على فرق متعددة من الجيش في مجموعة واحدة، وقسم فرقة المناجيق إلى ثلاث فرق أيضاً في القلب والميمنة والميسرة، وكان عدد المناجيق ثلاثة وعدد رماتها تسعمائة بحيث كان مع كل فرقة منجنيق واحد، ثم أعطى الإشارة للبدء في المعركة فأمر الرماة أن يشعلوا النيران وأن يبرهنوا جدارتهم في هذه المعركة، حيث أن الخطة العسكرية للعرب تعتمد عليهم للقضاء على فرقة الفيلة وتفريق مجموعات العدو وتشتيتها بالنيران، وكان مجموع عدد الجيش النظامي العربي يبلغ نحو عشرة آلاف فارس مقاتل ونحو ألف من القواد والزعماء العرب والسند، وبضع آلاف من القوم الزط والقوم الميد وغيرهم من القبائل السندية، وقد استفتح العرب يومهم هذا بعد عناء الليل في تنظيم أمور الجيش ووضع الخطط العسكرية الجديدة، بأداء صلاة الفجر والسجود لله الواحد القهار خلف قائدهم الشاب الصالح محمد بن القاسم في صفوف طويلة وراء الخيول، ثم وقف القائد وألقى كلمة حماسية على القواد والجنود

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ١٧٣ و١٧٤ ـ تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٤.

من القبائل العربية المختلفة، وشجع الجيش على الجهاد في سبيل الله وتحمل الشدائد وأمر الجميع بأن يلزموا مراكزهم في الميدان ويواصلوا القتال مهما كانت الظروف حتى لا تضطرب الصفوف ولا يحدث فيها الخلل ولا تحدث ثغرة لتسلل العدو منها داخل صفوفهم لتشتيت الشمل، مثلما حدث في اليوم الماضي، وأن يذكروا الله في كل لحظة أثناء القتال ويكونوا مؤمنين بأنه ينصرهم بنصره العزيز، وهو الذي وعد عباده المؤمنين بذلك[1].

وبهذا الاستعداد الكامل بين الطرفين، بدأت المعركة الكبيرة التي كانت من الأيام المشهودة الخالدة في تاريخ الإسلام، وقد وقف جيش الملك داهر في صفوف منظمة ضخمة وقد برز من بينها صف الفيلة، ووقف جيش محمد بن القاسم في صفوف صغيرة الحجم ولكن كبيرة المعنى، كلها عزة وقوة تتقدمها فرقة الأعلام البارزة معلنة بأن راية الإسلام ستبقى عالية خفاقة، ثم بدأت المعركة حتى تقدمت فرقة عربية مكونة من مائتي فارس مقاتل بقيادة نبهان أبو فقيه القشيري واشتبكت مع فرقة أمامية من جيش داهر وعليها التكاكرة البارزون وقتل المسلمون كثيراً منهم حتى تقهقروا إلى الوراء، وبهذا الاستعراض التجريبي اشتدت المعركة وبدأت فرق عديدة من الجيش العربي تشتبك مع فرق مختلفة من الجيش السندي، وأخذت المناجيق العربية تقذف بنيرانها على قلب الجيش السندي وشعرت الفيلة بالانزعاج والاضطراب والخوف من النار وهي تحارب بوحشية عجيبة حتى تسببت في تداخل بعض الفرق العربية مع الفرق السندية.

دخول أول جماعة كبيرة من البرهميين في الإسلام :

في أثناء القتال توجهت جماعة من قواد السند وجنودهم نحو القائد محمد ابن القاسم طالبين الأمان فأعطاهم الأمان وأعلنوا إسلامهم لديه، وكانت هذه

---

(1) ججنامه ص ١٧٤ و١٧٥ بالفارسية.

اول مجموعة كبيرة من اتباع الديانة البرهمية من قواد الملك داهر وجنوده تدخل الإسلام برغبتها في ايام الفتوحات، وقد عرض هؤلاء القواد والجند السند على محمد بن القاسم خطة عسكرية ليثبتوا صحة إيمانهم وولائهم، بأن يأذن لهم أن يقوموا بمهاجمة مؤخرة جيش داهر على غفلة على أن يقوم الجيش العربي في نفس الوقت بهجوم شامل على الجيش السندي من الأمام، ووافق محمد بن القاسم على الخطة، وجعل مروان بن أشحم اليمني وتميم بن زيد القيسي عليهم، ففاجأوا العدو بالهجوم الخاطف العنيف من الخلف وكذلك من الأمام فأذهلوهم بتلك الحركة المزدوجة وأدخلوا الرعب في القلوب، فقتل كثير من الجنود السند، فهاجوا وحميت المعركة، وقامت الصيحات عالية من هنا وهناك، وكان بين قواد العرب قائد يقال له: «الشجاع الحبشي» كان قد أغلظ اليمين بألا يذوق الطعام إلا إذا هجم على فيل داهر الرهيب ولو ضحى بحياته من أجل ذلك وكان فيل داهر يلعب دور القائد بالنسبة للفيلة الأخرى حسب التدريب العسكري، وكان داهر راكباً فيله الأبيض الضخم هذا ومعه بعض الأسلحة كالسهم والرمح والبلطة والسيف فوق هودج الفيل، فربط الحبشي عيني فرسه الأسود حتى لا يهيج من الفيلة وهجم على الفيل الأبيض وجرحه فهاج، وتأثرت بذلك بقية الفيلة وأخذت تصيح وتميل شمالاً ويميناً حتى تخلخل التوازن في الصفوف، ولكن داهراً استطاع أن يرمي الحبشي بسهم قاتل فوقع شهيداً بعد أن ضرب مثالاً في العزيمة والشجاعة[1].

وانزعج السند فانقلب فجأة وضع الهجوم، بحيث اشتدت حملة الجيش السندي الجماعية على المسلمين في محاولة مستميتة من كل جانب حتى تشتت شمل الجيش العربي في اضطراب عظيم وكادوا يفقدون السيطرة على المعركة وترددوا في التقهقر إلى الوراء، وظن داهر الذي كان يراقب كل شيء من فوق فيله الضخم العالي أن المسلمين قد انهزموا، والحقيقة أن محمد بن القاسم

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٧٧ - ١٧٩.

نفسه أيضاً قد اضطرب من هول المعركة في هذه المرة وطلب الماء قائلاً: «أطعموني الماء» فشربه ثم عاد إلى نفسه فأطلق صيحة قوية مليئة بالإيمان بالله، ليشجع جنوده على استمرار القتال والثبات، وتقدم الصفوف ووقف أمام جيش الإسلام وبدأ ينادي بأسماء القواد واحداً بعد واحد: أين أنتم أيها الأبطال أين أنت يا خريم المدني، أين أنت يا محمد بن مصعب الثقفي، أين ذهبت يا بنانة بن حنظلة الكلابي، ويا دارس بن أيوب، أين أنتم أيها المجاهدون، يا أبا فضة القشيري ويا محمد بن زياد العبدي، ويا تميم بن زيد القيسي، أين أنتم يا جنود الله، حاربوا بثبات وتوكلوا على الله، والله ناصركم، الله أكبر - الله أكبر - إلى الأمام أيها الأبطال، وعندما سمع القواد والجنود صوت قائدهم المؤمن الشجاع، دخل أمل الانتصار من جديد في قلوبهم، فقاموا بحملة قوية وقد علت صيحاتهم: «الله أكبر - الله أكبر»، حتى ملأت أصواتهم الآفاق كالرعد المرعب، فتحير السند وفزعوا واشتبكت الأسلحة بأنواعها، الرماح بالرماح والسيوف بالسيوف، وتكسرت من شدة الاشتباك وقوة الضرب، وهاجت الفيلة وتشتتت وسالت الدماء، واستطاع المسلمون أن يقتلوا عدداً كبيراً من الجنود السند وعدداً من الفيلة أيضاً، بحيث لم يبق حول الملك داهر من فرسانه من أبناء الأمراء والقواد العظام إلا ألف من خمسة آلاف، واضطرب داهر لحال الجيش السندي اضطراباً عظيماً فلم يكن يصدق ما كان يشاهده بعينيه[1] بينما تشجع العرب وواصلوا القتال بشجاعة نادرة وغايتهم إما النصر في سبيل الإسلام وإما الشهادة في سبيل الله، فكان النصر حليفهم في هذه المعركة المصيرية.

مقتل داهر ملك بلاد السند:

في نهاية هذه المعركة المصيرية الدامية، وعند غروب الشمس أمر محمد بن

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٨٠- تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧.

القاسم قائد رماة النفط أن يقذف بالسهام المشتعلة هودج فيل داهر، فأصيب الهودج واشتعلت النار فيه، وعطش الفيل من الحرارة، فاتجه داهر به نحو النهر ليسقيه ولیطفیء النار وكان حوله بعض القواد لحمايته وعندئذ طاردهم المسلمون وأمطروهم بالسهام ثم اشتبكوا معهم في قتال شديد، ونزل داهر من فيله وقاتل حتى ضرب عنقه رجل عربي بالسيف ويسمى عمرو بن خالد الكلابي، وأسرع بعض القواد السند إليه وأخفوا الجثة في خليج راور، وبعد قليل توقف القتال في المساء بانتصار المسلمين[1].

وأمر محمد بن القاسم رجلاً يسمى حبيش بن عامر بن عبد القيس أن ينادي على القواد بأن داهراً غائب ولعله مشغول بعمل كمين فيكونواحذرين، وعندئذ تقدم إليه رجل برهمي وطلب الأمان لنفسه وأتباعه فأعطاهم الأمان، فأخبره الرجل أن داهراً قد قتل ومدفون في الخليج، فذهبت فرقة وأخرجت الجثة للتأكد، وقطعوا رأس داهر وأتوا به إلى محمد بن القاسم، فسر كثيراً وصلى ركعتي الشكر[2] وهكذا انتهى العرب من معركتهم المصيرية بقضائهم على ملك السند، وقد أصبح من السهل عليهم بعد ذلك تكميل بقية الفتح في بلاد السند.

فتح قلعة راور:

بعد أن قتل داهر وفتح المسلمون مدينة راور بقيت القلعة فيها محصنة بفرقة كبيرة من الجيش السندي وعلى رأسها الأمير جيسيه ولي العهد ومعه أخت داهر وزوجته الملكة بائي وبعض الأمراء والأميرات والقواد، وقرر جيسيه مواصلة القتال للنهاية، ولكن الوزير سياكر أشار عليه بقوله: إن ملكنا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦ ـ جچنامه بالفارسية ص ١٨١ ـ تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٥ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠.

(٢) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٥ ـ جچنامه بالفارسية ص ١٨٤.

قد قتل ووقع القواد العظام والحصون الكبيرة في أيدي العرب، فلا طاقة لنا هنا للحرب، ومن الصواب أن نتحرك إلى برهمناباد فإن أهاليها من المؤيدين للملك داهر وسيقفون بجانبنا في الحرب. ثم سأل الأمير جيسيه عن رأي محمد العلافي فأيد رأي الوزير، فساروا جميعاً إلى برهمناباد، المدينة الكبيرة المحصنة، ولكن الملكة بائي قررت البقاء في قلعة راور مع النساء والقواد وعدد كبير من الجنود للدفاع عنها[1].

وفي يوم الجمعة ١١ رمضان سنة **٩٣** هـ توجه المسلمون لفتح القلعة فرفض أهلها الاستسلام وعندئذ أمر محمد بن القاسم بقذفها بالمناجيق، وقسم الجيش إلى فرقتين فرقة تحارب بالنهار بالسهام والرماح، وفرقة تحارب بالليل بقذف النيران والأحجار الضخمة من المناجيق حتى هدمت الأبراج.

ولما رأت الملكة بائي أن الحالة قد ساءت وكاد العرب أن يفتحوا أبواب الحصن، جمعت بعض الأميرات والنساء وأمرتهن بجمع الحطب والزيت والقطن وأشعلن النار وأحرقن أنفسهن فيها، حتى يلحقن بأزواجهن حسب التقاليد المذهبية أو الاجتماعية عند أهل السند، ثم دخل محمد بن القاسم القلعة وكان بها ستة آلاف جندي مسلح فأمر بقتلهم لرفضهم الاستسلام، وأما النساء والأطفال والشيوخ فقد أخذوهم كأسرى، كما حصل المسلمون على غنائم كثيرة، وأرسل محمد بن القاسم بخطاب الفتح الكبير مع الأخماس إلى دار الخلافة[2].

إرسال رأس داهر إلى العراق:

كتب محمد بن القاسم إلى الحجاج والي العراق عن مقتل داهر وعن فتح

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ١٩٣ و١٩٤.

(2) تاريخ المعصومي ص ٢٥ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٩٤ و١٩٥ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٧.

راور كما بعث وفداً مكوناً من بعض القواد العرب الذين كان لهم دور فعال في المعركة النهائية، وكان على رأس الوفد كعب بن مخارق الراسبي وصارم بن أبي صارم الهمذاني، وذكوان بن علوان البكري ويزيد بن مخالد الهمذاني وزياد بن الحواري العبدي وغيرهم وشرح في الرسالة الأدوار التي قام بها هؤلاء المجاهدون في ميدان القتال[١] وكان بين هذا الوفد قاتل الملك داهر أيضاً، فقد حكى قصته عمرو بن المغيرة الكلابي أحد القواد العرب بأنه في اليوم الذي كان يودع الحجاج الجيش العربي لفتح بلاد السند، كان يصافح كل قائد ويشجعه بجملة خاصة وعبارات سياسية مقصودة، حتى صافح عمرو بن خالد الكلابي قاتل داهر، وقال له بأنه يشهد عليه محمد بن القاسم والقواد ليوم القتال، وكيف كانت بطولته فيه؟ فهو الذي ضرب رأس داهر وشقه إلى نصفين في المعركة المصيرية النهائية[٢] ثم قدم عمرو بن خالد الكلابي رأس داهر إلى الحجاج وأنشد قصيدة فخر في ذلك جاء فيها:

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ... ومحمد بن القاسم بن محمد

إني فرجت الجمع غير معرد ... حتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج مجندلا ... متعفر الخدين غير موسد[٣]

ويذكر البلاذري عن منصور بن حاتم النحوي الذي أقام في بلاد السند بعد فتحها أنه قد شاهد تمثالاً للملك داهر وتمثالاً لقاتله في مدينة بروص

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٨٧ ـ تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٦ ويذكر المعصومي أن الوفد كان يسير في حماية جيش مكون من مائتي فارس مسلح وقد ساروا بالأموال والأسرى عن طريق مكران إلى بغداد والمعصومي يخطأ في اسم دار الخلافة بجعله (بغداد) فإن بغداد لم يكن لها وجود في ذلك الوقت وإنما تم تخطيط بغداد في سنة ١٤١ هـ في عهد الخليفة المنصور العباسي.

(٢) جچنامه بالفارسية ص ١٨٤.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٧ ـ جچنامه ص ١٨٥ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير حوادث سنة ٨٩ هـ.

(بهروج)[1] كما شاهد تمثالاً للقائد العربي الشهيد بديل بن طهفة في مدينة قند[2] وزار قبره في مدينة الديبل حيث استشهد هناك[3].

واستقبل الحجاج وفد المجاهدين بكل حفاوة وتكريم وأقام لهم حفلاً كبيراً، وقام شاعر من بني ثقيف وأنشد قصيدة رائعة في مدح محمد بن القاسم وفي فتح بلاد السند ومقتل داهر وقد جاء فيها:

فتحت بلاد السند بعد صعوبة ... ومهابة لمحمد بن القاسم

ساس الأمور سياسة ثقفية ... بشهامة منه ورأي حازم

أذن الأمير له غداة وداعه ... كان الأمير مؤدباً في العالم

فبرمحه نصر الإله محمداً ... وبسيفه قامت نساء المأتم

وبكيده سارت بهامة داهر ... دهم النعال إلى أغر قماقم

المال سبقهم وكل فريدة ... بيضاء آنسة كظبي ناعم

لا رأس إلا رأس داهر فوقه ... عند الملوك بخطبه المتفاقم

ونساؤه يبدين نوحة حرة ... وخيوله تبكي بدمع ساجم[4]

إن المنايا لا يبالى حيفها ... ما لم ينلن محمد بن القاسم[5]

ثم أرسل الحجاج الوفد إلى الخليفة وليد بن عبد الملك، وأكرمهم الخليفة بعد أن علم منهم تفصيلات المعركة التي تمت بانتصار المسلمين، وأمر بارسال خلع التشريف وهدايا ثمينة إلى القائد الشاب محمد بن القاسم، كما أمره بفتح بقية بلاد السند[6].

---

(١) بروص (بهروج) مدينة قديمة بالهند وتقع الآن شمال سورت وكانت بروص ميناء قديماً لكنه فقد أهميته على مر الزمن.

(٢) قند: لم يتم تحقيقها ولعلها مدينة قريبة من الديبل.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٧.

(٤) ججنامه بالفارسية ص ١٨٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٦) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٦ ـ ججنامه بالفارسية ص ١٩٢ ـ ١٩٦.

وكتب الحجاج رسالة رقيقة إلى محمد بن القاسم، مدحه فيها كثيراً وأثنى عليه لما قدم من بطولات في فتح بلاد السند، وبين له أن هناك قواداً عظاماً آخرين لم يذكرهم في التقرير يستحقون التقدير، فمن أهل الشام والعراق مثل خريم بن عمرو المدني ودارس بن أيوب وبنانة بن حنظلة الكلابي وهذيل بن سليم ومحمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي وجهم بن زحر الجعفي وغيرهم وكذلك زعماء قبائل بني تميم وبني سليم وبني ثقيف بالإضافة إلى أخيه (صلب بن القاسم) وعمه وأبيه ومن النساء أمه (حبيبة العظمى) فيجب عليه أن يكرم هؤلاء جميعاً، وألا يميل للهوى والمداهمة والأباطيل في حقهم[1] وهكذا كان الحجاج في كل رسالة بأسلوب رقيق يبين له ما يجب أن يفعله تجاه قواده وشعبه وزعماء السند حتى يكونوا جميعاً متحدين متعاونين[2].

الاستعداد لفتح برهمناباد (برهمن آباد):

تحرك محمد بن القاسم من راور متجهاً إلى برهمناباد ولكن كان عليه أن يفتح مدينتين محصنتين واقعتين في الطريق بين راور وبرهمناباد وهما مدينتا بهرور ودهليله، فقد كان في كل منهما نحو ستة عشر ألف جندي سندي مسلح بأنواع الأسلحة، وهاتان المدينتان تعتبران بمثابة حصون منيعة وموانع عسكرية مهمة.

فتح بهرور ودهليله:

توجه محمد بن القاسم أولاً إلى مدينة بهرور[3] وقام بحملة عليها وكان بها نحو خمسة عشر ألف جندي وقاومه أهلها أياماً، فقام العرب بقذف المدينة بالأحجار والسهام المشتعلة من المناجيق حتى هدمت جدرانها وأبوابها وقتل

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٨٩.

(٢) انظر الرسالة في ججنامه بالفارسية ص ١٩٢.

(٣) بهرور: مدينة محصنة صغيرة تقع على بعد فرسخ من مدينة برهمناباد (ججنامه ص ٢٠١).

معظم من فيها بسبب القذائف النارية فدخلها محمد بن القاسم واستولى على ما فيها من الذخائر والأسلحة والأموال وعين عليها حاكماً عربياً[1].

ثم سار محمد بن القاسم نحو مدينة دهليله[2] وكان بها أيضاً نحو ستة عشر ألف جندي فحارب أهلها بشدة واستمرت الحرب أياماً عديدة حتى ضاق من بها وهرب حاكمها الأمير ديوراج وهو ابن عم داهر وتجار المدينة ومعظم سكانها بالليل نحو حدود بلاد الهند دون علم العرب، وفي الصباح استولى المسلمون على المدينة وما فيها من الغنائم والأسلحة،وعين محمد بن القاسم حاكماً عليها من العرب وهو نوبة بن هارون كما فوض إليه الإشراف على الموانى وحركة السفن والمراكب في السواحل السندية في تلك المنطقة من الضفة الشرقية لنهر السند[3].

انضمام الوزير سياكر إلى العرب :

قبل فتح برهمنا باد كان محمد بن القاسم قد وجه نداء عاماً وبعث برسائل إلى حكام وأمراء المناطق ببلاد السند ودعاهم إلى الإسلام أو الطاعة وأنه يعطي الأمان لمن أراد ذلك، فلما سمع سياكر وزير الملك داهر بذلك بعث رجلاً إلى محمد بن القاسم وطلب منه الأمان فأعطاه الأمان، وحضر الوزير إليه ومعه بقية النسوة المسلمات اللائي كن قد طلبن الاستغاثة من الحجاج بعد حادث السفن بمدينة الديبل، فقد كن في العاصمة عند داهر المقتول، فاستقبله محمد بن القاسم بكل تكريم، ووهبه هدايا ثمينة وفوض

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ١٩٨ وكذلك انظر الغزو العربي للهند لماجدار الهندي الفصل الرابع ص ٢٠١ : (Majumdar: The Arab Invasion of India, ch. 4, P. 201)

(2) دهليلة . مدينة صغيرة محصنة تقع بجوار مدينة بهرور على بعد فرسخ من برهمنا باد (ججنامه ص ١٩٩).

(3) ججنامه بالفارسية ص ١٩٩.

إليه مهمة الوزارة فصار الوزير مخلصاً للعرب ناصحاً لهم، وكان محمد بن القاسم يستشيره في أمور الدولة والمهمات الحربية ويستفيد من معلوماته وخبراته، وكان الوزير أيضاً معجباً بأخلاق محمد بن القاسم وتواضعه وشجاعته النادرة وخططه العسكرية وأفكاره الاجتماعية العادلة نحو مصالح الشعب السندي، وقد أعرب الوزير عن اعتقاده بأن القائد العربي الشاب يستطيع بفضل صفاته الشخصية وسياسته الحكيمة أن يفتح بقية بلاد السند بسهولة وبعدها بلاد الهند في وقت قصير، وأن الجميع سيطيعونه ويرضون حكمه الإسلامي العادل الذي سيكون خيراً لهم[1] وكان سياكر في الغالب برهمي المذهب ودخل الإسلام بعد أيام من انضمامه إلى محمد بن القاسم بعد تأثره بالتعاليم الإسلامية، ولكنه لم يعش طويلاً فقد مات بعد سنتين تقريباً بعد أن قدم إلى محمد بن القاسم خدمات جليلة في المرحلة الأخيرة من فتوحاته.

فتح اقليم برهمناباد (برهمن آباد)[2] :

كان الأمير جيسيه بن داهر قد وصل إلى برهمناباد بعد فراره من راور واتخذ من حصن برهمناباد المحصن الكبير مقراً له للمقاومة، وكتب إلى أمراء وحكام المناطق الباقية الحرة ببلاد السند، رسائل أمرهم أن يستعدوا للحرب، فقد كتب لأخيه الأمير قوفي بن داهر حاكم أرور العاصمة وابن أخيه الأمير

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٩٩ و٢٠٠ ويعتبر ماجدار الهندي تصرف الوزير سياكر خيانة كبرى وأن ذلك قد أثر كثيراً في معنويات الأمير جيسيه وكان سبباً من أسباب فشله في مقاومة العرب فيما بعد (انظر الغزو العربي للهند لماجدار ص ٢٥).

(٢) برهمناباد: يقول كوزنس بأن برهمن آباد اسم اقليم من أقاليم بلاد السند الأربعة الكبيرة واسم للمدينة الرئيسية لهذا الاقليم، ويشمل الجزء الجنوبي من المملكة حتى شاطىء البحر، وكانت مدينة برهمن آباد الشهيرة نفسها تقع في السهول المرتفعة والتي تمتد إلى شرقي نهر السند وعلى بعد ثمانية أميال جنوبي شرقي محطة السكة الحديد لمدينة شاهد ادبور الحالية وعلى بعد ثلاثة وأربعين ميلاً شمال شرق حيدر آباد الحالية - انظر الآثار القديمة للسند ص ٤٨:
(Cousens : Antiquities of Sind, P. 48)

جج بن دهرسيـــه حاكم منطقة باتيه والي ابن عمه الأمير دهول بن جندر حاكم مدينة القيقان بمنطقة البودية[1] .

وكانت هذه فرصة أخيرة لزعماء السند أن يتحدوا للدفاع تحت قيادة ولي عهدهم الأمير جيسيه الذي عرف بالدهاء والشجاعة، وكانت مدينة دهليله التي استولى عليها العرب أخيراً تبعد عن برهمناباد بمسافة فرسخ واحد، وكان الأمير جيسيه قد استعد تماماً للحرب وجمع حوله نحو ستة عشر ألف قائد محارب وعشرات آلاف من الجنود من أهالي اقليم برهمناباد ومناطق أخرى من بلاد السند، وقد حصن مدينة برهمنابــاد تحصيناً قوياً بحيث وضع على كل باب من الأبواب الأربعة للمدينة قواداً كباراً مع آلاف من الجند وأما حاكم برهمناباد فقد كان يسمى الأمير جنيسر من أقرباء الملك داهر[2] .

ثم سار القائد محمد بن القاسم إلى برهمناباد ونزل على شـاطىء نهر حلواني[3] وأرسل مبعوثه إلى الأمير جيسيه وأهالي بـرهمنابـاد يدعـوهم إلى التسليم، كما عرض عليهم قبول الإسلام أو الدخول في الطاعة مع دفع الجزية، وإلا حاربهم بشدة، ورفض الأمير جيسيه الاستسلام وقرر الحرب، وعندئذ أمر محمد بن القاسم بحفر الخنادق ووزع الجيش إلى فرق ووحدات استعداداً للقتال، ثم بدأت المعركة فكانت تخـرج فرقـة كبيرة من الجيش السندي مكونة من أربعين ألف جندي وتقاتل مع الجيش العربي من الصباح إلى المساء، وتنهزم فيعود باقي الفرقة إلى داخل الحصن بالمدينة، وهكذا مـرّ نحو من شهرين وفي يوم الأحد ٣٠ من شهر ذي الحجة سنة ٩٣ هـ توقف القتال بين الطرفين[4] .

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١١٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦ .

(٣) نهر حلوانـي : كان نهر صغير يجري على ضاحية من ضواحي مدينـة برهمناباد (ججنامـه ص ١٢٢) .

(٤) ججنامه ص ٢٠١ و٢٠٢ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٧ .

وساءت حالة الجيش العربي لطول المعركة وقلة المواد الغذائية، فأرسل محمد بن القاسم إلى الأمير موكه بن بسايه حاكم منطقة بت يسأله رأيه في المشكلة، فأجاب بضرورة طلب قوات أخرى حتى يضطر الأمير جيسيه للجلاء عن تلك المنطقة، ثم كون جيشاً كبيراً من الفرسان بقيادة موكه بن بسايه وتوابه العرب مثل بنانة بن حنظلة الكلابي وعبد الملك المدني وعطية التغلبي وصارم بن أبي صارم الهمداني، وكذلك فرقة من المشاة بقيادة خريم بن عمر المدني، وفي الغالب كان المشاة من أفراد القبائل السندية، وزحف الجيش الكبير نحو برهمناباد بأسرع ما يمكن لانقاذ الموقف[1] .

هروب الأمير جيسيه من برهمنابـاد:

لما علم الأمير جيسيه بتوجه الجيش العربي الكبير نحو برهمناباد ترك المدينة وأخذ أسرته وتوجه نحو منطقة جيتور (جيبور) الواقعة في منطقة تؤدي إلى الحدود الهندية بينما افترق عنه محمد العلافي المتمرد وتوجه نحو بلاد كشمير خارج الحدود السندية[2] .

بعد ذلك طلب أهالي برهمناباد وهم التجار والزراع والصناع وعامة الناس، طلبوا الأمان فوعدهم محمد بن القاسم بالأمان بعد أن أخذ منهم تعهداً بالطاعة وفرض عليهم الجزية، ثم دخل المدينة وقاتل حاملي الأسلحة الذين رفضوا التسليم فقتل الكثير منهم، وعين عليها والياً، وكان بين أسرى برهمناباد (الملكة لادي) أرملة الملك داهر وهي الزوجة الثانية له وبنتان من زوجة ثالثة ونحو عشرين ألف أسير، ثم قسم الغنائم على الجنود وبعث بالأخماس إلى العراق[3] .

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٠٢ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢٠٦ .
(٣) أيضاً ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

تنظيم أمور برهمناباد وضواحيها :

في اليوم التالي من فتح برهمناباد حضر نحو ألف شخص محلقي الرؤوس فسأل محمد بن القاسم عن أصلهم، فأخبروه أنهم من البراهمة وكان ملكهم داهر برهمياً وبعد مقتله قتل عدد كبير منهم أنفسهم حزناً عليه والبقية قد لبسوا الملابس الزرقاء وحلقوا الرؤوس والذقون والشوارب تعبيراً للحزن، ولكنهم اضطروا أخيراً للتسليم، فأعطاهم محمد بن القاسم الأمان، وأمر الناس باحترام البراهمة (رجال الدين البرهمي) وعين منهم على مناصب مختلفة لجمع الخراج من مدينة برهمناباد وقراها التي قبل أهاليها الطاعة مع دفع الخراج والجزية، كما أعلن على الناس أنه مستعد لاجابة طلباتهم والتسهيلات اللازمة في شتى المجالات وأن الحكومة العربية سوف تسعى لارضاء الجميع ليعيشوا حياة مطمئنة كريمة في ظل العدالة الاجتماعية والحرية الدينية، كما سمح للبراهمة بترميم بيوت الأصنام واقامة الشعائر المذهبية الخاصة بهم، وقد نصح البراهمة وغيرهم من كبار سكان تلك النواحي بالتعامل التجاري والتعاون الإداري مع المسلمين، وعين تميم بن زيد القيسي وحكم بن عوائد الكلبي أن يساعدا البراهمة في تنظيم أمورهم المالية والإدارية وفي إقامة ديوان للخراج والجزية، وكذلك أكرم محمد بن القاسم كبار أهالي برهمناباد وأعيانهم بالهدايا ووظفهم في مراكز حكومية مختلفة، وعين منهم حراساً على أبواب المدينة لحين اخضاع بقية المدن والقرى المجاورة لبرهمناباد، كما عين عليها حاكماً عسكرياً مؤقتاً وبعد ذلك كله كتب رسالة إلى الحجاج يخبره بفتح برهمناباد المدينة الحصينة العظيمة وتنظيم أمورها[1] .

اخضاع قبائل الزط والسمة والسهتة في برهمناباد:

بعد ذلك فكر محمد بن القاسم أن يخضع القبائل المختلفة مثل الزط

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٠٨ ـ تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٧.

والسمة والسهتة التي تسكن في مناطق واسعة من اقليم برهماباد، حتى يضمن تحرك الجيش العربي نحو العاصمة أرور في أمان من شر تلك القبائل[1] فقد كانت قبيلة الزط منذ قديم الزمان معروفة بالتمرد والفتن والنهب والقتل من الصفات الوحشية في حين كانت قبيلة السمة وقبيلة السهتة معروفتين بحبهما للاستقرار وميلهما إلى الحياة الكريمة.

سأل محمد بن القاسم كلاً من الوزير سياكر والأمير موكه حاكم ولاية بت، عن قبيلة الزط وكيف كان يعاملهم الملك جج والملك داهر، وكيف يجب معاملتهم الآن، فأخبره الوزير بأن الملك جج كان يعامل أولئك القوم بكل قسوة لأنهم متوحشون ولهم طباع شريرة وأمزجة سيئة، قد صارت عادة فيهم، فهم يميلون دائماً إلى التمرد على الولاة في كل مكان ويقومون بالهجوم على القوافل التجارية وعلى المسافرين فينهبون الأموال ويقتلون الناس بغير حق، وهم أتباع في طريق مدينة الديبل أيضاً، فهم قوم كسالى تعجبهم السرقة والاعتماد عليها فترة من الزمن حتى تنتهي الأموال التي لديهم فيقومون ويكررون جريمتهم، ولذلك كان الملك جج قد وضع عليهم قيوداً في تصرفاتهم وتحركاتهم فأمرهم بعدم لبس الملابس الناعمة بل عليهم أن يرتدوا أثواباً سوداء خشنة وأن يسيروا حفاة الأقدام ومكشوفي الرؤوس، وأن يسحب كل واحد منهم كلباً معه إذا سار حتى يعرفه الناس ويتجنبوا شره، وحتى أنه لم يكن يسمح لزعمائهم بركوب الخيل في كثير من الأحيان، وكان من أعمال هؤلاء القوم بأمر الحكومة مثل إرشاد المسافرين في الطرق والصحارى بين المدن السندية، وجمع الحطب للمطابخ الملكية، وقد أخذ منهم تعهداً بأنه إذا وقعت أية حادثة في الطريق للمسافرين وأموالهم يكون زعماؤهم مسؤولين عنها، وإذا قبض على أحدهم متلبساً بالسرقة يحكم عليه وعلى أفراد أسرته بالحرق جميعاً، وكذلك بين الوزير لمحمد بن القاسم أن علاج هؤلاء القوم هو

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٢١٤.

المعاملة القاسية، ولما تأكد الحاكم العربي بأنه لا توجد وسيلة أخرى لتغيير سلوك قبيلة الزط، أمر هو أيضاً بنفس الأوامر السابقة التي كان قد أمر بها الملك جج وابنه الملك داهر، وبذلك وضع قيوداً في تصرفاتهم وتحركاتهم وأخذ منهم عهوداً لاستقرار الأمن والطمأنينة في البلاد، وبذلك قبل الزط الاطاعة للمسلمين[1] على أن محمد بن القاسم لم يترك قبيلة الزط في كل مكان أن يعيشوا كما يشاءون ويفعلوا ما يريدون حسب العادات السيئة التي جبلوا عليها بل أخذ منهم الآلاف في الجيش العربي وفي خدمات أخرى بحيث أدمجهم مع المهذبين، فقد دخل منهم الكثيرون في الإسلام، فتغيرت حياتهم الاجتماعية رأساً على عقب، والبعض منهم لم يدخلوا الإسلام ولكن بلا شك تأثروا بمرور الأيام بالعرب لمعاشرتهم معهم فتحسنت عاداتهم وتهذب سلوكهم إلى حد بعيد. وأما الذبن بقوا في مناطقهم القبلية المنعزلة فقد ظلوا متوحشين ضارين بالحكومة والرعية دون أن يطرأ عليهم تغيير يذكر.

ثم توجه محمد بن القاسم إلى مناطق قبيلة السمة فاستقبله أفرادها بالطبول والزمامير والرقصات القبلية، وكان من تقاليدهم عندما يتجدد الملك أن يقيموا مثل هذه الأفراح تعبيراً عن ترحيبهم به وقبولهم حكمه عليهم، وكان خريم بن عمرو المدني بمعية محمد بن القاسم الثقفي وكان يصاحبه دائماً حسب أمر الحجاج، وكان خريم رجلاً سياسياً داهية وعالماً معروفاً بالتقوى والعدل، ولذلك اختاره محمد بن القاسم حاكماً على تلك القبائل في تلك المناطق الواسعة، وفي نهاية الحفل قام خريم بصفته الحاكم الجديد لتلك المنطقة وقدم هدية رمزية قدرها عشرون ديناراً ذهبياً إلى زعيم قبيلة السمه تعبيراً عن رضائه عنه وعن قبيلته[2].

بعد ذلك سار محمد بن القاسم إلى المناطق التي تسكنها قبائل سهته

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢١٤ و٢١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ و٢٢١.

فخرج زعماؤهم يستقبلونه بكل ترحيب وحفاوة وهم مكشوفي الرؤوس وحفاة الأقدام، طالبين الأمان معلنين الطاعة وقد قبل بيعتهم وقرر عليهم الخراج لأنهم كانوا يشتغلون بالزراعة وأخذ منهم جماعة ليرشدوا العرب في الطرق الصحراوية من برهمناباد إلى أرور العاصمة[1] ونلاحظ هنا أن قبائل سمة كانت مسالمة وقد تأثرت بالحياة الاجتماعية عند العرب ودخل كثير من أفرادها في الإسلام في عهد العرب[2].

إعادة تنظيم أمور الدولة وتعيين الحكام:

بعد الانتهاء من فتح برهمناباد ونواحيها واخضاع القبائل المختلفة، قرر محمد بن القاسم أن يقيم فترة من الزمان في برهمناباد لتنظيم أمور الدولة في هذه النواحي، فقام بتعيين بعض الحكام العرب على تلك المناطق، فاختار لكل منطقة أو مدينة كبيرة رجلاً يناسبها من حيث الخبرة والعلم بصفات البيئة، فعين وداع بن حميد النجدي حاكماً عسكرياً على مدينة برهمناباد لخبرته بأمور هذه البلاد، وقد كان من قبل حاكماً على مدينة الديبل ثم مدينة البودهية المحصنة، كما عين بها رؤساء على وظائف مختلفة، وفوض الأمور المالية في برهمناباد ونواحيها إلى أربعة من الأعيان وكبار التجار، وعين نوبة بن دارس حاكماً على مدينة راور وأمره أيضاً بتجهيز السفن اللازمة للحروب القادمة، وعين هذيل بن سليمان الأزدي حاكماً على قصة وهي منطقة كش (كچه) التي كانت من قبل تحت اشراف أمير منطقة الكيرج، وعين بنانة بن حنظلة الكلابي والياً على مدينة هليلة المحصنة وعين قيس بن عبد الملك بن قيس الدمني قائداً عسكرياً على اقليم سيوستان وترك معه من القواد خالد الأنصاري نائباً له مع

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٢٩.

(٢) جچنامه ص ٢١٤ ولكن المعصومي يذكر أن محمد بن القاسم بعد ان اخضع أهل سيوستان فإن القبائل الموجودة في نواحيها قد بايعته بحيث خرج أفراد قبيلة السمه مرحبين به بالطبول والرقصات فأعطاهم مقاطعة خاصة ليعيشوا فيها، مشتغلين بالزراعة والرعي.

ألف فارس عربي محارب، وعين مسعود التميمي وشعيب الجديدي وفرستي العتكي وصابر اليشكري وعبد الملك بن عبد الله الخزامي ومهني بن عكة ووفا ابن عبد الرحمن قواداً ونواباً عسكريين في مدينة الديبل ومدينة النيرون وضواحيهما، وعين مليح بن مولى بكر بن وائل والياً على مدينة اجتهاد (اشبهار)[1] وترك معه قائدين علوان البكري وقيس بن ثعلبة مع ثلاثمائة فارس عربي مقاتل، وأسكنهم فيها وقد تزوجوا هناك وأنجبوا الأولاد وقضوا على سلطة قبيلة الزط بهذه المدينة وحولها، وعين جنيد بن عمرو والياً على أهل بهرج[2] وقد ترك معه مساعدين من كبار القواد مثل سليمان بن نبهان وأبا فضة القشيري وجماعات كثيرة من قبيلة تميم العربية وسكنهم فيها كما عين عمرو بن مختار الأكبر الحنفي قائداً عسكرياً وضم إليه من القواد المشهورين وسيرهم جميعاً إلى هناك[3] .

وهكذا نرى محمد بن القاسم الثقفي يعين حكاماً على بعض المناطق وينقل بعض الحكام من مناصبهم السابقة إلى مناصب جديدة لأسباب سياسية واجتماعية، كما يوزع بعض القبائل العربية ويسكنها في مناطق عديدة بعد أن تأكد من السيطرة على البلاد، ووثق في الشعب السندي مثلما وثقوا فيه، مع العلم بأن محمد بن القاسم قد خرج من العراق ومعه ستة آلاف فارس ثم انضم إليه ستة آلاف جندي من الشيراز ببلاد فارس، وبعد ذلك وصل أربعة آلاف جندي عربي أثناء الفتوحات من العراق، وبذلك صار مجموع ما معه نحو ستة عشر ألف فارس وجندي وقد أسكن منهم في أول دفعة أربعة آلاف في الديبل، وبعد ذلك أسكن جماعات منهم في المدن والمناطق الأخرى،

---

(١) اجتهاد : يقول داود بوته، لعل اجتهاد هي مدينة اشبهار (انظر ملحق داود بوته على كتاب جحنامه ص ٢٦٤).

(٢) بهرج: لعلها بهره كما جاء في (معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٤ ص ٧٦٩)، ويكتبونها (بهرج - فهره) أيضاً (راجع لوسترانج في كتابه ممالك الخلافة الشرقية ص ٣٣٠).

(٣) جحنامه بالفارسية ص ٢١٧ و٢١٨ و٢٢٠.

وسنرى فيما بعد أن عدد الجيش العربي يبلغ خمسين ألفاً في اقليم بنجاب عند فتح مدينة الملتان العظيمة، وهذا بلا شك يدل على انضمام آلاف كثيرة من أهل البلاد إلى جيش محمد بن القاسم، وأن هؤلاء الجند السند يقبلون كل الشروط العربية لنظام التجنيد عند العرب، وبذلك أيضاً يتأثرون بالتقاليد والعادات العربية ومن ثم يدخلون في الإسلام بعد فترة قصيرة إن لم يكونوا قد أعلنوا إسلامهم عند الانضمام.

الاستعداد للسير نحو العاصمة أرور (الـــور):

بعد أن انتهى محمد بن القاسم من فتح برهمناباد وتنظيم أمورها الاقتصادية والدينية والاجتماعية وبعد أن أخضع القبائل المختلفة في المناطق الواقعة في اقليم برهمناباد، كتب إلى الحجاج بذلك كله تقريراً مفصلاً، ووصله الرد منه بالثناء عليه وأمر بالسير نحو مدينة أرور ثم مدينة الملتان لأن كلاً منهما بمثابة قاعدة قوية للمملكة السندية وهما مقرا العظماء وبهما أعظم حصون عسكرية ولهما أهمية استراتيجية وبهما أيضاً خزائن وكنوز مدفونة للملوك السابقين في هذه البلاد[1].

ويذكر صاحب جحنامه بأن محمد بن القاسم قد تحرك في محرم سنة ٩٤ هـ من برهمناباد إلى أرور العاصمة ولكن كان لا بد له من أن يفتح مدينتين تقعان في الطريق وهما مدينة منهل[2] ومدينة هراور[3] فوصل أولاً إلى مدينة منهل وفتحها بالصلح وكان سكانها من البوذيين والتجار وفرض عليهم الجزية وعين رئيسين منهم على المدينة لحكمها والإشراف على شؤونها المختلفة،

---

(١) جحنامه بالفارسية ص ٤١٦.

(٢) منهل: مدينة صغيرة تقع بالقرب من أرور وفي نسخة (ب) لكتاب جحنامه ذكرها باسم (تهراور) وذكرها المعصومي ص ٢٧ باسم (نهري) وكذلك تبعه صاحب تحفة الكرام جـ٣ ص ١٥.

(٣) هراور: مدينة صغيرة تقع بالقرب من أرور ولم يحقق موضعها بالضبط.

ثم اتجه منها إلى مدينة هراور وفتحها أيضاً بالصلح وفرض عليها الجزية[1].

ويذكر البلاذري أن محمد بن القاسم قبل أن يفتح العاصمة أرور قام بفتح مدينتين صغيرتين أخريين بالقرب من أرور وهما مدينتا بسمد وساوندري، فقد تلقاه أهل ساوندري بكل ترحيب وسألوه الأمان فاشترط عليهم ضيافة المسلمين وإكرامهم عند مرورهم بهذه المنطقة، وقد صار أهل ساوندري جميعاً مسلمين ثم تقدم محمد بن القاسم إلى بسمد وفتحها أيضاً صلحاً[2] وهكذا مهد محمد بن القاسم الطريق لسير جيشه باخضاع مناطق القبائل والمدن الصغيرة الواقعة بين الولايات بالسياسة والحكمة والعدل وعين حاكماً على كل موضع منها وتركه في حماية جيش مسلح بعد أن جعل زعماءها يشاركون العرب في الحكم والمسؤولية.

فتح أرور (الور) العاصمة :

في أوائل سنة ٩٤ هـ وربما في شهر صفر وصل محمد بن القاسم إلى أرور وعسكر على بعد ميل واحد من قلعتها المحصنة وأقام هناك شهراً حتى جهز الجيش بعد أخذ الراحة التي كان لا بد منها بعد معارك ضارية وجولات مريرة قبل الوصول إلى مدينة أرور.

وكان الأمير قوفي بن داهر حاكماً على مدينة أرور نيابة عن والده الملك داهر المقتول، وكان يشجع قواده وشعبه على الحرب، ومواصلة المقاومة وكان قد حصن المدينة تحصيناً قوياً، ثم بدأت الحرب بين الطرفين واستمرت أياماً، وقام محمد بن القاسم بارسال (الملكة لادي) مع جماعة من الرجال إلى باب المدينة فاجتمع بها بعض زعمائها فأخبرتهم بأنها الملكة أرملة داهر، وأن الملك قد قتل مع قواده المشاهير والباقون استسلموا، ويستحن لهم أيضاً أن

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٢١٨ ـ ٢٢٠.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص٥٣٧ ـ الكامل في التاريخ جـ ٤ حوادث سنة ٨٩.

يستسلموا للعرب ويصالحوهم ويعيشوا في أمان[1].

ثم لما سمع أهل مدينة أرور بمقتل ملكهم وكذلك بالصفات الحميدة التي يتصف بها محمد بن القاسم من العدل والقوة والتسامح قرروا التسليم له، ولكن الأمير فوفي بن داهر قرر الفرار مع أسرته ليلاً إلى مدينة جيبور الواقعة عند الحدود الهندية وانضم إلى أخويه الأمير جيسيه والأمير دكيه هناك[2].

وبعد ذلك فتح أهل مدينة أرور الأبواب ودخل العرب المدينة بلا حرب[3] وشاهد بها محمد بن القاسم معبداً بوذياً كبيراً مليئاً بالعباد والزوار فسأل عنه، فقالوا إنه بيت الصنم يسمى «نوهار» ودخله محمد بن القاسم مع رفاقه ورأوا فيه تمثالاً جيلاً للغاية من الرخام عبارة عن رجل جالس على الفرس وماسك باللجام المكلل بالجواهر واليواقيت، فأمسك محمد بن القاسم باللجام ونظر إلى الراهب مبتسماً يسأله: هل هذا هو معبودكم؟ قال: نعم. فقال محمد بن القاسم: إنه لا يدري من الذي يمسك باللجام الآن! فأرخى الراهب برأسه للأمام وأغمض عينيه في تواضع ولم يقل شيئاً، فابتسم محمد ابن القاسم وسلمه اللجام في لطف ليضعه في يد الصنم الذي لا ينفع ولا يضر.

ثم انشغل محمد بن القاسم فترة من الوقت بتنظيم أمور مدينة أرور وعين رواح بن أسد حاكماً عليها، كما فوض أمور الشرع والقضاء والخطابة إلى شيخ الإسلام موسى بن يعقوب بن طائي بن شيبان بن عثمان الثقفي، وبنى بها للمسلمين مسجداً جامعاً أيضاً، ووضع على سكان المدينة الخراج ونصح

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٢٢١ و٢٢٣ - تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٨ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٨ - تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٢٩٠ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠.

(٢) جيبور: مدينة تقع على الحدود السندية الهندية، وهي غير مدينة جتور التي تقع بالقرب من مدينة راور في مقابل جزيرة بت على نهر السند كما يذكر صاحب ججنامه.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ٢٢٦ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٨.

الجميع من العرب والسند بأن يكونوا متفاهمين متعاونين وعاملين لنشر الأمن والرفاهية[1] وقد دخل بعض سكانها في الإسلام[2] وربما كانوا بوذيين وعلى ذلك تعتبر هذه مجموعة ثانية كبيرة من البوذيين تدخل الإسلام أيام الفتوحات ببلاد السند.

فتح مدينة باتيه (بابيه):

كانت باتيه منطقة واسعة قد اشتهرت باسم مدينة بها كانت مركزها وكان يحكم هذه المنطقة الأمير رمل (رغل) الذي قام بمحاولة انقلاب كبير ضد الملك داهر للاستيلاء على عرش بلاد السند في سنة ٨٧ هـ قبل الفتح العربي بخمس سنوات، ولكنه فشل بعد محاصرته للعاصمة أرور حتى نفذ محمد العلافي العربي خططه العسكرية العربية التي لم تكن معروفة لأمير رمل وبذلك أنقذ العلافي ملك السند داهراً من الهلاك كما أشرنا من قبل[3].

وتوجه محمد بن القاسم نحو مدينة باتيه القديمة التي كانت تقع على الشاطىء الجنوبي لنهر بياس، وكان حاكمها الجديد الأمير ككسه بن جندر ابن عم الملك داهر وكان قد اشترك مع داهر في المعركة الأخيرة ضد العرب، وبعدها عاد إلى باتيه ولما علم بقدوم محمد بن القاسم أرسل إليه مندوبه للاستقبال مع الهدايا والضمانات والرهائن وعرض الطاعة له، وقبل محمد بن القاسم ذلك منه، وكان الأمير ككسه حكيمًا فاتخذه محمد بن القاسم مستشاراً سياسياً له كما فوض إليه الأمور المالية وخاتم الخزينة لمنطقة باتيه، وقدمه على جميع القواد السند الذين كانوا يعملون معه، وكان الأمير ككسه خير معين لمحمد بن القاسم في غزواته القادمة، ولذلك لقبه بالمستشار المبارك، وهو قد دخل الإسلام على يد محمد بن القاسم الذي كان يعتمد عليه في كثير من

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ٢٢٤ و٢٢٦.
(2) تاريخ المعصومي بالفارسية ص ٢٨.
(3) ججنامه بالفارسية ص ٦٩ و٧١.

الأمور الخطيرة ويكشف له عن الأسرار السياسية ويعزه ويجله كما كان الأمير ككسه مخلصاً محباً وناصحاً أميناً لمحمد بن القاسم كما تدل على ذلك الأحداث التاريخية الكبيرة فيما بعد[1].

فتح اسكلنده (اسكندراه):

بعد ذلك فكر محمد بن القاسم أن يفتح المدينة المعروفة الملتان ولكن كان عليه أن يستولي أولاً على مدينة اسكلنده[2] وكانت محصنة للغاية ومستعدة للحرب فخرج أهلها لقتال العرب، فحاربتهم الجيوش العربية بشدة ومهارة بقيادة زائدة بن عميرة الطائي والأمير ككسه بن جندر واشتدت المعركة وسالت الدماء غزيرة من الطرفين، حتى انهزم أهل اسكلنده وعادوا إلى داخل القلعة، وهنا قذف العرب القلعة بأحجار المناجيق والسهام المشتعلة، واستمرت الحالة هكذا سبعة أيام حتى نقصت الغلة في جيش السند وهرب حاكم المدينة، واحتمى في حصن سكة الواقعة على الشاطىء الجنوبي لنهر راوي بقرب الملتان، فدخل محمد بن القاسم المدينة، ودارت معركة داخلها فقتل الكثيرين من الجند السند، ووقع آخرون منهم أسرى في أيدي العرب وأعطى محمد بن القاسم الأمان للتجار والصناع والزراع وعامة الناس ثم ولى عتبة بن سلمة التميمي حاكماً على المدينة[3].

فتح قلعة سكة[4]:

ثم توجه محمد بن القاسم نحو مدينة سكة وكان حاكمها الأمير بجهرا، ووقعت حرب دامية بين المسلمين والسند لمدة سبعة عشر يوماً واستشهد في

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٢٣٥ و٢٣٦.

(٢) يذكر صاحب ججنامه اسم المدينة اسكلنده ولكن المعصومي يذكرها باسم اسكندراه.

(٣) ججنامه بالفارسية ص ٢٣٦ و٢٣٧.

(٤) سكة: كانت منطقة عسكرية تقع على الشاطىء الجنوبي لنهر راوي وقريبة من مدينة الملتان (ججنامه ص ٢٣٦).

المعركة عشرون قائداً عربياً ومائتان وخمسة عشر جندياً فارساً من أهل الشام، وأقسم محمد بن القاسم أن يهدم هذه القلعة بسبب حزنه الشديد على مقتل قواده، وهرب الأمير بجهرا وعبر نهر راوي الى الضفة الشمالية وانضم إلى حاكم الملتان، فاستولى محمد بن القاسم على سكة وأمر بهدمها[1] وكانت قلعة سكة محصنة للمراقبة والدفاع وكان سكانها كلهم من الجنود، ولذلك أمر القائد العربي بهدمها وقتل من فيها، على أن مثل هذه الواقعة لم تحدث في أي مكان آخر في بلاد السند.

فتح مدينة الملتان المعروفة ونواحيها بإقليم البنجاب:

ثم زحف القائد العربي المظفر مع جيشه الجرار نحو مدينة الملتان المشهورة عاصمة إقليم البنجاب، وهناك اشتبك في قتال عنيف مع الأمير كندا حاكم الملتان والأمير بجهرا حاكم سكة، واستمر القتال لمدة يومين بين الجيش العربي والجيش الملتاني، وقتل الكثيرون من الجانبين، ثم رمى العرب بقذائفهم النارية من المناجيق لمدة شهرين في فترات متقطعة حتى نفذت المواد الغذائية في هذه المنطقة، وبدأ الناس يأكلون الحمير لدرجة أن ثمن الحمار الواحد وصل إلى خمسمائة درهم، وخاف قائد الجيش الملتاني الأمير كورسيه بن جندر وهو ابن عم الملك داهر ملك بلاد السند من عاقبة الأمر فهرب والتجأ عند ملك بلاد كشمير بعد أن عبر الحدود السندية التي لم تكن القوات العربية الباسلة قد وصلت إليها بعد، وأخيراً هدم العرب جدران المدينة بقذائف المناجيق ودخلوها وقاتلوا الجند فيها فقتل نحو ستة آلاف جندي ملتاني مسلح ووقع الكثيرون منهم في الأسر، وأعطى محمد بن القاسم الأمان للتجار والصناع والزراع ولكنه فرض عليهم دفع جزء من نفقات الجيش لفتح هذه المدينة التي كلفت العرب الكثير بالإضافة إلى دفع الجزية والخراج، فقدم كبار

---

(1) جحنامه بالفارسية ص ٢٣٧ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٨.

المدينة إلى العرب ستين ألف درهم من الفضة تعويضاً للخسائر في الحرب[1] وهذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يأخذ فيها محمد بن القاسم جزءاً من نفقات فتح المدينة كتعويض للخسائر العسكرية الكبيرة التي لحقت بالجيش العربي.

والبلاذري يذكر سبباً آخر في استسلام أهالي المدينة فيقول بأن أهل الملتان قاتلوا بشدة ثم لما دخل العرب المدينة وحاصروا أهلها أياماً طويلة حتى نفذت أزواد المسلمين فأكلوا الحمير وأتاهم رجل مستأمن فدلهم على مدخل الماء الذي يشرب منه أهل المدينة، وهو ماء يجري من نهر بسمد فيصير في مجتمع له مثل البركة أو الحوض في المدينة، فأمر محمد بن القاسم بأن يغور (يعمق) المجرى وأن يقيموا خزاناً لمنع الماء عنهم، فلما عطشوا نزلوا على الحكم، فقتل محمد ابن القاسم أهل السلاح الذين رفضوا الاستسلام وحصل المسلمون على غنائم كثيرة من الذهب وجمعت الأموال في بيت حجمه عشرة أذرع في ثمانية أذرع ولذلك سميت الملتان عند العرب باسم مرج بيت الذهب[2].

أهمية بيت الصنم في الملتان اقتصادياً ومذهبياً:

بعد فتح مدينة الملتان بإقليم البنجاب جاء رجل برهمي إلى محمد بن القاسم وروى قصة بيت الصنم فقال إن الملك جسرين من ملوك كشمير كان قد حكم مدينة الملتان في الأزمان القديمة، وكان راهباً برهمياً ومتعصباً في دينه، فبنى حوضاً في الجانب الشرقي لمدينة الملتان مساحته مائة متر مربع وبنى في وسطه بيتاً للصنم، مساحة خمسين متراً مربعاً، وبنى تحت موضع الصنم حجرة وترك فيها كنزاً، وكان الصنم تمثالاً لرجل من الذهب له عينان من الياقوت الأحمر، فدخل محمد بن القاسم المعبد مع خواصه وأمر برفع الصنم،

(1) انظر ججنامه بالفارسية ص ٢٣٨ و٢٣٩.
(2) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٨ ـ الكامل في التاريخ جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ. تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦١.

والتفتيش عن الكنز فوجدوا ثلاثة عشر الف ومائتين منا من الذهب بالإضافة إلى الأموال والمجوهرات الأخرى التي وقعت في أيدي المسلمين بعد فتح الملتان من الجهات الحكومية[1].

ويقول البلاذري بأن بد الملتان (صنم الملتان) كان بدأ عظيمًا تهدى إليه الأموال وتنذر له النذور ويحج إليه أهل بلاد السند والهند من كل ناحية فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده[2] وقد كتب كثير من الجغرافيين والمؤرخين العرب في صفات هذا المعبد وأهميته من الناحية السياسية والمذهبية والاقتصادية، أشرنا إليها باختصار، وقالوا إنه إذا أراد ملك هندي أن يفتح الملتان في عهد العرب، كان العرب يهددون بكسر الصنم، فيضطر ذلك الملك الهندي المغير للعودة من حيث أتى تعظيمًا لهذا الصنم، وهذا يدل على أهمية المعبد سياسياً أيضاً فضلاً عن أهميته مذهبياً.

تنظيم أمور الملتان وبناء مسجد جامع فيها:

قام محمد بن القاسم بتنظيم الأمور المالية والعسكرية والمذهبية في الملتان، واخذ المواثيق والعهود من أعيان المدينة بالطاعة والعمل المشترك لرفاهية الشعب، وعين داود بن نصر بن وليد العماني حاكمًا على المدينة، ووضع معه قوة من الجند العرب كما بنى مسجداً عظيمًا للمسلمين، وكذلك ولى خريم بن عبد الملك التميمي على مدينة برهمبور[3] الواقعة على نهر جهيلة، وولى عكرمة ابن ريحان الشامي على سواد الملتان، وولى احمد خريمة بن عتبة المدني على مدينتي اشبهاروكرور ثم جهز السفن بالأموال والغنائم وأرسلها إلى العراق

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠.

(٣) برهمبور (سوبور): تقع بالقرب من الملتان بجوار مدينة اشهار ومدينة كرور (انظر المذكرة الجغرافية الملحقة بكتاب الغزو العربي للهند لماجدار الهندي ص ٤٧ ب)

عن طريق ميناء الديبل في حراسة جيش مسلح إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع رسالة مفصلة عن فتح مدينة الملتان وتنظيم أمورها[1] وقد بلغ عدد جيشه في الملتان نحو خمسين ألفاً من الجند والفرسان وعشرهم فقط من العرب.

ما أعيد الى خزينة دار الخلافة من النفقات:

قبل إرسال السفن المحملة بالأموال والغنائم من الملتان عن طريق ميناء الديبل إلى العراق، كانت قد وصلت رسالة من الحجاج إلى محمد بن القاسم وهو بمدينة الملتان: «إني قد كتبت إلى أمير المؤمنين الوليد، أضمن له أن أرد إلى بيت المال ضعف نظير ما أنفقت، فأخرجني من ضماني»[2] وكان الحجاج قد أنفق على الجيش العربي لفتح بلاد السند والملتان ستين ألف ألف درهم، فلما وصلت الأموال التي أرسلها محمد بن القاسم إليه وجدها مائة وعشرين ألف ألف درهم، أي مضاعف ما أنفق، فقال الحجاج: «شفينا غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر»[3].

وفاة الحجاج وعودة محمد بن القاسم إلى أرور:

في الوقت الذي كان البطل الفاتح قد تفرغ من أمور الملتان وجمع حوله نحو خمسين ألف فارس وجندي محارب من العرب والسند، وكاد ينتهي من فتح النواحي النائية لبلاد السند والملتان، وصله خبر وفاة الحجاج في سنة ٩٥ هـ وكان ذلك مفاجأة وتأثر تأثراً شديداً، فبعد أن كانت وجهته القادمة هي بلاد كشمير التي تحمي أمراء السند وتمدهم بالقوة العسكرية ضد العرب،، وربما كانت وجهته بعد ذلك بلاد الهند أيضاً ليكتمل فتح القارة

(١) جچنامه بالفارسية ص ٤.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٩٠.
(٣) فتوح البلدان جـ ٣ ص ٥٣٨ ـ جچنامه ص ٢٤٠ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٨٩ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠.

الهندية كلها، قرر العودة إلى أرور العاصمة لمتابعة الأحداث السياسية الجديدة في دار الخلافة.

فتح المدن التابعة لأرور مثل البيلمان وسرست:

ولما وصل محمد بن القاسم إلى مدينة أرور قرر البقاء هناك للراحة النفسية واستقبال الناس من مختلف الطبقات للتعزية بوفاة الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق وابن عمه، وبعد أيام وجه جيشاً بقيادة أحد قواده إلى مدينة البيلمان[1] الصغيرة التابعة لأقليم أرور، فاستسلم أهلها بلا قتال، وكذلك أرسل جيشاً آخر بقيادة قائد عربي إلى مدينة سرست[2] وهي منطقة تسكنها قبائل من قوم الميد الذين كانوا معروفين بقطع الطرق في البر ونهب السفن في البحر، وإيذاء المسافرين فقد عرضوا الطاعة للعرب بعد التعهد بسلامة الطرق البرية والبحرية، وبذلك أمنت السفن التجارية المارة بهذه النواحي كميناء الديبل في طريقها إلى بلاد السند من البلاد العربية[3].

فتح اقليم الكيرج (كورج) على الحدود السندية الهندية:

كان الأمير جيسيه بن داهر قد فر هارباً مع سبعمائة من قواده الفرسان إلى الكيرج على الحدود السندية مع بلاد الهند، بعد أن انهزم أمام العرب في برهمناباد، فاستقبله حاكمها الأمير دروهر (دوهر) الذي كان من أقرباء الملك داهر أيضاً، ووعده بالمساعدة لقتال العرب، ولكن حصل سوء تفاهم بينهما بسبب غرام وقعت فيه نحوه الأميرة (جنكي) أخت دوهر حاكم الكيرج، فقد عشقته ودخلت عليه غرفته في منتصف الليل وطلبت منه القرب والوصال

---

(١) البيلمان: مدينة صغيرة تقع بجوار مدينة الور الكبيرة، ولم يحقق موضعها بالضبط.

(٢) سرست: مدينة صغيرة تقع أيضاً بالقرب من مدينة الور المعروفة.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٩٥ هـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

فرفض طلبها الأمير جيسيه، وفي الصباح اتهمته الأميرة بمحاولة الاعتداء على شرفها، وحاول الحاكم قتله سراً بحيلة، وعلم بذلك الأمير جيسيه وغادر المدينة إلى بلاد كشمير ورحب به ملكها (بلهرا) وأكرمه وبقي الأمير جيسيه عنده فترة طويلة من الزمن[1].

ثم قام محمد بن القاسم بالحملة على الكيرج[2] فخرج حاكمها الأمير دوهر بجيش كثيف وقاتل العرب بشدة ولكنه قتل في المعركة وانهزم جيشه ونزل أهل المدينة لحكم محمد بن القاسم الذي قتل المسلحين فيها وأسر الذين سلموا أنفسهم وقبلوا الطاعة، قال الشاعر في مقتل دوهر:

نحن قتلنا داهراً ودوهرا   والخيل تردي منسراً فمنسرا[3]

ويبدو أن محمد بن القاسم كان يعلم بخطورة هذا الأمير السندي جيسيه ولذلك نراه يطارده من مدينة إلى مدينة حتى هرب الأمير إلى بلاد كشمير خارج حدود بلاد السند، وكان الأمير جيسيه قد اشتبك مع محمد بن القاسم في حروب كثيرة عنيفة أيام الملك داهر، وبعد مقتله هرب واحتمى في قلعة راور فطارده إليها فهرب منها إلى قلعة برهمناباد وبعد معارك عديدة دامت شهرين فر من هناك هارباً إلى إقليم الكيرج فطارده محمد بن القاسم إلى هناك أيضاً إلا أنه كان قد غادر المدينة بسبب وقوع الخلاف بينه وبين الأمير دوهر، فلجأ في النهاية عند ملك بلاد كشمير وبقي هناك لسنين عديدة ينتظر الفرصة، ونراه أيام الاضطرابات بعد مقتل محمد بن القاسم يظهر من جديد ويعود إلى بلاد السند ويستولي على حكم أهم إقليم بها وهو إقليم برهمناباد ويحكم فيه

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣.

(٢) الكيرج: اقليم سندي يقع على الحدود السندية ويقول ماجدار الهندي إنه يمكن تحقيق كيرج على أنها (كيرا) كما ذكرت في النصوص الهندية، وهي تتبع القسم الشمالي الشرقي من الهند على حدود السند (انظر المذكرة الجغرافية الملحقة لكتاب الغزو العربي للهند ص ٥٧ ب).

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٩٥ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

عدة سنوات حتى يقضي عليه الجنيد سنة ١١١ هجرية، وسنتكلم عن ذلك بالتفصيل فيما بعد.

توجه محمد بن القاسم إلى حدود بلاد كشمير:

بعد السيطرة على إقليم الكيرج ونواحيه التي تقع في المنطقة الممتدة الواسعة ما بين الملتان وبلاد كشمير، توجه محمد بن القاسم إلى حدود بلاد كشمير، وعين عليها حاكماً عسكرياً وترك معه حامية من الجند[1] ثم أراد محمد بن القاسم مطاردة الأمير جيسيه في بلاد كشمير التي التجأ إليها عدد من المتمردين العرب بزعامة محمد العلافي وبعض أمراء السند.

وبذلك يكون هؤلاء قد كونوا جبهة قوية معادية للدولة العربية الجديدة القائمة ببلاد السند، ولكن محمد بن القاسم أجل التوغل داخل بلاد كشمير لعزمه أولاً على فتح اقليم مهم وهو اقليم قنوج الواقع على الحدود والتابع سياسياً لبلاد السند.

فتح إقليم قنوج:[2]

عندما كان محمد بن القاسم في مدينة الكيرج، أرسل جيشاً مكوناً من عشرة آلاف فارس بقيادة أبي حكيم الشيباني إلى مدينة قنوج الواقعة في أقصى جهات الملتان على الحدود لمقاتلة حاكمها الأمير جهتل ودعوته إلى الإسلام أو قبول الطاعة ودفع الجزية، ولما وصل الجيش العربي قرب قنوج إلى موضع يقال له (اودهاير)[3] أرسل أبو حكيم الشيباني أحد القواد يسمى زيد بن عمرو الكلابي إلى حاكم قنوج لتبليغ الرسالة وأن يخبره بأن جميع الأمراء والحكام في بلاد السند قد بايعوا محمد بن القاسم كما دخل بعضهم في

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٤١.

(٢) قنوج: يفهم من عبارة جچنامه أن قنوج اسم إقليم واسع عند حدود بلاد السند مع بلاد الهند.

(٣) اودهاير: اسم موضع أو قرية باقليم قنوج.

الإسلام والباقي منهم قبلوا الطاعة ودفع الجزية(١).

فأجاب حاكم قنوج بأن ولايته من مدة ألف وستمائة سنة تحت حكم آبائه وأجداده، وحدود بلاده مستقرة مع الجيران، وأنه لا يجب الاطاعة للعرب ومستعد للقتال، ولما سمع محمد بن القاسم رده استشار قواده في الموضوع فقرروا الحرب وفتح اقليم قنوج ومدنه.

وتحرك الجيش العربي بقيادة محمد بن القاسم نفسه من الكيرج حتى وصل إلى موضع اودهابر الواقع قرب مدينة قنوج ولما عزم القيام على دخول مدينة قنوج، وكان قد استعد تماماً لفتحها، وصل إليه الأمر من دار الخلافة بالتوجه إلى العراق(٢) وبذلك لم يتمكن من فتح قنوج وهي آخر جزء في بلاد السند.

عزل محمد بن القاسم وقتله ظلماً:

في الوقت الذي كان محمد بن القاسم يريد فتح قنوج وهي آخر جزء من بلاد السند ثم التوجه إلى بلاد كشمير، للقضاء على أمراء السند والعرب المتمردين هناك، وكان يريد تنظيم الدولة العربية السندية الإسلامية التي أسسها لتصبح دولة قوية مثالية في القارة الهندية، في مثل هذا الوقت وصل الأمر المشئوم من الخليفة سليمان بن عبد الملك بالعزل بل بالقاء القبض عليه وإرساله إلى العراق.

قصة بطلنا الذي بكى عليه كل ضمير حي:

مات الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٩٥ هجرية (٧١٤م) وكان يبلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً وكانت مدة ولايته على العراق والولايات

---

(١) جججنامه بالفارسية ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ولكن البلاذري لا يذكر شيئاً عن قنوج وإنما يجعل مدينة الكيرج آخر مدينة فتحها محمد بن القاسم حتى وصله أمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك بعودته إلى العراق سنة ٩٦ هجرية.

(٢) جججنامه بالفارسية ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

الشرقية التابعة للخلافة الأموية عشرين عاماً، منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، فتولى حكم العراق من بعده يزيد بن أبي مسلم نائب الحجاج لمدة شهور، ثم بعد ستة أشهر من وفاة الحجاج مات الخليفة الوليد أيضاً في سنة ٩٦ هـ (٧١٥م) وتولى الخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك، وولى على العراق صالح بن عبد الرحمن الذي كان من أشد الأعداء للحجاج.

كانت وفاة الحجاج مفاجأة لمحمد بن القاسم، ثم كانت وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك كارثة بالنسبة له، وإيذاناً بأفول نجمه من سماء المجد حيث بدأ الدهر كعادته مع الأبطال يلعب دوره بالغدر والجفاء، فقد كان الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك عدواً لدوداً للحجاج الذي أيد الخليفة السابق الوليد بن عبد الملك في جعل ابنه ولياً للعهد ووريثاً له على أن يحرم أخاه سليمان من هذا الحق! واستطاع الحجاج بقوة شخصيته أن يحصل على موافقة الولاة والحكام على خلع سليمان من حق ولاية العهد وإعطاء البيعة لابن الخليفة الوليد، بعد أن كتب إلى الولاة والحكام بذلك، وكان محمد بن القاسم أيضاً من ضمن هؤلاء الولاة والحكام والقواد الذين كانوا مضطرين للموافقة على ذلك راغبين أو كارهين، وذلك إطاعة لأمر الخليفة الذي يحكمهم ويأمرهم، ولكن شاء القدر أن يموت الحجاج في تلك الأيام وبعده مات الخليفة الوليد أيضاً قبل إتمام تتويج ابن الخليفة بالبيعة له بصفة رسمية، فتولى سليمان الخلافة بحكم القانون، وبدأ يصب جام غضبه على أفراد أسرة الحجاج وأقربائه بصفة خاصة وعلى الولاة والقواد الآخرين بصفة عامة، وعزلهم جميعاً من مناصبهم العالية، وجمع معظمهم في العراق وأذاقهم ألوان العذاب على يد والي العراق حتى قتل الكثيرون منهم تحت التعذيب في السجن[1].

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٢ حوادث سنة ٩٦ هـ ليدن ـ وكذلك ميور في كتابه الخلافة ص ٣٥٤ و٣٦٢ و٣٦٤ طبع سنة ١٩٢٤م.

وقد كان والي العراق الجديد صالح بن عبد الرحمن أحد أعداء الحجاج الذي كان قد قتل أخاه آدم بن عبد الرحمن لأنه كان يرى رأي الخوارج، فانتهز صالح هذه الفرصة للانتقام لنفسه أيضاً من أسرة الحجاج ومن أتباعه وأحبابه، فولى على بلاد السند يزيد بن كبشة السكسكي الذي ألقى القبض على محمد بن القاسم زوج بنت الحجاج وابن أخيه، وأرسله مقيداً إلى العراق فحبسه في سجن واسط[1].

ولم يقاوم محمد بن القاسم، بل سلم نفسه ليزيد بن كبشة إطاعة لأمر الخليفة، رغم ما كانت له من قوة جبارة وشعبية كبيرة في بلاد السند بين المسلمين وغير المسلمين، وحتى القواد العرب كانوا خائفين على مصير محمد بن القاسم ونصحوه بعدم السفر إلى العراق، ولكنه كان يحسن الظن بأن الخليفة بعد التحقيق حين يعلم أنه كان مضطراً للموافقة على إرادة الخليفة السابق إطاعة له، كما فعل غيره من الولاة والحكام والقواد، أنه سيقدر خدماته العظيمة في سبيل الإسلام، ويقبل عذره ولاسيما أنه لم يكن له أية عداوة شخصية مع الخليفة سليمان أو غيره قبل توليه الخلافة بالرغم من كونه من أقرباء الحجاج، ولكن خاب ظنه حين وقع في قبضة عدو لا يرحم وهو والي العراق الذي قرر أخذ الثأر من هذا الشاب المعروف ببطولته في العالم الإسلامي وأراد القضاء عليه انتقاماً لمقتل أخيه آدم، وفي ذلك قال محمد بن القاسم قصيدة وهو مقيد بالسلاسل الحديدية في السجن المظلم المرطوب بعد أن علم أنه لا خلاص له من أيدي فئة ظالمة، وندم على أنه لم يسمع الشعب السندي الذي طلب منه البقاء وقرر الوقوف خلفه ولاسيما زعماء السند والقواد العرب لأنهم كانوا على علم بالظروف السياسية وكان في استطاعته في بلاد السند أن يرفض التسليم ويستقل بحكم البلاد ولكن شهامته العربية لم تقبل

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٩٥ هـ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

العصيان مع الخليفة ولو كان هو على حق، فأطاع الأمر فكان جزاؤه هو جزاء سنمار وإلى ذلك يشير في قصيدة له جاء فيها:

فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلاً مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال في قصيدة أخرى:

لو كنت أجمعت القرار لوطئت اناث أعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا ولا كان من عك علي أمير
ولا كنت للعبد المزوني تابعاً فيا لك دهر بالكرام عثور

ثم عذبه والي العراق صالح بن عبد الرحمن شهوراً حتى قتله تحت التعذيب الوحشي لحقده على أسرة الحجاج[1].

وعندما كان محمد بن القاسم يغادر بلاد السند خرج عشرات الآلاف من المسلمين والبوذيين والبرهميين لتوديعه بالدموع الغزيرة، حين رفض رجاءهم في البقاء ببلاد السند ليقفوا خلفه للدفاع عنه، ثم بكوه بالدم عند سماعهم بمقتله حزناً على شبابه وتقديراً لبطولاته، وقد أقاموا له تمثالاً رائعاً في مدينة الكيرج تخليداً لذكراه ورمزاً لجهاده وشعاراً لخدماته الجليلة في سبيل الإسلام والإنسانية وذلك في القرن الأول الهجري وفي سنة ٩٦ هـ[2].

هكذا توقف فجأة ذلك الزحف المقدس والتقدم في الفتوحات بقيادة محمد ابن القاسم، وفقد العالم الإسلامي بذلك قائداً شجاعاً، وفاتحاً عظيماً نتيجة للغدر والضغينة والانتقام غير العادل، ذلك الفاتح الشاب الذي استطاع أن يفتح بلاد السند كلها في خلال ثلاث سنوات وترك فيها آثاراً إسلامية طيبة، فقد بنى مساجد كبيرة في المدن المشهورة هناك حتى ارتفعت راية الإسلام عالية، ولاتزال ترفرف وتذكر الملايين في تلك الأرجاء الواسعة بأن الذي رفع هذه الراية كان أصغر فاتح في العالم.

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٣٨.

الفصل السادس

الحكم العربي ببلاد السند والبنجاب في العصر الأموي بعد محمد بن القاسم

خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي (٩٦ - ٩٩ هـ):

تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٦ هـ بعد أن كاد يحرم من حقه في الخلافة بسبب رغبة الخليفة السابق الوليد بن عبد الملك تحويل الحكم إلى ابنه، ولكن بسبب وفاة الحجاج والخليفة الوليد لم يتم التتويج رسمياً لابن الخليفة السابق، وتولى الخلافة سليمان لكونه ولي العهد الشرعي.

ولما تولى الحكم سليمان طرد بعض الولاة من مناصبهم في البلاد والولايات الإسلامية التابعة لدار الخلافة، وذلك بسبب تأييدهم للخليفة الوليد والحجاج في خلعه، وعين بدلهم ولاة جدداً وبذلك تغيرت سياسة الدولة الأموية تغييراً شاملاً، وتوقفت حركة الفتوحات فجأة في معظم الجهات، وكانت الحالة السياسية سيئة في العالم الإسلامي، بل حتى دار الخلافة نفسها في السنة الأولى لحكم سليمان، ولا شك في أن ذلك كله قد أثر في تغيير الأوضاع سياسياً في البلاد الأخرى التابعة للخلافة مثل ايران وما وراء النهر وبلاد السند وغيرها.

ففي بلاد السند ابتداء من عهد الخليفة سليمان إلى عهد الخليفة هشام أي في خلال عشر سنوات كانت الحالة السياسية مضطربة للغاية، وكان موقف

العرب قد تذبذب وتدهور بعد انتهاء حكم محمد بن القاسم مباشرة، فقد قامت الفتن والثورات ضد العرب في بلاد السند على أيدي بعض الأمراء السند الذين كانوا فروا هاربين إلى بلاد مجاورة كبلاد كشمير بحيث انتهز هؤلاء فرصة الاضطرابات القائمة في العالم الإسلامي وفي دار الخلافة، وحان لهم أن يعودوا إلى بلاد السند، ويبدو أن بعض هؤلاء قد نجحوا في الاستيلاء على بعض المناطق السندية والقيام بالاضطرابات فيها.

ويلاحظ بصفة عامة أن معظم ولاة العرب ببلاد السند الذين أتوا بعد محمد بن القاسم، قلما كانوا يقومون بأعمال كبيرة أو فتوحات جديدة، وكانت الدولة العربية ببلاد السند عموماً قد بقيت منكمشة في نفسها في المناطق التي فتحها محمد بن القاسم من قبل، بل خرجت مناطق عديدة من أيدي العرب، وحاول الولاة الأقوياء منهم أن يفتحوها من جديد، وكان كل ذلك التذبذب والتدهور للعرب ببلاد السند بسبب استمرار الاضطرابات السياسية في الدولة الأموية لظهور أحزاب معادية لها من ناحية، وبسبب نشوب الخلافات القبلية العصبية بين العرب ببلاد السند نفسها بعد محمد بن القاسم من ناحية أخرى.

ولاية يزيد السكسكي (سنة ٩٦ هـ)

في عهد الخليفة سليمان تولى حكم بلاد السند يزيد بن أبي كبشة السكسكي سنة ٩٦ هـ وإن العمل الوحيد الذي قام به هو إلقاء القبض على محمد بن القاسم الذي سلم نفسه بلا مقاومة إطاعة لأمر الخليفة وإرساله إلى العراق، مما أدى ذلك إلى توقف حركة الفتوحات، فلو كانت هذه الحركة تستمر بنفس السرعة التي كانت تسير على يد محمد بن القاسم والتي كانت قد وصلت إلى حدود بلاد كشمير وحدود بلاد الهند، ربما كان الفتح يخطو خطوات أخرى وتفتح أجزاء واسعة من تلك البلاد، ولكن السكسكي توفي

بعد ثمانية عشر يوماً من قدومه إلى بلاد السند وبذلك ترك البلاد في الفوضى والاضطراب العام[١].

ولاية حبيب بن المهلب (سنة ٩٧ هـ):

استعمل الخليفة سليمان بعد وفاة يزيد السكسكي على بلاد السند حبيب ابن المهلب بن أبي صفرة في أوائل سنة ٩٧ هـ وكان حبيب أخاً ليزيد بن المهلب والي العراق وخراسان، ولما وصل حبيب إلى بلاد السند وجدها في الاضطراب العام، قد أدى عزل محمد بن القاسم وموت السكسكي بعده مباشرة إلى تشجيع أهل البلاد في بعض المناطق للقيام بالفتن السياسية ضد العرب الذين اضطروا أن يتركوا بعض المناطق التي كانوا يحكمونها أو يسكنونها منذ أيام الفتوحات، وبذلك عاد كثير من أفراد القبائل السندية إلى مساكنهم الأصلية بعد أن كانوا يقيمون مع العرب في معسكراتهم ويؤيدونهم بسبب تأثرهم بأخلاق محمد بن القاسم وبشخصيته الكريمة، وكان من نتائج تلك الفوضى أن استغل الفرصة ولي العهد الأمير جيسيه واستولى على حكم ولاية برهماباد ليحكمها بضع سنوات، كما قام بعض الحكام السابقين من السند بالفتن في المناطق الأخرى مثل الور والكيرج وغيرهما[٢].

لما وصل الوالي الجديد حبيب بن المهلب إلى بلاد السند نزل على شاطىء نهر السند وبدأ بمحاربة أهل مدينة الور العاصمة، وكانوا قد قاموا بالفتن والاضطرابات بغية الوصول إلى الحكم الذاتي، فانهزموا أمامه وأعطوا الطاعة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٩٦ هـ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦ ويعلق ماجدار الهندي على هذه الفقرة بقوله: «لم يفت ملوك الهند (يقصد بعض أجزاء السند) أن يستفيدوا من الاضطرابات الداخلية في العالم الإسلامي فاستعادوا بعض ممالكهم، فأعاد جيسيه بن داهر احتلال برهماباد، وهكذا عاد إلى بلاد السند استقلالها الشكلي»، ورأي ماجدار هذا فيه مبالغة، وروح التعصب واضحة لأن الأحداث التاريخية القادمة ستبرهن على خطأ رأي ماجدار.

له، وبعد ذلك قام بإخضاع المناطق الأخرى أيضاً، ولكن الوقت لم يساعده للتوجه إلى برهماباد، وبعد سنتين من حكمه عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي بتهمة الاشتراك في المؤامرة مع أخيه ضد الخلافة في سنة ٩٩هـ[١].

خلافة عمر بن عبد العزيز العادل(٩٩ ـ ١٠١ هـ):

توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك في ٢٠ صفر سنة ٩٩ هـ وتولى الخلافة بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز وكان حاكماً عادلاً، وعزل الخليفة كلاً من يزيد بن المهلب عن حكم العراق وأخاه حبيب بن المهلب عن حكم بلاد السند، بتهمة المؤامرة ضد الخليفة وأدخلهما مع الآخرين في السجن، وكان السبب الأصلي للمؤامرة هو الخلافات القبلية التي بدأت تظهر بين العرب في كثير من البلاد العربية والولايات الإسلامية منذ عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، وكان لهذه الخلافات القبلية السياسية أثرها السيء على العرب المقيمين بها خاصة، وعلى بلاد السند عامة.

ولاية عمرو بن مسلم الباهلي (٩٩ هـ):

تولى حكم بلاد السند في سنة ٩٩ هـ عمرو بن مسلم الباهلي الذي كان أخاً لقتيبة بن مسلم فاتح بلاد تركستان وبخارا، وقد استطاع عمرو بن مسلم أن يسيطر على البلاد وينشر الأمن والاستقرار بعد قضائه على الفتن الباقية فيها وقد غزا بعض المناطق مثل كش (كچه) وأخضعها للحكم العربي، وكانت مدة حكمه ببلاد السند سنتين حيث عزل في سنة ١٠١ هـ بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز مباشرة نتيجة لتغير السياسة في دار الخلافة[٢].

وكان عمرو بن مسلم الباهلي قد قام ببعض أعمال جليلة في هذه الفترة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٠ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ٩٥ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٠.

القصيرة، فقد بعث الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ برسائل رقيقة إلى أمراء السند وقوادها وأعيانها يدعوهم إلى الإسلام، على أن يبقوا في مراكزهم الحكومية ولهم مثلما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، وكانت قد بلغتهم سيرته الحسنة، واستطاع عمرو بن مسلم الباهلي أن يعمل الكثير في انجاح هذه الدعوة فدخل الكثيرون من الأمراء والزعماء في الإسلام وتسموا بأسماء المسلمين أيضاً، وكان بينهم الأمير جيسيه ابن داهر الذي كان يحكم اقليم برهمناباد منذ ثلاث سنوات وبعض الأمراء والحكام السند، كما قبل البعض الطاعة للعرب والبقاء على دينهم مع قبول دفع الخراج والجزية، وإن كانوا يعملون تحت إشراف الحكومة العربية ببلاد السند منذ عهد الفاتح محمد بن القاسم الثقفي الذي عينهم على تلك المناصب(١) وهكذا قلت الفتن والاضطرابات السياسية في بلاد السند وعادت مناطق كثيرة منها إلى حكم العرب في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بفضل سياسته الحكيمة وبفضل حسن تصرف الوالي عمرو بن مسلم الباهلي ببلاد السند.

خلافة يزيد الثاني بن عبد الملك الأموي (١٠١ - ١٠٥ هـ):

تولى الخلافة يزيد الثاني بن عبد الملك بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ بين موجات عنيفة من الفتن فقد هرب يزيد بن المهلب مع أخوته وأقربائه من السجن، وقد كانوا مسجونين بتهمة التآمر ضد الخلافة، وكان يزيد بن المهلب هذا من زعماء اليمانية المعروفين، وقد توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز فجأة على إثر مرض شديد وقيل إنه مسمم، ولما تولى الخلافة يزيد الثاني استطاع يزيد بن المهلب أن يستولي على الولايات الشرقية التابعة للدولة الأموية، وأرسل جيشاً بقيادة أحد قواده يسمى وداع بن حميد الأزدي إلى بلاد السند فأتى مكران ومنها وصل مدينة قندابيل واتخذها حصناً وملجأ حتى إذا اضطر آل المهلب إلى الهرب في حالة الفشل

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٤٠.

العباسي أن يلجأوا إلى هذا الجزء الثاني من بلاد السند، ولكن يزيد بن المهلب قتل في الحرب ضد الخليفة في البصرة، وانهزم إخوته وأتباعه من بعده، فتوجه ابنه معاوية بن يزيد بن المهلب مع أعمامه واخوته وأسرهم إلى إقليم مكران ببلاد السند ومنها أتوا إلى مدينة قندابيل للإقامة فيها[1].

ولاية هلال بن أحوز التميمي (١٠١ ـ ١٠٦ هـ):

عين الخليفة يزيد الثاني بن عبد الملك على بلاد السند هلال بن أحوز التميمي في سنة ١٠١ هـ وأمره أن يبذل أقصى جهده للقضاء على آل المهلب الذين صاروا خطراً على الدولة الأموية، ولما وصل هلال إلى بلاد السند جهز جيشاً وتوجه بعد أيام إلى مدينة قندابيل المحصنة في ناحية إقليم مكران وحارب آل المهلب، وقد قتل في المعركة ستة من إخوة يزيد بن المهلب وابنه معاوية زعيم هذه الجماعة مع عدد كبير من أتباعه، وألقى القبض على ثلاثة عشر رجلاً وامرأة من آل المهلب وأرسلهم إلى دمشق سنة ١٠٢ هـ وبذلك استطاع الوالي هلال أن يقضي على آل المهلب، وزال خطرهم من بلاد السند على الأقل[3] وبقي هلال بن أحوز التميمي بعد ذلك لمدة خمس سنوات أخرى يحكم حكماً مستقراً في بلاد السند حتى سنة ١٠٦ هـ وفيها عزله الخليفة الجديد هشام بن عبد الملك.

خلافة هشام بن عبد الملك الأموي (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ):

في ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ هجرية توفي الخليفة يزيد الثاني بن عبد الملك وتولى الخلافة هشام بن عبد الملك الذي حكم عشرين عاماً، وبوصوله إلى السلطة والحكم قلت الفتن السياسية والخلافات القبلية لما كان يتصف به هذا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٤ ـ وكذلك انظر تاريخ الإسلام جـ ٢ ص ٩.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٠.
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٤٠.

الخليفة من الشدة والصلابة، وبدأت الحالات السياسية تتحسن في العالم الإسلامي، وأثر ذلك على سياسة بلاد السند أيضاً وكان معظم ولاة العرب فيها أقوياء وقد حققوا انتصارات سياسية جديدة لا في داخل بلاد السند، بل عبروا حدودها إلى البلاد المجاورة وفتحوا مناطق جديدة وبذلك وسعوا رقعة الدولة الإسلامية في الشرق.

ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري (١٠٧ - ١١١ هـ):

في سنة ١٠٧ هـ تقريباً تولى حكم بلاد السند رجل سياسي كبير وهو الجنيد بن عبد الرحمن المري، وكان قائداً عظيماً، ولذلك اختاره الخليفة هشام لحكم بلاد السند لأسباب سياسية خارجية، فقد توجه بجيش كبير من دار الخلافة حتى وصل بلاد السند فنزل في مدينة الديبل وقرر أن يتفقد البلاد ليجمع أخبارها بنفسه بعد ظهور الاضطرابات في السنوات الماضية، وقد بدأ السير على شاطىء نهر السند من مدينة حتى اقترب من ولاية برهمناباد التي كان الأمير جيسيه بن داهر قد استولى عليها بعد مقتل محمد بن القاسم بالعراق وظل يحكمها، وإن كان قد دخل في الطاعة للخلافة الأموية بدون إتباع والي بلاد السند وذلك منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كما كان أعلن إسلامه إجابة لدعوة ذلك الخليفة الصالح، وأراد الجنيد أن يدخل برهمناباد ومنعه الأمير جيسيه من الدخول قائلاً: «إني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح (الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي) بلادي ولست آمنك»[1] وغضب الجنيد من هذا التصرف وشك في إخلاصه للعرب، وكان الجنيد قائداً فطناً فلم يظهر غضبه في حينه لأن الوقت كان صعباً ولكون جيسيه ابناً لداهر ملك السند السابق، وكان يطيعه كثيرون من الحكام والقواد السند في المناطق المختلفة وعلى الحدود الهندية، ولذلك حاول الجنيد أن يحل المشكلة معه بالود وبالطريقة الدبلوماسية

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١.

فطلب رهناً، وأخذ منه الرهن مع التعهد بدفع ما على ولايته من الخراج والجزية، ثم اقام الجنيد أياماً على شاطىء نهر السند وهو يراقب تحركات وتصرفات وأخبار جيسيه، وكذلك جيسيه لم يكن غافلاً عنه. فقد كان بدوره سياسياً كبيراً وكان يعامل الجنيد بحذر شديد، وكانت النتيجة لهذه المراقبة وذلك الحذر أن شك كل منهما في الآخر، بل استعدا للقتال. وجهز الجنيد الجيش والمراكب الحربية، كما خرج إليه جيسيه بجيش كبير، بعد حصوله على مساعدة وأسلحة من بلاد مجاورة بالهند، وفي الغالب من حكام اقليم كجرات كما تشير إلى ذلك التطورات التاريخية والأحداث السياسية فيما بعد. فالتقى الجيشان في معركة بحرية في منطقة بطيحة الشرقية، وانهزم جيش جيسيه ووقع نفسه في الأسر فلم يمهله الجنيد فقتله فوراً[1].

وذكر البلاذري رواية أخرى لنشوب الحرب بين الجنيد وجيسيه فقال: «كفر جيسيه بن داهر أغضب الجنيد، وقيل إنه لم يحارب، ولكن الجنيد تجنى عليه»[2] فقد بيّنا فيما سبق أن سبب القتال كان بسبب الشك من الطرفين، وكان جيسيه بادئاً بالخطأ وبالشك حين منع الجنيد من دخول مدينة برهمناباد لسوء ظنه ولاعتقاده أنه سيقتله ويستولي على الحكم في ولايته أيضاً، بينما كان يعتقد الجنيد بأن جيسيه يستطيع مساعدة العرب في القضاء على الفتن الموجودة ببلاد السند لكونه حاكماً قوياً مسلماً وتابعاً سياسياً للخليفة، وحينئذ بدأ الجنيد في الشك في جيسيه ومراقبته حتى انتهى إلى قتله في النهاية، وأما عن كفر جيسيه أي إرتداده عن الإسلام فلا توجد أدلة في كتب التاريخ تثبت ذلك سوى هذه الاشارة عند البلاذري، ولعله أراد أن يبرر موقف الجنيد من قتل جيسيه بحجة الكفر حين رفض الطاعة، وفي الغالب كان السبب الحقيقي

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ١٠٧هـ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦ وحقق ماجدار الهندي «بطيحة الشرقية» ببحيرة ساركي في كتابه الغزو العربي للهند في الفصل الرابع ص ٢٧.

(2) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١.

لقتله كما قلنا سبباً سياسياً.

وبعد المعركة هرب الأمير صصه بن داهر شقيق الأمير جيسيه وأراد التوجه إلى العراق ليشكو إلى الخليفة ظلم الجنيد في حق أخيه، وإرادة صصه بالتوجه إلى العراق تدل على أنه كان مسلماً وأن أخاه جيسيه المقتول كان مسلماً أيضاً، وهذا يؤيد ما قلناه بأن جيسيه قد قتل بسبب سياسي لا ديني، وعلم الجنيد بنية صصه وقابله وآنسه بشتى الطرق والوعود، وقدم الأمير صصه بن داهر عند الجنيد فقبض عليه وقتله أيضاً[١] حتى لا يقوم في المستقبل بالفتنة في بلاد السند، ولعل الجنيد أراد أن يتخلص من جيسيه ثم شقيقه صصه بعد أن شك في تصرفاتها نتيجة لبعض الاتصالات التي تمت بينهما وبين حكام البلاد المجاورة، وليضمن بذلك الاستقرار في بلاد السند.

وقام الجنيد بعد ذلك بفتوحات عديدة في داخل بلاد السند، فتوجه نحو مدينة الكيرج التي كان قد فتحها محمد بن القاسم ويبدو أن أهلها كانوا قد ثاروا بعد ما سمعوا بما حدث في إقليم برهمناباد من إستيلاء الأمير جيسيه عليه، وأرادوا الاستقلال أيضاً عن حكم العرب، ولما وصل الجنيد إلى هناك استعد أهلها للقتال وخرج حاكمها بجيش إلى خارج المدينة واشتبك في حرب دامية مع الجنيد وانهزم في المعركة وفر هارباً داخل المدينة، وعندئذ قرر الجنيد الهجوم على المدينة فأمر باستخدام المناجيق وإطلاق النيران والأحجار وقذفها نحو المدينة، وكذلك استخدمت آلة حربية تسمى آلة كباش[٢] التي دك بها حائط المدينة حتى ثلمه ودخلها الجنيد وقاتل أهلها بشدة فقتل وسبى وغنم

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ حوادث سنة ١٠٧ هـ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

(٢) يقول ابن خلدون في شرح كلمة كباش: «ليس المراد بالكباش هنا الغنم، وإنما هي آلة حربية من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل فيدق بها الحائط فينهدم» وقد بطلت هذه الآلة كالمنجنيقات لما ظهرت الآلات النارية من المدافع وغيرها (ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦).

وهرب حاكمها في النهاية واستسلم أهلها للجنيد[1].

ويبدو أن الرعب كان قد استولى على قلوب أهل السند بعد أن فتح الجنيد مدينتي برهمناباد والكيرج بعد حرب دامية ولذلك انتشر الأمن والهدوء في جميع أنحاء بلاد السند وأطاع الجميع العرب، وبذلك اطمأن الجنيد من أحوال بلاد السند الداخلية تماماً، وأراد بعد ذلك أن يوجه اهتمامه نحو حدود بلاد السند الجنوبية الشرقية المتصلة بإقليم الكجرات ببلاد الهند، فقد كانت تحدث مشاكل كثيرة في هذه المنطقة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الأمير جيسيه قبل اشتباكه في القتال مع الوالي الجنيد كان قد سافر إلى منطقة مجاورة في بلاد الهند وحصل على مساعدات حربية كبيرة من أسلحة وجيش وعاد بها إلى بلاد السند، وكانت هذه المنطقة هي الكجرات التي ساعدت جيسيه ضد العرب، ولذلك أراد الجنيد القضاء على المؤامرات في هذه الناحية وتأديب هؤلاء القوم الهنود.

وجهز الجنيد جيشاً كبيراً وأخذ معه بعض القواد مثل حبيب بن المرة وزحف من الكيرج عن الطريق الصحراوي إلى مدينة مرمد (ماروار)[2] وفتحها بسهولة ثم تحرك نحو مدينة المندل (ماندل)[3] وفتحها بعد الحرب بها، ثم تقدم إلى مدينة دهنج (وهنج) وفتحها أيضاً[4] بعد أن انهزم الجيش الكجراتي فيها، ثم تقدم حتى استولى على مدينة بنجاسر عاصمة الكجرات الشمالية[5].

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

(2) مرمد : يقول ماجدار مرمد يمكن أن تكون معادلة (ماروار) التي تطالب جيسلمير وجزءاً من جدهبور.

(3) المندل: ربما كانت هي ماندور كما يذكرها ماجدار بهذا الاسم.

(4) دهنج : لم يتم تحقيقها ولكنها تقع بالقرب من أجين على أي حال.

(5) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

ويبدو أن الكجراتيين كانوا يعدون القوة لمحاربة العرب في مدينة بروص (بهروج)[1] فتوجه الجنيد إلى هناك وحارب أهلها وفتح المدينة، ثم توجه نحو مدينة المالبه (مالوه)[2] وفتحها أيضاً، ثم علم أن أهل مدينة أرنين (أجين)[3] يستعدون للقتال فسار إليهم وحاربهم، وفتح مدينتهم ثم زحف بجيشه نحو مدينة بهرمد[4] وفتحها وأشعل العرب النار في ضواحيها حتى قضوا على المشاغبين المعادين للعرب فيها[5] وبذلك انتقم الجنيد من الكجراتيين الذين ساعدوا جيسيه في قتاله ضد العرب، وفي هذا الوقت سمع الجنيد ـ لسوء الحظ ـ بقيام بعض الفتن في داخل بلاد السند في سرست والبيلمان والجرز، فقرر العودة إلى بلاد السند ثم وجه جيشاً إلى مدينة سرست وأخضعها وتوجه الجنيد بنفسه إلى مدينة البيلمان وحارب القبائل المشاغبة هناك حتى نشر الأمن والاستقرار فيها، وسار بعد ذلك إلى الجرز[6] وحارب أهلها بشدة وأخضعهم أيضاً[7].

وبعد أن انتهى الجنيد من اخضاع المدن السندية الثائرة عاد إلى برهمناباد التي كانت عاصمة الحكومة العربية وذلك بقصد الراحة وأقام فيها فترة، وفي الحقيقة كانت فتوحات الجنيد ناجحة جداً وكانت تسير بسرعة عجيبة في بلاد الهند لولا قيام الفتن والاضطرابات التي تسببت في وقفها، وعلى أي حال فقد أدب الجنيد حكام اقليم الكجرات ببلاد الهند، وجمع أيضاً من رحلته الطويلة أموالاً طائلة، فقد وجد في خزينة الجنيد بعد نقله إلى خراسان سوى ما أعطاه

---

(١) بروص : هي مدينة بهروج.
(٢) المالبه : هي اقليم مالوه الشرقية والغربية.
(٣) ارنين : هي مدينة أجين.
(٤) بهرمد: لم يتم تحقيقها ولكنها تقع بجوار أجين على أي حال.
(٥) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢.
(٦) الجرز : يقول ماجدار بأنها تحريف عربي لكلمة جورجارا.
(٧) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

لزواره أربعين ألف ألف درهم وحمل مثلها معه وقال جرير الشاعر المعروف في ذلك:

أصبح زوار الجنيد وصحبه يحيون صلت الوجه جما مواهبه

وقال الشاعر أبو الجويرية:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بإحسانهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من كرم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا[1]

وقد أقام الجنيد في بلاد السند أربع سنوات، واستطاع في خلالها أن يخضع المدن السندية الثائرة وينشر الأمن والاستقرار وينظم الأمور السياسية والإدارية والاقتصادية ويعيد بذلك القوة إلى أيدي العرب كما كانت في عهد محمد بن القاسم، بل استطاع أيضاً أن يفتح بعض الأقاليم والمدن الهندية في الكجرات وما حولها، وبذلك ضم إلى الفتوحات العربية الإسلامية فتوحات جديدة ببلاد الهند أيضاً ولو لفترة من الزمن.

وذكر المؤرخ الهندي ماجمدار بأن لوحات توزاري المؤرخة ٧٣٨ م تشير إلى حملات للعرب استطاعوا خلالها هزيمة ملوك سايندااهافاس وملوك كاجهيلاس وملوك سوراشترا وملوك جانوتا كاس وملوك موريـاس وملوك جوراجاراس، ويكاد لا يكون هناك أدنى شك في أن هذه الحملات هي حملات قام بها الجنيد أو قواده على بلاد الهند[2].

وبهذا كله انتهى عمل الجنيد وكانت الخلافة العربية لا تريد مزيداً من الفتوحات بسبب اضطرابات الحالة السياسية في العالم الإسلامي ولا سيما ازدياد نشاط الدعاة للعباسيين في البلاد العربية والولايات الشرقية وخاصة خراسان، ولذلك رأى الخليفة هشام بن عبد الملك أن ينقل الجنيد السياسي

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣١٧.
(٢) مجلة قسم الآداب جامعة كلكتا بالهند، المجلد العاشر ص ٢٠ وما بعدها.

الكبير إلى خراسان في سنة ١١١ هـ وعزل عنها الحكم بن عوانة الكلبي لفشله هناك، ونقله إلى بلاد السند، وقد بقي الجنيد في خراسان حتى توفي سنة ١١٦ هـ بعد مرض شديد[1].

ولاية تميم بن زيد العتبي (١١١ - ١١٢ هـ):

كان الجنيد قد قضى على الفتن والاضطرابات ونشر الأمن والاستقرار ونظم الأمور السياسية والإدارية وثبت الحكم العربي في جميع أنحاء بلاد السند، بل أحرز انتصارات كبيرة في بلاد الهند أيضاً حين قام بفتوحات جديدة وفتح مدن اقليم الكجرات الشمالية وغيره من الأقاليم وبذلك وصل العرب إلى نفس القوة التي كانوا عليها في عهد الفاتح محمد بن القاسم الثقفي، بل زادوا تنظيماً وثباتاً ووسعة في السلطة والحكم في ذلك الجزء من العالم.

وفي سنة ١١١ هـ تولى حكم بلاد السند تميم بن زيد العتبي بأمر والي العراق خالد بن عبد الله القسري، وكان من القواد العرب ببلاد السند منذ عهد محمد بن القاسم، إلا أنه لم يكن يتصف بصفات الحاكم السياسي المدبر، ولذلك فشل في السياسة الخارجية العسكرية والسياسية الداخلية الإدارية، وبذلك أضاع كل جهود الجنيد ولم يعرف أن يستفيد من ثمانية عشر ألف ألف طاطري التي كان خلفها الجنيد في بيت المال ببلاد السند باستغلالها في مشروعات مفيدة، ومن ناحية أخرى كان ببلاد السند قواد عظام من العرب يستحقون منصب الوالي وكانوا يسعون للوصول إلى الحكم ولما خاب أملهم بدأوا يخالفون الوالي لأسباب كثيرة بعضها تتعلق بعدم كفاءته وبعضها تتعلق بالخلافات الشخصية، وتركوا مراكزهم، واشتدت الخلافات القبلية أيضاً في عهد تميم الذي كان يؤيد اليمانية ضد النزارية معتمداً في ذلك على والي العراق زعيم اليمانية، بل أراد القضاء على المخالفين له بطرق شتى فزادت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٤ حوادث سنة ١٠٧ هـ.

عداوة النزارية وصلابتهم، حتى وجدهم في النهاية خطرين على روحه هو فكثر هروبه من مكان إلى مكان بينما تفشى القتل بين أصحابه ومؤيديه هنا وهناك[1].

وانتهز أهل السند هذه الفرصة، ضعف الوالي وشدة الخلافات القبلية بين العرب فقاموا كعادتهم بالفتن والاضطرابات في مناطق كثيرة ببلاد السند، وفشل الوالي تميم أن يقضي عليها لانشغاله بالفتن القبلية[2] ومن ناحية أخرى في خارج بلاد السند قام أهالي اقليم الكجرات ببلاد الهند بثورات عنيفة ضد الحكام العرب الذين كان الجنيد عينهم هناك قبل سنوات، مما اضطر معها المسلمون للانسحاب منها وترك مراكزهم القيادية العسكرية[3] وبذلك خسر العرب اقليماً عظيماً في بلاد الهند نتيجة للخلافات وعدم الاتحاد.

ولما ساءت الحالة السياسية عموماً في بلاد السند، وكادت تؤدي إلى نشوب حرب أهلية شاملة بين السند والعرب من ناحية، وبين العرب أنفسهم من ناحية أخرى، قرر الوالي تميم الفرار إلى العراق لينجو بنفسه، وعلم بذلك والي العراق الذي كتب إلى الخليفة بسرعة الموافقة على تعيين رجل آخر وهو الحكم بن عوانة الكلبي على بلاد السند وعزل تميم عنها[4] وبينما كان تميم في طريقه إلى العراق، مات عند مدينة الديبل ببلاد السند، ولا ندري كيف مات؟ وعبارة البلاذري عن سبب موته هي: أنه «كان قد ضعف ووهن فمات في الطريق قريباً من ميناء الديبل»[5].

وهكذا انتهى عهد تميم في سنة ١١٢ هـ بالفشل والخسارة فقد ضاع من

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣١٧.
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣١٧.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢.
(٤) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣١٧.
(٥) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢.

العرب الكثير في سنة واحدة، ذلك لأن العرب تفرقوا فذهبت ريحهم ودفع تميم حياته ثمناً لذلك في النهاية[1].

وتميم بجانب أخطائه السياسية فقد كان يمتاز بصفات اجتماعية عربية منها الكرم وقد اشتهر بين العرب بسخائه وكان يوجد بين جنوده فتى من قبيلة بني يربوع يقال له (خنيس) وكانت أمه من قبيلة طيء، فأتت إلى الفرزدق الشاعر ورجته أن يكتب إلى تميم بأن يعفو ابنها من التجنيد حيث أنه وحيدها وعاذت بقبر أبيه غالب. فكتب الفرزدق إلى تميم قصيدة في ذلك جاء فيها:

أتتني فعـاذت يـا تميم بغـالـب ... وبـالحفـرة السـافي عليهـا ترابهـا

فهب لي خنيـسا واتخذ فيه منة ... لحوبة أم مـا يسـوغ شـرابهـا

تميم بن زيـد لا تهونَنَّ حـاجتي ... لديك ولا يخفى عليك جوابهـا

فـلا تكـثر التـرداد فيهـا فـإنني ... ملول لحـاجـات بـطـي طـلابهـا

فلم يدر تميم ما اسم الفتى أهو حبيش أم خنيس، فأمر أن يعفى كل من كان اسمه على مثل هذه الحروف[2].

ولاية الحكم بن عوانة الكلبي (١١٢ - ١٢١ هـ):

كان الحكم بن عوانة الكلبي من أحسن القواد الشباب الذين كانوا في معية محمد بن القاسم أيام الفتوحات ببلاد السند[3] ثم بعد ذلك بسنوات كان نقل إلى خراسان حاكماً عليها، وبعد وفاة تميم سنة ١١٢ هـ تولى حكم بلاد السند بتوصية خاصة من والي العراق خالد بن عبد الله القسري إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان خالد والحكم كلاهما من زعماء اليمانية، وكان الحكم قد عزل عن ولاية خراسان سنة ١١١ هـ لفشله في القضاء على

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٤٣.
(٣) جچنامه بالفارسية ص ٢١٤.

السياسة المعادية للخلافة الأموية من جانب دعاة العباسيين هناك.

ولما تولى حكم بلاد السند فكر في أن عزله عن خراسان كان بسبب عدم استطاعته القضاء على الفتن السياسية وأن المشكلة قد تكررت في بلاد السند، فقد وجدها في الفوضى التي تركها تميم بين العرب وأهل السند[1].

وكان لا بد له من أن يعمل جاهداً لعلاج الموقف في بلاد السند ليعيد لشخصه مكانته السياسية المرموقة، وإلا فإن عاقبته ستكون وخيمة عند الخليفة، ولذلك اتخذ خطوة سياسية وكان حكيماً فيها، حين عين عمرو بن محمد القاسم الثقفي نائباً لنفسه رغم صغر سنه[2] وذلك لمحبته لأبيه العظيم، فقد كان الحكم بن عوانة من قواده أيام الفتوحات، وإيماناً منه بالمثل الذي يقول: «الولد سر لأبيه» فقد فوض إليه الأمور الإدارية والأعمال المهمة التي تتطلب جهوداً جبارة وكفاءة كبيرة، ولعله فكر أيضاً في مشكلة الخلافات القبلية، لكونه هو زعيماً يمانياً، أن يختار عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي الذي كان محبوباً بين جميع القواد النزارية واليمانية وبذلك استطاع أن يرضي النزارية بحيث أصبح الوالي يمانياً ونائبه حجازياً، هذا بالإضافة إلى أن الحكم بن عوانة نفسه كان صديقاً لمعظم القواد الموجودين ببلاد السند منذ أيام الفتح والكفاح والجهاد، وهكذا رضي الجميع به وبنائبه الشاب الذي كان في السابعة عشرة من عمره ولكنه كان جديراً بالقيادة والحب والتقدير.

ولما كان أهل السند قد استولوا على بعض المناطق الهامة وكانوا يضايقون العرب في كل جهة بعد أن خرج الأمر من أيديهم في عهد تميم، فكر الحكم بن عوانة قبل كل شيء أن يبني مدينة كبيرة في مكان حصين يتخذها مقراً للقيادة العسكرية تكون بعيدة عن نفوذ أهل السند ويسكنها العرب، وتكون

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣.
(2) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٤٣.

أيضاً ملجأ للمسلمين ليلجأوا إليها في أيام القتال والخطر، فشيد مدينة عظيمة على الجانب الشرقي لنهر السند، وسأل مشايخ قبيلة كلب من أهل الشام، ما ترون أن نسميها؟ فقال بعضهم: دمشق، وقال البعض: حمص، وقال رجل منهم: تدمر، فقال له الحكم بن عوانة: «دمر الله عليك يا أحمق» ولكنني اسميها «المحفوظة» لتكون في حفظ الله وفي الأمان، ونزلها بجيشه وأهله وأسكنها العرب وبنى لهم مسجداً ثم اهتم بها وعمرها واتخذها عاصمة للحكومة العربية ببلاد السند[1] بدلاً من برهمناباد التي كان معظم سكانها من البرهميين والقلة من البوذيين والعرب، وتعتبر هذه أول مدينة كبيرة بناها العرب واتخذوها عاصمة لهم.

وبعد ذلك اهتم بالجيش وتسليحه فجهز جيشاً كبيراً، وقرر أن يحارب أهل السند للقضاء على الفتن واعادة المدن السندية التي خرجت من الحكم العربـي، فسلم الجيش إلى نائبه، فتحرك عمرو بن محمد بن القاسم بالجيش واستطاع بمهارته العسكرية أن يخرج من جولته منتصراً، وبذلك رضي العرب والسند كل الرضاء بحكم الحكم بن عوانة بعد علمهم بحسن سياسته وميله إلى الاتحاد ولا سيما بالدور الذي لعبه ابن فاتح بلاد السند في ميدان الشجاعة والسياسة وأثبت جدارته واستحقاقه بمنصب نائب الوالي[2].

وهنا تعجب خالد بن عبد الله القسري والي العراق من سماع تلك الانتصارات الكبيرة في خلال سنة واحدة للحكم بن عوانة في بلاد السند بعد فشله في خراسان طوال السنوات العديدة وكان يقول: «واعجباً وليت فتى العرب فرفض (يعني تميماً) ووليت أبخل الناس فرضي به (يعني الحكم)»[3].

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣.
(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣١٧.
(3) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣ ويكتب اليت اسم الحكم (حكيما) تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ١٢٧ بالانجليزية.

ولعله كان لا يدري عن الدور الذي لعبه الفتى الفارس ابن الفاتح في مساعدة الحكم بن عوانة عسكرياً ونجاحه سياسياً.

وبقي الحكم بن عوانة يحكم بلاد السند أكثر من ثمان سنوات إلى سنة ١٢٠ هـ حتى عزل خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق بسبب الخلافات القبلية أيضاً، وبعد قليل قتل خالد القسري بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك بالعراق سنة ١٢٠ هـ مما أثار كراهية اليمانية، وزاد غضبهم حتى لقد عد المؤرخون ذلك من أقوى الأسباب التي عجلت بسقوط الدولة الأموية، وذلك أن اليمنيين الذين لم ينسوا قتل آل المهلب قد فوجئوا بقتل زعيمهم خالد بن عبد الله القسري فانضموا تحت لواء ابنه يزيد بن خالد القسري وقاموا بالاضطرابات في دمشق، وتبعهم اليمانيون في فلسطين وثاروا في وجه الحكم الأموي، بل من العجب أن هؤلاء اليمانية من أجل القضاء على الدولة الأموية انضموا فيما بعد إلى الأمير سليمان بن هشام الذي كان والده الخليفة قد قتل زعيمهم خالد القسري، ونادوا بخلع الخليفة مروان بن محمد، وهكذا أضعفت العصبية القبلية بني أمية في الأمصار والجيش وأذنت بزوال سلطانهم، ولا غرو فقد كان ذلك العصر عصراً محزناً ملأ قلوب الصالحين من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل[١].

وانتهز بعض الزعماء من أهل السند فرصة وجود الاضطرابات في العالم العربي وقاموا بالفتن السياسية المعادية للعرب في بعض المناطق ببلاد السند، وكان في هذا الوقت قد تولى حكم العراق والولايات الشرقية بما فيها بلاد السند يوسف بن عمر الثقفي، ولذلك نرى الحكم بن عوانة يعيش في حالة نفسية سيئة ويقرر أن يخرج بنفسه للقضاء على الفتن الجديدة التي ظهرت ببلاد السند ويتوغل فيها حتى يصل إلى تلك المناطق مثل القيقان وقندابيل،

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم جـ ٢ ص ٩ و ١٠.

وأهلها قد اشتهروا بالشدة والاستمرار بمقاومة الحكام العرب، ويبدأ الحكم بن عوانة حربه بشدة قائلاً: «إما فتح برضى عني به يوسف الثقفي والي العراق، وإما شهادة استريح بها منه» وقد استطاع أن يقضي على الفتن والاضطرابات[1] في تلك المناطق المجاورة لحدود بلاد الهند إلا أنه في المعركة الأخيرة استشهد وإن انتصر جيشه فيها وذلك في سنة ١٢١ هـ.

وعلى العموم كان الحكم بن عوانة الكلبي ناجحاً في أعماله العسكرية بفضل انحاد قواده ومهارة نائبه عمرو بن محمد بن القاسم بحيث استطاع أن يعيد الأمن إلى جميع أنحاء بلاد السند، وكذلك كان ناجحاً في سياسته بين العرب بحيث أزال الخلافات القبلية وبذلك عاش العرب والسند في السنين الأخيرة من حكمة في هدوء ورخاء.

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن العرب ـ مع الأسف الشديد ـ اضطروا مراراً لاعادة الفتح في مناطق كثيرة من بلاد السند كما فعل الجنيد بن عبد الرحمن المري ثم الحكم بن عوانة الكلبي وغيرهما فيما بعد، ولولا هذه الخلافات القبلية لكانت بلاد السند تابعة للعرب دائماً بل كان من الممكن أن يبذل العرب تلك الجهود الجبارة التي أضاعوها في إعادة الفتح في داخل بلاد السند، في مواصلة فتوحاتهم بنفس الطريقة التي سار عليها الفاتح محمد بن القاسم الثقفي أو الجنيد بن عبد الرحمن المري، ولكانوا قد فتحوا أجزاء واسعة من بلاد الهند أيضاً ونشروا فيها الإسلام.

ولاية عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي (١٢١ ـ ١٢٥ هـ):

كان الحكم بن عوانة الكلبي قد استخلف على الجيش العربي عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي في المحفوظة، ولما قتل الحكم بن عوانة تنازع على خلافته كل من عمرو بن محمد بن القاسم الذي كان من الحجازين ويزيد بن

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٢٤.

عزار الكلبي الذي كان من اليمنيين، وعلم بذلك يوسف الثقفي والي العراق، فكتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فأجاب بقوله: «إن كان عمرو ابن محمد بن القاسم الثقفي قد اكتهل فوله» فولاه على بلاد السند في سنة ١٢١ هـ حين كان يبلغ من العمر ٢٦ عاماً وقبض عمرو بن محمد بن القاسم على يزيد بن عرار وحبسه[1] حتى لا يقوم بإيقاظ الفتنة، ولكن الخلافات القبلية كانت قائمة بين العرب في العالم الإسلامي وفي بلاد السند أيضاً، ورأى عمرو بن محمد بن القاسم أنه من الضروري اقامة مدينة محصنة ثانية للعرب، حتى إذا ما قامت الاضطرابات يكون العرب في أمان من شر أهل السند، فبنى مدينة على جانب البحيرة الواقعة في شرق نهر السند واتخذها مركزاً للحكومة العربية بسبب موقعها الجغرافي الهام ولقربها من مدينة المحفوظة وسماها المنصورة وذلك في سنة ١٢١ هـ[2] ونرى هذه المدينة تبقى طوال القرون الثلاثة من عهد العرب عاصمة عربية إسلامية وتصبح أعظم مدينة في تلك البلاد، وقد بنى بها مسجداً جامعاً عظيماً مثل المسجد العظيم الذي كان والده الفاتح قد بناه في مدينة الملتان باقليم البنجاب، وقد قام موسى كعب التميمي أول والٍ عباسي في بلاد السند في سنة ١٣٤ هـ بتوسيع هذا المسجد بالمنصورة[3].

بعد ذلك قام عمرو بن القاسم ببعض الحملات والفتوحات، فدوخ أهل السند ومناطق الحدود، حتى ملكوا عليهم ملكاً، وزحفوا متحدين إلى المنصورة نفسها وحاصروها من كل جهة بقوات كبيرة، ولم تكن عند عمرو بن محمد بن القاسم قوة كافية في داخل المنصورة ليقاوم أهل السند المغيرين، فلم يستطع أن يفك الحصار واضطر أن يكتب بذلك إلى والي العراق يوسف

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٨٩.
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٩.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٢.

الثقفي الذي أرسل إليه جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل فانصرف عنه ذلك الملك السندي الجديد[1].

وهنا تأكد عمرو بن محمد بن القاسم بضرورة تجهيز جيش مركزي قوي، وجيش آخر لمحاربة العدو والمشاغبين، وإعادة المناطق التي خرجت من أيدي العرب نتيجة للخلافات القبلية العربية التي فرقت شمل العرب، وجعل على مقدمة الجيش نائبه معن بن زائدة الشيباني الذي كان قائداً فذاً فقام بغارة ليلية على معسكر ذلك الملك السندي المنتخب وقتل عدداً كبيراً من جنوده وهرب الملك من حيث أتى وانهزم جيشه وفزع أهل السند من العاقبة وغضب العرب عليهم[2] ومن القياس يبدو أن هذا الملك المذكور لم يكن من داخل السند وربما جاء من منطقة راجبوتانه الواقعة على الحدود الهندية، فقد كانت للقبائل السندية صلـة بالقبائل التي تسكن منطقة راجبوتانه ببلاد الهند.

وبهذا الانتصار استطاع عمرو بن محمد بن القاسم أن يعيد الهيبة العربية وأن يجبر أهالي المناطق السندية كلها على قبول الطاعة، وبذلك استقامت حالة بلاد السند فترة من الزمن في عهد عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي.

ولكن بعض العرب الذين كانت قلوبهم لا تزال تمتلىء بالتعصب القبلي ببلاد السند، قد أضاعـوا كثيراً من المصـالح العـامة في سبيـل مصالحهم الشخصية ففي الوقت الذي كان عمرو بن محمد بن القاسم مشغولاً لاخماد الفتنة في منطقة ما قام مروان بن يزيد بن المهلب (وهو ابن عم زعيم اليمانية الذي كان قد ترك لكونه صغيراً في أيام فتنة آل المهلب) فجمع حوله جماعة من القواد وأراد القضاء على عمرو بن محمد بن القاسم والاستيلاء على الحكم ببلاد السند، فقام بالحملة على معسكر عمرو بن محمد الخاص وعلى بيته

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٨٩.
(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٢٤ ـ كان معن بن زائدة الشيباني أحد الأبطال المغاوير وأحد الجوادين العرب وقد صار فيما بعد حاكماً على سجستان.

واستولى على الأموال والدواب والأسلحة، وعلم بذلك عمرو بن محمد فعاد فوراً إلى المنصورة وخرج لمحاربته ومعه معن بن زائدة الشيباني وعطية بن عبد الرحمن حتى هزم مرواناً وفرق أصحابه، وهرب مروان، فأعلن عمرو بن محمد بن القاسم «الناس كلهم آمنون إلا ابن المهلب» وبذلك عفا عن اليمانية الآخرين حتى لا تشتد الفتن ولكنه قرر القضاء على رأس الفتنة فدل البعض على مروان فقبض عليه وقتله وبذلك انتهت فتنة آل المهلب[1].

وظل عمرو بن محمد بن القاسم يحكم بلاد السند خمس سنوات حكماً هادئاً، حتى توفي الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٥ هـ وتولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي كان مخالفاً لسياسة الخليفة السابق هشام، ولذلك كان يؤيد اليمانية، فعزل ولاة هشام عن الولايات بينهم عمرو بن محمد بن القاسم عن ولاية السند وعين مكانه خصمه اللدود يزيد بن عرار الكلبي[2] الذي كان عمرو بن محمد قد ألقى القبض عليه من قبل بسبب قيامه بالمطالبة بالحكم في المنصورة وبالاضطرابات بين القبائل العربية، ووصل يزيد بن عرار إلى المنصورة بعد أن أطلق سراحه والي العراق الجديد منصور بن جمهور الكلبي زعيم اليمانية الجديد، فقام يزيد بالقاء القبض على ابن الفاتح عمرو بن محمد بن القاسم وسجنه فانتحر عمرو خوفاً من التعذيب سنة ١٢٥ هـ، وهكذا كان انتهاء عهده محزناً ومؤسفاً مثل انتهاء عهد أبيه فاتح بلاد السند.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ):

لما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ بعد وفاة الخليفة هشام، قام بعزل بعض الولاة القدامى بل عذبهم سوى يوسف بن

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٢.

عمر الثقفي والي العراق، وذلك أنه وجد في ديوان الخليفة هشام كتباً من هؤلاء الولاة يؤيدون عزمه على خلع الوليد بن يزيد من حق الخلافة إلا يوسف هذا، ولذلك أقره على عمله شهوراً أخرى ومال الخليفة الجديد إلى اليمانية ووصلهم إلى مراكز الحكم العالية ضد بعض الزعماء النزارية لتأييدهم الخليفة السابق ضده، ولذلك من الضروري أن ننتظر اضطرابات جديدة في العالم الإسلامي في عهد الخليفة الوليد بن يزيد هذا.

ولاية يزيد بن عرار الكلبي (١٢٥ - ١٢٧ هـ):

بتولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة في سنة **١٢٥** هـ عادت القوة إلى اليمانية حين مال الخليفة نفسه إليهم لأسباب سياسية وشخصية كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وصار منصور بن جمهور الكلبي زعيم اليمانية الجديد والياً على العراق وصار قريبه يزيد بن عرار الكلبي الذي كان زعيماً لليمانية ببلاد السند، والياً على تلك البلاد.

خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموي (١٢٧ - ١٣٢ هـ):

كان الخليفة مروان بن محمد بن مروان الذي تولى الخلافة سنة ١٢٧هـ يعتبر آخر خلفاء بني أمية، وفي أيامه تجمعت أنواع الفتن الحزبية، وقويت دعوة الدعاة للعباسيين في كل الولايات التابعة للدولة الأموية حتى أدت في النهاية إلى زوال الدولة الأموية في سنة **١٣٢**هـ [(١)].

ولاية منصور بن جمهور الكلبي الثائر (١٢٩ - ١٣٢ هـ):

كان منصور بن جمهور الكلبي أحد الزعماء اليمنيين، وقد بدأ منذ عهد الوليد بن يزيد في الاشتراك في الفتن السياسية وكان شريكاً في مؤامرة قتل الخليفة الوليد بن يزيد (سنة ١٢٦هـ) الذي وصله إلى حكم العراق وأيد

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ١٦٥.

اليمانية، كما اشترك بعد ذلك في مؤامرة سليمان بن هشام الذي أراد الوصول إلى الحكم والذي توجه بعد الهزيمة إلى بلاد السند، وبقي منصور بن جمهور مختفياً في المناطق الجبلية بالعراق منتظراً للفرصة ولما علم بقيام عبد الله بن معاوية بالثورة في بلاد فارس انضم إليه وبايعه وصار من قواده، وكان يعمل مع الخوارج سراً في سنة ١٢٩ هـ، ولكن لما قضى الخليفة الأموي على جيش عبد الله بن معاوية ووقع عبد الله في الأسر وقتله الخليفة، خاف منصور بن جمهور على نفسه وفر هارباً إلى بلاد السند[١] ليعيش في رعاية قريبه والي بلاد السند يزيد بن عرار الكلبي الذي كان منصور قد أحسن إليه حين أفرج عنه من السجن بالعراق وولاه على بلاد السند في سنة ١٢٥ هـ عندما كان منصور نفسه والياً على العراق[٢] ولكن حدث عكس ما كان يتوقعه منصور من قريبه يزيد، فلما سمع يزيد بوصوله إلى بلاد السند خاف أن يستولي على الحكم فيها أو خاف من غضب الخليفة عليه إذا ما تعاون معه لكونه ثائراً ضد الدولة الأموية.

أرسل يزيد بن عرار نائبه معن بن زائدة الشيباني لالقاء القبض عليه ولكنه فشل في ذلك ثم سار منصور على الضفة الغربية لنهر السند بينما كان يزيد في الضفة الشرقية، فبعث يزيد إليه رسالة جاء فيها: «لا تبرح مكانك» رد عليه منصور: «إني أردت المقام قبلك، فلا وصل الله رحمك ولا قرب قرباك وستعلم بعد»، وبعد توجيه هذا الانذار زحف منصور واستولى على سيوستان وجهز المراكب هناك وحملها على الإبل حتى ألقاها في نهر السند، وخرج يزيد أيضاً من المنصورة في جيش صغير وتوجه نحو نهر السند، وقد كان منصور غاضباً على يزيد من ناحية كما كان يائساً من حياته من ناحية

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢١٦ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ١٢١.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٧ وقد ذكر اليعقوبي الاسم (عباس بن هشام)، والصحيح هو سليمان بن هشام.

أخرى، ولذلك فإنه حاربه بشدة وكانت النتيجة أنه استطاع أن يهزمه بل يطارده إلى المنصورة ويحاصره هناك، وعندئذ طلب يزيد الأمان، فقال: لا أعطيك الأمان إلا حكمي، فنزل يزيد على حكمه وسلم المنصورة إليه وقبل حكمه راجياً عفوه، ولكنه لم يرحمه فأمر فوراً عليه بأشد العقاب حتى بنيت عليه أسطوانة وهو حي ليطفيء بذلك نار غيظه[1] وذهب يزيد ضحية لغلطته السياسية والعسكرية، فقد كان من السهل أن يقضي على منصور عند وصول إلى بلاد السند بقبول طلب لجوئه ثم إلقاء القبض عليه، وكان من الممكن القضاء عليه عسكرياً إذا كان يزيد خرج إليه بجيش كبير واستعداد كامل حذرا منه لعلمه بما يمتاز منصور بمهارة عسكرية قيادية، وأخيراً كان من الممكن أن يطلب الإمداد من حكام الولايات والمدن الأخرى ببلاد السند عند محاصرة المنصورة، وكان يستمر في محاربته للنهاية ولعله كان ينتصر عليه ولكن كان ذلك هو قدره.

وعلى أي حال فقد انتصر منصور بفضل خبرته الواسعة في مثل هذه المحن والمآزق، وأقام منصور في المنصورة نفسها يحكم بلاد السند وأرسل أخاه منظور بن جمهور الكلبي إلى الجهات الغربية ببلاد السند فأخضعها من مدينة الديبل إلى مدينة قندابيل، ويبدو أنه عين أخاه حاكماً على هذه المناطق الغربية وانشغل هو بتنظيم الأمور في المناطق الشرقية وداخل بلاد السند، وقد ظل يحكم البلاد نحو ثلاث سنوات حكماً مستقلاً رغم كونه ثائراً على الدولة الأموية نفسها[2] وهو يعتبر آخر أموي حكم بلاد السند حتى قتل سنة ١٣٤ هـ على يد موسى بن كعب التميمي أول والٍ عباسي على بلاد السند[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٠٧.

(٣) أيضا جـ ٣ ص ٥.

الفصل السابع

الحكم العربي ببلاد السند والبنجاب

في العصر العباسي

خلافة أبو العباس (١٣٢ - ١٣٦ هـ):

زالت الدولة الأموية في نهاية سنة ١٣٢ هـ نتيجة للخلافات السياسية الحربية والعصبية القبلية، وقامت مكانها الدولة العباسية. وكان الخليفة العباسي الأول هو عبد الله بن محمد بن عبد الله عباس وكنيته أبو العباس، وفي عهد العباسيين لم يكن للفتوحات دور كبير وانما كان هذا العهد عهد البناء الحضاري، فالعرب توجهوا باهتمامهم البالغ نحو أخذ العلوم المختلفة من البلاد المجاورة بالترجمة ثم أضافوا إلى تلك العلوم بأبحاث ونظريات كثيرة حتى نهضت الثقافة العربية نهضة كبيرة في وقت قصير بحيث أصبح للعرب دور هام في نشر العلوم والثقافة في العالم كله.

وفي عهد العباسيين بدأت العلاقات الثقافية بين العرب وأهل السند بشكل واضح، نقلت من بلاد السند إلى العراق مئات الكتب العلمية وخاصة في الطب والهندسة والنجوم والفلك، وترجمت إلى اللغة العربية بل بدأت الوفود العلمية بين العراق وبلاد السند تتبادل الزيارات حتى كانت النتيجة أن قدم عشرات من علماء السند في بغداد بصفة خاصة والبلاد العربية الأخرى

بصفة عامة، يشتركون في النهضة العلمية التي اهتم بها الخلفاء العباسيون منذ عهد الخليفة المنصور.

ويلاحظ من الناحية السياسية، أن أمور بلاد السند التي كانت تحت إشراف والي العراق في عهد الأمويين، قد فوضت إلى الحاكم العام في خراسان في عهد العباسيين.

ولاية مفلس العبدي (سنة ١٣٢ هـ):

مع قيام الدولة العباسية في نهاية سنة ١٣٢ هـ أصبح أبو مسلم الخراساني بأمر الخليفة أبي العباس والياً على خراسان وحاكماً عاماً على الولايات الشرقية التابعة للخلافة العباسية بما فيها بلاد السند، وكان يرسل قواده إلى الجهات المتفرقة لتشكيل الحكومات الجديدة تتبع الخلافة العباسية، فأرسل جيشاً بقيادة مفلس بن السري العبدي إلى بلاد السند أيضاً لإقامة حكومة عباسية هناك[1].

وكان منصور بن جمهور الكلبي الثائر الأموي لايزال يحكم بلاد السند، وسار مفلس العبدي عن طريق طخارستان حتى وصل مدينة الديبل واشتبك في قتال عنيف مع حاكمها منظور شقيق منصور الكلبي وقتل منظور في المعركة، وأخذ مفلس العبدي يتقدم نحو العاصمة العربية مدينة المنصورة، ولما

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣ - ذكر اليت بأن أبا مسلم أرسل إلى بلاد السند لمحاربة منصور بن جمهور جيشاً بقيادة رجل يسمى عبد الرحمن الذي قتل منصوراً، وقد أخطأ اليت في ترجمة نص العبارة للبلاذري حين ظن اسم أبي مسلم عبد الرحمن اسمين بحيث جعل (أبا مسلم) اسماً لحاكم خراسان وجعل (عبد الرحمن) اسماً لوالي السند وقائد الحملة من طرفه، بينما لم يلتفت في الجملة التالية اسم قائد الحملة ووالي السند (مفلس العبدي) مع أن عبارة البلاذري واضحة وهي «فلما كان أول الدولة المباركة ولى أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، مفلساً العبدي على ثغر السند، وأخذ طخارستان حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند فلقيه منصور وقتله وهزم جنده» ثم المقتول في المعركة هو القائد مفلس العبدي وليس منصوراً (انظر تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ٣٧٣ بالانجليزية).

سمع منصور بخبر موت أخيه جهز الجيش لمحاربة مغلس، فخرج من المنصورة بجيش كبير ووقع قتال شديد بين الطرفين وانهزم الجيش العباسي ووقع مغلس ومن معه من كبار القواد في الأسر فأمر منصور بقتل مغلس فوراً[1].

ولاية موسى بن كعب التميمي (١٣٤ - ١٤١ هـ):

لما سمع أبـو مسلم الخراساني حاكم خراسان والولايات الشرقية بمقتل والد حليفه مغلس العبدي، استأذن الخليفة في اختيار موسى بن كعب التميمي قائداً على جيش كبير وتعيينه والياً على بلاد السند، وكان موسى بن كعب رئيس الشرطة وخبيراً في الأمور الإدارية والعسكرية.

سار موسى بن كعب مع عشرين ألف جندي نحو بلاد السند، ولكونه رجلاً خبيراً بالأمور البوليسية وطريقة القضاء على المتمردين، نراه لا يتوجه إلى المنصورة مباشرة رغم وجود جيش ضخم معه، بل يتوجه أول الأمر إلى مدينة قنابيل المحصنة البعيدة عن المنصورة ويمكث فيها مدة يجمع خلالها المعلومات العسكرية وغيرها عن أحوال بلاد السند، ويهتم بتقوية الجيش من جهة والاتصال بكبار القواد وزعماء القبائل في المنصورة من جهة أخرى، حتى نراه ينجح في جلب اهتمامهم نحوه وتأييدهم له بعد أن عرّفهم بأنه لا فائدة للمقاومة مع الخليفة العباسي وجيوشه الجرارة[2].

وبعد أن نجح موسى بن كعب في الحصول على تأييد القواد في داخل المنصورة تحرك بجيشه الكبير نحو المنصورة، ولما عبر نهر السند إلى الضفة

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٤٩ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٢ ص ٥٤٣ - تاريخ الأمم والملوك للطبري ص ١٨٦ حوادث سنة ١٢٧ هـ.

(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٤٩ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٤٧ - تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ ص ٨٠ لبدن ويذكر ابن الأثير العدد اثنا عشر ألف جندي بينما يذكره اليعقوبي عشرين ألفاً.

الشرقية واقترب من المنصورة خرج إليه منصور بن جمهور مع الجيش لقتال فاشتبك الجيشان في معركة حامية وانهزم جيش منصور وتقهقر بينما تقدم جيش موسى منتصراً إلى الأمام ويبدو أن منصوراً قد علم في هذا الوقت بالانقلاب الذي دبره ضده القواد وزعماء القبائل في المنصورة ولذلك قرر الفرار إلى بلاد الهند، ولكنه ضل الطريق في الصحراء وكان جيش موسى بن كعب في تعقبه حتى وقع في الأسر وقتل في سنة ١٣٤ هـ[1] ولما سمع نائبه في المنصورة بمقتله أخذ جميع أفراد أسرته وأقربائه وفر بهم هاربين إلى بلاد خوز[2] ويبدو أنه كان قريباً له.

ودخل موسى بن كعب التميمي مدينة المنصورة ظافراً منتصراً، وأسس حكومة عباسية جديدة وقام بإصلاحات كثيرة فيها، كما وسع مسجدها الجامع الذي كان قد بناه عمرو بن محمد بن القاسم في سنة ١٢١ هـ ونظم الأمور الإدارية والسياسية في جميع أنحاء بلاد السند بأخذ البيعة والطاعة من حكام المدن والمناطق عرباً وعجماً للخلافة العباسية[3] وفي سنة ١٣٦ هـ أرسل موسى ابن كعب وفداً إلى دار الخلافة لشرح حالات بلاد السند السياسية والمذهبية والفكرية، ولكن الخليفة العباسي الأول كان مريضاً وتوفي في اليوم الثالث من وصول الوفد[4].

وقد ظل موسى بن كعب التميمي يحكم البلاد حتى سنة ١٤٠ هـ ولما أتم تنظيم الأمور الحكومية في البلاد وقضى على آثار الأمويين السياسية هناك توجه إلى دار الخلافة لقضاء فترة الإجازة حتى أتاه الأجل وسلم الروح

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٢٩ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٤٧ ولكن البلاذري وابن الأثير يرويان أن منصوراً قد مات عطشاً في الصحراء بعد أن فر من ميدان القتال منهزماً.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٤٧.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٤٣.

للباري، ودفن في سنة ١٤١ هـ[١].

خلافة أبو جعفر المنصور العباسي (١٣٦ - ١٥٨ هـ):

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة في سنة ١٣٦ هـ وأخذت الدولة العباسية شكلها الواضح، فقد كان المنصور من أقوى الخلفاء العباسيين وأطولهم حكماً بحيث ظل يحكم ٢٢ عاماً، على منهج جديد يختلف عن المنهج السياسي في الدولة الأموية، ففي عهده تحسنت السياسة، وخفت الخلافات القبلية بين العرب بصفة عامة، وفي عهده بدأت النهضة العلمية بحيث تقدمت البلاد العربية في ميادين العلوم والفنون المختلفة بجانب العلوم الإسلامية المعروفة في العصر الأموي، وكان لسياسته أثر طيب على بلاد السند أيضاً، ففي عهده بدأت العلاقات العلمية بين العرب والسند حيث استفاد العرب من علوم أهل السند كما أفادوهم بالعلوم المختلفة.

ولاية عيينة بن موسى التميمي (١٤١ - ١٤٢ هـ):

عندما توفي موسى بن كعب التميمي في سنة ١٤١ هـ كان نائبه على بلاد السند ابنه عيينة بن موسى بن كعب التميمي فصار والياً على البلاد من بعد أبيه وفي عهده تجددت الخلافات القبلية بين العرب في بلاد السند، فقد أيد عيينة النزاريين في مطالبهم ضد اليمنيين، فخالفه الزعماء اليمنيون ورفضوا حكمه فقبض عليهم، وقتل كثيراً منهم وبذلك زادت الفتنة القبلية واستعد الكثيرون للقضاء عليه[٢] وعلم الخليفة بذلك فأمر بعزله فوراً وجهز جيشاً بقيادة عمر بن حفص ووجهه إلى بلاد السند للاستيلاء على الحكم فيها[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٨٧.
(٢) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٨٧.
(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٣٨ حوادث سنة ١٤١ هـ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٦٤ و٣٧٢ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ١٨٧.

ولاية عمر بن حفص العتكي (١٤٢ - ١٥١ هـ):

توجه عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة العتكي نحو بلاد السند بأمر الخليفة المنصور في سنة ١٤٢ هـ لمحاربة الوالي عيينة بن موسى وكان عمر بن حفص قائداً مشهوراً وقد ضم الخليفة إليه أحد القادة وهو عقبة بن مسلم حتى يساعده بتوجيه الآراء السديدة إليه عند اللزوم، وإن عمل الخليفة هذا يدل على اهتمامه الشديد بأمور بلاد السند من ناحية، والى قوته الشخصية في الحكم من ناحية أخرى، وتحرك عمر بجيشه الكبير واستطاع أن يصل بسهولة إلى المنصورة فلم يسمح له عيينة بدخول المدينة، ورفض التسليم وكان عيينة قد جهز الجيش وخطط للدفاع، وفشل عمر بن حفص في فتح المدينة، فاضطر إلى أن يبتعد عن العاصمة ويعود إلى مدينة الديبل للقيام بوضع خطط عسكرية جديدة للقتال[1] وكان أهل البلاد متضايقين من سياسة عيينة ومظالمه وخاصة مع اليمانية من ناحية ومعاداته للخليفة من جهة أخرى، فلما علموا باقامة عمر بن حفص في الديبل واستعداده للقتال، بدأ بعض القواد العرب اليقظين يتوجهون إليه وينضمون إلى جيشه، ولما علم عيينة أن الذين كان يظنهم من أصدقائه قد تخلوا عنه وانضموا إلى عمر بن حفص ولم يبق حوله من يعتمد على مساعدته في القتال، رأى أن الأفضل هو أن يطلب الصلح من عمر بن حفص الذي أعطاه الأمان واستولى على المنصورة ثم ألقى القبض عليه وأرسله إلى دار الخلافة، وكان عيينة يعتقد أن الخليفة سيقتله، ولذلك أغفل حرسه في الطريق وفر هارباً نحو سجستان حتى وصل إلى منطقة بها يقال لها «الرحج» فهجم عليه جماعة من اليمانية وقتلوه وحملوا رأسه إلى الخليفة المنصور في سنة ١٤٢ هـ[2].

وقد أقام عمر بن حفص العتكي في المنصورة عاصمة العرب ببلاد السند

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٣٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٤٨.

نحو تسع سنوات، وقام خلالها بتحسين أمور الدولة ولم تكن في عهده خلافات قبلية من جانب العرب ولا اضطرابات سياسية من جانب أهل السند، حتى عزله الخليفة المنصور في سنة ١٥١ هـ لتأييده للعلويين وحركة الشيعة السياسية في بلاد السند، ومراعاة لمكانة أسرته السياسية أمر بنقله إلى حكم افريقيا حتى قتل فيها سنة ١٥٤ هـ[1].

عبد الله بن الأشتر وظهور الشيعة ببلاد السند:

عندما كان عمر بن حفص والياً على بلاد السند، ظهر محمد بن عبد الله ابن الحسن يدعو لنفسه بالخلافة وكان عمر بن حفص هذا ممن بايعه سراً وبعث محمد بابنه عبد الله الأشتر إلى البصرة ليدعو له هناك ثم يتجه إلى بلاد السند للدعوة، فاشترى من البصرة خيلاً عتاقاً ليكون سبب وصوله إلى عمر بن حفص فصار مع أصحابه في البحر حتى وصل بلاد السند، فقابلوا عمر بن حفص على أنهم تجار الخيل، ثم كشف له عبد الله الأشتر عن شخصيته فرحب به وبايعه وأنزله عنده متخفياً ثم دعا وأهل بيته وخواصه إلى البيعة فوافقوا وعينوا يوماً للمبايعة وهيئوا له علماً أبيضاً وألبسة بيضاء ليخطب بها، وفي اليوم المحدد للبيعة وصل خبر مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن وأخيه ابراهيم بواسطة جيش الخليفة، فتوجه عمر بن حفص إلى عبد الله الأشتر وقدم التعزية فيهما، فقال عبد الله الأشتر وهو خائف يائس: إن أمري قد ظهر ودمي في عنقك، فقال له عمر بن حفص مهدئاً إياه: هنا بجوارنا ملك من ملوك بلاد السند، عظيم الشأن وسيع المملكة، وهو من أشد الناس تعظيماً للرسول ﷺ، فأرسلك إليه بعد أن آخذ منه التعهد، ففعل ذلك وسار إليه عبد الله الأشتر فأكرمه الملك السندي المذكور ثم تسللت إليه الزيدية من الشيعة نحو أربعمائة شخص، فلما سمع الخليفة المنصور ذلك غضب على

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٨٨.

عمر بن حفص وكتب إليه خطاباً شديداً فقرأه على أهله وأقربائه وقال لهم: «إن أقررت بالقصة عزلني وإن سرت إليه قتلني وإن امتنعت حاربني» فقال له رجل منهم: «ألق الذنب علي وخذني وقيدني فإنه سيكتب في حملي إليه فاحملني وإنه لا يقدم على قتلي لمكانك في بلاد السند، وحال أهل بيتك بالبصرة» فقال عمر: أخاف عليك خلاف ما تظن، قال الرجل: إن قتلت، نفسي فداء لنفسك، فقيده الوالي عمر بن حفص وحبسه وكتب إلى الخليفة المنصور بأمره، فكتب إليه الخليفة بأمره بحمله إليه فلما وصل عنده ضرب عنقه، ومع ذلك لم يطمئن الخليفة حتى عزل عمر بن حفص عن ولاية بلاد السند وولاه على أفريقيا وولى مكانه على بلاد السند هشام بن عمرو التغلبي في سنة ١٥١ هـ تقريباً[1].

ولاية هشام بن عمرو التغلبي (١٥١ - ١٥٧ هـ):

رأى الخليفة المنصور من المصلحة السياسية أن ينقل عمر بن حفص بأسرع وقت ممكن إلى إفريقيا ويعين مكانه شخصاً آخر على ولاية بلاد السند ليستعجل في القضاء على عبد الله الأشتر، فقد خرج الخليفة المنصور يوماً إلى النزهة وكان يفكر فيمن يوليه على بلاد السند، وكان في معيته هشام بن عمرو التغلبي وهو أحد قواده وكان الخليفة كثيراً ما ينظر إليه مفكراً، وفجأة غاب هشام قليلاً ثم عاد فاستأذن على الخليفة فأدخله فقال: «إني لما انصرفت من الموكب لأمر هام لقيتني أختي فلانة فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين» فأطرق المنصور ثم قال: أخرج يأتك أمري، فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع لولا قول جرير:

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٠ - ٣١ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ١٩٨ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٧٢ وهناك اختلافات كثيرة بشأن سنوات التعيين والعزل لكثير من ولاة السند، فمثلاً ابن الأثير يقرر تولي عمر بن حفص سنة ١٤٢ هـ وعزله مع تولي هشام بن عمرو في سنة ١٥١ هـ، بينما اليعقوبي يجعل تولي الحكم سنة ١٤٢ ومدة الحكم ستين وعزله في سنة ١٤٤ هـ، وأما البلاذري فلا يذكر السنوات.

لا تـطلبن خؤولـة في تغلب   فـالـزنـج أكـرم مـنهم أخـوالا

لتزوجت إليها، قل له: لو كان لنا حاجة في النكاح لقبلت فجزاك الله خيراً، وقد وليتك السند، ثم حضر هشام للسلام عليه بمناسبة سفره، فأمره الخليفة بأن يكاتب ذلك الملك السندي بتسليم عبد الله الأشتر فإن لم يسلمه حاربه[1].

ثم وصل هشام إلى بلاد السند، وكان هو أيضاً من الذين يجلسون العلويين في السر، وقد كره أن يقبض على عبد الله الأشتر وتحير في نفس الوقت كيف يرضي الخليفة، ولذلك تظاهر بأنه يكاتب ذلك الملك السندي بشأنه، ووصلت الأخبار بذلك إلى الخليفة، فكتب له يستحثه، وبعد مدة وقعت اضطرابات في ناحية من بلاد السند على الضفة الشرقية للنهر، بالقرب من المنصورة فوجه هشام أخاه (سفنجا) للقضاء عليها، فخرج بجيشه وكان طريقه بجنبات مملكة ذلك الملك السندي[1] وبينما كان يسير إذ غبرة قد ارتفعت فظن أنها مقدمة العدو الذي يقصده فوجه طلائعه فعادت إليه وقالوا له: هذا عبد الله بن محمد العلوي يتنزه على شاطىء مهران (نهر السند) فقرر سفنج بن عمرو التغلبي قتله، وكان عبد الله بن الأشتر في عشرة من أصحابه فقصده سفنج وقاتله عبد الله وأصحابه حتى قتل وقتلوا جميعاً، وعلم بذلك والي بلاد السند هشام ثم كتب إلى المنصور بمقتل عبد الله الأشتر، فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك السندي الذي أكرم عبد الله الأشتر[2].

ونلاحظ هنا أن رغبة الخليفة قد تحققت بقتل عبد الله الأشتر ولكن يبدو أن الخليفة فكر في القضاء على أربعمائة من أصحاب عبد الله الذين كانوا عند

---

(1) لم يستطع الباحثون أن يعينوا شخصية هذا الملك السندي وموضع مملكته، ولكن يفهم من القرائن أن مملكته تقع على الضفة الشرقية لنهر السند وبالقرب من المنصورة.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٥٧.

الملك المذكور، كما أن ابن عبد الله وهو المسمى (محمد بن الأشتر) مع والده كان في رعاية ذلك الملك والعلماء الزيدية، وربما اختاروه خليفة لوالده لغرضهم السياسي.

وفي سنة ١٥١ هـ قام هشام بالحملة على ذلك الملك السندي وبعد معركة دامية قتل الملك واستولى هشام على مملكته بينما هرب أصحاب عبد الله الأشتر، وانتشروا هنا وهناك في بلاد السند، وأخذ هشام محمداً وهو ابن عبد الله الأشتر الذي كان من زوجة من السراري وأرسله إلى الخليفة الذي كتب إلى عامله بالمدينة المنورة بصحة نسب الولد إلى عبد الله الأشتر وبتسليمه إلى أهله[١].

ثم قام هشام بن عمرو التغلبي بحملات على بعض المناطق الشرقية وقضى على الفتن فيها ثم توجه نحو المناطق الغربية وقضى على العرب المتغلبة من الأمويين بمدينة الديبل وما حولها، ثم عاد إلى المنصورة[٢].

وبعد الانتهاء من المشاكل الداخلية فكر في بذل جهود جديدة لمد النفوذ الإسلامي إلى بلاد الهند، ولعله أراد أن يفتح من جديد المناطق التي سبق أن فتحها الجنيد بن عبد الرحمن المري، فجهز السفن وحملها على نهر السند وسار الى منطقة قندهار (كندهاوه) وفتحها وغنم وهدم بيت الصنم وبنى موضعه مسجداً[٣] وفي الغالب كانت هذه المناطق تساعد المناطق الأخرى ضد العرب، وكذلك وجه هشام جيشاً بقيادة عمرو بن جبل في بوارج إلى نارند[٤] ويبدو أن هذه الحملة كانت حملة استكشافية لجمع المعلومات تمهيداً لفتح بعض

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٥٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٧٢.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٣١.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٣١ فارند (بارند) ذكرها صاحب تاريخ السند ص ٥٧ بأنها ميناء (بهارعبرت) في بهروج (بروص) بالهند.

المناطق الهندية المجاورة لبلاد السند، وكذلك وجه جيشاً إلى بلاد كشمير المجاورة لبلاد السند وفتح بعض مناطق فيها وأصاب سبايا منها[1] وحذر حكامها من القيام بالفتن ضد العرب بتشجيع بعض المتمردين في المناطق السندية.

ويبدو أن هشاماً لم يوفق تماما كما كان يريد في محاولاته في توسيع الفتوحات الإسلامية في بلاد كشمير وبلاد الهند، واكتفى بتأديب حكام بعض المناطق فيها وحذرهم من مساعداتهم للمتمردين ببلاد السند، ولذلك قرر الإقامة في المنصورة وانشغل بتحسين الأمور الحكومية والقيام بالإصلاحات المختلفة[2].

وكان عهده عهد رخاء وطمأنينة وكان الناس يعزونه وكان كبار أهل السند والعرب يزورونه من الداخل والخارج، فقد زاره من الشعراء المشاهير مثل مطيع بن اياس[3] وكان هشام ماهراً في تنظيم الأمور الإدارية في البلاد، والدليل على ذلك أن الخليفة المنصور كان مسروراً من أعماله ولذلك فوض إليه أمور منطقة كرمان الواقعة في إيران أيضاً في سنة ١٥٦ هـ[4] واستطاع أن يحكم بلاد السند الواسعة مشرفاً على حكومة العرب في الملتان، وعلى الحكام العرب والحكام السند في الأقاليم والمناطق المختلفة ومنطقة كرمان أيضاً بعزم وقوة، ولم يقم في بلاد السند أي اضطراب يذكر طوال مدة إقامته هناك.

وفي عهد الخليفة المنصور وباهتمام الوالي هشام بدأت العلاقات العلمية

---

[1] فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٣١ ـ ويعلق ماجمدار الهندي على فتح كشمير بقوله: إنه لمن الصعب أن نتصور أن كشمير التي كانت في قمة قوتها قد فتحت بأي شكل من الأشكال وربما لا يعني هذا على الأكثر سوى بعض غزوات ناجحة على حدودها (انظر الغزو العربي للهند لماجمدار الهندي بالفصل الرابع ص ٣١).

[2] تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٧٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣.

[3] الأغاني للأصفهاني جـ ١٢ ص ٨٦.

[4] الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ص ٦.

بين أهل السند والعرب، وكان لهذه العلاقات أثر كبير في النهضة العلمية في العراق وخاصة بغداد وكذلك في البلاد العربية والإسلامية الأخرى، ففي سنة ١٥٦ هـ أرسل هشام إلى الخليفة المنصور وفداً سندياً يضم شخصيات علمية وسياسية، وكان بين أفراد الوفد بعض العلماء الذين لعبوا دوراً كبيراً في خدمة الترجمة ونقل العلوم السندية إلى العربية، كما استفاد العرب من الأطباء والمنجمين والرياضيين السند والهنود الذين قدموا بغداد وأقاموا فيها واستفادوا استفادة علمية عظيمة[1] وكان بين هؤلاء عالم كبير قدم كتاب (سدهانت) الذي عرف عند العرب باسم (السند هند) إلى الخليفة المنصور وهو في علم النجوم والرياضة، بل قام بمساعدة العالم الرياضي إبراهيم الفزاري بترجمته إلى اللغة العربية، وقد كان لهذا الكتاب المهم أثر كبير في نمو علم الفلك والنجوم من ناحية ونمو علم الرياضيات من ناحية أخرى عند العرب وفي الولايات الإسلامية حتى الأندلس، ومنها وصل الكتاب إلى أوروبا[2].

وبعد أن قضى هشام بن عمرو التغلبي ست سنوات ببلاد السند موفقاً في أعماله السياسية والإدارية والعلمية اشتاق لرؤية الوطن والأحباب، فاستأذن من الخليفة المنصور في سنة ١٥٧ هـ وتوجه إلى العراق فرحاً، ولكنها الآجال فقد كان الحنين يجذبه إلى أرض الوطن ليموت فيها، فقد توفي بعد شهور قليلة في نفس السنة ١٥٧ هـ ودفن في بغداد[3].

---

(١) كتاب الهند للبيروني ص ٢٠٨ - طبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي ص٤٩ - أخبار الأمم للقفطي ص ١٧٨ - مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ١٤٨.

(٢) أخبار الحكماء للقفطي ص ١٧٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٤٩ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٠ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٧٣ - تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٢ - تاريخ الهند لأب الانجليزي جـ ١ ص ٤٤٤ - واختلف المؤرخون بشأن سنوات تعيينه وعزله، جعل ابن الأثير توليه سنة ١٥١ هـ وعزله سنة ١٥٧ هـ وجعل الطبري عزله سنة ١٥٤ هـ.

ولاية معبد بن الخليل التميمي (١٥٧ - ١٥٩ هـ):

بعد وفاة هشام بن عمرو التغلبي والي بلاد السند في سنة ١٥٧ هـ ولى الخليفة المنصور على تلك البلاد معبد بن الخليل التميمي، وكان محمود السيرة في الحكم والمعاملة، وحكم بلاد السند بحزم واستقرار ولكن حكمه لم يطل فقد توفي سنة ١٥٩ هـ بمدينة المنصورة عاصمة الحكومة العربية ببلاد السند وذلك أيام الخليفة المهدي[1].

نلاحظ أن في عهد الخليفة المنصور العباسي كانت بلاد السند في حالة طيبة من الناحية السياسية، كما قلت الخلافات القبلية بها، وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية، وكذلك في عهد هذا الخليفة تقدمت بلاد السند في ميدان العلوم والفنون، واشترك علماء أهل السند في النهضة العلمية التي ظهرت في عهد العباسيين.

خلافة المهدي بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩ هـ):

توفي الخليفة المنصور في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ وتولى الخلافة من بعده ابنه المهدي الذي كان ولياً للعهد، ولكن في عهده عادت الخلافات القبلية بين العرب في البلاد المختلفة وخاصة بلاد السند، ذلك لأن الخليفة الجديد كان يتصف بصفات اللين والسماح لتقواه الشديد وميله إلى الدين أكثر من ميله إلى السياسة والسلطة، ولذلك فقد اهتم الخليفة المهدي بعد استيلائه على الحكم بتبليغ الإسلام، فبعث وفوداً ورسائل تبليغية إلى الولايات والبلاد المختلفة، فمنها رسائل الدعوة إلى الإسلام أرسلها إلى القارة الهندية يدعو ملوكها وأمراءها إلى قبول الإسلام الذي هو أكمل الأديان وأصحها، وخاتم الديانات السابقة، وهو دين العدل المساواة ودين العمل والعبادة، وكان معظم

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٧٢ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٢ ص ١٧٣ و ١٨٠ - الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٤٠ طبع القاهرة - تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٢٠٢ - وأما البلاذري فإنه لا يذكر شيئاً عن ولاية معبد بن الخليل.

هؤلاء الملوك تابعين سياسياً للخلافة العباسية، فدخل منهم خمسة عشر ملكاً وأميراً في الإسلام إجابة لهذه الدعوة المباركة، وكان بينهم ملك سندي يقال له (راي) وملك هندي يقال له (مهراج) الذي كان من أسرة بورس وكان حاكماً على منطقة الحدود مثل بشاور[1].

وفي سنة ١٥٩ هـ وجه الخليفة المهدي حملة بحرية الى بلاد الهند، بقصد الفتوحات الإسلامية بقيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي، وكان الجيش مكوناً من الجنود والمتطوعين، نحو ألفي جندي من أهل البصرة وألف وخمسمائة رجل من المتطوعة الذين كانوا يلزمون المرابطات وسبعمائة رجل من أهل الشام وعليهم قائدهم يزيد بن الحباب المرجحي، وألف رجل من المتطوعة من أهل البصرة بأموالهم وبينهم الربيع بن صبيح التابعي الجليل، وأربعة آلاف رجل من الأساورين والسيابجة السند، بحيث بلغ مجموع الجنود والمتطوعة نحو تسعة آلاف ومائتي جندي ومتطوع، وقام عبد الملك المسمعي بتقسيم الجنود والمتطوعة الى فرق وجعل على كل فرقة قائداً، بحيث ولى ابنه غسان بن عبد الملك على ألفي جندي من أهل البصرة، وولى ابنه الثاني عبد الواحد ابن عبد الملك على ألف وخمسمائة من متطوعة المرابطات، وولى يزيد بن الحباب المرجحي على سبعمائة من أهل الشام، وولى المنذر بن محمد الجارودي على ألف رجل من المتطوعة من أهل البصرة، وولى أبا القاسم محمد بن إبراهيم على البقية[2].

وتحرك الجيش العربي الإسلامي حتى وصل بلاد فارس ومنها ركبوا السفن الحربية التي سارت في البحر متجهة إلى بلاد الهند، غايتها الجهاد في سبيل الله، حتى وصلت السفن إلى ميناء باربد (بهاربهوت) ببلاد الهند، ووقع القتال الشديد بين العرب المسلمين وبين أهل الهند الكفار، وكان الانتصار للمسلمين

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٩ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٥٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٥٩ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٩.

الذين تقدموا وحاصروا المدينة وفتحوها، وتوجه أهلها إلى معبد بوذي ضخم وظن العرب أنه قلعة حيث كانت المعابد البوذية في ذلك العهد تبنى عالية بالأبراج وأشعل العرب النار فيه فاحترق البعض بالداخل وخرج البعض وقتلوا، كما استشهد في هذه المعركة نحو ٢٩ شخصاً من العرب[1].

ويبدو أن سبباً من أسباب هذه الحملة العربية على ذلك الجزء من بلاد الهند هو أن أهل إقليم كجرات كانوا قد بدأوا مرة أخرى في مضايقة التجار العرب وأسرهم نتيجة للاضطرابات السياسية التي وقعت في المنطقة بحيث يفهم من كتب التاريخ الكجراتية أن في تلك الأيام كان يحكم كجرات الجنوبية الملك (كرشن) أحد أفراد أسرة (راشت كوت) وأن نزاعا كان قد وقع بين أفراد هذه الأسرة بشأن الحكم والعرش، وعلى أثر ذلك قامت الاضطرابات وأراد الملك كرشن أن يقضي عليها، ويستقل بالحكم لنفسه، وفي الغالب وقعت أضرار كثيرة للجاليات العربية أثناء تلك الاضطرابات ولذلك وصلت فرقة بحرية إلى هناك من طرف الخليفة المهدي العباسي بقصد مساعدة المسلمين المقيمين هناك وفتح تلك المنطقة[2].

ثم انتشر الهدوء والاستقرار في المدينة، وأقام العرب أياماً ولكن كان موسم الحر الشديد وكانت الرياح الحارة المسمومة تهب فانتشرت أمراض وبائية موسمية في المنطقة، فأصيب العرب بمرض يسمى (موتان) حتى مات في خلال أيام قليلة نحو ألف رجل عربي وكان التابعي الجليل الربيع بن صبيح بينهم[3] رحمه الله.

---

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ص ٣١ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٨ ـ وكان المذهب البوذي قد ضعف في هذا الوقت ببلاد الهند.
باربد: أصلها (بهاربهوت) وهي ميناء صغير يقع على بعد سبعة أميال في الجهة العربية لميناء بهروج (بروص) ببلاد الهند (تاريخ السند ص ١٦١).

(2) تاريخ السند بالأردية لأبي ظفر ندوي ص ١٦١ نقلاً عن كتاب راجين اتهاس الكجراتي.

(3) تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٥٥ ـ ولكن=

وكان أبو بكر الربيع بن صبيح السعدي البصري من موالي بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان تابعياً عظيم القدر، وكان قد تتلمذ على الحسن، وله رواية في باب الجهاد عند ابن ماجة، وذكره ابن سعد بأنه سافر إلى بلاد الهند في سبيل الجهاد، وبعد أن توفي هناك دفن في جزيرة من جزر الهند[١] وجاء في تهذيب التهذيب أن (رام هرمزي) كتب في كتابه (فاصل) أنه كان أول مصنف في البصرة[٢] ويفهم من عبارة ابن سعد أن الربيع بن صبيح لم يمت في مدينة باربد (بهاربهوت) وإنما توفي على إثر المرض في جزيرة من جزر الهند، ويبدو أن العرب بعد أن أصابهم ذلك المرض الوبائي قد تركوا تلك المدينة وركبوا السفن وانتقلوا إلى جزيرة من الجزر وأقاموا فيها حيث توفي التابعي الجليل الربيع بن صبيح فدفنوه هناك، ولذلك لا يوجد أثر لقبر ذلك التابعي المجاهد رحمه الله في مدينة باربد بإقليم كجرات ببلاد الهند، ولا أخبار صحيحة في الروايات المختلفة هناك[٣].

وكان الرعب قد استولى على قلوب العرب بسبب ذلك الوباء بحيث لم ينتظروا أن تهدأ الرياح أو يهدأ البحر فركبوا السفن وتوجهوا إلى بلاد فارس ولكن لسوء الحظ عندما اقتربت السفن من ميناء خليج العرب اشتدت الرياح

= ابن الأثير يذكر اسم المرض هكذا (فأصابهم مرض في أفواههم يقال له حمام قره) وقد ذكر ابن خلدون اسم التابعي إبراهيم بن صبيح.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٧ ص ٣٦

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٣ ص ٣٤٨.

(٣) أنظر الغزو العربي للهند لماجدار الهندي ص ٣١، وكذلك انظر نزهة الخواطر جـ ١ ص ٣١- ويشير ماجدار إلى هذه الواقعة نقلاً عن البلاذري مع تصرف في المعنى فيقول: «وأثناء فترة الخلافة الثانية وهي خلافة المهدي أرسلت حملة عربية ضد الهند وكانت بقيادة الربيع بن صبيح الفقيه ولكنها فشلت وتوفي الربيع ودفن في إحدى الجزر وذلك سنة ١٦٠ هـ فهو يجعل الحملة فاشلة وهذا غير صحيح ولولا المرض لبقي العرب هناك، وماجدار لا يذكر هذا السبب في عودة العرب، كما أنه يكتب اسم التابعي (الربيع بن صبيح) وصاحب نزهة الخواطر يذكر أن الربيع سافر إلى بلاد السند ومات بها، وهذا خطأ لأن الربيع لم ير قط بلاد السند بل مات بجزيرة ما بجزر الهند.

واصطدمت السفن بعضها ببعض وانكسرت وغرق معظم ركابها ونجا القليل منهم ووصلوا بصعوبة إلى العراق، وكان بينهم قائد الحملة عبد الملك بن شهاب المسمعي الذي تعين فيما بعد والياً على بلاد السند[1] وبعد ذلك لم يفكر الخليفة المهدي في ارسال حملة أخرى إلى بلاد الهند.

كان عهد الخليفة المهدي عموماً عهد الضعف والفوضى في بلاد السند، بحيث تغير في خلال احدى عشرة سنة من حكمه أحد عشر والياً، وأحياناً كان يصل عدد الولاة في التغيير ثلاثة ولاة في سنة واحدة، وذلك لضعفهم وقيام الفتن في بلاد السند من طرف أهاليها السكان الأصليين وكثرة الخلافات القبلية بين العرب أنفسهم ولذلك لم يستطع هؤلاء الولاة أن يقوموا بواجباتهم على خير وجه ولم يعملوا شيئاً لتقدم البلاد في شتى المجالات.

ولاية روح بن حاتم (١٥٩ هـ):

بعد وفاة معبد بن الخليل التميمي سنة ١٥٩ هـ تولى حكم بلاد السند روح بن حاتم بأمر الخليفة المهدي وبإشارة من وزيره أبي عبيد الله، ولكن روح بن حاتم رغم كونه من أسرة سياسية قيادية معروفة لم يستطع أن ينظم الأمور في بلاد السند حين قام قوم الزط الغلاظ بالفتن في الأجزاء الغربية من البلاد، وعجز روح من القضاء عليهم، فعزله الخليفة بعد شهور قليلة من توليه الحكم ونقله إلى إفريقيا مكان أخيه يزيد بن حاتم الذي كان والياً هناك وكان قد توفي في هذه السنة بالذات[2].

ولاية بسطام بن عمرو التغلبي (١٥٩ - ١٦٠ هـ):

لما عزل روح بن حاتم سنة ١٥٩ هـ ولى الخليفة على بلاد السند بسطام

---

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٥ - ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٨ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٥٩.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ص ٧١ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٤٦١ - ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٧.

ابن عمرو التغلبي الذي كان اخاً لهشام بن عمرو التغلبي والي بلاد السند الأسبق في عهد الخليفة المنصور، وكان قد حصل على تجارب كثيرة في السنين الطويلة التي عاشها بتلك البلاد حين كان نائباً لأخيه الوالي من سنة ١٥١ هـ حتى سنة ١٥٧ هـ ولكن الخليفة لأسباب سياسية عزل بسطام في سنة ١٦١ هـ بعد سنتين من حكمه ببلاد السند رغم أنه كان قد استطاع أن يقضي على الفتن والاضطرابات القائمة في البلاد من طرف قبائل الزط وكان ناجحاً أيضاً في ادارة شؤون الدولة ولم نعرف السبب الحقيقي لعزله[1].

ولاية روح بن حاتم مرة ثانية (١٦١ هـ):

أمر الخليفة المهدي بعودة روح بن حاتم إلى ولاية بلاد السند في سنة ١٦١ هـ مكان بسطام التغلبي الذي عزل، وكان روح بن حاتم في إفريقيا، فلما تولى زمام الحكم في بلاد السند للمرة الثانية لم ينجح في هذه المرة أيضاً في تدبير الحكم والقضاء على فتن قبائل الزط التي تجددت بسبب معرفتهم بضعف شخصية الوالي الذي قد أفشلوه فيما سبق فكان لا بد للخليفة المهدي أن يأمر بعزله في نفس السنة[2] ونقله مرة أخرى إلى إفريقيا لمكانة أسرته السياسية في العراق حتى مات في إفريقيا سنة ١٧٤ هـ ودفن بجوار قبر أخيه في القيروان وتعجب الناس لذلك وكانوا يقولون قبل ذلك أن أخاً يحكم إفريقيا وأخاً يحكم بلاد السند النائية[3].

ولاية نصر بن محمد الخزاعي (١٦١ هـ):

تولى حكم بلاد السند نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي في سنة ١٦١ هـ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٤٧٠ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٥٤ـ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٠ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٤٩١

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٠.

بعد عزل روح بن حاتم الذي فشل في الحكم، ويبدو أن نصر الخزاعي أيضاً لم يستطع أن يسيطر على البلاد وفشل في القضاء على الاضطرابات الداخلية التي ظل القوم الزط السندي يقوم بها منذ تولى المهدي الخلافة، ولذلك عزل نصر الخزاعي في نفس السنة التي تولى الحكم[1] ويدل ذلك على شدة مقاومة الزط واستمرار محاربتهم العرب مما عجز الولاة معهم وأدى إلى فشلهم وعزل بعضهم بهذه السرعة، وفي الغالب كانت وراء الزط في المناطق الغربية القريبة من حدود بلاد الهند وبلاد كشمير، قوة خارجية تساندهم وتمدهم بالسلاح والمال حتى يواصلوا في المضايقة للعرب.

ولاية محمد بن سليمان الهاشمي وعبد الملك المسمعي (١٦١ هـ):

في سنة ١٦١ هـ فوض حكم بلاد السند إلى شخصية سياسية كبيرة في الدولة العباسية وهو محمد بن سليمان بن علي الهاشمي حتى يجد حلاً للأزمة السياسية في تلك البلاد، فاختار محمد الهاشمي قائداً معروفاً من طرفه وولاه على بلاد السند وهو عبد الملك بن شهاب المسمعي نائباً عنه، ووصل المسمعي بجيشه ونزل الساحل على بعد ستة فراسخ من مدينة المنصورة ولم يمكث أكثر من ثمانية عشر يوماً في أرض السند حتى فوجىء بوصول الأمر إليه من دار الخلافة بالعودة، على أن يتولى الحكم نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي مرة أخرى، فعاد نصر الخزاعي إلى المنصورة في الوقت الذي عاد عبد الملك المسمعي إلى البصرة[2] وكان عبد الملك من كبار قواد الخليفة الذي أراد تكليفه بمهمة عسكرية أخرى عاجلة.

وهكذا عاد نصر الخزاعي إلى المنصورة واستلم زمام الحكم فيها، وبدأ في تنظيم الأمور والتفكير في القضاء على الاضطرابات والفتن وجهز جيشاً

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٤٩١ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٠.

(٢) أنظر تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٤٩١.

لذلك ولكن وصله الأمر بعزله مرة أخرى[1] ولم تذكر كتب التاريخ أسباب تعيين وعزل هؤلاء الولاة بهذه السرعة وبهذه الكثرة في خلال سنوات قليلة، ولعل السبب كان يرجع إلى سوء سياسة والي العراق ابن عبيد الله وتردده في اتخاذ قرارات حاسمة في الأمور الخطيرة.

ولاية زبير بن عباس (١٦٢ هـ):

اختار والي العراق في هذه المرة شخصية معروفة وهو زبير بن عباس ليتولى حكم بلاد السند في سنة ١٦٢ هـ بعد أن عزل نصر الخزاعي للمرة الثانية، ورغم أن زبير بن عباس كان ينتمي إلى أسرة سياسية عريقة، فإنه إما كان حاكمًا غير مدبر أو أنه تولى هذا المنصب مكرهاً مجبراً على غير رغبته ولم تعجبه بلاد السند وأحوالها، ولذلك نراه لا يهتم بأمورها حتى اشتدت الفتن والاضطرابات في أيام حكمه وهو ساكت لا يتحرك ولا يحاول القضاء على الخطر الذي كاد يقضي على سلطة العرب في تلك البلاد، لتصل الأخبار إلى دار الخلافة بفشله في الإدارة ويأتيه الأمر بعزله عن ولاية السند، وفعلاً لا تمر شهور قليلة حتى يسمع الخليفة بسوء الحالة في هذه البلاد ويأمر بعزله[2].

ولاية مصبح بن عمرو التغلبي (١٦٢ هـ):

بين هذه الاضطرابات والفوضى تحير والي العراق فيمن يختاره لحكم بلاد السند حتى وقع الاختيار على مصبح بن عمرو التغلبي وهو الشقيق الأصغر لهشام بن عمرو التغلبي والي بلاد السند سابقاً، على أن مصبحاً عاش في هذه البلاد وله خبرة طويلة بأمورها، فتولى حكم بلاد السند سنة ١٦٢ هـ وفي وقت قصير استطاع بفضل مهارته العسكرية وخبرته السياسية أن يقضي على

---

(١) ابن خلدون جـ ٣ ص ٢١٢ ويذكر الاسم محمد بن الأشعث وكذلك انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٥ ص ٦٠٢ حوادث سنة ١٦١ هـ.

(٢) تاريخ السند ص ١٦٤ بالأردية.

مواطن الفتن والاضطرابات عند قوم الزط السندي، وهكذا نرى أن الوالي إذا كان قوياً تخمد الثورات وإذا كان الوالي ضعيفاً تشتعل نيران الفتن من جانب القبائل الزطية التي عرفت منذ قرون طويلة بمعاداتها للحكام، وخاصة ولكن لسوء الحظ تشتعل نيران أخرى لا من جانب أهل السند وإنما من بين العرب أنفسهم، فقد تجددت الخلافات القبلية ووصلت الخصومات بين النزارية واليمانية إلى درجة نشوب الحروب الأهلية بسبب بعض المطالب السياسية والاجتماعية، وقد أدت تلك الخصومات إلى الفوضى وعدم الاستقرار بين العرب ولم يستطع الوالي مصبح بن عمرو أن يصلح بين القبائل العربية ويرضى الجميع، وبالتالي لم يستطع أن يقوم بواجباته الإدارية والاصلاحية في البلاد على وجه أكمل، فعزل أو استقال هو نفسه[1].

ولاية نصر بن محمد الخزاعي للمرة الثالثة (١٦٢ - ١٦٤ هـ):

عاد نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي في نهاية عام ١٦٢ هـ إلى بلاد السند للمرة الثالثة بعد عزله عنها مرتين بسبب فشله في الادارة مما يدعو للعجب ولا يفهم كيف ولماذا أعيد تعيين نصر هذا، والتاريخ مع الأسف لا يذكر شيئاً عن هذه الأمور إلا إشارات سريعة غامضة، ولذلك يصعب على الباحث أن يجد تعليلاً صحيحاً لتلك الأحداث، وفي الغالب أعيد نصر إلى هذا المنصب لوجود صلة القرابة أو الصداقة بين والي العراق أبي عبيد الله، ولكن نصراً كعادته لم يستطع أن يقضي على الخلافات القبلية بين العرب في الوقت الذي كانت الاضطرابات الوطنية لأهل السند قائمة بفضل الضربة القوية التي وجهها إليها مصبح التغلبي من قبل، وظل نصر الخزاعي يحكم

---

[1] الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ص ٤٤٢ - وقد ورد في كتاب الأغاني (جـ ١٠ ص ٩٦ طبع القاهرة) ضمن أخبار أبي نضير الشاعر المعروف بأن عبد الله بن عمرو بن هشام التغلبي كان والياً على بلاد السند في تلك السنوات وكان من أهل الفضل والكمال وقد مدحه الشاعر كثيراً ولكن كتب التاريخ لا تذكر عنه شيئاً، ولعله كان نائباً لعم له لمدة أيام قليلة.

لمدة سنتين حتى توفي في سنة ١٦٤ هـ[1].

ولاية سطيح بن عمرو التغلبي (١٦٤ هـ):

لما توفي نصر الخزاعي تولى حكم بلاد السند سطيح بن عمرو التغلبي سنة ١٦٤ هـ وكان سطيح هو الشقيق الرابع لهشام بن عمرو التغلبي، وكان يقيم في بلاد السند منذ سنين طويلة، ويبدو أن حكمه كان بصفة مؤقتة، لحين وصول وال جديد من دار الخلافة بغداد، حتى اختير بعد شهور الليث ابن طريف لاستلام زمام الحكم في بلاد السند[2].

ولاية الليث بن طريف (١٦٤ - ١٧٠ هـ):

في نهاية سنة ١٦٤ هـ تولى الليث بن طريف منصب الوالي في بلاد السند، وكان الليث مولى الخليفة المهدي ورجلاً سياسياً لبقاً وقائداً عسكرياً موهوباً، ويبدو أن الخليفة قد تنبه لسوء الأوضاع وخطورتها في بلاد السند فاختار بنفسه الليث أملاً منه أن ينجح في إعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية ولمصلحة العرب والسند جميعاً، وبعد وصول الليث إلى بلاد السند، بدأ فوراً بدراسة الحالات السياسية والاجتماعية دراسة تحقيقية دقيقة، وعلى ضوء ذلك وضع الخطط لاصلاح الأوضاع في شتى المجالات، ولقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً، فأول ما فعل هو أنه جمع زعماء القبائل العربية، وبحث معهم مطالبهم وحقق في الخلافات بينهم وعقد الصلح بين القبائل العربية بجهود طيبة للطرفين، واستطاع بعد ذلك أن ينظم الأمور الداخلية كلها بفضل اتحاد الزعماء العرب ووقفتهم المشرفة معه، وفي هذه الأثناء رفع القوم الزط رؤوسهم مرة أخرى بعد عدة سنوات وقاموا بالاضطرابات العنيفة، ويبدو أنهم في تلك السنوات الماضية كانوا يستعدون ويجهزون قواتهم ويجمعون ما

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ص ٤٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٥٠٢.

بزاعيهم من الأسلحة الكثيرة حتى وصلوا إلى هذه الدرجة من القوة بحيث يعجز الليث أن يقضي عليهم بسهولة، لا بقوة عسكرية ولا بوسيلة سياسية بالاتصال بزعمائهم، وكتب بذلك إلى الخليفة المهدي الذي كان في ذلك الوقت في البصرة في طريقه إلى الحج، فأمر فوراً بتجهيز جيش ضخم وارساله إلى بلاد السند، وبمجرد وصول القوات العربية أعلن الليث الأحكام العسكرية وحكم بالموت على المشاغبين والمفسدين ولاسيما زعماء الزط في كل ناحية من البلاد، وبذلك انتهت الفتنة الكبيرة وعاد الأمن والاستقرار إلى أهل البلاد[1] وبقي الليث بحكم بلاد السند موفقاً ويعمل لتقدم البلاد في ميادين العلم والزراعة والتجارة حتى تولى الخلافة هارون الرشيد فعزله مع بعض الولاة عن الولايات سنة ١٧٠ هـ[2].

خلافة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ):

توفي الخليفة المهدي سنة ١٦٩ هـ وتولى الخلافة ابنه موسى الهادي الذي حكم ١٤ شهراً وتوفي سنة ١٧٠ هـ، وفي عهده لم يحدث تغيير سياسي مهم في بلاد السند، حتى تولى الخلافة من بعده أخوه هارون الرشيد، وكان أعظم الخلفاء العباسيين بعد المنصور وقد مكث في الحكم ثلاثة وعشرين عاما، كان عهده عهد رخاء وتقدم، فقد نهضت البلاد العربية والولايات التابعة للخلافة العباسية في المجالات العلمية والسياسية والتجارية، ولكن الخلافات القبلية العربية ظلت مستمرة في بلاد السند رغم الجهود الجبارة التي بذلها الخليفة للقضاء عليها، إلا أن تلك الجهود ذهبت هباء بسبب وقوع بلاد السند بعيدة وبحكمها الولاة الضعفاء، ولكن مع ذلك فإن الحالات العلمية والتجارية والاقتصادية كانت عموماً ببلاد السند طيبة وقد ازدادت العلاقات العلمية

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٥٠٢.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.

والثقافية نشاطاً بين العرب والسند كما اتسع ميدان التجارة بين البلاد العربية وبلاد السند.

ولاية سالم التونسي (١٧١ - ١٧٤ هـ):

لما تولى الخلافة هارون الرشيد بدأ في رسم سياسة جديدة وتنظيم شؤون الخلافة على أسس تختلف عن العهد السابق، ولذلك حصل بعض تبديلات في المناصب الحكومية الكبيرة، فعزل بعض الولاة عن الولايات التابعة للخلافة بما فيها بلاد السند، وكان واليها في هذا الوقت هو الليث بن طريف وقد تعين مكانه رجل يسمى سالم التونسي، وكان الليث قد نشر الأمن والاستقرار في البلاد، كما جمع شمل القبائل العربية وألف بين قلوب أفرادها، ووحدهم بعد أن كانوا فرقاً وأحزاباً يضرب بعضهم بعضاً بالحسام، ولذلك استطاع سالم أن يحكم لمدة أربع سنوات أخرى بلا مشاكل سياسية ولا اجتماعية، وقد أحسن السيرة وكان الناس جميعاً من العرب والسند راضين عنه ومطمئنين إليه، حتى اضطر الخليفة هارون أن ينقله إلى منصب أكبر في سنة ١٧٤ هـ[1].

ولاية إسحاق بن سليمان الهاشمي (١٧٤ هـ):

تولى حكم بلاد السند اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي بأمر الخليفة

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩ القاهرة ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٦٠٩ ولكنه يذكر سنة توليه ١٧٣ هـ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٨٨ ويذكر سنة توليه ١٧٤ هـ ـ البلاذري لا يذكر شيئاً عنه ـ تحفة الكرام جـ ٣ ص ٢٦ يذكر بعض أسماء للولاة العرب في بلاد السند لا نجدها في الكتب التاريخية القديمة، مثل الشيخ أبو تراب، كان في منصب حاكم على منطقة ساكرة (شاكرة) وقلعتها ببلاد السند، وأن قبره لايزال موجوداً على بعد ثمانية أميال من مدينة تهتة الأثرية. وقد كتب على اللوحة تاريخ الوفاة سنة ١٧١ هـ واعتبره البعض أول صوفي ظهر في بلاد السند (تذكرة صوفية السند ص ٣٥) وكذلك ورد في تحفة الكرام في ضمن أسماء الولاة اسم أبو العباس ولم نجد تأييداً في كتب التاريخ، ولذلك لم نذكره هنا في أخبار الولاة بشكل مستقل، ولكن اليت الانجليزي يذكر أنه كان والياً على بلاد السند، وربما اعتمد على ما ورد في تحفة الكرام (انظر تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ٤٤٦ بالانجليزية).

هارون الرشيد في سنة ١٧٤ هـ، وكان رجلاً فاضلاً مثل أبيه محباً للعلم والعلماء[١] ولكنه لم يعش طويلاً ليستفيد أهل السند من فضله وكماله مثل استفادة أهل العراق من والده الذي قام بأعمال جليلة في سبيل النهضة العلمية فقد جمع حوله كثيراً من العلماء بينهم علماء وأطباء من أهل السند والهند يترجمون الكتب العلمية في الطب والرياضيات والفلك والنجوم من اللغات المختلفة ولاسيما الفارسية والسنسكريتية الى العربية تحت رعايته لهم، فقد توفي إسحاق الهاشمي بعد شهور قليلة وذلك في سنة ١٧٤ هـ تقريباً ويبدو أن ابنه يوسف بن إسحاق الهاشمي تولى حكم بلاد السند من بعده لمدة مؤقتة لحين وصول وال جديد[٢].

ولاية طيفور بن عبد الله الحميري (١٧٤ - ١٧٥ هـ):

بعد وفاة اسحاق بن سليمان الهاشمي ولى الخليفة هارون الرشيد على بلاد السند طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري في سنة ١٧٤ هـ، وبعد وصوله تجددت الخلافات القبلية بين العرب لكونه يمنياً، فقد أيده اليمانية وحاربه النزارية الذين كانوا أكثر عدداً في البلاد، واتسعت دائرة الخصومات حتى سمع بذلك الخليفة الذي أمر بعزله عن ولاية السند[٣] وبذلك فإنه لم يقدم أي خدمة للبلاد بل تسبب في شدة الخلافات القبلية وكان عزله سنة ١٧٥ هـ أي بعد سنة واحدة من الحكم.

ولاية جابر بن الأشعث الطائي (١٧٥ - ١٧٦ هـ):

تولى حكم بلاد السند جابر بن الأشعث الطائي في سنة ١٧٥ هـ بعد طيفور الحميري، ونلاحظ في عبارة اليعقوبي أنه يضيف اسم مكران إلى بلاد

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.
(٢) ابن خلدون جـ ٣ ص ٢١٨.
(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.

السند ويجعلها تحت حكم والٍ واحد في عهد الخليفة هارون الرشيد وإن كان اقليم مكران جزءاً من بلاد السند، ولعل السبب يرجع في ذلك، إلى أن بعض المناطق التي تقع في الجهة الشرقية لنهر السند مثل برهمناباد والور وغيرهما قد انفصلت عن الحكم العربي وقامت بها حكومات محلية سندية، بعد مقتل محمد ابن القاسم حين ضعفت سلطة العرب في تلك المناطق بسبب الاضطرابات السياسية التي قام بها أهل السند من ناحية، وبسبب تفرقة العرب وانشغالهم بالخصومات القبلية من ناحية أخرى، بينما كانت المدن والمناطق الواقعة في الجهة الغربية لنهر السند كلها تقريباً في أيدي العرب، ولم يطل حكم جابر الطائي ببلاد السند فقد عزل بعد عام واحد لفشله في ادارة البلاد[1] في سنة ١٧٦ هـ تقريباً.

ولاية كثير بن مسلم بن قتيبة (١٧٦ ـ ١٧٩ هـ):

ثم تولى سعيد بن مسلم بن قتيبة حكم العراق وفوض إليه الخليفة هارون الرشيد أمور بلاد السند أيضاً، فولى أخاه كثير بن مسلم بن قتيبة الباهلي على بلاد السند من طرفه وفي سنة ١٧٦ هـ، وبعد أن وصل كثير بن مسلم إلى عاصمة بلاد السند مدينة المنصورة واستلم زمام الحكم أساء السيرة فكان مذموماً فانشغل بنفسه ولم يعمل لمصلحة بلاد السند ولا الوطن العربي اعتماداً على منصب أخيه والي العراق حتى ضاق الناس به ذرعاً ووصل الخبر إلى الخليفة هارون الرشيد الذي غضب عليه فأمر بعزله في سنة ١٧٩ هـ[2].

ولاية محمد بن عدي التغلبي (١٧٩ ـ ١٨١ هـ):

فوض الخليفة هارون الرشيد حكم بلاد السند إلى عيسى بن جعفر بن منصور العباسي في سنة ١٧٩ هـ ولكنه عين نائباً عنه محمد بن عدي التغلبي

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٠٩.

وأرسله إلى بلاد السند، فلما [illegible]مها بدأ بالعصبية القبلية فضربت القبائل بعضها البعض، ولم يستطع الوالي أن يطفىء النار التي أشعلها بنفسه وعجز عن معالجة الموقف بشتى الطرق، بل خاف على نفسه من البقاء في المنصورة فأراد التوجه إلى مدينة الملتان بإقليم البنجاب والاقامة هناك مدة، ولما علم أهل الملتان من العرب بقدومه إليهم، خافوا أن يشعل نار الفتنة بينهم أيضاً وقد حفظهم الله من شرها، ولذلك خرجوا من المدينة ومنعوه من دخولها فلما أصر على دخول المدينة لوجود معاهدة الصداقة والتحالف بين الحكومتين العربيتين قاتلوه وهزموه واستولوا على كل الأسلحة والأمتعة التي كانت معه، فعاد هارباً إلى مدينة المنصورة عاصمة بلاد السند، وبدأت العصبية من جديد بين اليمانية النزارية، وغضب الخليفة هارون الرشيد لسماع ذلك وعزله من ولاية السند في سنة ١٨١ هـ[1].

ولاية عبد الرحمن (١٨١ - ١٨٢ هـ):

بعد أن اشتدت الخصومات والحروب بين القبائل العربية بالمنصورة ببلاد السند، وكادت تشمل كل ميادين الحياة فيها وتشلها، وذلك في عهد محمد بن عدي التغلبي، اختار الخليفة هارون الرشيد رجلاً يسمى عبد الرحمن، لولاية السند في سنة ١٨١ هـ[2] ولكن التاريخ لا يذكر شيئاً عن أعماله وقد عجز الباحثون عن معرفة شخصيته ونسبه، ويبدو أنه بذل كل جهده للقضاء على الفتن القبلية التي أغضبت الخليفة، ولكنه فشل في ذلك فكان لا بد للخليفة أن يبحث عن شخص آخر ليتولى حكم بلاد السند ولعله ينجح في تدبير سياسة البلاد ويحل المشاكل القبلية، ولذلك عزل عبد الرحمن في سنة ١٨٢ هـ[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٠٩.
(٣) أيضاً جـ ٢ ص ٤٠٩.

ولاية أيوب بن جعفر (١٨٢ - ١٨٤ هـ):

أمر الخليفة هارون الرشيد أن يتولى حكم بلاد السند أيوب بن جعفر بن سليمان بدلا من عبد الرحمن الذي فشل في تدبير البلاد، وسار أيوب وهو يعلم أن مسألة العصبية القبلية هي عقدة من الصعب حلها وإذا حلت انعقدت مرة أخرى، ولما وصل المنصورة علم أن شر العصبية قد دخل كل بيت عربي، ورغم الجهود التي بذلها لعقد الصلح بين القبائل العربية، فإنه فشل في الوصول إلى نتيجة مرضية للعلاج السريع، وسمع الخليفة هارون الرشيد بذلك فانزعج كثيراً وطبقاً للقانون عزل هذا الوالي أيضاً في سنة ١٨٤ هـ واهتم بالبحث عن شخصية كبيرة تكون له خبرة واسعة في القضاء على الفتن القبلية والاضطرابات السياسية حتى وفق في ذلك(١).

ولاية المغيرة بن يزيد المهلبي (١٨٤ - ١٨٥ هـ):

عندما وصلت الخلافات والحروب القبلية بين العرب في المنصورة عاصمة بلاد السند غاية الخطورة، غضب الخليفة غضباً شديداً، بحث عن شخصية قوية تكون له تجارب واسعة في الأمور ومكانة سياسية مرموقة وهيبة بين العرب، حتى وقع اختياره على داود بن يزيد بن حاتم المهلبي، وفوض إليه أمور بلاد السند، وأكد عليه أن يجد حلاً للمشاكل القائمة هناك، آملا له النجاح والتوفيق، ولكن داود بن يزيد لم يتوجه بنفسه إلى بلاد السند في أول الأمر فلعله خاف أن يفقد مكانته السياسية وسط تلك الأمواج العصبية، فعين أخاه المغيرة بن يزيد بن حاتم المهلبي نائباً عنه وأمده بجيش وأرسله إلى بلاد السند.

وكان النزارية قد وصلوا الغاية في القوة في هذا الوقت لدرجة أنهم كانوا لا يبالون بالولاة واتفقوا على اخراج اليمانية من المنصورة، فلما وصل المغيرة

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٠٩.

إلى المنصورة، سد أهل المنصورة الأبواب في وجهه ومنعوه من دخول المدينة، واشترطوا عليه أن ينفذ طلبهم وهو إخراج اليمانية من المدينة ولكن المغيرة لم يوافق على هذا الشرط الذي كان مستحيلاً تنفيذه، ثم طالبوه بألا يستعمل العصبية وأن يحكم بالعدل أو يخرجوا هم جميعاً من المدينة ويدخلها هو منهم فلم يقبل المغيرة ذلك أيضاً، وكان المغيرة من اليمانية، فلما دخل المدينة شدد على النزارية مما أدى ذلك إلى نشوب القتال، وانتهى بهزيمة المغيرة فاضطر للذهاب إلى السند الغربية ومن هناك كتب إلى أخيه داود عن الأحداث الخطيرة التي وقعت في بلاد السند[1].

ولاية داود بن يزيد المهلبي (١٨٥ - ٢٠٥ هـ):

لما سمع داود المهلبي بذلك جهز جيشاً كبيراً وتوجه بنفسه إلى بلاد السند، ليقضي على قوة النزاريـة، فجرد فيهم السيف وظل يقاتلهم عشرين يوماً حتى قتل خلقاً كثيراً منهم ولكن مع ذلـك لم يفتح الأهـالي بـاب المنصورة، فاستمرت الحرب لمدة شهور واشتد غضب داود حتى انتصر في النهاية وفتح المدينة بقوة ودخلها، وبقصد القضاء على الفتن طـرد وسجن كثيرين من النزارية وخرب بيوت الآخرين وأحـرق متاجـرهم حتى ساءت حالتهم وبالتالي هدأت المدينة بل سادها الهدوء الرهيب[2]. وبالـرغم من الأضرار الجسيمة التي وقعت للعرب ببلاد السند من جراء العصبية القبلية، فقد انتشر الأمن والاستقرار في البلاد لسنوات طويلة[3].

ثم بعد أن تفرغ داود بن يزيد المهلبي من تحطيم قوة القبائـل اهتم بالاصلاحات والتنظيم في البلاد حتى يعوض الخسائر الفادحة، وقد نجح بقدر

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ١٩٧ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩٤.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ١٩٧ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩٤.
(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩٤.

كبير في رقي البلاد وتقدمها في ميادين مختلفة خلال السنوات الطويلة التي حكم فيها البلاد، بحيث يمكن القول بأنه كان الوالي الوحيد بعد الجنيد الذي استطاع أن يقدم خدمات جليلة لبلاد السند وأهلها، فقد كان عهد الجنيد من الناحية السياسية عهد التنظيم الشامل والاستمرار في الفتوحات، ولكن عهد داود كان عهد الاصلاحات والتقدم في ميادين الثقافة والعلوم والتجارة وتحسين العلاقات السياسية بين العرب وأهل السند، وقد ظل داود يحكم البلاد أكثر من عشرين عاماً حتى توفي سنة ٢٠٥ هـ بالمنصورة[١].

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه في عهد داود بن يزيد المهلبي قد نشطت العلاقات المختلفة بين أهل السند وبين العرب، فقد وصلت جماعة من العلماء والأطباء الكبار من بلاد السند إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، وانشغلوا في ميدان الطب والترجمة بصفة خاصة، وفي ميدان علوم الرياضة والنجوم والفلك بصفة عامة، بحيث استفاد العرب منهم كثيراً، كلما تبودلت الرسائل الودية والهدايا والتحف النادرة بين الخليفة هارون الرشيد وبعض أمراء وملوك بلاد السند وبلاد الهند[٢].

خلافة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ):

انتهى عهد الخليفة العظيم هارون الرشيد بوفاته في سنة ١٩٣ هـ، وكان عهده عهد التقدم والرخاء، وتولى الخلافة من بعده ابنه الأمين وتدهورت الحالات السياسية في عهده، واشتغل الأمين طوال عهده الذي دام خمس سنوات بالخلافات القائمة بين الأسرة الحاكمة، بحيث لم يستطع أن يهتم بالأمور الخارجية المتعلقة بالولايات الكثيرة، وأما بالنسبة لبلاد السند فإن الوالي

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ١٩٧ ـ فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٤ ولكن البلاذري يذكر باختصار بأنه تولى حكم بلاد السند بعد عمر بن حفص وكان معه رجل يسمى أبو الصمة ثم تولى حكم البلاد بشر بن داود في خلافة المأمون.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٣٢ و٣٤.

القوي داود المهلبي كان لايزال يحكم البلاد، وكانت الحالات هادئة والأمور منتظمة والحياة مستقرة رغم الاضطرابات السياسية السائدة في دار الخلافة وفي بعض الولايات الإسلامية مثل خراسان.

وانتهت تلك الخلافات العائلية والاضطرابات السياسية بمقتل الأمين في سنة ١٩٨ هـ ليتولى الخلافة من بعده شقيقه المأمون الذي ظل يحكم قرابة عشرين عاما، وكان عهده أيضاً عهد التقدم، فقد زادت العلاقات الثقافية والتجارية التي كانت قد نشطت بين البلاد العربية وبلاد السند في عهد والده الخليفة هارون الرشيد.

ولاية بشر بن داود المهلبي (٢٠٥ - ٢١٢ هـ):

مات داود بن يزيد المهلبي في سنة ٢٠٥ هـ بعد تقديم خدمات طيبة لبلاد السند وأهلها، وتولى الحكم ابنه بشر بن داود المهلبي على أن يدفع خراجاً إلى دار الخلافة قدرها عشرة ألف ألف درهم في كل عام، ويبدو أن داود المهلبي كان يدفع هذا المقدار من الخراج، ولذلك اشترط مع ابنه الشاب قليل التجربة هذا الشرط لتوليه الحكم، وظل بشر يحكم البلاد بضع سنوات على نهج سياسة أبيه، ولكن بعد ذلك تغيرت سياسته وصار لا يهتم بدار الخلافة وسلطانها وامتنع عن إرسال الخراج المعين المطلوب منه، رغم أنه لم يعلن العصيان، ولكن كان يبدو من تصرفاته أن الغرور قد سيطر على دماغه بعد القوة والنفوذ والسيطرة التي وصلت إليها أسرته في بلاد السند في خلال ٢٨ سنة من الحكم هناك فقرر الخليفة عزله وعين مكانه والياً جديداً[1].

ولاية حاجب بن صالح (سنة ٢١٢ هـ):

تحرك جيش حاجب بن صالح من بغداد حتى وصل منطقة مكران ببلاد

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١١٠٠ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٤.

السند التي تبدأ من عندها الحكومة العربية، وقابل أخاً لبشر بن داود المهلبي الذي كان حاكماً على اقليم مكران من طرف أخيه بشر والي بلاد السند، وطلب حاجب منه تسليم مكران إليه، ولكنه رفض ذلك بحجة أن الوالي على بلاد السند من طرف الخليفة هو بشر الذي يقيم في المنصورة، وأما هو ليس إلا تابعاً لبشر بحكم القانون ولا يستطيع تسليم حكم مكران بدون أمر الوالي لأحد، وإن المسافة بين المنصورة ومكران تبلغ يومان فقط فعليه أن يتوجه أولاً إلى المنصورة وهي العاصمة لمقابلة بشر وبعد التفاوض معه واستلام الحكم منه هناك يمكن له أن يتسلم حكم مكران أيضاً، ولما فشل حاجب في الاستيلاء على اقليم مكران كتب من هناك إلى الخليفة بأن بشراً قد خالف الأمر وعصى الخليفة[1].

ويبدو أن حاجباً كان خائفاً من مواجهة بشر بن داود مباشرة في المنصورة ولعله فكر أنه إذا رفض بشر تسليم الحكم إليه واضطر لمحاربته فإن الأخوان قد يحاصرانه من الطرفين بجيوشهما ويقضيان عليه لا محالة في ذلك، ولذلك رأى من المناسب أن يستولي على منطقة مكران أولاً حتى إذا انهزم أمام بشر يمكن له الفرار إلى مكران والنجاة بحياته لأنه كان يعلم بقوة بشر ولا سيما والده قد حكم بلاد السند سنين طويلة وكون قوة جبارة في المنصورة، وهكذا نرى حاجباً قد فشل في مهمته وخاف من مواجهة بشر في ميدان القتال.

ولاية غسان بن عباد المهلبي (٢١٣ ـ ٢١٦ هـ):

لما علم الخليفة المأمون بحقيقة القصة وهي قوة بشر الجبارة وتردد حاجب وخوفه من التوجه إلى المنصورة لأداء مهمته، بحث عن شخص جريء قوي حتى يقاتل بشر بن داود المهلبي، فوقع اختياره على قائد كبير من نفس قبيلة

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٨ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٠٩٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢١٥ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٥٤ ـ ولكن ابن الأثير يذكر أن حاجباً بعد أن انهزم على يد بشر في المنصورة توجه إلى مكران وفشل هناك أيضاً.

بشر (آل المهلب) وكان يسمى غسان بن عباد المهلبي، وأمر الخليفة أن يحضر إليه محمد بن عباد المهلبي الشقيق الأكبر لغسان وكان من زعماء القبائل وكبار القواد في البصرة في ذلك الوقت وأخبره الخليفة بالقصة المؤلمة قائلاً: «وقد خالف بشر» فقال محمد: «معاذ الله» وطمأنه على أن بشراً لا يجرؤ على مخالفة الخليفة، وهنا أمره الخليفة أن يجهز محمد بن عباد بنفسه جيشاً قوياً وأن يسير مع شقيقه غسان بن عباد إلى بلاد السند للقضاء على الفتنة هناك وأن يحضر بشراً إلى دار الخلافة، وعند العودة يسلم حكم البلاد إلى موسى بن يحيى بن خالد البرمكي الذي يكون في معيته.

وحسب أمر الخليفة جهز محمد بن عباد المهلبي جيشاً كبيراً بقيادة غسان ابن عباد المهلبي وضم إليه جماعة من القواد على رأسهم موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وأمرهم بالسير إلى بلاد السند، وبقي هو نفسه في البصرة، ولما وصل غسان قرب المنصورة خرج إليه بشر وقدم الاعتذار لما حدث عن سوء تفاهم بينه وبين حاجب، وأبدى بعض أعذار لتأخره في دفع الخراج أيضاً، وسلم إليه الحكم بدون أي معارضة ووضعه غسان في القيد رهن التحقيق وحصل منه على الخراج المتأخر والجديد، ثم انشغل غسان مدة بتنظيم أمور الدولة هناك ولما تم له ذلك كله سلم الحكم إلى موسى بن يحيى البرمكي[1].

وفي سنة ٢١٦ هـ وصل غسان منتصراً إلى بغداد ومعه بشر الذي قدمه إلى الخليفة المأمون ولكنه طلب العفو منه وقبل الخليفة ذلك وعفا عنه، كما أمر بإطلاق سراح أفراد أسرته الذين كانوا في القيد تحت الضمانة، بل أكرمهم جميعاً بالانعامات والرعاية[2] ويبدو أن بشراً استطاع اقناع الخليفة بتقديم

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ١١٦ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١١٠٠ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٥٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٨.

بعض أعذار مقبولة ثم توسط زعيم آل المهلب له ساعده أيضاً في عفو الخليفة عنه، وقد سر الخليفة من غسان لانجاز مهمته بنجاح وأقام له حفلة التكريم حيث مدحه فيها الشعراء وقال أحدهم:

سيف غسان رونق الحرب فيه ... وسهام الحتوف في ظبتيه
مقسماً لا يعود ما حج لله ... مصل وما رمى بجمرتيه
فإذا جره إلى بلد السند ... فألقى المقاد بشر إليه
غادرا بخلع الملوك ويغتال ... ل جنوداً تأوي إلى ذروتيه[1]

وقد حدث حين كان غسان في بلاد السند بالمنصورة أن طلب منه أمير منطقة سندية ويسمى (باله) أن يحضر إليه للاشتراك في حفلة كان قد أقامها ودعا إليها أمراء وحكام المناطق المختلفة في بلاد السند، ولعل ذلك الأمير السندي أراد أن يظهر له العظمة والأفضلية، ولكن غسانا رفض قبول الدعوة واعتبرها إهانة لمركزه، ولما كان يجب عليه الاسراع بالعودة إلى بغداد مع بشر فإنه لم يستطع أن يرد الاهانة، ويبدو أنه طلب من الوالي موسى بن يحيى البرمكي أن يفعل ذلك فيما بعد[2].

ولاية موسى بن يحيى البرمكي (٢١٦ - ٢٢١ هـ):

استلم موسى بن يحيى بن خالد البرمكي زمام الحكم في المنصورة ببلاد السند في سنة ٢١٦ هـ، وبعد أن اطمأن على شؤون حكومته، أرسل حملة إلى

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢١.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٤ ، وقد ذكره البلاذري بأنه ملك الشرقي ويرى صاحب (تاريخ السند ص ١٧٥) بأن الاسم قد يكون بالاجندر، ويبدو من عبارة البلاذري أنه كان ملكاً على منطقة في السند الشرقية مثل منطقة الور وكان غسان قد أخذ معه الطبيب المشهور ابراهيم الفزاري إلى بلاد السند. ويحكي ابراهيم بأن غساناً حين كان بالسند أكل ذات يوم لحم طاووس فأعجبه ذلك، ثم كان بعد ذلك يأكل باستمرار لحم طاووس طول مدة اقامته بالسند وكان يقول إني لم آكل لحماً لذيذاً مثل هذا في حياتي (أخبار الحكماء للقفطي ص ٥٣ طبع القاهرة).

منطقة ذلك الأمير السندي (باله ملك الشرقي) الذي كان قد تكبر على غسان المهلبي وأهانه، وأراد موسى البرمكي أن يقضي على غروره، ونشبت معركة حامية بين الجيش العربي والجيش السندي حتى وقع الأمير بعد أيام في الأسر وأحضروه عند موسى البرمكي الذي أمر فوراً بقتله، رغم أنه عرض عليه خمسمائة ألف درهم كفدية على أن يبقيه على قيد الحياة، ولكن البرمكي رفض ذلك في إباء ونفذ فيه حكم الإعدام[1].

كان مقدار الخراج في عهد داود المهلبي الذي حكم بلاد السند ٢١ عاماً قد وصل إلى عشرة ألف ألف درهم وكذلك في عهد ابنه بشر المهلبي، وذلك بفضل سيطرة داود على جميع المناطق والأقاليم الغربية والشرقية في بلاد السند وحتى بعض المناطق النائية المتطرفة التي كان يحكمها بعض أمراء السند وكان شقيقه يحكم اقليم مكران الواسع، ولكن في عهد موسى البرمكي نزل مقدار الخراج إلى ألف ألف درهم سنوياً وهو الخراج الذي كان يرسل إلى دار الخلافة رغم أن العلاقات التجارية بين البلاد العربية وبلاد السند قد عادت إلى نشاطها في عهده من جديد[2] ويبدو أن الفرق في مقدار الخراج المرسل إلى بغداد يرجع السبب فيه إلى أن بشراً حين رفض الطاعة لدار الخلافة، قد رفضت بعض المناطق في عهد موسى البرمكي دفع الخراج، وعلى العموم فقد ترك موسى البرمكي أثراً حسناً في بلاد السند وعمل على زيادة العلاقات العلمية بين العرب والسند، حتى توفي سنة ٢٢١ هـ واستخلفه في الحكم ابنه الشاب عمران بن موسى البرمكي[3].

فتح العرب لمدينتي سندان وقالي ببلاد الهند في سنة ٢١٧ هـ:

في عهد الخليفة المأمون حين كان موسى بن يحيى البرمكي والياً على بلاد

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٥.
(٢) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٥٧.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٥.

السند (٢١٦ - ٢٢١ هـ) قام الفضل بن ماهان أحد الحكام العرب على منطقة سندية بالحملة على مدينة سندان الهندية[1] القريبة من حدود بلاد السند وفتحها وظل يحكمها مستقلاً، وفي نفس الوقت أراد أن يرضي الخليفة عند بإظهار الطاعة له فأمر أن يخطب باسمه في المسجد الجامع الذي بناه بالمدينة كما أرسل إليه الهدايا القيمة ولا سيما فيلاً كبيراً، فسره أن يسمع أن أحد القواد العرب استطاع أن يفتح جزءاً من بلاد الهند ويؤسس دولة عربية إسلامية صغيرة، ولكن الفضل بن ماهان لم يعش طويلاً وتوفي بعد سنوات قليلة بمدينة سندان نفسها[2].

وتولى الحكم من بعده ابنه محمد بن الفضل بن ماهان في عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) وأراد أن يوسع دولته الصغيرة بفتح بعض المدن الهندية المجاورة لمدينة سندان التجارية الصناعية الكبيرة، ولذلك جهز سبعين دارجة، وقام أولاً بالحملة على المنطقة المجاورة التي كان يسكنها قوم الميد الهندي وقتل خلقاً كثيراً منهم حتى أخضعهم وسيطر على منطقتهم وأمن لنفسه الطريق فتقدم نحو مدينة قالي الهندية[3] وفتحها، ثم قرر الاستمرار في الفتوحات إلا أنه سمع بخبر الانقلاب الذي قام به أخوه ماهان بن الفضل ابن ماهان في سندان واستيلائه على الحكم فيها، فأمر الجيش بالعودة إلى سندان نفسها ولم يستطع أن يدخلها، فقد كان شقيقه قد حصنها فكتب إلى الخليفة المعتصم راجياً منه المساعدة وأرسل إليه هدية قيمة عبارة عن ساج لم ير أهل العراق مثله في العظمة والجمال والطول[4].

---

(١) سندان: طبقاً لما رواه رشيد الدين أنها تقع بين مدينة بروص (بهروج) ومدينة سوبارا وهي أقرب إلى الأخيرة.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ يبدو أن الفضل بن ماهان كان حاكماً على مقاطعة سندية عند حدود بلاد السند المتاخمة للبلاد الهندية وكان يتبع والي بلاد السند ثم قام بالحملة على سندان بإرادته واستطاع أن يؤسس دولة صغيرة.

(٣) قالي: لم يتم تحقيقها، ولكنها مدينة هندية تقع بالقرب من مدينة سندان الهندية.

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦.

وعلم ماهان بن الفضل بن ماهان بأن الخليفة سيرسل جيشاً لمساعدة أخيه محمد بن الفضل بن ماهان ولا بد له من الاسراع في معالجة الموقف، وكان سياسياً ماكراً، فقد استطاع أن يحصل على تأييد السند المقيمين هناك وبعض القواد الذين معه وبعد ذلك جهز جيشاً وخرج من المدينة وقام بحملة شديدة على أخيه وانتصر عليه وأسره بل كان قاسياً عليه حين قتله غدراً[1] وإلى هذا الافتراق المؤلم والغدر القاسي من الأخ لأخيه أشار أبو العتاهية الشاعر المعروف المتوفى سنة ٢١١ هـ بهذه الأبيات:

ما على ذا كنا افترقنا بسندا	ن وما كنا هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهندة البيـ	ـض على غدرهم وتنسى الوفاء[2]

وانتهز حكام بلاد الهند فرصة التفرقة بين الأخوة وعلموا أن ماهان بن الفضل يحكم سندان حكماً مستقلاً، وليس لـه اتصال بالخليفة العباسي ولا بوالي بلاد السند، ويطول الوقت لتصل إليه أي مساعدة عسكرية منهما في حالة الحرب، فاتحد الهنود وقاموا بحملة شاملة من كل جهة على سندان وقالي وبوطن الميد وفتحوها وهزموا جيوش ماهان المتفرقة وأخذوا ماهان نفسه في الأسر وقتلوه وصلبوه، ولكنهم تركوا مسجد سندان للمسلمين المقيمين هناك يقيموا فيه الصلاة ويدعوا لخليفتهم العباسي المعتصم بالله[3].

وهكذا زالت الدولة العربية الإسلامية الصغيرة التي دامت نحو عشر سنوات بسبب التفرقة وعدم الإتحاد بين الإخوة الحكام في تلك البقعة المهمة من بلاد الهند.

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦.
(2) رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري لأطهر مباركبوري ص ٢٣٣.
(3) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦.

خلافة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ):

كان المعتصم بالله والياً على بلاد الشام ومصر في عهد أخيه الخليفة المأمون ولما مرض المأمون عهد إليه بالخلافة وعدل عن تولية ابنه العباس الذي كان يتمتع بشهرة واسعة بين جند العرب وقوادهم، ولعل السبب الذي حمله على ذلك هو أنه رأى في شكيمة المعتصم ومتانة خلقه ما يضمن له تنفيذ السياسة التي رسمها لدولته الكبيرة، وفي ليلة وفاة المأمون ١٩ رجب سنة ٢١٨ هـ بويع المعتصم ولكن بعض الجند رفضوا أن يدخلوا في طاعته في مبدأ الأمر وأرادوا تولية العباس بن المأمون، ولكنه أسرع بنفسه إلى مبايعة عمه بالخلافة احتراماً لوصية أبيه فحذا الجيش حذوه.[1]

ومن المصاعب التي واجهت المعتصم في خلافته وهددت مرافق دولته، فتنة السند المعروفين بالزط الساكنين منذ عهد الخلفاء الراشدين بالبطائح بين البصرة وواسط بالعراق. فقد قاموا بالاضطرابات والفتن وقطعوا الطرق ونهبوا أموال المسافرين والتجار كعادتهم القديمة في بلادهم بلاد السند، فوجه الخليفة المعتصم سنة ٢١٩ هـ لحربهم أحد قواده وهو أحمد بن يوسف بن مسلم بن قتيبة الباهلي، فهزموه[2] ثم استولوا على طريق البصرة وفرضوا المكوس الجائرة على السفن المارة بها، ثم حالوا دون وصول المؤن والأقوات إلى بغداد، وقد ندب المعتصم لقتالهم عجيف بن عنبة (عنبسة) أحد القواد من العرب، فعسكر بالقرب من مدينة واسط، وسد الأنهار عليهم وأحاط بهم من كل ناحية، وقاتلهم تسعة أشهر. ثم رغمهم على طلب الأمان، وكان عددهم سبعة وعشرين ألفاً بين رجال ونساء وأطفال وحملهم القائد عجيف في السفن، ودخل بهم بغداد يوم عاشوراء من سنة ٢٢٠ هـ فشاهدهم الخليفة المعتصم ورجال دولته، ثم أمر بهم فنفوا إلى آسيا الصغرى، وظلوا هناك إلى أن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١٠ ص ٢٩٤ - مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٣٤٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٢.

ابرهيم البيزنطيون سنة ٢٤١ هـ[1].

وبعد أن تولى المعتصم الحكم أراد أن ينقل بعض الولاة من مناصبهم إلى مراكز أخرى أو يعزلهم إذا وجد في البعض ضعفاً في إدارة البلاد، فوجد أن موسى بن يحيى البرمكي قد نظم الأمور ببلاد السند ولا توجد ضده أية شكوى في الداخل كما كان موفقاً في سياسته الخارجية مع الجيران من أمراء السند الذين كانوا يطيعونه ويحترمونه ويخافون بأسه، وكذلك كانت الخلافات القبلية بين العرب ببلاد السند نائمة منذ عهد داود المهلبي لضعف القبائل ولكون البرمكي محايداً لا ينتمي إلى النزارية ولا إلى اليمانية، ولذلك لم ير الخليفة ضرورة لعزله بل أقره في منصبه مبيناً رضاه عنه، إلا أن فتنة الزط تجددت في بلاد السند أيام فتنة الزط بالبصرة وواسط، وسنتكلم عنها بعد قليل عند الكلام عن عهد عمران بن موسى البرمكي.

ولاية عمران بن موسى البرمكي (٢٢١ - ٢٢٦ هـ):

بقي موسى بن يحيى بن خالد البرمكي يحكم بلاد السند في عهد الخليفة المعتصم لمدة ثلاث سنوات أخرى حتى توفي سنة ٢٢١ هـ ببلاد السند وتولى الحكم نائبه وابنه عمران البرمكي وكان شاباً شجاعاً ووافق الخليفة المعتصم على أن يصير والياً على البلاد من بعد أبيه[2] بعد أن تعهد عمران على أن يحمل خراجاً من بلاد السند إلى دار الخلافة كل عام قدره ألف ألف درهم أي نفس المقدار الذي كان يحمله والده من قبل[3].

ولم تمض على استلام الحكم أيام قليلة حتى قامت القبائل الزطية السندية بالفتن والاضطرابات ضد العرب في كل مكان وخاصة في المناطق الغربية لنهر

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١٠ ص ٢٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٨ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢٠ ويذكر ابن الأثير سنة توليه الحكم ٢١٦ هـ ونسبته العتكي.

(٣) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٥٦.

السند، وذلك على إثر الفتن التي قام بها الزط في العراق سنة ٢٢٠ هـ وقضى عليها المعتصم بنفيهم إلى آسيا الصغرى وإلى منطقة خانقين وأسكنهم فيها[1] وتوجه عمران البرمكي بجيشه إلى منطقة القيقان وقاتل أهلها بشدة حتى نشر الأمن والاستقرار هناك، وبما أن الزط كانوا معروفين بالفتنة والفساد وبالنهب والقتل، فكر عمران البرمكي أن يبني مدينة محصنة بالقرب من منطقتهم القيقان على أن تكون بمثابة مركز عسكري في المنطقة الغربية من بلاد السند ويستطيع الجيش العربي أن يقضي على الاضطرابات بسرعة وسهولة، فبنى مدينة في منطقة بوقان وهي منطقة يسكنها البوذية وسمى المدينة «البيضاء» فأسكنها الجند العرب لمراقبة هؤلاء الزط ونشر الاستقرار والنظام في تلك المنطقة الواسعة[2] ثم لما عاد عمران البرمكي إلى المنصورة علم أن أهل قندابيل (كنداوي) قد قاموا بالاضطرابات، وقنداببيل كانت مدينة محصنة تقع على جبل وكان يحكمها رجل متغلب عربي يسمى (محمد بن الخليل) ويبدو أنه رفض الإتباع لوالي بلاد السند ولذلك قاتله عمران البرمكي وانتصر عليه وفتح المدينة وألقى القبض على رؤسائها وقادهم إلى مدينة قصوار حيث سجنهم هناك وعين على مدينة قنداببيل حاكماً عسكرياً من طرفه[3] ولم يكد ينتهي عمران البرمكي من مشكلة قنداببيل حتى سمع بقوم ثان لا يقلون فساداً عن قوم الزط قد قاموا بالاضطرابات أيضاً وهو قوم الميد المتنافس لقوم الزط في البلاد فتوجه إلى منطقتهم الواقعة على ضفة النهر وحاربهم وقتل ثلاثة آلاف منهم في المعركة وانتقل إلى منطقتهم المحصنة وقضى عليهم، ثم عاد عمران البرمكي إلى المنصورة بعد جولة طويلة شاقة وقد نشر الأمن والاستقرار في

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٢.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢٠ ـ وكانت مدينة البيضاء عامرة بأيدي العرب حتى سنة ٢٧٩ هـ وصار سكانها البوذيون جميعاً مسلمين في أواخر القرن الثالث الهجري.

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢٠ ـ فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦.

جميع أنحاء البلاد، ولم يكد يطمئن على الأمور حتى واجهته مشكلة جديدة أصعب وأخطر واضطرابات أشد وأعنف، لا من طرف أهل السند، بل من جانب العرب أنفسهم وفي داخل المنصورة عاصمة بلاد السند وهو موجود بها[1].

فقد سبق أن ذكرنا بأن داود المهلبي كان قد قضى على شر العصبية القبلية بين العرب في المنصورة بل في كل أنحاء بلاد السند، تلك العصبية والخلافات التي كانت تضر كثيراً بالمصالح العامة وتشل حركة الولاة عن العمل المتواصل لتقدم البلاد، وكان زعماء النزارية في عهد داود المهلبي فقدوا كثيراً من أموالهم وممتلكاتهم، ثم في عهد موسى البرمكي بدأ كل من الفريقين النزارية واليمانية يعمل سراً على تقوية قبيلته حتى اشتعلت نار الفتنة من جديد.

فمن المؤلم جداً أن تتجدد العصبية القبلية بين العرب ببلاد السند في عهد والٍ محايد مثل عمران البرمكي[2] وحين بلغت العصبية درجة الخطورة، مال عمران البرمكي إلى اليمانية على أنهم - ولو في هذه المرة - مظلومين لقلتهم ونصرهم وأراد أن يسلك نفس المسلك الشديد الذي كان قد سلكه داود المهلبي مع النزارية، ولكن عمران البرمكي نسي أن داود المهلبي كان قد أتى بجيش كبير وقواد جدد من بغداد، ولكن قواد عمران البرمكي هنا كانوا من النزارية ومن سكان المنصورة نفسها ويهمهم مصلحتهم، ولذلك نرى النزارية أخذوا يعملون بجد لإسقاط الوالي والقضاء عليه، بحيث اتحدوا

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٨٥.

(2) كانت الأسرة البرمكية من نسل كشميري، وكشمير بلاد تقع بجوار بلاد السند وهاجرت هذه الأسرة إلى بلخ وتولت الأشراف على المعبد البوذي المعروف (نودهار) الذي عرف عند الفرس والعرب باسم (نوبهار) وكلمة (برنك) بالهندية معناها (القائد) وتستعمل بهذا المعنى حتى الآن، ثم تفرست أو تعربت إلى كلمة (برمك) وكان الوزيران المعروفان يحيى وجعفر البرمكيان من أسرة البرامكة (انظر العلاقات بين العرب والهند ص ١١١).

تحت زعامة قائد لهم ذو بأس وشجاعة وكان يسمى (عمر بن عبد العزيز الهباري) الذي كان حفيداً لقائد عربي كبير قد قدم إلى بلاد السند مع الحكم ابن عوانة الكلبي وسكن منطقة باتية يحكمها بالنيابة وقد اكتسب خبرة بأمور البلاد، فقام عمر الهباري هذا بحملة خاطفة مع أصحابه النزارية على عمران البرمكي وقتلوه في سنة ٢٢٦ هـ، وهكذا ذهب الوالي عمران البرمكي ضحية لتلك العصبية ببلاد السند[١].

وكان من نتائج الحروب الأهلية بين العرب ببلاد السند بعد مقتل عمران البرمكي الذي دوخ القبائل السندية، أن تشتت شمل العرب في تلك البلاد الواسعة وانتهزت نفس القبائل الزطية والميدية السندية كعادتهم الفرصة للقيام بالاضطرابات في كل مكان ضد العرب، كما استقل الحكام العرب والسند أيضاً بحكم كثير من القلاع والمناطق[٢] وزاد العرب بتفرقتهم هذه ضعفاً وهواناً، بينما عمر بن عبد العزيز الهباري نفسه قد استولى على زمام الحكم في مدينة المنصورة عاصمة بلاد السند بصفة مؤقتة لحين وصول والٍ جديد.

ولاية عنبة بن إسحاق الضبي (٢٢٦ - ٢٣٥ هـ):

بعد مقتل عمران البرمكي سنة ٢٢٦ هـ تولى عنبة بن إسحاق الضبي حكم بلاد السند بأمر ايتاخ التركي والي خراسان وبموافقة الخليفة المعتصم بالله، ثم لما تولى الخلافة واثق بالله في سنة ٢٢٧ هـ، وجد الحالات في بلاد السند هادئة إلى حد ما فوافق على بقاء عنبة بن إسحاق في الحكم[٣].

ويبدو أن عنبة الضبي بعد وصوله إلى بلاد السند قد اهتم بالخلافات القبلية وتهدئة الحالة بقدر الامكان بين عرب المنصورة وقد نجح في ذلك،

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٨٥ واليعقوبي يكتفي بالاشارة إلى ولاية عمران البرمكي بعد أبيه ولكنه لا يذكر أعماله بالتفصيل ويذكر أنه مات ولم يقتل.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٨٥.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٤ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٨٥.

ولكنه لم يعاقب عمر بن عبد العزيز الهباري على قتل عمران البرمكي، ومن هنا يمكن القياس بأن النزاريـة قد وصلوا إلى حد كبير من القوة والسلطة والهيبة مرة أخرى في تلك البلاد، وكان عمر بن عبد العزيز الهباري يعتمد على قوة تلك الكتلة البشرية الهائلة التي تقف وراءه بعد أن اختارته زعيماً لها مما أدى إلى سكوت الخليفة والوالي الجديد.

وبعد ذلك كان على عنبة الضبي أن يوحد شمل البلاد، فوجه اهتمامه إلى الحكام العرب والسند الذين خرجوا عن طاعة والي السند واستقلوا بحكم المدن والقلاع والمناطق التي كانت تحت أيديهم فدعاهم إلى الطاعة، فاضطروا للخضوع وبعد القضاء على الخلافات القبلية وعلى الاضطرابات أعاد الأمن والاستقرار إلى أنحاء البلاد وأعاد أيضاً الوحدة والقوة إلى العرب[1].

ومن الأعمال التي قام بها عنبة الضبي، أنه عمل في القضاء على نفوذ حكام الأقاليم وزعماء القبائل العربية وزعماء القبائل السندية الذين سولت لهم نفوسهم القيام بالفتن السياسية في البلاد، فقرر أن يبني سجناً كبيراً مركزياً، بعيداً عن المناطق التي تكثر بها الاضطرابات، ليسجن المتمردين في هذا السجن ولا يستطيع رجالهم الافراج عنهم بالقوة، حيث أن السجون الصغيرة في المناطق المختلفة ببلاد السند لم تكن تقوم بواجبها في خدمة الأمن، فكثيراً ما كانت الجماعات تهجم على السجن وتخرج زعيمها أو قائدها المتمرد، وبحث عنبة الضبي عن مكان مناسب لهذا السجن المركزي حتى تكون سلطة العرب عليه قوية، فوقع اختياره على مدينة الديبل المشهورة، وعلى ذلك المعبد الكبير والعالي الحصين الذي كان الفاتح محمد بن القاسم قد صوب إلى أبراجه مناجيقه وفتحه في عام ٩٢ هـ وكان المعبد بوذياً ولأن أكثرية البوذية كانوا قد دخلوا في الإسلام فظل هذا المعبد مهملاً خالياً منذ ذلك الوقت، فأمر عنبة

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٨٥.

الضبي بقطع رؤوس الأبراج العالية فيه وبناء سقوف متينة عليها وبذلك تم له السجن الكبير بتكاليف بسيطة، كما استفاد من الأحجار الفائضة منه في ترميم واصلاح بعض الأماكن المهمة في مدينة الديبل في سنة ٢٣٤ هـ. وبذلك استطاع إلقاء الرعب في قلوب المفسدين وضمن للبلاد أمناً واستقراراً[1].

خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ):

تولى الخلافة المتوكل على الله بعد وفاة الواثق بالله سنة ٢٣٢ هـ ورأى من الضروري أن يغير أو يعزل معظم الولاة والحكام في الولايات المختلفة التابعة للخلافة العباسية، لمخالفتهم له وكان بينهم ايتاخ التركي والي مصر الذي عزله الخليفة وأمر بالقبض عليه في سنة ٢٣٤ هـ وألقاه في السجن حتى مات بعد قليل في سنة ٢٣٥ هـ ولما سمع عنبة الضبي والي بلاد السند بوفاة سيده ايتاخ التركي خاف على نفسه من الخليفة فترك المنصب ببلاد السند وتوجه إلى بغداد ولم يقل له الخليفة شيئاً وعين مكانه والياً جديداً على بلاد السند[2].

ولاية هارون بن خالد المروزي (٢٣٥ - ٢٤٠هـ):

أمر الخليفة المتوكل على الله أن يتولى هارون بن خالد المروزي حكم بلاد السند سنة ٢٣٥ هـ ، ولما وصل هارون المروزي إلى بلاد السند لم يهتم كثيراً بالمشاكل الموجودة فيها، وكان النزاريون قد تركوا قوة جبارة تحت قيادة عمر ابن عبد العزيز الهباري وكان الوالي السابق عنبة الضبي يسايسهم بحكمة، ولكن يبدو أن هاروناً لم يجامل النزارية ولم يبال بهم، فتضايقوا منه مما أدى إلى تجدد وقوع الخصومات بين النزارية واليمانية واستمرت الحالة هكذا لمدة خمس سنوات حتى قتل هارون بن خالد المروزي في سنة ٢٤٠ هـ على أيدي

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٩٩ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧.

البعض في مؤامرة دبروها ضده[1].

ولاية عمر بن عبد العزيز الهباري (٢٤٠ هـ):

لما قتل هارون بن خالد المروزي استولى عمر بن عبد العزيز الهباري زعيم النزارية على الحكم في المنصورة في سنة ٢٤٠ هـ، وكتب إلى الخليفة المتوكل بأنه إذا تفضل بالموافقة على تعيينه والياً على بلاد السند، فإنه يتعهد على تنظيم الأمور الداخلية وتحسين الشؤون الخارجية، لأنه ولد وترعرع في هذه البلاد، ولذلك له معرفة واسعة وخبرة كافية بالأوضاع المختلفة، كما أبدى إخلاصه وولاءه للخليفة وكان الخليفة في تلك الأيام مشغولاً بأخبار الاضطرابات الداخلية في دار الخلافة وأطرافها ضده، فوافق على طلب عمر ابن عبد العزيز الهباري ليتولى حكم بلاد السند[2].

ولما صار عمر بن عبد العزيز الهباري والياً على بلاد السند، بدأ يسلك سياسة جديدة تهدف إلى استقلال حكم تلك البلاد عن دار الخلافة، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد لأن الظروف السياسية ساعدته على ذلك، حتى أسس دولته في المنصورة وظل أبناؤه من بعده يرثون الحكم لمدة أكثر من قرن مع إتباعهم للخليفة العباسي مذهبياً وأخلاقياً، وبذلك ظهرت حكومة عربية جديدة في المنصورة ببلاد السند.

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه في الوقت الذي استولى عمر بن عبد العزيز الهباري على الحكم في إقليم المنصورة ببلاد السند، قامت دولة عربية ثانية في الملتان بإقليم البنجاب باسم الدولة العربية في الملتان، ومعنى ذلك انقسم الحكم العربي ببلاد السند إلى حكومتين عربيتين شبه مستقلتين عن الخلافة العباسية ابتداء من سنة ٢٤٠ هـ وسنتحدث عن هاتين الدولتين بالتفصيل.

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٩٩ ليدن ويذكر اليعقوبي أنه مات في تلك السنة.

(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٩٩.

الفصل الثامن

(أ) الدولة الهبارية العربية في المنصورة ببلاد السند

فكرة عن نسب مؤسس الدولة:

يرجع أصل الأسرة الحاكمة الجديدة في المنصورة ببلاد السند (٢٤٠ ـ ٤١٦ هـ) إلى صحابي جليل يسمى هبار بن أسود أحد أفراد قبيلة بني أسد المتفرعة من قبيلة قريش الكبيرة، وقد أسلم هبار في سنة ٨ هجرية، وقدم حفيده المنذر بن زبير إلى بلاد السند في معية الحكم بن عوانة الكلبي الوالي الأموي على بلاد السند في سنة ١١٢ هـ، وكان المنذر من كبار قواده، وقرر البقاء في هذه البلاد وتعين حاكمًا على مدينة باتيه وزاد نفوذ أسرته فيها.

ويعتبر عمر بن عبد العزيز الهباري مؤسس الدولة الهبارية العربية في المنصورة ببلاد السند، وقد نشأ وترعرع في رعاية جده ووالده وتربى تربية طيبة، روحها روح العسكرية والقيادية، وبذلك يكون نسبه هكذا: عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن زبير بن عبد الرحمن بن هبار بن أسود الأسدي القريشي، ولقد شغل أفراد الأسرة الهبارية مناصب كبيرة في الدولة الأموية ثم في الدولة العباسية[1].

---

(1) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٣٢٧ ـ مدينة باتيه تقع بالقرب من المنصورة في جنوبها واشتهرت أسرة عمر الهباري ببلاد السند بالأسرة الهبارية ونسبت إليها الدولة وقد أخطأ اليعقوبي بجعل هذه الأسرة من أسرة (سامة بن لؤي) مما جعل بذلك بعض الباحثين أن يقعوا

ولاية عمر بن عبد العزيز الهباري (٢٤٠ - ٢٧٠ هـ):

استطاع عمر بن عبد العزيز الهباري أن يستفيد من الخلافات القبلية بين العرب في بلاد السند حتى تزعم الحجازية هناك، وفي عهد الخليفة الواثق بالله في إثر الحروب القبلية قتل عمران البرمكي والي بلاد السند في سنة ٢٢٦ هـ واستولى على حكم المنصورة بصفة مؤقتة لحين وصول والٍ جديد، ثم في عهد هارون المروزي الوالي الجديد لبلاد السند اشترك في الاضطرابات القبلية اشتراكاً فعالاً حتى قتل هارون المروزي في سنة ٢٤٠ هـ، واستولى عمر بن عبد العزيز الهباري على حكم المنصورة من جديد، ولكن في هذه المرة قرر البقاء في الحكم بإرادته وقوة مؤيديه من النزارية ووافق الخليفة المتوكل على ذلك[1] مراعاة للظروف.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز الهباري (٢٤٠ - ٢٧٠هـ) كانت بلاد السند تابعة للخلافة العباسية اسمياً، وكانت العلاقات قائمة بين الطرفين في النواحي المختلفة، السياسية والثقافية والتجارية على أحسن صورة بدليل أن الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) حين عين يعقوب بن الليث الصفاري في سنة ٢٥٧ هـ حاكماً عاماً على تركستان وسجستان وكرمان، كانت بلاد السند أيضاً داخل دائرة إشرافه، ومعنى ذلك أن عمر الهباري والي بلاد السند، رغم ما وصل إليه من السلطة الواسعة فإنه كان يتبع يعقوب الصفاري في ذلك العهد بأمر الخليفة ولو شكلياً، وكذلك حين عين الخليفة المعتمد أخاه الموفق في سنة ٢٦١ هـ حاكماً عاماً على الولايات الشرقية كانت بلاد السند تدخل في دائرة حكمه وإشرافه[2] وكانت الخطب في المساجد ببلاد السند حتى القرن الخامس

= في نفس الخطأ مثله، فقد ذكر التاريخ بأن أسرة سامة بن لؤي حكمت إقليم الملتان في القرن الثالث والقرن الرابع الهجري، كما يؤيد ذلك جميع المؤرخين والجغرافيين العرب، وسنتحدث عن هذه الدولة بالتفصيل.

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦ - تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٩٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٣٤٣.

الهجري باسم الخليفة العباسي.

وفي عهد عمر الهباري في سنة ٢٥٩ هـ دخل في الإسلام أحد ملوك الهند ولعله كان ملكاً على منطقة هندية مجاورة لحدود بلاد السند، وقد أهدى هذا الملك جواهر كثيرة من زمرد وياقوت نذراً لبيت الله الحرام، وكان بينها ياقوت أحمر كبير، ولما وصلت الجواهر الى بغداد يقال إن الخليفة المعتمد أمر أن يعلق ذلك الياقوت النادر على ستار الكعبة[1] ومما لا شك فيه أن ملك البلاد إذا دخل الإسلام لا بد أن يتبعه كثير من رجال دولته وخواصه، وأفراد أسرته، وبالتالي يتأثر بذلك شعبه كله، ويميل إلى الدخول في الإسلام.

ولا يذكر التاريخ عن أعمال عمر الهباري ونظام حكمه في بلاد السند بالتفصيل ولكن يمكن لنا القول بالنظر إلى المعلومات القليلة التي نجدها في الكتب المختلفة بأنه رغم وجود الاضطرابات الكثيرة في الولايات الشرقية، فإن عمر الهباري قد استطاع أن ينشر الأمن والرخاء في جميع أجزاء بلاد السند بعد أن وحدها، وذلك لمدة ثلاثين عاماً بفضل سياسته الحكيمة وقيادته العسكرية القوية حتى توفي سنة ٢٧٠ هـ تقريباً.

ولاية عبد الله بن عمر الهباري (٢٧٠ - ٣٠١ هـ):

تولى حكم المنصورة بعد وفاة عمر الهباري ابنه عبد الله بن عمر الهباري في سنة ٢٧٠ هـ، وبذلك بدأ الحكم في بلاد السند ينتقل من فرد إلى فرد وراثياً في الأسرة الهبارية، وكان الخليفة يوافق على ذلك مضطراً، وبذلك انقطعت سلسلة مجيء الولاة من العراق إلى بلاد السند، وبما أن والده كان قد حكم حكماً طويلاً وأسس دولة قوية ونظم امورها في كل ناحية، كان عبد الله الهباري مطمئناً ولم يكن يقظاً بحيث يتوقع حدوث أي انقلاب ضده في البلاد، ولذلك نجد أن (الصمة بن أبي الصمة) مولى بني كندة الذي كان من

(١) اعلام بيت الله الحرام ص ٤٢.

قواده، قد استغل غفلة عبد الله الهباري ووجوده في مدينة بانيه التي تقيم فيها أسرته منذ زمن طويل، وقام بالانقلاب في المنصورة واستولى على الحكم فيها فجهز عبد الله الهباري جيشاً كبيراً وقام بالحملة على المنصورة وأعاد حكمها إلى نفسه بعد أن هزم الصمة[1].

وفي سنة ٢٧٠ هـ وقع حادث تاريخي هام جداً وهو أن كتب ملك سندي الذي سماه العرب (مهروك بن رائك) إلى عبد الله الهباري والي بلاد السند أن يكتب له عن تعاليم الإسلام باللغة السندية فأرسل إليه عبد الله الهباري رجلاً عالماً شاعراً وهو عراقي الأصل، وقد أقام عند ذلك الملك ثلاث سنوات يعلمه تعاليم الإسلام ويفسر له القرآن الكريم كله باللغة السندية حتى أسلم الملك على يديه وأمر بكتابة التفسير وبذلك يعتبر كتابه أول ترجمة وأول تفسير للقرآن الكريم في بلاد السند[2].

وفي عهد عبد الله الهباري وقعت حادثة مروعة مهلكة بمدينة الديبل التجارية التي كانت لها أهمية استراتيجية عند العرب فقد كانت حلقة الاتصال بين بلاد السند والبلاد العربية، ففي سنة ٢٨٠ هـ خسفت الشمس، وفي العصر انتشر الظلام في كل مكان، واستمر حتى منتصف الليل، ثم لما كان الناس نياما مطمئنين فاجأهم زلزال عنيف رهيب قبيل الفجر ودمرت البيوت كلها في مدينة الديبل ما عدا نحو مائة بيت، ثم زلزلت الأرض خمس مرات أخرى وكان عدد الموتى نحو مائة وخمسين ألف شخص، بالاضافة إلى الآلاف من الناس أصيبوا بجروح مختلفة، وبهذا الحادث المروع المدمر فقدت مدينة الديبل جمالها ونشاطها التجاري إلى حد كبير[3] وقد كتبوا بقصة الزلزال إلى الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) الذي أمر بإعانة سكان المدينة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٥.
(٢) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ٣ وقد اعتبره البعض ملك الور (تاريخ السند ص ٣٥٧).
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٧ ص ٣٢٣.

ومساعدتهم بوسائل مختلفة[1].

وقد ظل عبد الله بن عمر الهباري يحكم بلاد السند حكماً منظماً طويلاً مثل أبيه نحو ثلاثين سنة، وقد استطاع في خلال هذه المدة أن يقر الأمن وينشر الرخاء ويقوم بتبليغ واسع للإسلام، حتى توفي عبد الله الهباري في سنة ٣٠١ هـ تقريباً[2].

ولاية عمر بن عبد الله بن عمر الهباري (٣٠٢ - ٣٣٠ هـ):

بعد وفاة عبد الله الهباري في سنة ٣٠٠ هـ تولى الحكم في المنصورة ابنه عمر الثاني بن عبد الله الهباري، وكان له ولدان محمد وعلي وكان وزيره يسمى (رباح) كما كان في المنصورة شخصية سياسية وهو من سادة العرب وكان معروفاً باسم (حمزة) الذي كان في منصب كبير في الدولة وكذلك كانت تقيم في المنصورة عائلات عربية تنتمي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من نسل عمر بن علي ومحمد بن علي وقد قابلهم المؤرخ المسعودي في سنة ٣٠٣ هـ حين زار المنصورة وكتب عن أخبارها المختلفة[3].

ولاية محمد بن عمر وولاية علي بن عمر الهباري:

وقد ظل عمر بن عبد الله الهباري يحكم بلاد السند لسنوات كثيرة وقد وسع المنصورة وضواحيها حتى صارت مدينة جميلة معروفة في هذا الركن من الشرق، كما فتح من جديد بعض المدن الكبيرة التي كانت حول المنصورة مثل

تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨٠.

(٢) انظر مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٧.

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٦ ورد ذكر منصب الوزير لأول مرة في تاريخ بلاد السند، وكذلك لقب السلطان لحاكم المنصورة ويدل ذلك على أي مدى وصلت سلطة حاكم المنصورة بعد نصف قرن من تأسيس الدولة الهبارية ببلاد السند. ويذكر صاحب نزهة الخواطر (جـ ٢ ص ٦٧) (زيادا) بدلا من اسم (رباح) الذي ذكره المسعودي ولعله كان وزيراً آخر تولى مهمة الوزارة من بعد رباح.

مدينة الور التي كانت في عهد والده في أيدي الحكام السند مع إتباعهم لحاكم المنصورة العربي حسب ما يشير إلى ذلك المسعودي[1] ولكن التاريخ يسكت عن ذكر مدة حكمه وسنة وفاته، فقد انقطعت أخبار بلاد السند لمدة أكثر من نصف قرن، ويبدو أن الحالة بها كانت مستقرة، وفي الغالب حكم عمر بن عبد الله الهباري حتى سنة ٣٣٠ هـ وكان لعمر ولدان أكبرهما محمد وأصغرهما علي، وبعد وفاة والدهما، في الغالب قام ابنه الأكبر بحكم البلاد مدة طويلة[2] ثم من بعده ابنه الذي أشار إليه ابن حوقل البغدادي الذي زار بلاد السند في سنة ٣٤٠ هـ بأن الحكم بها في يد الأسرة الهبارية[3].

نهاية الأسرة الهبارية:

وفي سنة ٣٧٥ هـ زار المقدسي البشاري بلاد السند ويفهم من بيانه أن الأسرة الهبارية كانت لاتزال تحكم المنصورة حتى هذه السنة، وكان يخطب للخليفة العباسي عضد الدولة، وأما من الناحية المذهبية فإن سكان المنصورة والمدن المجاورة كانوا سنيين يتبعون مذهب أبي حنيفة، كما كان المذهب الظاهري الداودي قد بدأ ينتشر بين بعض العلماء في المنصورة[4] ومعنى ذلك أنه لم يكن قد ظهر بعد أثر واضح للشيعة في المنصورة حين زارها المقدسي.

دولة الشيعة في المنصورة (سنة ٤٠٢ ـ ٤١٦ هـ):

في عهد عبد الله بن عمر الهباري في حوالي سنة ٢٧٠ هـ وصل إلى المنصورة من الشام داعٍ شيعي من طرف الإمام عبيد الله المهدي، ويعتبر هذا أول داعٍ يصل إلى بلاد السند، وقد أجرى اتصالات مع العلماء

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٧.
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٧.
(٣) المسالك والممالك لابن حوقل في بيان المنصورة.
(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ص ٤٧٩.

والأعيان تمهيداً لنشر المذهب الشيعي ثم القيام بالانقلاب السياسي في البلاد، ويبدو أنه لم ينجح في ذلك فانتقل إلى إقليم الملتان، وقد نجح هناك في مهمته، ومن ثم بدأ الدعاة يأتون واحداً بعد واحد ويقومون بنشاط كبير في الدعوة لمذهبهم حتى استطاعوا بعد قرن من إقامة دولتهم في الملتان وبعد ذلك في المنصورة أيضاً[1].

وشعرت الدولة العباسية بخطورة تحركات الدعاة الشيعة، ولذلك اختار الخليفة العباسي عالماً كبيراً وهو القاضي محمد بن أبي الشوارب وعينه قاضياً ببلاد السند، ووصل القاضي إلى المنصورة قادماً من بغداد مع جميع أفراد أسرته ولكنه لم يعش طويلاً فقد توفي بعد ستة شهور من قدومه[2] وفي الغالب كان سبب اختيار هذا العالم هو الوقوف على وجه التيارات الفكرية والسياسية الجديدة للشيعة في تلك البلاد، وقد ظلت أسرة القاضي إلى نهاية العصر العباسي وربما إلى ما بعد ذلك، يقوم أفرادها بخدمة الدين الإسلامي، وكان منصب القضاء يرثه أبناؤه واحداً بعد واحد، فقد ذكر المسعودي أنه حين كان في المنصورة في سنة ٣٠٣ هـ كان قاضي المنصورة من آل الشوارب كما كان له صلة القرابة بحاكم المنصورة الأمير عبد الله الهباري[3].

وفي سنة ٤١٦ هـ كتب ابن الأثير عن حالات بلاد السند، وذكر أن سكان المنصورة دخلوا في المذهب الشيعي منذ سنوات قليلة[4] ولا ندري متى بالضبط استولى الشيعة على الحكم في المنصورة، ومما لا شك فيه أن المنصورة لم تكن تحت سيطرة الملتان في يوم من الأيام في عهد العرب حتى نقول أن الشيعة بعد استيلائهم على حكم الملتان في سنة **٣٧٥** هـ قد يكونون استولوا

---

(١) تاريخ السند ص ٢٠١.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٧ ص ٣٣٤.
(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٨
(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٩ ص ٢٤٣.

على الحكم في المنصورة أيضاً، ومن المؤكد أن الشيعة لم يستولوا على الحكم بالمنصورة ما بين سنة ٣٧٥ هـ التي زارها فيها المقدسي وبين سنة ٤٠١ هـ التي طرد فيها السلطان محمود الغزنوي حكام الشيعة من الملتان، فلو كان للشيعة نشاط سياسي في المنصورة في هذه السنة أي سنة ٤٠١ هـ لكان السلطان محمود الغزنوي قد أرسل جيشا للقضاء على سلطة الشيعة فيها مثلما فعل في المناطق الأخرى المحيطة بالملتان[١].

وعلى ذلك يمكن لنا التخمين بأن الشيعة الذين طردوا من الملتان أو هربوا منها قد جمعوا قواتهم المشتتة واستطاعوا أن يستولوا على المنصورة وذلك بعد سنة ٤٠١ هـ لا في نفس السنة، وكانت الدولة العربية الهبارية قد ضعفت في هذا الوقت بسبب ظهور تيارات سياسية عديدة في بلاد السند.

حملة السلطان محمود الغزنوي على بلاد السند سنة ٤١٦ هـ:

على أي حال فقد استمر الشيعة يحكمون المنصورة لسنوات قليلة حكماً مستقلاً في الغالب من سنة ٤٠٢ هـ إلى سنة ٤١٦ هـ التي قام فيها السلطان محمود الغزنوي بالحملة على المنصورة بقصد القضاء على سلطة الشيعة فيها، عند عودته من بلاد الهند بعد أن فتح سومنات هناك في طريقه إلى غزنة بحيث سار إلى الملتان ومنها إلى المنصورة[٢] ويبدو أن حكام المنصورة كانوا قد حرضوا القبائل الزطية والميدية السندية الساكنة على الحدود، فضايقت جيش السلطان مضايقة شديدة وقتلت عدداً من الجند ونهبت المتاع بقدر الإمكان، ولكن

---

(١) زين الأخبار لمحمود كرديزي ص ٧٠.

(٢) زين الأخبار لمحمود كرديزي ص ٨٧ وكذلك أنظر ديوان فرضي ص ٧٤. فقد ذكر فرضي اسم حاكم المنصورة (الأمير خفيف) وكان الشاعر فرضي في معية السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند وبلاد السند أثناء الغزوات وقد كتب ديوانه بعد الوصول إلى غزنة أي بعد سنة ٤١٧ هـ وفيه أخبار كثيرة عن بلاد الهند وبلاد السند.

السلطان محمود استطاع أن يشق طريقه حتى وصل المنصورة[1] فلما علم حاكم المنصورة بقدوم السلطان محمود ترك المدينة وهرب مع أتباعه واختبأ الجميع في غياض واسعة هناك وتعقبهم جيش السلطان وحاصرهم، وقام بحملة عنيفة من الجانبين عليهم حتى قتل عدداً كبيراً منهم وهزم الباقي، كما غرق آخرون منهم في نهر السند بعد فرارهم[2] وبذلك سقطت دولة الشيعة في المنصورة وانتقل الحكم فيها ابتداء من سنة ٤١٦ هـ إلى أيدي الحكام السنيين التابعين للدولة الغزنوية. وهكذا خرجت بلاد السند والملتان من أيدي الحكام العرب، وانتقلت إلى أيدي الحكام الغزنويين في أوائل القرن الخامس الهجري.

---

(١) تاريخ فرشته جـ ١ ص ٣٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٩ ص ٢٤٣.

الفصل التاسع

(ب) الدولة العربية في الملتان باقليم البنجاب

ولاية داود العماني سنة ٩٤ هـ:

أول من فتح الملتان من العرب هو القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي وتحت إشراف الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في سنة ٩٤ هـ بعد فتحه لبلاد السند سنة ٩٢ هـ، وأول حاكم مسلم تولى حكم إقليم الملتان في نفس سنة الفتح، كان داود بن وليد العماني من جانب محمد بن القاسم الثقفي فاتح تلك البلاد الذي كان مركز حكومته العربية في اقليم السند.

بعد ذلك لا نجد ذكراً واضحاً لإقليم الملتان في التاريخ لمدة خمسة وخمسين عاماً لكون هذا الإقليم إقليماً كبيراً منفصلاً عن إقليم السند، ويبدو أن داود العماني قد استقل بحكم إقليم الملتان لنفسه على إثر الاضطرابات السياسية التي قامت في بلاد السند بعد مقتل محمد بن القاسم الثقفي وبذلك انقطع الاتصال المباشر بين العرب في إقليم السند المركز وبين العرب في إقليم الملتان، والحوادث التاريخية تؤيد أن حكومة الملتان قد ظلت في أيدي الحكام العرب حتى أواخر العصر العباسي ولكنها لم تكن تابعة لحكم والي المنصورة بلاد السند، وإن كانت تظهر ولاءها للخلافة الأموية ثم العباسية وتدعو لها في الخطب.

ولاة آخرون في الملتان (١٥١ - ٣٣٥ هـ):

وفي سنة ١٥١ هـ كان الوالي على المنصورة ببلاد السند هشام بن عمرو التغلبي في عهد الخليفة المنصور العباسي، وقد أشار عليه بعض رجال الدولة أنه إذا أعاد الوحدة بين السند والملتان كما كانت من قبل، يسهل عليه القيام بفتوحات إسلامية في بلاد الهند أيضاً، وقام هشام التغلبي بالحملة على الملتان وفتحها ولكن يبدو أن صلحاً قد تم بين والي السند العربي وحاكم الملتان العربي، لأن هشاماً بدلاً من أن يستمر في السير نحو بلاد الهند حسب الخطة، نراه يعود الى الخلف متجهاً إلى منطقة قندهار للقضاء على الاضطرابات هناك ومنها يتجه إلى المنصورة مقر الحكم مؤجلاً فكرة السير إلى بلاد الهند[1] وبعد ذلك لا يتحدث المؤرخون عن الملتان لمدة ثلاثين عاماً، ومعنى ذلك أنه لم تحدث أحداث هامة وأن الحالة فيها كانت مستمرة في الاستقرار ولم تحصل خلافات مع الدولة العربية ببلاد السند.

وفي سنة ١٨١ هـ إنحاز والي المنصورة ببلاد السند محمد بن عدي التغلبي إلى اليمانية وحارب النزارية ولما اشتدت الحروب القبلية بين العرب خاف على نفسه من غضب الحجازيين وتوجه إلى الملتان للاقامة هناك لفترة من الزمن اعتماداً منه على الصلح الذي كان قد تم في عهد الوالي هشام التغلبي، ولكن أهل الملتان حين سمعوا بقدومه إليهم، خافوا أن يشعل نار العصبية عندهم أيضاً وقد حفظهم الله من هذه الفتنة، ولذلك خرجوا من المدينة ومنعوه من دخولها، ولكنه أصر على الدخول مما أدى ذلك إلى نشوب القتال بين الطرفين، وانهزم والي بلاد السند هزيمة منكرة وفر هارباً من الميدان إلى المنصورة تاركاً كل متاعه وأسلحته هناك[2] ويسكت التاريخ مرة أخرى عن ذكر أخبار الملتان لمدة تسعين عاماً حتى يخبرنا ابن رسته في سنة ٢٩٠ هـ عن

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٥ ص ٣٧٢
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٠٩.

قيام دولة بني سامة في الملتان[1].

وبما أن التاريخ لا يذكر منذ سنة ٩٤ هـ إلى سنة ٢٩٠ هـ وقوع أي انقلاب سياسي او اضطرابات عامة أو حتى خصومات قبلية بين العرب في الملتان، يمكن لنا القول بأن داود العماني الذي عينه محمد بن القاسم الثقفي حاكماً على الملتان قد استقل بالحكم لنفسه ومن بعده ورث الحكم أبناؤه، وقد حكموا الملتان حكماً عادلاً وكان عهدهم يسوده الأمن والرفاهية، وكانت الحياة هادئة في هذه المرحلة من التاريخ.

ولكن بعد ذلك وقعت أحداث سياسية كبيرة مما جعل المؤرخين الجغرافيين العرب أن يهتموا بأخبار الملتان، بل بدأوا يزورون الملتان في أواخر القرن الثالث الهجري وما بعده، ويكتبون عن حالاتها السياسية والمذهبية والاجتماعية والاقتصادية، ويفهم من تلك البيانات أن أهم الأحداث السياسية التي وقعت في الملتان هو أن الحكم قد انتقل إلى حكام جدد يقال لهم «بنو سامة» ثم وقعت أحداث سياسية أخرى في أواخر القرن الرابع الهجري.

ونذكر هنا أمثلة من أقوال هؤلاء المؤرخين لنعرف شيئاً عن تطورات الأحداث في الملتان منذ أواخر القرن الثالث الهجري إلى أوائل القرن الخامس الهجري.

ففي سنة ٢٩٠ هـ يكتب ابن رسته بعد أن زار الملتان بأن الحكام هناك «بنو سامة» ويقال لهم «بنو منبه» أيضاً وهم من أهل السنة ويخطبون للخليفة العباسي[2] وهذا البيان يشير أولاً إلى قيام دولة بني سامة في أواخر القرن الثالث الهجري، ثم يوضح لنا أن بني سامة هم بنو منبه، وبذلك يقضي على

---

(1) الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٣٦ وقد زار ابن رسته بلاد السند وبلاد الهند قبل سنة ٢٩٠ هـ.

(2) المرجع السابق ص ١٣٦.

الاختلاف الذي وقع بين بعض المؤرخين المتأخرين حين فرقوا بين بني سامة وبني منبه على أنهما أسرتان والصحيح أنهما أسرة واحدة، والبيانات التالية عند المؤرخين الآخرين ستوضح لنا سبب التسمية باسمين وتزيل الشبهة عن الأذهان.

في سنة ٣٠٣ هـ وصل المسعودي إلى الملتان وكتب عن أخبارها وذكر أيضاً أن حاكمها العربي من ولد (سامة بن لؤي بن غالب) ويسمى أبو اللباب منبه بن أسد القرشي[١] ويفهم من عبارة المسعودي أن منبه كان أول حاكم للملتان من أسرة بني سامة ولذلك نسب بعض المؤرخين الأسرة الحاكمة إليه فقالوا بنو منبه أيضاً. .

وفي سنة ٣٤٠ هـ زار الأصطخري الملتان وكتب عن حالاتها المختلفة، كما ذكر أن حاكم الملتان رجل قريشي من ولد سامة بن لؤي وقد تغلب عليها ولا يطيع والي المنصورة إلا أنه يخطب للخليفة العباسي[٢] وهذا البيان يؤيد أن حاكم الملتان هو منبه بن أسد الذي ينتمي إلى قبيلة سامة بن لؤي المتفرعة من قبيلة قريش الكبيرة.

وفي حوالي سنة ٣٦٧ هـ قدم ابن حوقل إلى الملتان وذكر أن حكامها بنو منبه وأن أهلها على مذهب أهل السنة[٣].

ثم في سنة ٣٧٥ هـ حضر البشاري المقدسي إلى بلاد السند ومنها وصل إلى الملتان أيضاً ولكنه يخبرنا بأن حكام الملتان أصبحوا من الشيعة[٤].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٦.

(٢) مسالك الممالك للأصطخري ص ٤٠

(٣) انظر ابن حوقل في باب السند وكذلك انظر معجم البلدان لياقوت الحموي في لفظ الملتان.

(٤) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي ص ٤٨١.

حكومة الشيعة في الملتان (٣٧٥ ـ ٤٠١ هـ):

لا ندري بالضبط كيف استولى الشيعة على الحكم في الملتان، فلا يوجد تفصيل واضح بذلك في كتب التاريخ، ولكننا نحاول أن نكوّن فكرة عامة من خلال الإشارات السريعة التي وردت هنا وهناك.

فقد كان المركز الأول لنشاط الشيعة في موضع يقال له سلمية في بلاد الشام، ومن هناك كانت الأوامر تصدر إلى دعاة الشيعة في البلاد الاسلامية المختلفة، ولما استولى عبيد الله المهدي على أفريقيا اتخذ من القيروان مركزاً للشيعة ثم بنى مدينة المهدية التي صارت مقراً رئيسياً لهم، ثم بعد مرور السنين أصبحت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية بعد فتح مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ ـ ٣٧٥ هـ) ويعتبر عبيد الله المهدي هو مؤسس الدولة الفاطمية[1].

وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي تولى القاضي النعمان بن محمد الفاطمي منصب داعي الدعاة بمصر وكان هو المشرف على إرسال الدعاة إلى البلاد المختلفة منها بلاد السند والملتان، فقد ذكر في كتابه أن الداعي الكبير أبا القاسم بن هوشاب المعروف باسم منصور اليمني كان قد بعث ابن عمه المسمى (هيثم) داعياً إلى الملتان، وقد نجح في جذب كثير من سكانها إلى المذهب الشيعي[2].

ثم أرسل الخليفة الفاطمي داعياً آخر إلى الملتان في سنة ٣٥٣ هـ تقريباً وكان يسمى (جلم بن شيبان) الذي استمر في الانتقال بين مصر والملتان لمدة

---

(1) ورد في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٨ في الحاشية رقم ٢ أن عبيد الله الملقب بالمهدي والد الخلفاء الفاطميين وكان بسلمية وهي بليدة بالشام، فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب حتى استولى على المغرب وأنشأ فيها دولة وامتد حكمه بضعاً وعشرين سنة ثم مات في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٢ هـ بالمهدية التي بناها.

(2) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد الفاطمي وقد ألفه سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م).

١٨ سنة وهو يعمل لنشر دعوة الشيعة في الملتان، حتى كانت سنة ٣٧٥ هـ فأمره الخليفة الفاطمي الثاني بمصر العزيز بالله (٣٧٥ - ٣٨٦ هـ) أن يجهز جيشاً كبيراً ويتجه إلى الملتان للاستيلاء على الحكم بالقوة، وسلك جلم بن شيبان طريق خراسان التي كان للشيعة فيها أتباع كثيرون، ويبدو أنه لما اقترب من الملتان قام أهاليها من الشيعة بالاضطرابات في الداخل في حين قام هو بهجوم شديد من الخارج، مما أدى ذلك إلى سقوط الدولة العربية السنية(١).

وبذلك تولى جلم بن شيبان حكم الملتان في سنة ٣٧٥ هـ وأسس الدولة الشيعية في الملتان، وضرب السك باسم الخليفة الفاطمي كما أمر بأن يخطب في المساجد باسمه ويدعى له، وكذلك أمر بكسر صنم المعبد المعروف بمدينة الملتان الذي كان لا يزال موجوداً منذ أن فتح محمد بن القاسم الثقفي تلك المدينة في سنة ٩٤ هـ والذي كان يفيد حكام الملتان اقتصادياً وسياسياً أيضاً، وقد بنى جلم بن شيبان مكانه مسجداً كبيراً، وأما المسجد الجامع الذي كان قد بناه محمد بن القاسم فقد أمر باغلاقه لأنه كان رمزاً للأمويين(٢).

وبعد ذلك اهتم جلم بن شيبان بتنظيم أمور الدولة في الملتان إدارياً وسياسياً والدعوة إلى المذهب الشيعي، وكذلك سعى لتوطيد العلاقات مع الأمراء والحكام الهنود وعقد معهم معاهدات الصداقة، لأنه كان يعلم أنه في حالة الحرب المفاجئة من جانب أهل السنّة في الملتان أو خارجها لا يستطيع الحصول على مساعدة عسكرية من البلاد الإسلامية المجاورة لكونها تابعة للخلافة العباسية ولا على إمداد عسكري فوري من الخليفة الفاطمي الذي يتبعه لبعد المسافة بين مصر والملتان.

ولا يذكر التاريخ إلى متى حكم جلم بن شيبان، وفي الغالب حكم البلاد بضع سنوات وأنه كان على قيد الحياة حتى سنة ٣٨١ هـ تقريباً، ثم تولى

(١) طبقات ناصري ص ٨ - تاريخ السند لأبي ظفر ندوي ص ٢٥٦.
(٢) انظر كتاب الهند للبيروني ص ٥٢ و٥٦.

الحكم من بعده الشيخ حميد الذي عقد صلحاً مع السلطان سبكتكين سلطان غزنة في تلك السنة[1].

وفي هذا الوقت كانت هناك مشاكل على الحدود الجنوبية للدولة الغزنوية، وكان السلطان سبكتكين يحاول القضاء على تلك المشاكل مع الاتصال بأمراء وولايات الهند،وكانت حدود كابول وغزنة متصلة بحدود لاهور والملتان، ويبدو أن السلطان سبكتكين لم ينجح في محاولاته، ولذلك قام في سنة ٣٨٠ هـ بالحملة على لاهور فانهزم أميرها جيبال وتم الصلح بين الطرفين على دفع نفقات الحرب وتعويض خسائرها إلى سبكتكين، وعلى حل المشاكل المتعلقة بالحدود بين البلدين، ولكن أمير لاهور خالف الوعد وقتل رجال سبكتكين الذين كانوا قد حضروا معه إلى لاهور للحصول على النفقات المذكورة حسب الاتفاق، وغضب سبكتكين لتصرفه هذا واستعد لقتاله وتأديبه، وكذلك اتخذ أمير لاهور استعدادات كاملة وقد وصلت إليه مساعدات عسكرية ضخمة من بلاد الهند من طرف أمراء وملوك قنوج وأجمير وكالنجر، بل تحرك الأمير جيبال من لاهور بجيش جرار وهو يسير مختالاً إلى غزنة وقام بحملة شديدة عليها وهو متأكد من النصر لكثرة جيوشه وأسلحته وأفياله، ولكنه فوجيء بالمقاومة الشديدة والقتال العنيف من جانب الغزنويين حتى انهزم وتقهقر إلى الوراء، ثم تعقبته جيوش السلطان سبكتكين حتى نهر السند، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة لأمير لاهور وبقتل عدد كبير من جنود الهند[2].

وبما أن معاهدة عسكرية كانت قد تمت بين حاكم الملتان الشيعي وبين أمراء ولايات الهند فإن الحاكم الملتاني قد ساعد أمير لاهور سراً في حربه السابقة ضد الغزنويين، وعلم بذلك السلطان سبكتكين وقرر القيام بحملة على الملتان في سنة ٣٨١ هـ ولما علم بذلك الشيخ حميد حاكم الملتان خاف

---

(١) تاريخ فرشته باللغة الفارسية جـ ١ ص ٢٠.
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٩ و ٢٠.

مواجهة السلطان سبكتكين وحده ولذلك قرر عقد الصلح معه.

ولا يلقي التاريخ ضوءاً على شخصية الشيخ حميد، هل هو كان ابناً لجلم ابن شيبان، أم أنه كان من زعماء الشيعة ودعاتهم في الملتان[1] وإن كنا نجد أمثلة كثيرة في التاريخ أنه إذا مات الحاكم صار ابنه من بعده حاكماً، فلا يمكن لنا الجزم بأنه كان ابناً لجلم بن شيبان، وأيضاً لا ندري إلى متى حكم الشيخ حميد هذا؟ وهل تولى الحكم ابنه المسمى نصر من بعده أم لا؟ وفي الغالب مات نصر في حياة والده، ولذلك ورث الحكم من بعد الشيخ حميد حفيده الذي كان يسمى داود بن نصر بن حميد في سنة ٣٩٥ هـ تقريباً.

وعلى أي حال، فقد كانت هناك معاهدة الصلح بين الشيخ حميد حاكم الملتان الشيعي وبين السلطان سبكتكين سلطان غزنة السني، وذلك منذ سنة ٣٨١ هـ إلى أن توفي سبكتكين في سنة ٣٨٧ هـ، وتولى الحكم من بعده ابنه السلطان محمود الغزنوي الذي انشغل في أول الأمر مدة بمشاكل خراسان ثم بدأ الحملة على بلاد الهند في سنة ٣٩٢ هـ، وفتح منطقة مجاورة لقندهار وكانت تابعة لأمير لاهور[2] وبعد مرور ١٥ سنة على معاهدة الصلح بين غزنة والملتان، تولى الحكم في الملتان أبو الفتوح داود بن نصر بن حميد الشيعي وأساء إلى تلك المعاهدة في سنة ٣٩٥ هـ[3].

---

(١) تاريخ فرشته جـ ١ ص ٢٠ وكذلك انظر الهند في القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين ص ٥٦ وقد أخطأ فرشته (تاريخ فرشته جـ ١ ص ٢٤) بشأن الشيخ حميد بأنه (لودي الأصل) وقد تبعه في هذا الخطأ المؤرخون المعاصرون ومن سبقهم مثل هيج (هيج جـ ٣ ص ١٤) ثم بروفيسور أحمد حبيب (السلطان محمود صاحب غزنة ص ٢٣) وغيرهما ولكن ريفرتي (مهران السند ص ٢٢٥ في الحاشية) لاحظ خطأ فرشته واعتبر أن الشكل الصحيح لكلمة (لودي) هو (لؤي) وقد اعتمد ريفرتي في ذلك على ما ذكره المسعودي (مروج الذهب جـ ١ ص ٢٠٦) أن حاكم الملتان اسمه المنبه بن أسد ينتمي إلى سامة بن لؤي، وبذلك تحقق ريفرتي بأن الشيخ حميد من أسرة لؤي وليس من أسرة لودي التي لم يكن لها وجود في هذه الفترة من التاريخ.

(٢) زين الأخبار بالفارسية ص ٦٦.

(٣) تاريخ فرشته جـ ١ ص ٢٤ بالفارسية - محمد حبيب ص ٢٥ - وقد وردت الكنية في الكتب العربية (أبو الفتوح) وفي الكتب الفارسية (أبو الفتح).

وقد كانت هناك قلعة محصنة في منطقة بهاتية المتصلة بإقليم الملتان وكانت القلعة تابعة للاهور، إلا أن حاكمها بجي راو كان لا يبالي بأمير لاهور، وكان يعتبر نفسه حاكماً مستقلاً، وقد وقع خلاف بينه وبين السلطان محمود بسبب الحدود فتصرف حاكم تلك المنطقة تصرفاً غير مناسب مما أغضب السلطان محمود الذي سار بجيشه ومر بحدود الملتان حتى وصل منطقة بهاتيه وانهزم الأمير بجي راو في المعركة فانتحر لذلك، وفتح السلطان محمود قلعة بهاتيه وحصل على الغنائم فيها وعين عليها حاكماً من طرفه، وبما أن هذه الحرب كانت قد وقعت على حدود الملتان كان السلطان محمود ينتظر من داود حاكم الملتان مساعدة حسب معاهدة الصلح التي كانت بين الدولة الغزنوية ودولة الملتان، ولكن حدث العكس بحيث تصرف الحاكم الملتاني تصرفات عدائية ضد السلطان محمود وضد جيشه في الخفاء[1] وكتم السلطان محمود غيظه في ذلك الوقت وعاد إلى غزنة.

وفي سنة ٣٩٦ هـ جهز السلطان محمود جيشاً كبيراً وأراد أن يفاجيء حاكم الملتان بالحملة عليه والقضاء على الشيعة الذين أصبحوا خطراً على الدولة الغزنوية نفسها ثم توجه محمود نحو الملتان وحاصر المدينة سبعة أيام حتى تم الصلح بين الطرفين[2] على أن يدفع حاكم الملتان جزية سنوية قدرها ٢٠٠ ألف درهم من الذهب، وفي الغالب تم الاتفاق أيضاً على أن تكون المنطقة المتصلة بنهر السند عند الملتان تابعة لحكم السلطان محمود، بدليل أنه ورد في كتب التاريخ بأن السلطان محمود حين قام بالحملة على الملتان للمرة الثانية استولى على المناطق الباقية، وبذلك أصبحت حدود المناطق التابعة لحكم السلطان وحدود الملتان متصلة ببعضها تماماً، بحيث أصبح من السهل

---

(١) تاريخ فرشته بالفارسية جـ ١ ص ٢٤ ـ الهند في القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين لسيد محمد جعفر جـ ٢ ص ٥٦.

(٢) تاريخ فرشته بالفارسية جـ ١ ص ٢٥ ـ الهند في القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين جـ ٢ ص ٥٧.

للسلطان محمود القيام بالحملة على الملتان من هذه الناحية مباشرة إذا لزم الأمر في المستقبل، ثم عاد السلطان محمود إلى غزنة بعد أن جعل المنطقة المتصلة بالملتان تابعة للدولة الغزنوية.[1]

ثم قام ايلك خان بالحملة على خراسان واشتبك السلطان محمود معه في الحرب، فانتهز حاكم الملتان داود الشيعي هذه الفرصة وأعلن الاستقلال وألغى المعاهدة السابقة ورفض دفع الجزية المقررة[2] ولما فرغ السلطان محمود من مشاكله في خراسان، توجه إلى الملتان وقام بحملة شديدة عليها وقتل كثيراً من الشيعة وأخذ في الأسر عدداً كبيراً منهم، وكان داود بن نصر بن حميد حاكم الملتان بين الأسرى، فقبده السلطان محمود وأخذه إلى غزنة ورماه في السجن حتى مات فيه، وبذلك تم للسلطان محمود الاستيلاء على الملتان كلها وعين عليها حاكماً سنياً من طرفه سنة ٤٠١ هـ.

وهكذا نرى أن الدولة العربية السنّية في الملتان باقليم البنجاب، قد سقطت في سنة ٣٧٥ هـ لتقوم مكانها الدولة العربية الشيعية، ثم في سنة ٤٠١ هـ زالت الدولة الشيعية على أيدي الغزنويين، وصارت الملتان جزءاً من الدولة الغزنوية.

ولكن الشيعة الذين طردوا من الملتان بواسطة الغزنويين استطاعوا أن يستولوا على الحكم في المنصورة ببلاد السند في سنة ٤٠٢ هـ وظلوا يحكمونها حتى سنة ٤١٦ هـ، وفيها زحف الغزنويون بجيوشهم إلى المنصورة واستولوا على الحكم فيها أيضاً، وبذلك خرجت بلاد السند والبنجاب نهائياً من أيدي الحكام العرب.

---

(١) طبقات أكبرى بالفارسية لأبي الفضل علامي جـ ١ ص ٧٠ - زين الأخبار ص ٧٠ - وقيل أن السلطان محمود قد فوض حكم المناطق المذكورة إلى الأمير سيكبال حفيد الأمير جيبال حاكم لاهور الأسبق، وكان سيكبال أسيراً في غزنة ثم أسلم وصار مخلصاً لمحمود الغزنوي وهناك آراء أخرى بشأن سيكبال (أنظر تاريخ كوزيده ص ٣٩٧ - تاريخ فرشته جـ ١ ص ٢٥ - الهند في القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين جـ ٢ ص ٥٨ - محمود غزنوي لدكتور محمد ناظم ص ٩٧ بالإنجليزية).

(٢) زين الأخبار ص ٧٠ - الهند في القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين ج ٢ ص ٦٠.

الباب الرابع

الديانات القديمة ودخول الاسلام في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

الباب الرابع

الديانات القديمة ودخول الإسلام في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

في هذا الجزء نتحدث في البداية عن الديانات القديمة التي كانت موجودة ببلاد السند والبنجاب عندما فتحها العرب في نهاية القرن الأول للهجرة ومدى تأثر أتباعها بالإسلام، ثم نفصل القول عن نشر الإسلام بواسطة العرب الفاتحين، كما نتحدث عن المذاهب والفرق الإسلامية وكيفية ظهورها وانتشارها ببلاد السند في عهد العرب.

الفصل الأول

الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب

أهم الأديان القديمة التي كانت موجودة ببلاد السند عند الفتح العربي، هي البرهمية والبوذية والجينية، كما كان فيها لليهودية والمسيحية أتباع قليلون من قبل الإسلام، وكان المذهب البرهمي يعتبر أقدم هذه الديانات وأوسعها انتشاراً وأكثرها نفوذاً في بلاد السند والبنجاب، ثم جاء من بعده المذهب الجيني وظهر معه المذهب البوذي قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة، وهما معاصران، وقد ظهرا ضد تعاليم المذهب البرهمي، على أن المذهب البوذي قد راج أكثر من المذهب الجيني وكثر أتباعه حتى أن عهد كانت له أهمية ومقبولية أكثر مما للمذهب

البرهمي القديم، ثم جاء الإسلام إلى بلاد السند والبنجاب في نهاية القرن الأول الهجري (القرن الثامن الميلادي) مع الفتوحات العربية الإسلامية وأخذ في الانتشار يوماً بعد يوم في هذه البلاد[١].

البرهمية الهندوسية في بلاد السند والبنجاب:

ليس للدين البرهمي مؤسس حتى نعتبره مرشداً معيناً لأتباعه من أهل الهند، كما لا يوجد شخص معين ذو مركز روحي عظيم في ذلك النظام المذهبي عند البراهمة حتى تنسب إليه الكتب المقدسة لهؤلاء البراهمة في الأزمان القديمة، وإن ظهر بعض شخصيات كبيرة فيما بعد، وبسبب كثرة عددهم لا نجد في الدين البرهمي، التوحيد في العقيدة ولا المذهب ولا القانون ولا العادات، ولكثرة الاختلافات في طرق العبادة وكثرة عدد المعبود من الأصنام، فإن هذا الدين يبدو كالغابة التي تتخللها آلاف الطرق، ولكن لا يوجد بينها طريق واحد يكون سهلاً واضحاً مستقيماً ليرضى به جميع أتباع هذا الدين، ومع ذلك فهناك عقيدة برهمية تشترك فيها الفرق البرهمية المختلفة بصفة عامة، وهي فكرة التناسخ والحلول التي لها علاقة كبيرة بالفلسفة[٢].

وقد عرفت بلاد السند والبنجاب قبل البرهمية كثيراً من معتقدات الأريين الذين كانوا قد وفدوا إليها قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرناً، فاعتنقت الناجا الطوطية وعبدت إلهها الأفعوان كما عبدت هانومان الإله القرد وعبدت ناقوس الإله الثور، وقدست الأشجار والموق من الأسلاف اعتقاداً منها بخلود أرواحهم وقدمت لهم القرابين، استخدمت الرقى والتعاويذ والسحر لجلب السعادة واطالة العمر ودفع الأرواح الشريرة وايقاع الارتباك بالأعداء، وما زال اليوم قلة منعزلة تؤله النمرة والقردة والأفاعي والنيران والأنهار وغيرها[٣] وقد

---

(١) العلاقات بين العرب والهنود (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص٢٠. بالأردية

(٢) الإسلام مذهب العالم ص ٥

(٣) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جـ ١ ص ١٤.

وورد بكتب الويدا وهي أقدم أساطير الهند والسند تفصيل لآلهة الآريين والهنود الكثيرة هذه ومن بينها ما يمثل قوى الطبيعة نفسها وعناصرها مثل الإله اندرا الذي ينسب إليه البعض تسمية الهند، وهو إله السماء والعواصف الذي يجلب الأمطار أو الماء والذي هو أصل الحياة، وشوريا إله الشمس، ولكن اختلف الرأي فيمن ينسب إليه خلق العالم من بين هذه الآلهة، فقد أجمعوا على كل حال على وجوب رد الأمر إلى خالق واحد[1] وذلك فيما بعد متأثرين بمسألة التوحيد في الإسلام.

وصار للبراهمة (أصحاب الدين البرهمي) بعد العصر الويدي السلطان والقوة فثبتوا نظام الطبقات الذي كانوا قد أقاموه من قبل، ووضع قديسهم الأكبر «منو» شرائعه وفقهه الذي غدا دستور بلاد الهند والسند وقانونها الأساسي في كافة نواحي الحياة بها وظهر في ذلك العصر قبل الميلاد بقرون أربعة، ملاحم المهابهارتا والراماتيا فالأولى تشتمل اليوم على قرابة ربع مليون بيت من الشعر في حين تضم الثانية بين دفتيها ثمانية وأربعين ألف بيت، أي أضعاف أضعاف الياذة هوميروس، وبذلك كانت أضخم آثار العالم الأدبية القديمة على الاطلاق، ولا شك في أنها قد تعرضت إلى إضافات كثيرة على مر القرون حتى بلغت صورتها الأخيرة، وللمهابهارتا على الخصوص قداسة عظمى عند البراهمة كقداسة الإنجيل عند أتباع المسيح حتى ليعدون قراءة ما تيسر منها مجلبة للرحمة والمغفرة[2] ومن أعظم وأقدم كتبهم المذهبية التي تقوم عليها طقوسهم ويستمدون منها عقائدهم أربعة كتب يرجع تاريخ أقدمها إلى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد والأخير منها إلى حوالي ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد، وهي هذه الكتب بالترتيب أهمها كتاب (ركفيدا) يشتمل على مجموعات من الأناشيد التي كانوا ينشدونها في تقديم القرابين للآلهة وكتاب (سام فيدا) أيضاً يشتمل على

---

(١) ذكر ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرزولة، للبيروني ص ١٣.
(٢) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جـ ١ ص ١٥.

الأناشيد المذهبية وكتاب (ويكرفيدا) يشتمل على الصلوات والأدعية شعراً ونثراً ثم كتاب (أشهر فيدا) يصف عقائد الجمهور في الأرواح الشريرة والرقى والسحر وهو آخر مجموعة من هذه الكتب، ولذلك ظل مدة غير معترف به فهو لا يلقى ما تلقاه الكتب الثلاثة السابقة من التقديس[1].

نظام الطبقات في البرهمية:

يبدو أن هذا النظام قد وضع من جانب البراهمة لتوزيع الأعمال على الناس في المجتمع، وكانت الفواصل بين الطبقات غير واسعة في بداية الأمر، ولكنها أخذت تتسع بالتدريج حتى وضع لها نظام خاص فيما بعد، وقد عنيت بها الكتب التي شرحت تلك الكتب المقدسة للبراهمة وأهم الشروح ما قام به منومهارشي[2] وقد جاء في شرائع منو هذا تحديد المجتمع في الحياة البرهمية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات كبيرة وطبقة رابعة ولكنها خارجة عن تلك الطبقات الثلاث من حيث الاعتبار الاجتماعي والأهمية وهي:

البراهمة (برهمن) أي الكهان من رجال الدين البرهمي ومن واجبانهم الإشراف على الشؤون المذهبية وخدمة المعابد، وهم أعلى الناس درجة.

الأكشترية (جهتري) أي الطبقة الحاكمة والمحاربة، وهم الذين يشرفون على الشؤون الإدارية والعسكرية ومسؤولون عن الأمن في البلاد.

الفيشية (ويش) أي طبقة التجار بصفة خاصة وتنضم إليها طبقة الزراع والصناع وأصحاب الأعمال الاقتصادية ومن واجبهم توفير وسائل العيش للبراهمة والأكشترية.

الشودرية (جودر) وهم السكان الأصليون في البلاد ولا ينتمون إلى الآريين بصلة الدم، وهم أسفل الطبقات في نظر البراهمة وأحقر الناس وعملهم خدمة

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند ص ١٥.

(٢) منومهارشي: معناه منو الولي الكبير في اللغة السنسكريتية الهندية.

الطبقات الثلاث الكبيرة في أخس حاجاتها من أعمال النظافة، وهم يسمون أيضاً الطبقة المنبوذة[1].

وتنص شرائع منو على امتيازات للبراهمة لا يرقى إليها الملك نفسه الذي كان عليه الا يقطع امراً دون الرجوع إليهم فيه. فهذه الشرائع التي رسمت لكل طائفة من الطوائف حدوداً لا تتعداها قد أطلقت في الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد وجعلت لهم زعامة الناس جميعاً، فالبرهمي لا يدنس بذنب ولو قتل أهل الكون جميعهم، فهم وما يملكون على يمينه وأمره نافذ مطلق.

وقد أباح منو لأبناء الطبقات الثلاث الكبيرة حق المصاهرة فيما بينهم على قدر، بحيث يستطيع الرجل أن يتزوج من طائفته أو من طائفة أدنى منها وليس أعلى منها، وأما طبقة الشودرية الرابعة (طبقة المنبوذين) فقد حرم عليهم مخالطتهم بأفراد الطبقات الأخرى ولا يجوز لهم الزواج إلا من طبقتهم الحقيرة فقط، ومن يتزوج بواحدة من الشودرية يصبح مفضوحاً مذموماً ويطرد من طائفته لينزل إلى طائفة المنبوذين العبيد ويصيبه خزي الدنيا، ولكن يمكن للبرهمي أن يتزوج امرأة أكشترية من الطبقة الحاكمة أو حتى من طبقة الفيشية ولا يصح عكس ذلك، أي لا يصح للمرأة من طبقة البراهمة العالية أن تتزوج من طبقة أقل منها، لأنها حينئذ تلد أولاداً يرثون صفات أبيهم التي هي أقل من صفات طبقة أمهم[2] وكم من شودري نفي من الأرض لمحاولته التطلع إلى من هم أعلى منه طبقة، وكم منهم جرع الجحيم من الزيت الحار أو قطعت يداه لمجرد معارضته لرأي البراهمة[3] فقد كان السبب في وضع نظام الطبقات الجائر هو أن البراهمة خافوا من أن يختلط بنو قومهم الآريين بعناصر

---

(1) حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٢٤٥ (الترجمة العربية).
(2) المرجع السابق ص ٢٩٥.
(3) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١٧.

الهند والسند واهمها القوم الدراوردي الذي سمي بالشودرية المنبوذين بواسطة البراهمة الآريين الذين استولوا على السلطة في البلاد ويخشون من الشودرية أن يقوموا بالمحاولة لاسترجاع حقوقهم في أرضهم الأصلية، فبقاء هؤلاء الشودرية في الفقر والجهل والحرمان يضمن للبراهمة دوام الاستمرار في الحكم والجاه في البلاد[1].

ويعيش البراهمة معززين مكرمين على ما يقدم لهم من القرابين والهدايا والأموال، وإن كان قد أذن لهم أيضاً في حالة الحاجة بالقيام ببعض الوظائف والأعمال التجارية، وقد وردت في شريعة منو نصوص كثيرة تشير إلى مكانة كل طبقة في المجتمع منها:

« يؤجر الواهب مرة لهبته المال لغير البرهمي، ويؤجر مرتين على هبة الرجل الذي يزعم أنه برهمي، ويؤجر مائة ألف مرة على هبته لبرهمي متبحر في كتب الفيدا المقدسة» و«كل ما في هذا العالم ملك للبرهمي، وللبرهمي حق في كل موجود بسبب النسب العظيم» و«لن يدنس البرهمي صاحب الركفيدا بذنب ولو قتل أهل العوالم الثلاثة» و«ليتجنب الملك قتل برهمي ولو اقترف جميع الجرائم».

وحددت شريعة منو العلاقة بين البراهمة (رجال الدين) والاكشترية (رجال الحكم) حيث قالت: «لا فلاح للأكشترية بغير البراهمة، ولا ارتقاء للبراهمة بغير الأكشترية» و« يجب أن يعد البرهمي أباً للأكشترية ولو كان عمر البرهمي عشر سنوات وعمر الاكشتري مائة سنة».

وأما الفيشية فهم التجار والزراع والصناع وهم أقل مرتبة من الأكشترية لأنهم وإن كان يجري فيهم الدم الآري، إلا أنه قليل ولذلك منزلتهم

---

(1) Dunber, G. A. History of India from the earliest times to the present day. London. 1943. Vol. 1 P.15.

وأما الشودرية لا يجري فيهم الدم الآري مطلقاً وهم سكان البلاد بسيطة، وهم في نظر البراهمة خطر على الدم الآري، ولذلك وجب على الأصليون الطبقات الثلاث أن تتحامى الشودرية كما يتحامى الإنسان المرض الخبيث، ومن هنا كان التشديد في عدم الزواج منهم، أو محاولة الارتفاع بهم عن طبقتهم السفلى الذليلة، فقد جاء في شريعة منو: «يجب على الشودري أن يمتثل امتثالاً مطلقاً أوامر البراهمة» و«خدمة الشودري للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه» و«لا يجوز للشودري أن يجمع ثروة زائدة ولو كان على ذلك من القادرين، والشودري إذا جمع مالاً آذى البراهمة بقحته» و«تقطع يد ابن الطبقة الدنيا إذا علا من هو أعلى منه بيده، أو عصاه، وتقطع رجله إذا رفسه برجله حين يغضب» و«إذا دعاه باسمه أو اسم طائفته متهكماً أدخل في فمه خنجراً محمى متلوث النصل طوله عشرة قراريط»، و«يأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم» و«من يك ذا علاقات برجل منبوذ أسقط في نهاية سنة ولو كانت العلاقة عن طريق قراءة الكتاب المقدس معه أو في الركوب معه في مركبة واحدة أو الجلوس معه على متكأ واحد أو الأكل معه على خوان واحد» وأخيراً «نار جهنم هي دار البرهمي الذي يتزوج من الشودرية، فإذا ولد له ولد طرد من طبقة البراهمة»[1].

وعلى هذا الأساس الذي وضعته الكتب المذهبية قامت الحياة الاجتماعية للبراهمة الهندوس وظلت كذلك عبر القرون تزداد كل يوم شدة وتمكيناً وتزداد كل طبقة تمسكاً بموقفها من غيرها حتى رأيت طبقة الشودرية المنبوذين وكأنهم أشد إيماناً بذلتهم من غيرهم فهم لا يسكنون مع بقية الأهالي داخل المدن بل يتخذون لهم مساكن حقيرة قذرة في أطراف المدن في غاية الذلة فهم لا

(1) انظر تاريخ الهند للبيروني ص ٧٥ ـ حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٢٩٥.

يحاولون أن يرتفعوا عن وضعهم هذا والجهل بينهم متمكن[1].

ولذلك كله قد ضاق الناس ذرعاً باستمرار السلطة للبراهمة واشتداد وطأتهم عليهم، حتى بدت لهم تباشير الخلاص على أيدي مصلحين قد ظهرا من بين الأكشترية الحاكمة في القرن السادس قبل الميلاد وهما (مهابير) صاحب الديانة الجينية و(كوتامابده) صاحب الديانة البوذية[2] ولقد كانت حياة هذين المصلحين غامضة على كثير من الباحثين أرادوا أن يكتبوا عنهما وعن مبادئهما فلم يجدوا ما يعتمدون عليه في الغالب إلا الأساطير[3].

الديانة الجينية :

كان الدين الجيني أحد الديانات المنتشرة في بلاد الهند والسند قديماً ولا يزال له أتباع قليلون مثل أتباع البوذية في تلك البلاد، والجينيون يعتبرون دينهم ديناً مستقلاً بذاته كالبوذية ولا يعترفون بالبرهمية، ولكن بعض المؤرخين يعتبرون الجينية مشتقة من البرهمية الهندوسية، بينما يغالي الجينيون في ادعائهم بأن ديانتهم أقدم الديانات كلها في شبه القارة الهندية،على أن المؤرخين لا يعرفون حقيقة الجينية إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد، ويعرفون مؤسسها أو منظمها الأخير باسم «مهاديرا» الذي يؤرخون ميلاده لسنة **٥٩٩** قبل الميلاد أي قبل اثنتين وأربعين سنة من ولادة بوذا صاحب الديانة البوذية في سنة **٥٥٧** قبل الميلاد، وعلى ذلك يعتبر الدين الجيني أقدم في الظهور من الدين البوذي، وإن كان كلا المؤسسين هذين المذهبين قد تعاصرا في الحياة ثلاثين سنة، ولكنهما لم يتقابلا مع أنهما كانا يعيشان في منطقة واحدة تعرف باسم «بيهار» ببلاد الهند في الوقت الحاضر، وقد مات مهاديرا قبل بوذا بحوالي خمسين سنة[4].

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند.
(٢) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١٧.
(٣) انظر حضارة الهند لجوستاف لوبون ص **٣٤٤**.
(٤) ثقافة الهند، عدد ديسمبر سنة **١٩٥١**م.

وقد قامت الجينية كما قامت البوذية في وقت ثارت فيه الطبقة الأكشترية وهي الطبقة الحاكمة والمحاربة في البلاد، ثارت على البراهمة لاختصاصهم بجميع الامتيازات السياسية والمذهبية والاجتماعية المشروعة وغير المشروعة، وكان مهاديرا من هذه الطبقة الحاكمة المحاربة، فأسس هذه الديانة التي كانت تختلف عن الديانة البرهمية، اختلافاً كبيراً ولا سيما في القول بتقسيم الناس إلى طبقات وفي عدم الاعتراف بآلهة البراهمة الثلاثة «برهما وشيفا وفشنو» ولكنهم يتجهون في عبادتهم إلى أبطالهم الذين يعتبر (مهاديرا) هذا آخرهم ويتخذون الأصنام للعبادة في معابدهم[1] .

والجينية من ناحية أخرى تعني عقيدة قهر النفس، وفيها ينظر مهاديرا (مهابير) أي البطل العظيم إلى الحياة بأنها لعنة وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطيء جوعاً ليبلغ سر الوجود، ويدرك الحقيقة والمعرفة عند أهل الدنيا المتعلقين بأهداب الحياة فيها ولا تتجاوز النسب في الزمان والمكان فيها، فما عند فريق منهم حق محسوب هو عند غيرهم باطل معلوم في الغالب[2] وطريق الخلاص عند الجينيين يقتضي الامتناع عن ايذاء أي كائن حي حتى امتنعوا عن ممارسة أي عمل من الأعمال وغطوا أفواههم بأيديهم لكي لا تسرب إليها كائنات من الهواء فتقتل، ولذلك كنسوا الأرض برفق زائد أمامهم ومن تحتهم خوف القضاء على ما يسرح فيها من هوام، حين يمشون وحين يجلسون أو يرقدون ويفعلون ذلك كله إلى أن يتم لهم أعظم انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة وهو الانتحار البطيء جوعاً وحرماناً ومشقة[3] .

والجينية تخالف أيضاً الديانة البرهمية في أنها لا تعترف بمسألة تعدد الولادة

---

(۱) ثقافة الهند، عدد ديسمبر سنة ١٩٥١ م .
(۲) الهند وجيرانها لبول ديورانت ترجمة الدكتور زكي نجيب محمد ص ٥٩.
(۳) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جـ ١ ص ١٩.

التي يقول بها البراهمة نتيجة لفكرة التناسخ التي تقول بأن الإنسان لا يزال يموت ويولد حتى تطهر نفسه تماماً فتصل إلى الخلود والنعيم، وتقول الجينية بأن الإنسان يستطيع أن يتحرر من دورة الولادة هذه بتعطيل حياته وذلك بالتخلي عن كل عمل وكل ما يغذي جسمه حتى تنتهي حياته، وكأنها ترغب بذلك في الانتحار حتى سميت بالانتحارية[1].

من مبادىء الجينية :

أهم شيء في الجينية هو الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها حتى تدخل النفس في حالة من الجمود لا تشعر فيها بأي شيء مما حولها، والناسك الحق هو الذي يقهر جميع مشاعره وعواطفه، وحوائجه فلا يحتاج إلى شيء حتى اللباس، لأنه لا يشعر بحر ولا برد ولا حياء، ويهتم الكهان الجينيون بنتف أشعارهم كلها كدليل على أنهم لا يهتمون بالجسد المادي لأن الذي يشعر بالحياء يشعر بالتالي إلى ستر عورته، وإن في الحياة خيراً وشراً وحسناً وقبيحاً، ومعناه أنه لا يزال متعلقاً بها خاضعاً لمقاييسها، ويقول الجينيون: إن آدم وحواء كانا يعيشان في الجنة بطهر كامل لا يشعران بحياء ولا خير ولا شر ولا يحملان هماً أو غماً حتى تسلط عليهما الشيطان ليحرمهما من هذه اللذة، فحملهما على أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر، فأخرجا من الجنة، وبهذه الطريقة يعيش كهانهم عراة لا يسترهم شيء مطلقاً لأن هذا هو المثل الأعلى عندهم، أي أن الناسك تجرد من كل إحساس بالدنيا وآراء الناس فيها، فأصبح لا يهتم فيها بخير أو شر أو حسن أو قبيح[2] ويفلسفون في هذا المعنى ويقولون إن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، فلو لم يكن الإثم في الحياة لما كان الحياء، فترك اللباس هو ترك للإثم وتصوره، وعلى ذلك يجب

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند ص ٤٩.

(٢) انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جـ ١ ص ٢١ - تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٠.

هل كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عارياً ويتخذ من الهواء والسماء لباساً له[1].

وقد انقسم الجينيون إلى فرقتين: فالأولى تميل إلى التقشف التام وانكار الذات متخذة من حياة مهاديرا المتقشفة شعاراً لها، أما الثانية فمعتدلة في تلون الحياة متخذة من حياة مهاديرا الأولى في كنف والديه حين كان يتمتع بالخدم والملذات قدوة لها.

وأتباع المذهب لا يصلون إلى المليون ببلاد الهند في الوقت الحاضر ومعظمهم من كبار التجار وقد ساهموا كثيراً في تراث الهند الثقافي والفكري، وهم بمقتضى أصول دينهم سلميون هادئون يميلون إلى الخير.

وأما في بلاد السند يكاد لا يوجد لهم وجود، وقد دخلوا الإسلام مثل البوذيين بعد الفتوحات العربية وكانوا حينئذ قلة جداً، ومما ساعد على انقراض هذه الديانة هو أحكامها الصعبة في التقشف والحرمان من متع الحياة، فقد حرم على أتباعها التملك والزواج والتدثر بالثياب ولذلك يتناقص عدد أتباعها بالتدريج في داخل بلاد الهند نفسها حتى تنقرض هذه الديانة بعد زمن غير طويل لعدم ملاءمتها مع الحياة البشرية[2].

الديانة البوذية (البدهية أو السمينة):

البوذية إحدى الديانات القديمة المعروفة التي ظهرت في بلاد الهند وبلاد السند قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد، وبقيت مئات السنين ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة كسيلان وبورما وسيام والصين واليابان حتى أصبحت هذه البلاد الآن هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن اضمحل شأنها من منبعه الأصلي بلاد الهند نفسها، ويقدر معتنقوها في هذه البلاد بحوالي خمسمائة مليون نسمة.

---

(1) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٠.
(2) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٢١.

حياة بوذا ونشأته:

ولد بوذا مؤسس الديانة البوذية في سنة ٥٥٧ قبل الميلاد، وبوذا هذا لقب له ومعناه «العارف المستنير» أما اسمه فهو «كوتاما» أو «سدهارتا» وكانت ولادته في أسرة حاكمة غنية من الطبقة الأكشترية، فنشأ على طبع أسرته مترفاً منعماً، ولكن لفت نظره ما كان يراه من مظاهر البؤس والشقاء والمرض والتفاوت الاجتماعي بين الطبقات، فأخذ يفكر في هذه المظاهر وفي الحياة ولذاتها وانقطاعها بعد حين، فأفزعته هذه الحقيقة فترك حياة القصور والنعيم، وانقطع يفكر ويبحث عن مخرج من هذه الآلام، وكان يلازم شجرة يجلس تحتها يفكر، وقد صارت هذه الشجرة بعد ذلك ذات مكانة مقدسة ما زال البوذيون ينظرون إليها نظرة تقديس، وهي الآن في منطقة كايا بولاية بيهار ببلاد الهند[1].

وعاش بوذا حياة مرة قاسية في الغابات والصحارى فترة من الزمن يعاني آلام البؤس والفقر والجوع ويمارس أنواع الرياضات الجسمية والروحية حتى استطاع أن يصل إلى حالة من التجرد من الماديات، ويعلو بنفسه عن الشهوات، حتى أدرك أن الشهوة هي أم الشرور في الحياة، وأنه لا بد من القضاء عليها، حتى يحس الإنسان بالسعادة والراحة، وأخذ يدعو الناس إلى هذا التحرر نحو أربعين سنة مرتحلاً من مكان إلى مكان، يبشر بالمحبة بين الناس، ويدعو إلى الزهد وأن يعطف الإنسان على كل مخلوق ولو كان حيواناً، وأن ينظر إلى المخلوقات كلها نظرة فيها رحمة وحنان بعيداً عن التعالي والغرور، وعمل بوذا نفسه بما كان يدعو إليه من مبادىء، فكان يقاسم الناس آلامهم، ويدعوهم إلى مبادئه الرحيمة، مبادىء الحب والعطف والتسامح[2].

ويذهب البعض إلى أن هناك تشابهاً بين ما نسج حول بوذا وحياته وبين

---

(١) حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٣٥٩.
(٢) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٢.

ما قاله أتباع عيسى عليه السلام عنه، فقد لاحظ هذه الناحية المؤرخ جوستاف لوبون حيث قال: نجد أوجه شبه شاملة بالنظر في حوادث حياة بوذا الخرافية وبعض أقاصيص الانجيل بشأن عيسى[1] كما تدعو البوذية إلى أن يغلب المرء على غضبه بالكظم والعفو، ويزيل الشر والكراهية بالحب. بل لقد استخدم البوذيون الماء المقدس والبخور وأضاءوا معابدهم بالشموع، كما ابتدعوا الرهبانية فارتدى رجالها مسوحاً خاصاً بهم، وحملوا المسابح واعتكفوا بالأديرة، فعلوا كل ذلك قبل أن يفعل أتباع عيسى ذلك كله بقرون عديدة[2] لأن بوذا سابق على عيسى عليه السلام بأكثر من خمسمائة سنة، وأن البوذية وأفكارها قد تسربت إلى البلاد الأوروبية من بلاد الهند بواسطة دعاة الامبراطور اشوكا الهندي بالدعوة إلى المذهب البوذي ولا سيما بعد غزوة الاسكندر الأكبر لبلاد الهند والسند في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد[3].

تعاليم البوذية:

لم تبحث البوذية في أمر الإله كما هو الشأن في البرهمية، وقالوا إن القصد الأول لبوذا كان تطهير النفس من شهواتها وتحليها بالأخلاق في معاملاتها مع الناس، وتنظيم الأمور الاجتماعية والقضاء على نظام الطبقات، ولذلك تدور تعاليم بوذا كلها حول هذا الأساس الخلقي والاجتماعي: لا تقتل، لا تسرق مالاً، لا تشرب خمراً، لا ترقص، لا تكذب، لا تزن، لا تكن مترفاً، لا تتكبر، لا تكن ظالماً.. الخ وكان أهم شيء اهتم به بوذا نفسه هو العمل على إلغاء نظام الطبقات الذي أوجدته الديانة البرهمية القديمة لمصلحة البراهمة، وأن البوذية الأصيلة لم تحتفل بالطقوس البرهمية الرسمية من الغسل في الأنهار المقدسة، والمداومة على الصيام والاشتغال بالعبادات المتعبة والجولان عراة

(١) حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٣٥٩.

(٢) الهند وجيرانها لبول ديورانت ص ١٩٨ ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١٩.

(٣) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٢.

حفاة، وتقليد الرهبان في حلق الرؤوس أو تلبيد الشعر وتتريب الجسد وعرض النذور والقرابين، فكل ذلك ليس له حظ في النجاة عند البوذية[1].

وتنكر البوذية وجود خالق للعالم وأن الموجودات كلها ليست إلا وهماً وظواهر باطلة فانية، وأن الحديث عن الكون وهل هو متناه أو لا متناهي والروح وامتزاج النفس والبدن أو انفصالهما ما هو إلا أسطورة وخرافة من خرافات الأساطير، وكذلك أنكر بوذا القضاء والقدر وقال بأن مصير كل حي منوط بسلوكه الذي قد يقوده إلى السعادة أو إلى الشقاء، فلا آخرة ولا جنة بنعيم ولا سقر بحميم، كما أنكروا فكرة التناسخ والحلول وغيرها، وقد سخر بوذا من البراهمة سخرية شديدة فهدم كيانهم حين أعلن بأن الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت مسائل لا تستحق النظر، وأن القرابين والأدعية ما هي إلا من صناعة الكهنوت، كما هاجم نظام الطبقات ضمناً حين صرح بأن الناس أشرافهم وأدنياءهم كلهم سواء[2] فهو يشير بذلك إلى أنه ليس من العدل أن تتمتع البراهمة بكل شيء وأن يحرم الشودرية من كل شيء، وإلى أنه ليس من الحكمة أن لا يكون للاكشترية الحاكمة إلا سلطة ظاهرية جوفاء وأن لا يكون للغيشية الأعيان والتجار حق الخروج من دائرة طبقتهم الثالثة مهما بلغوا من الكمال والعلم أو الجاه والثروة.

وكانت البوذية ـ كما أشرنا سابقاً ـ في أول أمرها مذهباً خلقياً يرمي إلى تزكية النفس وتحررها من الشهوات، ومذهباً اجتماعياً يدعو إلى الحب والتسامح والعمل للتخفيف من آلام الإنسان، وإلى المساواة والعدل بين الناس جميعاً بعكس البرهمية، ثم بمرور الزمن أخذت الديانة البوذية تتعقد وتتشعب حسب أفكار أتباعها الدارسين لها والداعين إليها، حتى أصبح لكل قرن بوذية تختلف

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٢.

(٢) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جـ ١ ص ٢٠ و ٢١.

قليلاً عن البوذية السابقة واللاحقة، وفي النهاية صارت للبوذية أفكار وفلسفة[1].

إنتشار البوذية وزوالها ببلاد الهند والسند:

ظهر بوذا في الوقت الذي كان الناس يعيشون تحت ظلم الديانة البرهمية التي قسمت الناس إلى طبقات غير عادلة في بلاد الهند والسند، وكانوا ظامئين إلى مذهب جديد ليخلصهم من الأفكار السيئة والطقوس الصعبة، ومن تعالي وغطرسة البراهمة، ومن الذل والعبودية، ولما ظهر بوذا بالمبادىء الأخلاقية الاجتماعية التف الناس حوله ودخلوا في مذهبه وأيدوه ونصروه، وظل بوذا يدعو إلى مبادئه مدة حتى توفي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، ولم تكن البوذية قد أخذت شكلاً رسمياً حتى لفتت هذه المبادىء نظر الامبراطور أشوكا امبراطور الهند الشمالية في القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن خاض حروباً قاسية حتى مال إلى حياة الرحمة والحب والسلام، فاعتنق دعوة بوذا ودعا إليها في حماس وأرسل رسله إلى الممالك المختلفة يدعون إليها وبذلك صار الامبراطور داعياً عملياً للبوذية حتى انتشرت واكتسحت في طريقها الديانة البرهمية القديمة، وظل الأمر هكذا عدة قرون حتى أخذت البوذية تضعف بينما كانت الديانة البرهمية تسترد مكانتها الضائعة شيئاً فشيئاً فيما بعد حتى انحسرت البوذية عن موطنها الأصلي في بلاد الهند وبلاد السند، وفي نفس الوقت زاد انتشارها في البلاد المجاورة الأخرى، وعادت سيطرة البرهمية على شعوب هذه البلاد، ولم يعد للبوذية في موطنها إلا قليل من الأتباع وأكثرهم في شمال بلاد الهند وفي بلاد السند بالذات، نتيجة لاضطهادهم الشديد من جانب البراهمة والقتل العام لهم في كل مكان[2].

---

(1) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٤.

(2) حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٣٤٤ وما بعدها ـ تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٢.

على أن الذين دخلوا الديانة البوذية من أهل الهند والسند ظلوا معترفين بآلهتهم التي كانوا يعبدونها في البرهمية القديمة، ومن هنا بدأت البوذية تختلط في مظاهرها بالبرهمية وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالإله، وبالتالي اندمج فريق من البوذية في طقوس البراهمة حتى ظهرت البوذية بمظهر البرهمية وبدأت معابدهم تظهر فيها آلهة البراهمة، ومن ثم أخذت البوذية تتلاشى شيئاً فشيئاً، وأصبح بوذا بعد حين إلهاً يعبده البوذيون، وبهذا مهد السبيل إلى انحسار موجة البوذية من بلاد الهند والقضاء عليها في القرن السادس الميلادي بعد مرور ألف سنة من ولادة بوذا ورجعت البرهمية إلى مكانتها القوية وصارت ديناً رسمياً في بلاد الهند وكذلك في القرن السابع الميلادي في بلاد السند[1].

ومما أدى إلى زوال البوذية أيضاً في بلاد الهند والسند أنه في الوقت الذي لم يأبه البراهمة بأمر الديانة الجينية التي لم تكن خطراً بالنسبة لهم لمبالغتها في التقشف والزهد، انصرفوا بقوة طاغية إلى العمل على تقويض صرح البوذية المتسامحة التي غدت تناوىء سلطانهم حتى أحدثت تغيرات غير قليلة في النظم الاجتماعية والسياسية، وصار لها أتباع كثيرون، وبمرور السنين استطاع البراهمة أن يقضوا على البوذية بقوة وسياسة مذهبية جديدة، ذلك أن رؤساء البراهمة عمدوا إلى ادخال قدر غير يسير من تطور وتسامح في شعائرهم بغية إعادة مجدهم وسلطتهم الدينية، في الوقت الذي انحرف سدنة البوذية عن مبادئها الأولى البسيطة إلى مستحدثات معقدة أقحموها على عقيدتهم السهلة، وراحوا ينشدون لأنفسهم وبذلك وسعوا الشقة فيما بينهم وبين أتباعهم الذين ما لبثوا أن جذبهم تسامح البراهمة الطارىء وتدبيرهم المحكم حين أخلوا لبوذا نفسه مكاناً بين آلهتهم البرهمية وكذلك لمهاديرا نبي الجينية أو إلهها وأعلنوا هم

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٥ - ججنامه بالفارسية ص ٢٧ وما بعدها.

لدعم سياستهم، وكانوا قد أنكروا ذلك من قبل[1].

وهكذا ظهرت برهمية جديدة لا تختلف عن البرهمية القديمة في كثير وقد ساعدت على استرداد أصحابها تحت سيطرة البراهمة بفضل سياستهم المذهبية الجديدة من جهة وبفضل ما وجدوه عند الأمراء الراجبوتيين الأقوياء الذين ظهروا في القرن السادس الميلادي، من مناصرة وتشجيع مما يسر لهم ذلك في نشر مدارسهم في كل مكان، حتى انتشرت عقيدتهم وهي البرهمية الجديدة في القارة الهندية كلها لا يضرها وجود تلك الجينية الضئيلة ولا البوذية الضعيفة[2].

موقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب من العرب:

كانت بلاد السند تحكمها قبل الإسلام زهاء قرن أسرة مالكة تعرف في التاريخ بأسرة سيهاسي وكانت هذه الأسرة بوذية المذهب، ثم في أول سنة من القرن الأول الهجري أي في صدر الإسلام انتقل حكم البلاد إلى رجل يسمى جج وكان برهمي المذهب وحافظاً للكتب البرهمية المقدسة لأنه كان من أسرة دينية برهمية، فقد كان والده سادن معبد الور بينما كان شقيقه جندر الزاهد بوذياً[3] وباستيلاء جج على الحكم صارت الديانة البرهمية هي الدين الرسمي للدولة وسيطرت على الدين البوذي المنتشر في البلاد رغم كون الأغلبية بها من البوذيين.

وبذلك استطاع البراهمة أن يسيطروا على جميع مناطق بلاد الهند، بل حتى على المنطقة المعزولة عنها جغرافياً وهي بلاد السند، بينما كاد لا يوجد لأتباع الجينية من وجود في بلاد السند في صدر الإسلام وبعد ذلك، حيث أننا لا نجد لنشاطهم أثراً واضحاً في التاريخ، لأن هؤلاء كانوا مسالمين هادئين

(1) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٢٢.
(2) انظر حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٦١١.
(3) انظرججنامه باللغة الفارسية ص ١٤ و١٧ و٥٠.

وزهاداً مغالين في زهدهم بصفة عامة، ولذلك كان البراهمة يتجاهلونهم لقلة خطرهم على الديانة البرهمية، في الوقت الذي شددوا حملاتهم العنيفة في القضاء على البوذيين بشتى الطرق الوحشية من القتل الجماعي والاحراق العام وأنواع التعذيب، إذن كانت الديانة البرهمية هي دين أغلبية الشعب قبل الفتح العربي لبلاد السند.

وموقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند مع العرب أيام الفتح العربي يختلف من ديانة إلى ديانة حسب ظروفها السياسية والمذهبية في البلاد، فالصراع المذهبي الذي كان قائماً في تلك البلاد قبيل الفتح العربي بين أصحاب المذهب البرهمي الطغاة وأصحاب المذهب البوذي المتظلمين، يعتبر أهم عنصر لتلك الحياة المذهبية القاسية، ففي بداية القرن الأول الهجري حين قام (هواين تسانغ) الرحالة الصيني المعروف بجولته في شبه القارة الهندية ذكر في مذكراته أن البوذيين كانوا منتشرين في ذلك الوقت بكثرة في وادي نهر السند وفي الوديان الواقعة في المناطق الجبلية ببلاد السند والمجاورة للحدود الهندية وذلك بعد أن سكنوا هذه الأماكن هاربين من ظلم البراهمة في بلاد الهند[1] وقد ورد في مواضع كثيرة من كتاب ججنامه ذكر هؤلاء البوذيين ومعابدهم وحكامهم والمناطق التي كانوا يسكنونها في بلاد السند أيام الفتوحات الإسلامية، فيدل ذلك أيضاً على وجود الجماعات الكثيرة منهم في بلاد السند وسيطرتهم على مناطق مختلفة مهمة وعلى وجود الزعماء والحكام الكبار الأقوياء بينهم، وخاصة في مدينة النيرون ومنطقة البودهية واقليم سيوستان ومنطقة بت وغيرها[2] كما كان زعماء البوذية يسيطرون على قلاع كبيرة وحصون عظيمة وإن كانوا من كبار الرهبان السمنيين البوذيين، وكانت لهم قطاعات واسعة منيعة وكان لهم حراس مستقلون محاربون أقوياء، فقد جاء في ججنامه أن الملك

---

(١) انظر ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريش بالأردية ص ٣٨.
(٢) انظر ججنامه بالفارسية ص ١١٦ ثم ١١٨ و ١١٩ ثم ١٢١ و ١٢٢.

جج أراد القضاء على كاهن بوذي معروف بصاحب القلعة الذي اشتهر بعداوته ومخالفته للبراهمة وحكامهم، فتوجه الملك جج بنفسه إلى تلك القلعة ليقضي على ذلك الكاهن، ولكنه سرعان ما انخذل أمامه وفقد قوته وجبروته حين واجهه وجهاً لوجه، فقد استولت عليه هيبة ذلك الراهب البوذي فخرج من عنده منهزماً نفسياً ومعنوياً وسياسياً، بل وعده بتقديم المساعدات اللازمة للمعبد البوذي هناك[1] كما كان كثير من البوذية من التجار والصناع والعلماء يعيشون في المناطق التي كان معظم حكامها وسكانها من البرهميين مثل مدينة الديبل وكان بها أيضاً للبوذيين معبد معروف، ومدينة الور العاصمة السابقة لبلاد السند وكان بها معبد عظيم لهم، ونواحي اقليم سيوستان التي كان بها معابد كثيرة للبوذيين بجانب المعابد البرهمية[2].

كذلك يفهم من بيانات ججنامه أن البوذيين لم يكونوا يسعون لحماية الأسرة الحاكمة من البراهمة أيام الفتح العربي، ذلك أنهم لم ينسوا تلك المظالم الوحشية التي لاقوها من هؤلاء البراهمة في شبه القارة الهندية لمئات السنين حتى اضطروا في النهاية للانتقال إلى شمال الهند ولا سيما إلى بلاد السند واستوطنوها واستطاعوا أن يتنفسوا قليلاً الحرية المذهبية، ولكنهم لم يتخلصوا تماماً من الاضطهاد المذهبي والاجتماعي ولا من عداوة البراهمة لهم من النواحي الأخرى، فتلك العوامل المذهبية والسياسية والنفسية والاجتماعية كلها، شجعت البوذيين على الترحيب بالعرب الفاتحين أصحاب الدين الإسلامي، دين العدل والمساواة والرحمة، فتعاون البوذيون معنوياً ومادياً مع العرب للقضاء على جبروت حكام البراهمية وظلمهم الذي ملأ البلاد، وقد عد بعض المؤرخين مساندة البوذيين للعرب من أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الدولة البرهمية بسهولة في بلاد السند[3].

---

(1) ججنامه بالفارسية ص ٤٤ ـ ٤٥.
(2) المرجع السابق ص ١٠٤.
(3) الغزو العربي للهند لماجدار الهندي ص ٣٨ باللغة الانجليزية: =

وعلى العموم فإن البوذيين في كل بقعة من بلاد السند كانوا يسالمون العرب ولا يرغبون في القتال ضدهم بل كانوا يرحبون بهم ويعاونونهم في الخطط العسكرية لإتمام مهمة الفتح العربي حتى تزول الدولة البرهمية ويتخلص البوذيون من ظلمهم، لم يكتف البوذيون على مساعدة العرب بل نجد أن كثيراً من الجماعات البوذية قد دخلت الإسلام أفواجاً أفواجاً أيام الفتوحات وبعدها باستمرار حتى يكاد لا يسمع عن وجود البوذيين بعد ذلك في بلاد السند، وهذا يؤيد ما نذهب إليه من أن أغلبية البوذيين قد دخلوا الإسلام في عهد العرب.

وأما موقف أتباع البراهمة فكان بصفة عامة ضد العرب مذهبياً وسياسياً فهم لم يرغبوا رغبة جماعية في الدخول في الإسلام كالبوذية إلا في حالات قليلة، ولكن بعض البرهميين من الزعماء والقواد وزعماء القبائل ببلاد السند دخلوا في طاعة العرب أيام الفتوحات حين وجدوا كفة الميزان في صالح العرب وسالموهم وعملوا تحت رايتهم حتى تم الفتح ودخل البقية في طاعة العرب أيضاً مرغمين وقبلوا حكمهم.

ونذكر هنا بعض الأمثلة للحكام البوذيين وكذلك للبرهميين الذين انضموا برغبتهم وبدون قتال إلى الفاتح محمد بن القاسم الثقفي أيام الفتوحات، وكانوا خير معينين له سياسياً وعسكرياً. فمن الحكام البوذيين مثل بهندركن حاكم مدينة النيرون والأمير كاكه بن بسايه حاكم منطقة البودهية ومعظم قواده والأمير موكه بن بسايه حاكم منطقة بت والأمير راسل الحاكم الثاني لمنطقة بت وكان من كبار قواد الملك داهر حتى قبيل المعركة المصيرية بين محمد ابن القاسم والملك داهر، وكذلك الأمير ككسه بن جندر حاكم منطقة بابيه وكان في الغالب بوذياً لأنه كان ابن الملك جندر البوذي[1] وأما من كبار

The Arab Invasion of India, by Majumdar, Bulletin No. XV. Decca University =
Supplement, Printed at the Diocesan Press, Madras, 1931 - 37.

(١) جحنامه بالفارسية ص ١١٧ و١١٨ و١٢٣ ثم ١٣١ و١٣٣ ثم ١٦٥ و١٦٦.

الشخصيات السياسية والعسكرية للبرهميين الذين لجأوا الى محمد بن القاسم وعملوا تحت لوائه مثل قبلة بن مهترائج المشرف على سجن الديبل، وسياكر وزير الملك داهر[1] وبالإضافة إلى عشرات من القواد الذين استسلموا أثناء القتال وبعد فتح المدن والقلاع في راور والور وبرهمناباد والملتان وغيرها، ومن الجماعات البوذية التي قبلت الطاعة للعرب بدون قتال مثل قوم جنه المقيمين في ناحية من اقليم سيوستان[2] وكذلك جماعات من القواد والجنود البرهميين الذين انضموا إلى العرب أثناء القتال بين محمد بن القاسم والملك داهر وأيضاً قدمت الطاعة قبائل سندية مختلفة مثل زط اللوهانة، وقبيلة السمة وقبيلة السهته[3] ومعظم هؤلاء الأفراد وتلك القبائل قد دخلوا الإسلام أيام الفتوحات وبعدها في عهد العرب ببلاد السند والبنجاب.

---

(1) جحنامه بالفارسية ص ١٠٨ و١٠٩ و١٩٩.

(2) تاريخ المعصومي بالأردية ص ٢٢ و ٢٣.

(3) جحنامه بالفارسية ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ثم ٢١٤ و ٢١٥ ثم ٢٢٠ و ٢٢١.

الفصل الثاني

إنتشار الإسلام في شبه القارة الهندية

(بلاد الهند وبلاد السند)

تذكر لنا كتب التاريخ أن الإسلام حين أخذ ينتشر في شبه القارة الهندية بدأ في الانتشار بعد ظهوره مباشرة في سواحل جنوب بلاد الهند على أيدي التجار العرب والجاليات العربية المقيمة هناك، بينما تأخر انتشار الإسلام في سواحل بلاد السند، وأما الدعوة المنظمة إلى الإسلام في بلاد السند فقد بدأت بعد الفتح العربي لها في أواخر القرن الأول للهجرة.

(أ) إنتشار الإسلام في السواحل الجنوبية لبلاد الهند:

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند منذ آلاف السنين قبل الإسلام، كانت الأسر والجاليات العربية تقيم في هذه السواحل، وكان العرب يقومون بالتجارة ما بين البلاد العربية وبلاد الهند وغيرها عن طريق البحر والبر[1].

ولما سمع العرب هناك عن ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية دخلوا فيه بعد سنوات قليلة من بعثة الرسول الأعظم محمد ﷺ، ثم أخذت الجاليات العربية في بلاد الهند تلعب دورها كمراكز تبليغ للإسلام بطريقة غير مباشرة،

---

(١) تاريخ الملاحة العربية (عربون كي جهاز راني) لسليمان ندوي ص ٤٣ باللغة الأردية.

وقد كان الإسلام قد أثر على الحياة الاجتماعية للعرب بشكل ملحوظ مما حمل سكان تلك المناطق إلى أن يلاحظوا ذلك التغيير على العرب وكانوا يتعجبون ويتساءلون عن السبب في ذلك، حتى سمعوا من العرب عن ظهور دين جديد في الجزيرة العربية، وهو الإسلام، وكانوا يتناقشون المسائل الإنسانية من خلال تعاليمه السامية العادلة، كما كان بعض العرب أنفسهم يتلهفون على تبليغ الإسلام متنهزين الفرص بقصد الدعوة أو بقصد الإخبار، وذلك لفرحتهم الكبيرة بهذا الدين الحنيف الذي أخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور المعرفة والحق[1].

في الوقت الذي كانت الخلافات المذهبية قد بلغت أشدها في جنوب بلاد الهند بل في شبه القارة الهندية كلها بين أصحاب المذاهب البرهمية والبوذية والجينية، وكانت البرهمية تحارب البوذية والجينية اللتين ثارتا عليها بسبب تطبيقها لنظام الطبقات غير العادل في المجتمع، مما اضطر معه البوذيون والجينيون بالانتقال إلى المناطق الشمالية لبلاد الهند ولا سيما إلى بلاد السند، وكان أصحاب الديانة البرهمية بجانب اشتراكهم في المناظرات والمباحثات المبنية لإيجاد حجج بل حيل لقمع أصحاب المذاهب الأخرى، كانوا يستغلون سلطتهم السياسية أيضاً في القضاء على المذهبين الآخرين، ويقومون بالقتل الجماعي والتعذيب الوحشي لأتباعهما بتأييد الحكام أنفسهم، ولا شك في أن سكان بلاد الهند وبلاد السند ما عدا البراهمة كانوا يعيشون في هذا الوقت في الفوضى المذهبية والفكرية والقلق النفسي وعدم الشعور بالاستقرار الاجتماعي بل الخوف المستمر على الأرواح والأملاك، وكانوا لذلك

---

(1) رعظيم بالك وهندكي ملت إسلامية (الأمة الإسلامية في الباكستان والهند) للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ١ باللغة الأردية وكذلك انظر الدعوة إلى الإسلام للمستشرق أرنولد ص ٤٠٩ - ٤١٩ باللغة الانجليزية.

Arnold: The preaching of Islam. A history of propagation of the Muslim faith. Pp. 409 - 419. Lahore, 1956. London. Oxford University Press. 1935

يفكرون في الخلاص منها والبحث عن مذهب أو دين جديد عادل يضمن لهم الحرية الروحية والسعادة الاجتماعية.

دور التجار والجاليات العربية في الدعوة إلى الإسلام:

وكان للتجار العرب نفوذ كبير في سواحل بلاد الهند وكانوا قد حصلوا على الإذن للانتقال ببضائعهم التجارية من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية الأخرى، كما كانوا ينتقلون من ميناء إلى ميناء بسفنهم التجارية، وكان البراهمة لا يرون خطراً للإسلام والمسلمين سياسياً لقلة عدد العرب، وبالتالي لم يكونوا يهتمون بالتجار العرب أو قيامهم بالتبليغ للإسلام بقدر اهتمامهم الشديد بالبوذيين ومحاربتهم سياسياً ومذهبياً[1] لأن التجار العرب بجانب كونهم من الأقلية كانوا يساهمون بقسط كبير في النشاط التجاري وفي زيادة الدخل القومي لبلاد الهند مع عدم تدخلهم في الأمور السياسية فيها، ولذلك كان الحكام والعوام يعاملونهم معاملة طيبة وباحترام بالغ، وكانوا يهتمون بأقوالهم وأفعالهم أيضاً، وبذلك كان العرب في مأمن من الضغط المذهبي والسياسي وبعيدين عن شر البراهمة ولذلك عاشوا في استقرار وطمأنينة، قائمين بشعائرهم الدينية ومبلغين للإسلام في كل ناحية وفي كل مناسبة بطريقة عادية غير منتظمة[2].

ويبدو أن نفوذ هؤلاء التجار العرب أو تلك الجاليات العربية قد ازداد بعد دخول العرب في الإسلام، فقد ذكرت الكتب التاريخية عن قيام جاليات عربية جديدة في المدن الساحلية ببلاد الهند ابتداء من أوائل القرن الأول للهجرة إلى القرن الرابع الهجري[3] كما ظهر التقدم بوضوح في جميع مجالات الحياة عند هؤلاء العرب بعد مجيء الإسلام، وبالتالي أثر في الحالة التجارية

---

(١) انظر بنود جـ ١ ص ٣٩ نقلاً عن ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ١٢.

(٢) انظر تحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة جـ ٤ ص ٥٦.

(٣) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ٥٤ باللغة الأردية.

وساعد على توسيع ميدانها ولا سيما بعد استيلاء العرب على غرب آسيا وشمال أفريقيا بعد الفتوحات الإسلامية فيها، وبذلك اتسعت دائرة التجارة العربية حيث كانت السفن التجارية تتحرك من موانئ البحر الأبيض المتوسط وتسير إلى موانئ بلاد السند وبلاد الهند وخليج البنغال (بنكلاديش) ثم إلى بلاد الصين[1] وكان لذلك التقدم الشامل في حياة العرب أثر كبير في زيادة نفوذ العرب بتلك السواحل الهندية وبالتالي في زيادة انتشار الإسلام بها.

ولا شك في أن العرب بعد أن دخلوا الإسلام وتغيرت حالتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بدأوا يهتمون بالناحية الدينية اهتماماً كبيراً، وكانوا يرون تأدية الصلاة بالجماعة شعاراً اجتماعياً مهمًا لدينهم، فلم يكونوا يهملون أداء تلك الفرائض مراعاة للظروف الاجتماعية أو خوفاً من غضب أفراد المذاهب الأخرى وذلك لتأكدهم من صحة هذا الدين ولإيمانهم بحماية الله لهم: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ فكان من أثر إصرارهم على المضي في طريق الحق بتمسكهم بدينهم وإخلاصهم له أن اعترفت الحكومات الهندية المحلية أيضاً بحرية العرب في الشؤون المذهبية وحق التصرف في المعاملات الاجتماعية والاقتصادية حسب أحكام الشريعة الإسلامية[2] ومنذ أواخر القرن الأول الهجري أخذت الجاليات العربية تزداد توسعاً بمرور الزمن[3] حتى ارتفعت نسبة السكان العرب في بعض المناطق بالسواحل الهندية الجنوبية إلى عشرين في المائة، وهذه النسبة الكبيرة للعرب لم تكن نتيجة لقدوم العرب الجدد من الخارج فحسب بل كانت أيضاً بسبب زواج العرب من نساء تلك البلاد وكثرة الإنجاب وكان أولادهم منهن يعاملون أيضاً كمعاملة العرب

---

(1) حوراني Hourani: Arab Seafaring P.62 نقلاً عن ملت إسلاميـة للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٣ باللغـة الأرديـة.

(2) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ١٢٠.

(3) Thurston: castes and Tribes of Southern India V. 4 P.119. نقلاً عن ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٥ باللغة الأردية.

الأجانب وبالتالي كان يزيد عدد المسلمين ويزداد انتشار الإسلام[1].

وعلى العموم فإن التبليغ للإسلام في القرن الأول الهجري في السواحل الجنوبية لبلاد الهند، كان على أيدي هؤلاء التجار العرب والجاليات العربية المقيمة هناك، ثم لما كثر كبار علماء الإسلام ولا سيما في القرن الخامس الهجري بدأ هؤلاء العلماء في تثقيف المسلمين وإدخال الكثيرين من غير المسلمين في دائرة الإسلام، وبذلك تعتبر الخدمة التي قدمها هؤلاء العرب التجار والجاليات العربية حتى القرن الخامس الهجري ببلاد الهند أكبر خدمة للإسلام وأعظم هدية لهؤلاء الذين تشرفوا بدخولهم في نور الإسلام.

(ب) انتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب (باكستان الحاضرة):

علمنا مما سبق أن الجاليات العربية التي كانت تقيم في السواحل الجنوبية لبلاد الهند قد دخلت الإسلام منذ بداية القرن الأول للهجرة، وكانت تعيش وتعمل في رعاية الحكومات الهندية وتتمتع بالحرية الدينية والاحترام والرفاهية، ولكن التاريخ لا يذكر لنا بأن مثل تلك الحالة كانت موجودة في السواحل السندية أيضاً قبل الفتح العربي لبلاد السند والبنجاب كلها في أواخر القرن الأول الهجري، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الحكام المحليين في هذه المناطق السندية لم يكونوا يرحبون بالعرب مراعاة لمصالحهم المختلفة، لأن الدولة العربية الإسلامية كانت قد اتسعت كثيراً في منتصف القرن الأول للهجرة حتى أخذت تقترب من حدود بلاد السند وكادت تحيطها من كل جانب، ولذلك كان حكام بلاد السند يخشون سياسياً على مصالحهم الشخصية والوطنية، وبالتالي لم يكونوا يشجعون العرب على الاقامة على السواحل السندية حتى لا يصبح لهم أثر أو نفوذ على تلك المناطق، وكذلك العرب

---

(1) Innes : Malabra and Anjenga District Gazetter, pp. 44, p.190.
نقلاً عن ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٦ باللغة الأردية.

أنفسهم كانوا يفضلون مجرد المرور بموانيها مثل ميناء الديبل وميناء تيز[1] ولا يميلون للإقامة في تلك السواحل السندية لوجود القراصنة من أهل السند وعدم سيطرة الحكام عليهم، وأيضاً لوجود الأخطار في الطرق التجارية في داخل بلاد السند والبنجاب بسبب اقامة بعض القبائل السندية الخطيرة مثل قبيلة الزط وقبيلة الميد على مقربة منها بقصد القيام بالهجوم على القوافل التجارية ونهب أموالها وقتل من يعترض طريقها، هذا بالإضافة إلى رداءة المناخ الصحراوي وقلة المياه وكثرة الهضاب في بلاد السند، فتلك الأسباب لم تكن تشجع العرب على ركوب المخاطر والمغامرات وإلقاء الأرواح إلى التهلكة في سبيل التجارة، ولذلك لم تكن للعرب جاليات في تلك السواحل أو الولايات السندية قبل الفتح العربي.

العرب في إقليم مكران بالسند ودورهم في نشر الإسلام:

ولكن لا ننسى بأن هناك منطقة واحدة من مناطق بلاد السند الواسعة وهي (منطقة مكران) التي اعتبرها كثير من الجغرافيين العرب وغيرهم إقليماً مهمًا من أقاليم تلك البلاد في ذلك العهد، وباباً للدخول إلى بلاد السند، فهذه المنطقة كانت في أيدي العرب منذ أوائل القرن الأول للهجرة وكان الوالي الأموي يحكمها بصفة رسمية من قبل الخلافة الأموية، ولذلك يمكن لنا القول بأن كثيراً من التجار العرب وأفراد الجاليات العربية كانوا يقيمون في ولاية مكران قبل فتح العرب لبلاد السند، وذلك منذ خلافة معاوية إلى سنة ٩٢هـ التي تم فيها فتح جميع أقاليم بلاد السند، وبالتالي نستطيع أن نقول بأن العرب قد أثروا في سكان مكران من الناحية المذهبية والفكرية في تلك الفترة التاريخية المبكرة ولا سيما في البوذيين الذين كانت لهم صلة قوية بالسكان في داخل بلاد السند، وعن طريقهم كانت أخبار العرب وأخبار دينهم الإسلام تصل إلى جميع سكان بلاد السند.

---

(1) انظر مقالات إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٢٣ باللغة الأردية.

ولم يكن من السهل أن يتغلغل العرب المسلمون إلى داخل بلاد السند في أوائل القرن الأول للهجرة وقبل الفتح العربي لأسباب جغرافية واجتماعية وسياسية كما أشرنا إليها، ولكن هذا كله لم يمنع أهل السند من الاختلاط بالعرب قبل الفتح العربي، فأهل السند لم يكونوا خائفين من السفر في البحار بعكس ما كان عليه بعض الهنود في جنوب الهند، فقد كان يشاهد بعض المسافرين من أهل السند على السفن العربية[1] بل كان كثير من السند يقيمون في البلاد العربية نفسها، فمثلاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حين فتح العرب بلاد فارس إنضم عدد كبير من أفراد قبيلة الزط السندية إلى الجيش العربي وأعلنوا إسلامهم بعد أن قرروا الانفصال عن الجيش الإيراني، ونقلوا جميعاً إلى العراق وسكنوا بعض المناطق والبطاح الواقعة بين مدينة البصرة ومدينة واسط، وأخذ عددهم في الازدياد حتى بلغ في عهد الخليفة المعتصم العباسي سبعة وعشرين ألف سندي وقاموا بفتن واضطرابات ضد الدولة العباسية[2] وكان الخليفة علي بن أبي طالب قد عين بعضاً من السند على مصارف البصرة لمهارتهم في الأعمال المصرفية والحسابات[3] وكذلك كان حراس الخليفة عثمان بن عفان من أفراد قبيلة الزط السندية وقد دافعوا عنه يوم شهادته حتى قتلوا جميعاً على بابه قبل أن يستشهد هو رضي الله عنه[4] وهكذا نجد في التاريخ أمثلة كثيرة عن اتصالات السند بالعرب قبل الفتح الإسلامي لبلاد السند، وعن دخولهم في الإسلام، ولا شك في أن هؤلاء كانوا يسافرون بين حين وآخر إلى بلادهم ويخبرون ذويهم وأقرباءهم وأحبابهم عن الإسلام وتعاليمه السامية وسماحته الكبيرة، ولذلك يمكن لنا القول بأنه إن لم يكن جماعات من أهل السند قد دخلت الإسلام في داخل بلاد السند

---

(١) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ١٤٨ و١٦٥.
(٢) سلسلة التواريخ للسيرافي ص ١٣٦.
(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٥٧.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٧٥.

ولا سيما من البراهمة في أوائل القرن الأول للهجرة قبل
عوناً من حكامهم ولا سيما من البراهمة في أوائل القرن الأول للهجرة قبل
الفتح الإسلامي لبلاد السند، فإن النفوس كانت قد استعدت لقبول
الإسلام بعد أن مهد لها الطرق بواسطة السند الرحالين والمقيمين في البلاد
العربية، ولا سيما البوذيين منهم الذين كان بعض تعاليم مذهبهم يدعو إلى
نشر الخير والعدل والمساواة والمحبة بين أفراد المجتمع، ولكنهم كانوا محرومين
من هذه الحقوق في بلادهم بسبب نظام الطبقات في المذهب البرهمي المسيطر
على الدولة والشعب في بلاد السند.

على أن أهم الأسباب لعدم اهتمام العرب أو رغبتهم في الاقامة والتجارة
في سواحل السند كان هو وجود القراصنة الأقوياء الذين كانوا لا يهابون سلطة
الدولة ويهاجمون السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل ببلاد السند في
طريقها من الموانئ العربية إلى الموانئ الهندية ثم موانئ البنغال وموانئ الصين،
وكانت هذه الهجمات للقراصنة كثيراً مما تتكرر، ولذلك كانت السفن العربية
التجارية قلما تقف عند ميناء الديبل، وكانت الدولة الأموية تشكو دائماً عن
تلك إلى الحكومة السندية ولكن بلا جدوى، حتى حدث أن استولى هؤلاء
القراصنة على السفن العربية الثمانية المحملة بالبضائع والهدايا والتحف
الثمينة، التي أهداها ملك سيلان إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك
والحجاج والي العراق، وكانت في تلك السفن بعض النسوة العربيات في
طريقهن إلى الحج، وقد نهب القراصنة كل البضائع والتحف بل خطفوا النساء
والتجار العرب أيضاً إلى داخل مدينة الديبل، واعتذر داهر ملك بلاد السند
عن عدم استطاعته في إعادة تلك النسوة والعرب، ونفد صبر الحجاج فأرسل
حملتين لإنقاذ تلك النساء وهؤلاء العرب التجار وفشلت الحملتان واستشهد
القائدان العربيان وأسر أفراد جيشهما العربي، وعندئذ قرر الحجاج فتح بلاد
السند بقيادة القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ[1].

---

(1) جحنامه ص ٨٩ - ٩٧ باللغة الفارسية.

وبفتح بلاد السند والبنجاب فتح باب جديد هام في تاريخ الإسلام، كما فتح باب مشرق في تاريخ بلاد السند والبنجاب خاصة وتاريخ شبه القارة الهندية عامة، وقد كان ذلك إنقلاباً عظيماً في تاريخ حياة شعوب تلك المنطقة في العالم[1] وسبباً هاماً لإنتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب، وبذلك تحول مركز التبليغ للإسلام من السواحل الجنوبية ببلاد الهند إلى بلاد السند رغم وجود العرب التجار والجاليات العربية بالكثرة الهائلة في تلك السواحل الهندية، وبذلك قل نشاط العرب المسلمين بالسواحل الهندية في ميادين التجارة ونشر الإسلام هناك بالمقارنة مع الحالة الجديدة بعد الفتح العربي لبلاد السند التي صارت مركزاً هاماً للتبليغ للإسلام في شبه القارة الهندية، وذلك أن كثيراً من التجار العرب في سواحل بلاد الهند قد هاجروا إلى بلاد السند بعد قيام الدولة العربية فيها ليعيشوا تحت رعاية حكومتهم العربية الإسلامية التي فتحت أسواقاً تجارية جديدة بعد القضاء على أخطار القراصنة والقبائل السندية في البحر والبر، وعملت على سهولة المواصلات وربط بلاد السند ببلاد فارس لقربها من البلاد العربية، ثم ظهرت بعد ذلك حركات الدعوة إلى الإسلام في بلاد السند بواسطة الحكومة العربية بها.

دعوة محمد بن القاسم الثقفي إلى الإسـلام :

بعد أن انتهى القائد محمد بن القاسم من فتح عاصمة بلاد السند سنة ٩٢ هـ وجه الدعوة إلى الأمراء والحكام والوزراء والأعيان بل إلى عامة الشعب للدخول في الإسلام[2] وقد نجح إلى حد بعيد في إدخال كثير من الزعماء وجماعات كبيرة من أهالي بلاد السند ولا سيما البوذيين منهم في الإسلام، وكان

---

(١) انظر ملت إسلامية ص ٣٥ وكذلك انظر تنظيم سلطنة الدهلي للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٣ باللغة الانجليزية:
The Administration of the Sultanate of Delhi, P.3, Lahore, Pakistan, 1942.

(٢) ججنامه ص ١٩٩ باللغة الفارسية.

الحجاج بفضل تعاليم الإسلام السمحة العادلة التي سمع عنها هؤلاء القوم ثم بفضل الصفات الإنسانية التي كان يتحلى بها ذلك القائد الشاب الذي رفع الله شأنه رغم صغر سنه لخير الإسلام.

يرى بعض المؤرخين الأجانب أن دخول بعض من هؤلاء السند في الإسلام كان انتهازاً للفرص ولأغراض شخصية، ولكنني أرى أنه من المؤكد أن الغالبية منهم قبلوا الإسلام عن دراسـة واسعة وعن عقيدة راسخة في القلوب، لأنهم وجدوا في الإسلام وفي أعمال العرب أنفسهم صفات طيبة، وأحبوا أن يعتنقوا هذا الدين الحنيف ليعيشوا مثل العرب أحراراً في دينهم ومعززين في حياتهم، وكذلك قارن هؤلاء القوم تعاليم الإسلام بتعاليم دينهم القديم في النواحي الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، فوجدوا في الإسلام مبادئ سامية وأحكاماً عادلة لخير البشرية فضلاً عن دعوة الإسلام إلى عبادة الله الواحد القهار، فكل هذا شجعهم على قبول الإسلام من تلقاء أنفسهم كما حدث مثل ذلك من قبل في بلاد أخرى.

ونذكر هنا بعض الأمثلة لمن دخل الإسلام على يد القائد محمد بن القاسم في أيام الفتوحات، من الأفراد والجماعات، ومن القبائل والجيوش، ومن العلماء والزعماء، ففي مدينة الديبل بعد فتح العرب قلعتها التي كـان بها أسرى العرب فكان معهم رجل سندي يسمى (قبله بن مهترائج) ويعمل مديراً للسجن الذي كان فيه التجار العرب والنساء العربيات وجنود القائد الشهيد بديل، ويبدو أنه تأثر من الناحية الفكرية لاختلاطه بهم نحو سنتين أو أكثر، ولذلك كان يرعاهم رعاية طيبة، وكان الحجاج قد أمر بقتل كل من يحمل السلاح في داخل القلعة انتقاماً لهؤلاء الجنود الشهداء وقوادهم الذين ذهبوا ضحية في سبيل إنقاذ التجار والنساء، ونفذ محمد بن القاسم أمر الحجاج فيهم، ولما جاء دور هذا الرجل السندي، قال لمحمد بن القاسم أنه كان يرعى العرب المسجونين رعاية كريمة وكان يصبرهم فلذلك يرجو العفو،

ولما تأكد محمد بن القاسم من صدق قوله عفا عنه، بل فوض إليه مهمة الإشراف على الأمور الاقتصادية بمدينة الديبل وتأثر بمعاملة محمد بن القاسم هذا فأعلن إسلامه لديه، وكان صادقاً في إسلامه ومخلصاً له، ولذلك قربه القائد محمد بن القاسم الثقفي إليه أكثر وعينه مترجماً لرئيس الوفد العربي المعروف بالشامي وارسلها إلى داهر ملك بلاد السند لتوجيه الإنذار إليه وكان الملك يعرف هذا الرجل[1] ونفهم من بيان مؤلف كتاب جچنامه أنه كان يعرف اللغة العربية أيضاً ولذلك كلف بهذه المهمة الخطيرة، ويبدو أنه تعلم العربية من العرب المسجونين بمدينة الديبل حين كان مديراً للسجن ويعتبر هذا الرجل هو أول سندي دخل الإسلام في أيام الفتوحات وكان برهمي المذهب[2] وعلى ذلك فإن أول من دخل الإسلام ببلاد السند لم يكن بوذياً بل كان برهمياً، بالرغم من أن البوذيين كانوا متفاهمين مع المسلمين أكثر من البرهميين.

وفي سيوستان من أقاليم بلاد السند، بعد أن فتحها العرب جاء وفد من قوم «جته» المقيمين في منطقة تابعة لإقليم سيوستان وعرضوا الطاعة للعرب وبعد أيام دخل هؤلاء القوم بجملتهم في الإسلام وكانوا يعتنقون المذهب البوذي، وبذلك يعتبر هؤلاء أول جماعة كبيرة من أهل السند البوذيين يدخلون في الإسلام أيام الفتوحات عن رغبة وعقيدة بعد دراسة تعاليم الإسلام وصفات العرب الحميدة[3].

وكان والي مدينة النيرون البوذي ورجاله الخواص متصلين بالحجاج مبايعين له بالطاعة، لا بعد الفتح العربي لبلاد السند بل قبل الفتح بعام تقريباً، وحين دخل القائد محمد بن القاسم مدينة النيرون رحب به الوالي

---

(1) انظر جچنامه ص ١٠٨، ١٠٩، ١٣٩.
(2) قرر صاحب تاريخ سند ص ٦١ أيضاً أنه برهمي المذهب.
(3) تاريخ معصومي ص ٢٢ بالأردية.

وفتح له باب المدينة، وصار مساعداً عسكرياً وسياسياً له وساعده في كثير من مراحل فتوحاته لا سيما في سيوستان بأخذ البيعة من أتباعه الكثيرين من البوذية هناك، فهذه البيعة المبكرة وهذا الولاء، وهذه المساعدة الكبيرة تدل كلها على ميل الوالي وقواده وخواصه بل شعبه إلى الإسلام، ولا توجد بيانات واضحة عن دخولهم في الإسلام في أيام الفتوحات ولكن الأحداث التاريخية فيما بعد تشير إلى ذلك لعدم ذكر البوذية في هذه المنطقة في السنوات القادمة من القرون التالية لعهد الفتوحات الإسلامية، فهم في الغالب دخلوا في الإسلام من أنفسهم بعد إندماجهم في صفوف العرب في الحكومة والجيش في بلاد السند.

وفي يوم القتال الرهيب والحرب المصيرية بين محمد بن القاسم وبين داهر ملك السند، توجه بعض من القواد السند مع فرقهم من الجيش أثناء المعركة إلى محمد بن القاسم، وأعلنوا إسلامهم لديه، ثم عرضوا عليه خطة عسكرية وهي أن يأذن لهم بأن يقوموا بمهاجمة مؤخرة جيش داهر على غفلة في حين يقوم الجيش العربي بهجوم شامل على الجيش السندي من الأمام، فوافق محمد بن القاسم على الخطة وجعل مروان بن أشحم اليمني وتميم بن زيد القيسي قائدين عليهم، ففاجأوا العدو بالهجوم من الخلف، في الوقت الذي قام الجيش العربي بحملة عنيفة من الأمام، فدخل الرعب في القلوب وتذبذب الجيش السندي واضطرب اضطراباً شديداً وقتل الكثيرون من أفراده[1] وهذه هي المجموعة الثانية الكبيرة من أهل السند والجماعة الأولى من البرهميين تدخل الإسلام على يد محمد بن القاسم نفسه أيام الفتوحات لا بالقوة وإنما بالرغبة وعن إيمان ويقين بعظمة الإسلام، مع أن الحرب كانت لا تزال دائرة وكان الملك العظيم لا يزال على أشد قوته حياً يحارب بعزم وصلابة ولم يكن من السهل معرفة نتيجة هذه المعركة المصيرية، وكان عدد أفراد الجيش العربي لا

(١) اقرأ تفصيل القصة في جچنامه ص ١٧٧ ـ ١٧٩ بالفارسية.

يزيد على اثني عشر ألفاً، بينما كان عدد أفراد الجيش السندي يزيد على مائة ألف مقاتل وتسعين من الفيلة المقاتلة، بالإضافة إلى كثرة الأسلحة لدى السند ووفرة المواد الغذائية فضلاً عن معرفة أهل السند بخبايا بلادهم، وهذه الواقعة تدل على أن الذين كانوا يدخلون الإسلام أو يعلنون الطاعة للعرب من الزعماء والحكام والقواد قبل مقتل داهر مثل حاكم النيرون البوذي وحاكم منطقة بت البوذي الأمير كاكه بن بسايه وإخوته ووالدهم، وكبار القواد في الديبل والنيرون وسيوستان ثم بعض الوزراء مثل سياكر وزير داهر[1] وكذلك بعد مقتل داهر دخل في الإسلام كثير من حكام وأمراء المناطق الأخرى مثل الأمير كاكه بن جندر وهو ابن عم الملك وحاكم منطقة الباتيه الواسعة[2] تدل على أن ذلك كان حسب رغبتهم في الوقت الذي كانوا لا يزالون أقوياء، وكان قبولهم الدخول في الدين الإسلامي لعلمهم بسماحة الإسلام وعدالته ولا سيما الصفات الإسلامية الإنسانية التي كان يتحلى بها القائد محمد بن القاسم، فلم يكن إسلام هذا العدد الكبير من القواد والحكام والآلاف من أفراد القبائل والجيوش والعوام من أهل السند وقبولهم الطاعة أيام الفتوحات بالقوة والإكراه كما يدعي ذلك أعداء الإسلام وأعداء الأمة السندية المسلمة من المؤرخين الأجانب وغيرهم.

كانت أغلبية الشعب السندي تسكن المدن والأقاليم الواسعة مثل الديبل والنيرون وسيوستان وراور وغيرها، وقد رأينا كيف دخلت الأفراد والجماعات والقبائل الكثيرة بتلك المناطق في الإسلام في عهد محمد بن القاسم والبقية منهم قد قبلوا الطاعة للعرب، ولم نسمع بعد ذلك أنهم قاموا بالحركات المعادية ضد العرب إلا في حالات قليلة، ولعل الكثيرين من هؤلاء أيضاً دخلوا الإسلام في عهد محمد بن القاسم ثم في عهود من جاء بعده من الولاة

---

(١) ججنامه ص ١٩٩ و٢٠٠ بالفارسية.
(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ و١٣٦.

العرب، وخاصة أصحاب المذهب البوذي منهم الذين لم نسمع أخبارهم بعد ذلك، وفي الغالب دخل البوذيون المقيمون بتلك المناطق الهامة في الإسلام، ويدل على ذلك ترحيبهم الحار للعرب، ومساعدتهم لهم في القضاء على سلطة البراهمة، ودخول جماعات كبيرة عديدة منهم في الإسلام أيام الفتوحات نفسها، وبما أن الأكثرية من الشعب السندي كانوا من البوذية رغم كون الحكومة من البراهمة في أيام الفتح العربي[1] يمكن لنا القول بأن أغلبية الشعب السندي قد دخلوا الإسلام في عهد العرب الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، وقد وقعت مثل هذه الواقعة من قبل حين تقرب البوذيون من العرب المسلمين ببلاد فارس وتركستان وأفغانستان ودخلوا الإسلام في سنوات قليلة بعد فتح تلك البلاد مباشرة، ولا بد أن البوذية في بلاد السند قد سمعوا أخبار البوذيين الذين تشرفوا بقبول الإسلام قبلهم في البلاد الأخرى وما وصلوا إليه من مكانة اجتماعية وسياسية في تلك البلاد بعد إسلامهم وبفضل معاملة العرب الطيبة لهم، مما شجع ذلك سكان بلاد السند البوذيين في قبول الإسلام والاندماج في العرب بسرعة وبرغبة شديدة، وكذلك يمكن لنا القول بأنه لولا كون البوذية أغلبية الشعب السندي لكان من الصعب استمرار العرب في الحكم لقرون عديدة في تلك البلاد الواسعة بسبب ظروف كثيرة سياسية وقبلية واجتماعية.

ومن ناحية أخرى يبدو أن الديانة البوذية في عهد العرب ببلاد السند كانت تمر بمرحلة دقيقة جداً لدرجة أن علماءها أيضاً لم يكونوا ينظرون إلى دينهم بعقيدة راسخة، ولعل أهم سبب في ذلك كان يرجع إلى العوامل السياسية والنفسية والاجتماعية، وكانت الديانة البوذية في المناطق التي كانت في أيدي الحكام البراهمة قد أخذت تضمحل بالتدريج نتيجة للاضطهاد المذهبي الوحشي من جانب البراهمة في الوقت الذي كانت الديانة البرهمية

---

(1) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهند كي تعلقات) لسليمان ندوي ص ٢٣٢ بالأردية

تأخذ طريقها من جديد للوصول إلى مكانتها المذهبية والسياسية القوية السابقة، وأما الأغلبية من البوذيين الذين كانوا يقيمون في المناطق التي يحكمها الحكام العرب قد دخلوا الإسلام كما قلنا حين وجدوا في تعاليمه كل معاني الخير من عدالة اجتماعية وحرية دينية ولا سيما طريقاً للخلاص من مظالم البراهمة[1].

الدعوة الثانيـة إلى الإسلام:

كانت الدعوة الثانية المنظمة الكبيرة إلى الإسـلام، هي دعوة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموي، وإجابة لهذه الدعوة المباركة دخل في الإسلام عدد كبير من الأمراء والحكام في بلاد السند وخارجها، وكان معظمهم من البوذية والأقلية من البرهمية، من بينهم الأمير جيسيه بن داهر ولي عهد بلاد السند وشقيقه الأمير صصه بن داهر، وكان جيسيه في هذا الوقت يحكم منطقة برهمناباد التي خرجت من أيدي العـرب منذ الاضطرابات السياسية التي قامت بعد مقتل القائد محمد بن القاسم بالعراق سنة ٩٦ هـ[2] ولا شك في أن الحاكم إذا دخل الإسلام لا بد أن تتبعه أغلبية شعبه ولا سيما معظم قواده ورجال حكومته، وعلى ذلك دخلت جماعات كبيرة من البرهميـين في الإسلام في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز العادل رحمه الله.

الدعوة الثالثة إلى الإسلام:

كانت الدعوة الثالثة المنظمة الكبيرة من طرف الخليفة المهدي العباسي في سنة ١٥٨ هـ، فبعد توليه الخلافة اهتم بالتبليغ والدعوة للإسلام، فكتب رسائل رقيقة في هذا الموضوع إلى كثير من حكـام وملوك وأمراء العالم وبعث إليهم وفوده من العلماء ليدعوهم إلى الإسلام وكان معظم هؤلاء الحكام من

---

(١) انظر ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٤٣ و ٤٥ بالأردية.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩.

الذين يخضعون لسلطان الخليفة العباسي السياسي، فقد كان من ثمرة هذه الدعوة المقدسة أن دخل في الإسلام خمسة عشر ملكاً وأميراً وكانوا يحكمون مناطق مختلفة من بلاد السند وعلى حدود مع بلاد الهند[1].

وهكذا أخذ الإسلام ينتشر يوماً بعد يوم وتتسع دائرة انتشاره، بفضل تلك الدعوات شبه الرسمية إلى الإسلام والعلاقات الطيبة بين العرب المسلمين وأهالي السند غير المسلمين، وكذلك بسبب صلات القرابة والنسب بين العرب وأهل السند المسلمين في تلك المنطقة من العالم.

وذكر البلاذري أن ملكاً هندياً وهو ملك ولاية عسيفان قد دخل الإسلام، وكانت عسيفان في ذلك الوقت تقع في اقليم البنجاب على الحدود مع بلاد الهند، ولكنها لم تكن تتبع حكومة العرب في الملتان وكان سبب دخوله في الإسلام هو عدم شعوره بالارتياح والاطمئنان في مذهبه[2] وكان في الغالب برهمي المذهب.

وكذلك في عهد الأمير عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري أمير الدولة العربية الهبارية ببلاد السند في سنة ٣٧٠ هـ، طلب منه ملك لمنطقة سندية مجاورة لمدينة المنصورة عاصمة تلك الدولة العربية، أن يبعث إليه بتعاليم الإسلام لرغبته الشديدة في معرفتها، فألف شاعر عربي قصيدة باللغة السندية عن تعاليم الإسلام فأرسلها أمير المنصورة إليه، فأعجب الملك بها كثيراً وطلب حضور الشاعر العالم نفسه الذي ظل معه ثلاث سنوات يفسر له القرآن الكريم كله ثم ترجمه في النهاية إلى اللغة السندية حتى أعلن الملك إسلامه لدى هذا العالم العربي[3] وهناك أمثلة كثيرة عن دخول عظماء بلاد السند والملتان والأمراء والقواد في الدين الإسلامي برغبتهم بعد دراسة دقيقة

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٩.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٦.
(٣) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ٣.

زيادة انتشار الإسلام بسبب عملية المزج بين الأمم:

نلاحظ أن فتح العرب للبلاد الأخرى تسبب في عمليـة مزج واسعة قوية بين العرب الفاتحين والأمم المفتوحة، مزج في الدم ومزج في النظم الاجتماعية ومزج في الآراء العقلية، وكان من أهم أسباب هذا المزج تعاليم الإسلام في الفتح، ودخول كثير من أهل البلاد المفتوحة في الإسلام، والاختلاط بين العرب وغيرهم في السكن والعمل في البلاد.

وتقضي تعاليم الإسلام في الفتح بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم أولاً أن يدعوا أهله إلى دخول الإسلام فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء في الحقوق والواجبات، وإن لم يدخلوا الإسلام دعوهم إلى تسليم بلادهم للمسلمين يحكمونها ويبقون هم على دينهم إذا أرادوا ذلك ويدفعون الجزية للعرب[1] فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، ويكونون في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ومن أجل هذا يسمون «أهل الذمة» وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الدخول تحت حكم المسلمين ولا دفع الجزية أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا وفي أثناء القتال يحل للمسلمين أن يقتلوا المحاربين ومن يعينهم على الحرب، فأما المرأة والطفل والشيخ الفاني والأعمى ونحوهم. فلا يجوز قتلهم في الإسلام، ما لم يكن أحدهم ذا رأي في الحرب يؤلب الكفار على المسلمين، وبعد الحرب يمكن للمسلمين أن يأخذوا الأسرى عبيداً وجواري ثم بعد ذلك لهم الحق في أن يطلقوا سراح الأسرى منا وكرماً أو في مقابل فدية، ويدل على ذلك قوله

(١) يراد بالجزية ضريبة على الرأس، يدفعها غير العرب الوثنيين من نصارى ويهود ومجوس وصابئة وبوذية وبرهمة يدفعها الرجل فقط لا النساء ولا الصبيان ولا من في حكمهم، وقد كانت الجزية المعتادة ديناراً واحداً عن كل شخص في السنة، وإذا لم يدفع الجزية جوزي بالحبس وأما الضريبة على الأرض فتسمى الخراج.

تعالى: ﴿حتى إذا أثخنتموهم في الحرب فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء﴾[1] أما أهل البلد المفتوح غير المحاربين فيدفعون الجزية.

وكان كثير من أهل البلاد المفتوحة يقعون في الأسر في أيدي العرب الفاتحين أثناء الحرب أو القتال ويصبح كثير منهم عبيداً وجواري للعرب، وكان لهؤلاء العبيد والجواري أثر كبير في عملية المزج بينهم وبين العرب من نواح عديدة، وكان العرب يطلقون سراح العبيد والجواري بعد مدة من الزمن ويردون لهم حريتهم إذا دخلوا الإسلام أو أحسنوا الخدمة أو بلغوا درجة من العلم والكمال، وكان للعرب الحق في الاستمتاع بالاماء وإذا ولدت الأمة ولداً من سيدها تسمى «أم ولد» وتبقى في ذمته ولا يحق له أن يبيعها لأحد بل وجب عليه رعايتها طول العمر وإذا مات هو صارت حرة، فالأولاد الذين كانوا يأتون إلى الوجود عن طريق الإماء كانوا كثيرين في العدد وكانوا يتبعون الآباء في الدين وبذلك كان أيضاً يزيد عدد المسلمين وبزيادة عددهم يزداد انتشار الإسلام بين الآخرين بالتأثر الفكري والاجتماعي، وقد انتج هؤلاء الأرقاء والموالي والإماء الذين دخلوا الإسلام، أنتجوا في الجيل الثاني لعهد الفتح عدداً كبيراً من خير المسلمين وكان منهم من حمل لواء العلم والمعرفة في تلك البلاد.

ومن عوامل الامتزاج وإنتشار الإسلام أيضاً دخول شعوب البلاد المفتوحة في الإسلام، فقد دخل الإسلام كثير من أهل البلاد المفتوحة وامتزجوا بالعرب كأنهم منهم بعد الفتح[2] وخدموا الإسلام بإخلاص في تلك المناطق من العالم.

وكذلك الاختلاط في السكنى والعمل يعتبر من عوامل الامتزاج وانتشار

---

(1) هذا في غير عبدة الأوثان من العرب أو المرتدين عن الإسلام، فهؤلاء لا تقبل الجزية منهم بل يخيرون بين الإسلام والقتال فقط.

(2) Havell : The History of Aryan Rule in India, p. 151, London, n.d.

الإسلام، فقد صارت البلاد المفتوحة مسكونة بالفاتحين العرب والمفتوحين من أهل البلاد واشتركوا جميعاً في الحركة الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي تأثر أهل البلاد المفتوحة بأفكار الفاتحين من الناحية المذهبية والفكرية، مما أدى ذلك أيضاً إلى إنتشار الإسلام بين الطبقات المختلفة.

وكان لهذه العوامل التي ذكرناها أثرها في الامتزاج بين العرب وأهل البلاد المفتوحة، وبالإجمال فإن كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجتماعية والفكرية تأثرت تأثراً كبيراً بهذا الامتزاج الذي ساعد كثيراً على إنتشار الإسلام في تلك البلاد الواسعة.

دور المساجد في نشر الإسلام وخدمة العلم:

مما هو جدير بالذكر والتقدير هنا أن محمد بن القاسم الثقفي - رغم صغر سنه وكونه قائداً عسكرياً ورغم ما كان ينتظره من المشاق والجهود والحروب والمخاطر منذ اليوم الأول الذي وضع فيه قدمه على أرض بلاد السند في سنة ٩٢ هـ اهتم بالأمور الدينية والإسلامية اهتماماً عظيماً وفكر في وضع الخطة السليمة لتبليغ الإسلام في تلك البلاد التي تعرف حالياً باسم دولة باكستان، والتي حكمها العرب حكماً إسلامياً حتى سنة ٤١٦ هـ.

ففي أيام الحروب والفتوحات وذلك في خلال ثلاث سنوات متوالية، قبل أن يتفرغ تماماً من فتح كل أجزاء بلاد السند، بل حتى قبل حربه المصيرية مع داهر ملك السند وقبل سقوط العاصمة السندية وقبل الاستيلاء على الأقاليم الشرقية ذات الحصون المنيعة والقلاع العظيمة التي كانت مدججة بآلاف من الجنود وأنواع الأسلحة الخطيرة، وقبل إخضاع المدن الكبيرة التي يحكمها أمراء عظام، فإنه حين بدأ بالفتح في المناطق الغربية لبلاد السند، كان يقيم المساجد في كل مدينة كبيرة يفتحها ويسكّنها عدداً كبيراً من العرب ويعيّن الأئمة والعلماء والقضاة لأداء الشعائر والفرائض الدينية وإدارة الشؤون المذهبية

والتعليمية، فهذا التصرف من جانب ذلك القائد يدل على شيئين مهمين: أولهما هو اعتماده القوي على الله، وإيمانه الكامل بأن الله سينصره في كل خطوة من خطواته ما دام قد أخلص النية لله وفي سبيل الله ولإعلاء كلمة الحق والدين، رغم قلة العدد وقلة العُدد، ورغم المصاعب والمشاكل التي تحيط بـه من كـل جهـة، مثل سوء المنـاخ وقلة المواد الغذائية ومخاطر القبائل السندية كالزط والميد، وثانيهما هو اهتمامه الشديد بالأمور الدينية والسعي للدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة إيماناً منه بأن الدين هو دستور الحياة، لقد اهتم بالأمور الدينية رغم الظروف القاسية وذلك بالعمل على تطبيق تعاليم الإسلام على العرب المقيمين في تلك المناطق ونشر هذه التعاليم بين أهل بلاد السند الذين يرغبون في معرفة حقيقة الإسلام أو الدخول في هذا الدين الحنيف.

ولا شك في أن تلك المساجد بجانب إقامة الصلوات الخمس والشعائر المذهبية وتدريس العلوم الإسلامية فيها، قد جذبت انتباه أهل السند وأوجدت عندهم حب الاستطلاع والمعرفة عن الإسلام، مما أدى ذلـك إلى السعي لدراسة تعاليم الدين الإسلامي وبالتالي أدى إلى قبول الكثيرين منهم للإسلام عن رغبة صادقة وعقيدة راسخة في القلوب على أيدي هؤلاء الأئمة والعلماء والقضاة والقائمين بمهمة التبليغ بجانب أداء واجباتهم الدينية، نحو العرب المسلمين.

فمن المساجد التي بناها محمد بن القاسم في أثناء فتوحاته في المناطق الغربية ببلاد السند قبل حربه المصيرية مع داهر ملك بلاد السند مثل المسجد الذي بناه بمدينة الديبل في سنة ٩٢هـ[١] والمسجد الذي أقامه في مدينة النيرون في سنة ٩٢هـ أيضاً[٢] ثم من المساجد التي شيدها بعد انتهائه من

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧.
(٢) جحنامه ص ١١٧ باللغة الفارسية ـ وتحفة الكرام لشير علي قانع تهتوي جـ٣ ص ١٥.

الحروب وبعد الانتصارات في المدن الواقعة بالمناطق الشرقية لنهر السند وذلك بعد مقتل ملك بلاد السند وسقوط العاصمة السندية، مثل المسجد الجامع الذي اقامه بمدينة أرور العاصمة السندية في سنة ٩٣ هـ وعين إماماً ومؤذناً وبعض العلماء فيه للقيام بالواجبات الدينية والتعليمية، كما عين قاضياً على المدينة وهو القاضي موسى بن يعقوب الثقفي الذي كان من أشهر علماء عصره والذي قام بنشاط كبير في تبليغ الإسلام[1] والمسجد العظيم الذي بناه في مدينة الملتان المعروفة في البنجاب في سنة ٩٤ هـ[2] وآخر مسجد كبير شيده في الأيام الأخيرة من فتوحاته كان في آخر مدينة فتحها في سنة ٩٥ هـ وهي مدينة القنوج التي كان يحكمها الأمير دوهر وقد صارت تلك المدينة عامرة بالعلماء الأجلاء من المسلمين في القرن الرابع الهجري[3].

وهناك قصة طريفة تشير أيضاً إلى شدة اهتمام محمد بن القاسم بأوامر الدين وتأدية الصلوات الخمس مع الجنود، مما كان لها أثر كبير في نفوس أهالي بلاد السند وقبول الطاعة للعرب، فقد حدث أنه بعد فتح سيوستان حضر إليها جاسوس لقوم «جنه» الذين كانوا يسكنون في قرية باقليم سيوستان ودخل معسكر العرب لجمع المعلومات، فحان وقت الصلاة فأذن أحد الجنود بصوت جميل خاشع مؤثر ثم اصطف جميع القواد والجنود في صفوف طويلة منتظمة وراء قائدهم الإمام الشاب الصالح محمد بن القاسم نفسه لتأدية الصلاة كالعادة، فلما رأى الرجل السندي هذه الكيفية دخل في قلبه شعور عجيب ورهبة غريبة فانطلق إلى قومه ليخبرهم بما شاهد وحكى لهم عن شعوره الذي لايجدله تفسيراً واضحاً، فدخلت الهيبة في قلوبهم وقالوا: إذا كان العرب متحدين متمسكين بالدين بهذا الشكل وفي مثل هذا الوقت الخطير فلا يمكن

---

(١) تاريخ معصومي ص ٢٨ باللغة الفارسية.
(٢) حجنامه ص ٢٤١ بالفارسية - كتاب الهند للبيروني ص ٥٢ و٥٦.
(٣) أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ص ٤٧٨ و ٤٨١.

لما التغلب عليهم بأي حال من الأحوال، وبعد المناقشة قرر أهل جته البوذيون ارسال وفد منهم إلى محمد بن القاسم مع الهدايا والتحف وعرضوا الطاعة له، وبملاقاة الوفد حصل شيء أعجب، فقد تأثروا بأخلاق محمد بن القاسم واهتموا بدراسة تعاليم الإسلام السمحة، ثم بعد أيام قلائل أعلنوا إسلامهم لديه وأمروا قومهم بالدخول في الإسلام، وبذلك دخل قوم جته بكاملهم في الدين الإسلامي الحنيف، ويعتبر قوم جته أول جماعة كبيرة من البوذيين دخلوا الإسلام في بلاد السند[1].

وبعد محمد بن القاسم أقام الولاة العرب في العصر الأموي مساجد أخرى كثيرة في المدن المختلفة ولا سيما المدن التي أنشأها العرب أنفسهم، فمن هذه المساجد، المسجد الذي بناه الحكم بن عوانة الكلبي بمدينة المحفوظة التي شيدها في سنة ١١٢ هـ[2] والمسجد الذي أقامه عمرو بن محمد بن القاسم بمدينة المنصورة التي شيدها واتخذها عاصمة جديدة للدولة العربية ببلاد السند في سنة ١٢١هـ[3] ثم قام بتوسيع المسجد فيها بعد موسى بن كعب التميمي الوالي العباسي في سنة ١٣٤ هـ[4].

وفي العصر العباسي الأول أيضاً بنيت مساجد كثيرة في المدن السندية المختلفة، أهمها المسجد الكبير الذي بناه عمران بن موسى البرمكي (٢٢١ - ٢٢٦ هـ)، في مدينة البيضاء التي شيدها هذا الوالي العباسي في منطقة البوذهية[5]، كما زاد في العصر العباسي عدد العلماء العرب بالأضعاف بل

---

(1) تاريخ معصومي ص ٢٢ و ٢٣ بالفارسية - وقد أقام قوم جته بعد دخولهم في الإسلام حفلة التكريم للقائد محمد بن القاسم في منطقتهم وقد سر القائد العربي كثيراً وسماهم قوم (مرزوق) فعرفوا بذلك فيما بعد.

(2) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤٣.

(3) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٨٩.

(4) فتوح البلدان ص ٤٤٣.

(5) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٢٠ - فتوح البلدان ص ٤٤٦.

شهر علماء أجلاء من أهل السند أنفسهم في المنصورة والديبل والملتان بصفة خاصة وفي المدن الأخرى بصفة عامة، وكان لهؤلاء العلماء العرب بالاشتراك مع العلماء السند أثر كبير في إنتشار الإسلام على مساحات كبيرة في هذه البلاد، وتعميم تدريس العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتفسير وكذلك اللغة العربية في مختلف المناطق بين مختلف الطبقات.

وكذلك حين توسع الولاة العباسيون في ميدان الفتح وفتحوا بعض المدن الهندية المجاورة لحدود بلاد السند أقاموا فيها بعض المساجد، وإن لم يستمر حكمهم فيها سوى بضع سنوات في كل مرة ومنها: المساجد التي أقامها الجنيد ابن عبد الرحمن المري والي السند في خارج بلاد السند على الحدود بإقليم الكجرات الشمالية ببلاد الهند حين فتحها سنة ١١٣ هـ تقريباً[١] والمسجد الكبير الذي بناه هشام بن عمرو التغلبي والي بلاد السند بمدينة القندهار (كندهار) بعد فتحه لاقليم الكجرات ببلاد الهند في سنة ١٥١ هـ وكذلك المساجد التي بناها الفضل بن ماهان وولداه في مدينة سندان وما حولها من المدن في سنة ٢١٧ هـ وما بعدها حين أقام هؤلاء الثلاثة دولة مستقلة لهم في تلك المنطقة لفترة قصيرة من الزمن[٢].

وكذلك بنى العرب مساجد أخرى كثيرة في المدن السندية المختلفة أثناء حكمهم الذي استمر إلى سنة ٤١٦ هـ، في بلاد السند، ولا شك في أنه كان لتلك المساجد دور كبير في ميدان التبليغ للإسلام لكونها مراكز دينية إسلامية، كما كان للأئمة والعلماء والقضاة القائمين بمهمة الدعوة إلى الإسلام وبتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، والعمل على نشرها بشتى الطرق خدمة لدين الحق، دين التوحيد، دين العدالة الاجتماعية، دين الإنسانية، حتى إذا ما وصلنا إلى أواخر القرن الرابع الهجري والسنين الأخيرة من حكم العرب ببلاد السند

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٤١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٣١ و٤٤٦.

Scanned by CamScanner

والملتان وجدنا هذه المدن المشهورة وضواحيها إسلامية أو شبه إسلامية، بمعنى أن معظم السكان فيها صاروا من المسلمين ولا سيما في مدينة المنصورة وضواحيها، ومدينة الملتان ونواحيها، وفي المدن الأخرى الكبيرة نحو نصف السكان كانوا من المسلمين العرب والسند، ذلك بفضل هذه المساجد العامرة التي صارت أكبر معاهد للدرس والعلم، كما اشتهرت تلك المدن الكبيرة وخاصة المنصورة والملتان والديبل بجهود علمائها العظام وأصبحت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، لا في بلاد السند والملتان وحدها بل في شبه القارة الهندية كلها، وخرجت من هذه المساجد والمعاهد المئات من العلماء السند الذين شاركوا إخوتهم العلماء العرب في نشر العلوم الإسلامية لا في داخل بلاد السند بل حتى في البلاد العربية ودار الخلافة العباسية نفسها، وقد وصل عدد كبير من هؤلاء العلماء السند إلى مناصب عالية في الدولة بفضل الإسلام.

وهكذا رأينا كيف كان دور العرب التجار والجاليات العربية في نشر الإسلام في السواحل الجنوبية لبلاد الهند منذ فجر الإسلام، ثم كيف كان دور الحكومة العربية في رفع راية الإسلام عالية خفاقة في بلاد السند والبنجاب منذ فتحها سنة ٩٢ هـ إلى سنة ٤١٦ هـ، وكان من نتيجة ذلك أننا نرى اليوم الباكستان دولة إسلامية عظيمة ونرى بنغلاديش أيضاً دولة إسلامية كبيرة كذلك نرى عشرات الملايين من الإخوة المسلمين في بلاد الهند، وبعبارة أخرى نسمع صوت الإسلام عالياً في جميع أنحاء شبه القارة الهندية.

الفصل الثالث

المذاهب الإسلامية ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب

نبدأ الحديث بإعطاء فكرة عامة عن تاريخ نشأة المذاهب الإسلامية الأربعة عند أهل السنة والبنجاب وهي المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، ونذكر انتشار بعضها في بلاد السند والملتان في عهد العرب بعد الفتوحات أي منذ سنة ٩٢ هـ إلى أوائل القرن الخامس الهجري، ثم نشير إلى ظهور المذهب الداودي الظاهري في منتصف القرن الثالث للهجرة وانتشاره في أواخر القرن الرابع الهجري في بلاد السند والأندلس، وبعد ذلك نتحدث عن نشأة الفرق الإسلامية مثل الخوارج والشيعة، وأثرها في الحياة السياسية والمذهبية ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب.

المذاهب الأربعة لأهل السنّة:

المذهب الحنفي: هو المذهب الأول في الظهور بين المذاهب الأربعة عند أهل السنّة، وإمام هذا المذهب هو النعمان بن ثابت المعروف بأبي حنيفة، ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ من أصل فارسي وقيل سندي[1] نشأ بالكوفة وانشغل بالدراسة ثم التدريس حتى تبحر في

(١) انظر مناقب الإمام الأعظم لعلي النادري الهروي جـ ٢ ص ٤٥١ - تذكرة الحفاظ للذهبي جـ١ ص ١٦٨ - قاموس الأعلام للزركلي - الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٢٢ - حياة أبي حنيفة لابن حجر (مخطوط) وكذلك انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين جـ ٢ ص ١٧٧.

العلوم الإسلامية ولا سيما الفقه وصار إماماً فيه، وذاع صيته في العالم الإسلامي وكثر أتباعه في الشام والعراق وبعض البلاد والولايات التابعة لدار الخلافة[1] بما فيها بلاد السند[2].

المذهب المالكي : هو المذهب الثاني في الظهور بين المذاهب الأربعة عند أهل السنّة، وإمام هذا المذهب هو مالك بن أنس، ولد بالمدينة المنورة سنة ٩٣ هـ تقريباً وتوفي بها سنة ١٧٩ هـ، من أصل عربي يمني، نشأ بالمدينة المنورة وانشغل بتحصيل العلوم الإسلامية فيها ثم تدريس الحديث والفقه في المسجد النبوي الشريف نحو خمسين سنة حتى ظهر له أتباع يتبعونه أيضاً في آرائه الفقهية وقد انتشر مذهبه في الحجاز ومصر وتونس والأندلس[3].

المذهب الشافعي : هو المذهب الثالث بين المذاهب الأربعة عند أهل السنّة حسب الترتيب الزمني للظهور، وإمام هذا المذهب هو محمد بن إدريس الشافعي، ولد بغزة وقيل باليمن سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ، عربي الأصل قريشي، ونشأ في مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم في سنة ١٩٥ هـ رحل إلى بغداد ثم في سنة ١٩٩ هـ رحل إلى مصر وأقام فيها ونشر مذهبه في الفقه هناك حتى توفي سنة ٢٠٤ هـ بمصر، وانتشر المذهب الشافعي في مصر والعراق

---

[1] لمعرفة التفصيل عن تاريخ حياة أبي حنيفة وعلمه وآرائه الفقهية وجهاده في سبيل الحق انظر: مناقب أبي حنيفة لابن البزازي جـ ١ ص ٥٥ و ١١١ وجـ ٢ ص ١٧ وجـ ٣ ص ١٣٥ - مناقب أبي حنيفة للمالكي جـ ٢ ص ٢٣ و ٣٤ و٨٢ و ٢١٥ و ٢٦٨ وجـ ٢ ص ٢٦ و ٩١ و١٦٠ - تاريخ بغداد للخطيب جـ ١٣ ص ٢٣٩ و ٣٥٨ و ٣٦٠ و٣٦٨ و ٤٠٢ - الكامل لابن الأثير جـ ٥ سنوات ١٢٢ و ١٢٥ و ١٣٠ هـ كتاب المبسوط جـ ١ ص ١١٠.

[2] أحسن التقاسيم للبشار المقدسي ص ٤٨٠ و٤٨١.

[3] انظر التفصيل عن حياة مالك بن أنس وعلمه وآرائه الفقهية وخدمته للحديث وأخبار نادرة عنه في فتح الباري شرح البخاري جـ ٤ ص ٨٠ وما بعدها - الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٧ - ٢٢ و ١١٧ - وكتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الدهلوي ج - ١ ص ١٤٤ و ١٤٥ - وكتاب ترتيب المدارك (مخطوط) بدار الكتب المصرية من ورقة ١١٢ - ٢١٠.

ثم خراسان وبلاد ما وراء النهر بجانب المذهب الحنفي[١].

المذهب الحنبلي : هو المذهب الرابع في الترتيب الزمني بين المذاهب الأربعة عند أهل السنّة، وإمام هذا المذهب هو أحمد بن محمد بن حنبل، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ ونشأ في بغداد واشتغل مدة بالدرس ثم في سنة ١٨٦هـ، بدأ القيام برحلات علمية إلى البصرة ومكة والمدينة المنورة ومصر وصنعاء وغيرها من البلاد الإسلامية المعروفة وذلك في سبيل طلب العلم والحديث، حتى بلغ أربعين سنة من عمره، فانشغل بالتدريس والتحدث في بغداد والرقة حتى توفي، وأخذ مذهبه ينتشر في بعض البلاد الإسلامية ولم ينتشر في بلاد أخرى لتأخره في الظهور فكان في العراق مذهب أبي حنيفة وأتباعه الكثيرين من كبار العلماء وفي مصر المذهب الشافعي والمالكي، وفي المغرب والأندلس المذهب المالكي، وقيل السبب في عدم إنتشاره في معظم البلاد الإسلامية هو تشدد الحنابلة في بعض الآراء الفقهية[٢].

انتشار المذهب الحنفي في بلاد السند والبنجاب:

يفهم من مطالعة كتاب ججنامه الذي يعتبر أقدم وأهم المراجع في تاريخ بلاد السند والملتان في العصر الأموي، وكذلك من كتب التاريخ العربية مثل فتوح البلدان وتاريخ اليعقوبي وتاريخ الطبري في العصر العباسي، أن العرب الذين كانوا مرافقين لمحمد بن القاسم الثقفي إلى بلاد السند أيام الفتوحات الإسلامية في سنة ٩٢ هـ كانوا يتبعون الكتاب والسنّة ولم تكن مذاهب أهل

---

(١) لمعرفة التفصيل عن حياة الإمام الشافعي وأهم آرائه الفقهية انظر: تاريخ المذاهب الفقهية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٤٥ ـ كتاب الأم جـ٢ ص ٢٤٦ و ٢٤٧.

(٢) لمعرفة التفصيل عن حياة الإمام أحمد بن حنبل انظر: كتاب المناقب لابن الجوزي ص ٧٩ ـ ٣٨٥، كتاب حلية الأولياء جـ١ ص ١٦٥ ـ ١٨٦، أعلام الموقعين جـ١ ص ٢٢ ـ ٧٦، ١١٩ وجـ٢ ص ٣١٣ وما بعدها وكتاب الطرق الحكيمة ص ٢٢٧ ـ ٢٣٩.

السنة قد ظهرت بعد ولم تكن هناك اختلافات فقهية بين العلماء، ثم لما ظهر المذهب الحنفي في الفقه لتوضيح الأحكام الشرعية في أوائل القرن الثاني الهجري وفي العصر العباسي نفسه صار هذا المذهب مذهباً رسمياً في البلاد الإسلامية وفي بلاد السند أيضاً وقد ظل المذهب الحنفي منتشراً في بلاد السند حتى سنة ٣٧٥ هـ، ولا نجد في كتب التاريخ العربية والفارسية والأردية والأوروبية ما يشير إلى غير ذلك، وقد أيد ذلك كبار المؤرخين والجغرافيين العرب الذين زاروا بلاد السند والملتان مثل ابن رسته في سنة ٢٩٠ هـ والمسعودي في سنة ٣٠٣ هـ والاصطخري في سنة ٣٤٠ هـ وابن حوقل في سنة ٣٦٧ هـ[1].

ثم في سنة ٣٧٥ هـ زار البشاري المقدسي بلاد السند وذكر أن المذهب الحنفي منتشر ومعمول به في مدينة المنصورة عاصمة الدولة العربية وفي جميع المدن السندية ولا تخلو هذه المدن من فقهاء معروفين في مذهب أبي حنيفة وليس بها مالكية ولا شافعية ولا حنابلة ولا من أصحاب الكلام كالمعتزلة، وأن أهالي وعلماء هذه المناطق على صلاح وعفة وقد أراحهم الله من الفتنة المذهبية[2] في تلك البلاد.

ظهور المذهب الداودي الظاهري في المنصورة:

ذكر المقدسي أيضاً أن المذهب الداودي الظاهري قد بدأ يظهر في نطاق ضيق في أواخر القرن الرابع الهجري في بلاد السند، وأن القاضي أبا موسى محمد المنصوري داودي المذهب وإمام في مذهبه هناك وله تدريس وتصانيف[3] ويعني ذلك أن المذهب الداودي أيضاً وجد طريقه إلى أهل السند في ذلك العهد ولكنه كان في نطاق ضيق بين بعض العلماء.

---

(1) انظر ججنامه بالفارسية ص ١٢٢ - الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٣٦ وما بعدها - مروج الذهب للمسعودي جـ٣ ص ٣٧٦ - مسالك الممالك للاصطخري ص ٤٠.

(2) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي ص ٤٧٩ - ٤٨١.

(3) المرجع السابق ص ٤٨١.

المذهب الداودي الظاهري هو المذهب الذي يقرر أن المصدر الفقهي هو النصوص، فلا مجال للرأي في حكم من أحكام الشرع، فهذا المذهب ينفي الرأي بأنواعه، فلا يأخذ بالقياس ولا بالاستحسان ولا بالمصالح المرسلة ولا الذرائع، بل يأخذ بالنصوص وحدها، وقد قرر أصحابه أحكاماً كثيرة خالفوا بها الفقهاء من أتباع المذاهب الأربعة لأهل السنّة.

وقد قام عالمان كبيران ببيان هذا المذهب، فالعالم الأول هو داود الأصبهاني (٢٠٢ ـ ٢٧٠ هـ) الذي يعد منشىء هذا المذهب لأنه أول من تكلم به وإليه نسب هذا المذهب، والعالم الثاني هو ابن حزم الأندلسي الذي إن لم يكن له فضل الإنشاء فله فضل التوضيح والبيان والأدلة والبسط الواضح، حتى انتشر المذهب في بعض البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري[1].

ثم في الوقت الذي خبا ضوء ذلك المذهب بالمشرق في القرن الخامس الهجري، كان يشرق نوره ويحيا حياة جديدة قوية في بلاد الأندلس، لا بكثرة الأتباع والأنصار بل بقوة قلم وفصاحة لسان عالم كبير وهو ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) الذي كان يدافع عنه ويقوم بنشره، وقد سجل ابن حزم فقه أهل الظاهر في ديوان ضخم يعد من أعظم المصادر في فقه الحديث وآثار الصحابة، كما سجل أصول الفقه الظاهري في كتاب مستقل[2].

الفصل الرابع

تاريخ نشأة الفرق الإسلامية في بلاد السند والبنجاب

كانت الخلافة أول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين، وتكوّن حولها

---

(١) تاريخ المذاهب الفقهية للشيخ محمد أبو زهرة جـ ٢ ص ٢٧٤.

(٢) انظر فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٥٢ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة جـ ١ ص ٢٥ و٢٦.

أهم الفرق الإسلامية في صدر الإسلام وهي الخوارج والشيعة والمرجئة، ونتحدث هنا باختصار عن نشأة هذه الفرق بصفة عامة، ثم نبحث عن ظهورها وانتشارها في بلاد السند والملتان بصفة خاصة.

توفي الرسول ﷺ ولم يعين من يخلفه ولم يبيّن كيف يكون اختياره، وإنما ترك الأمر شورى بين المسلمين، الذين شعروا منذ اللحظة الأولى بضرورة التفكير فيمن يخلفه، وأسرع الأنصار قبل دفنه إلى عقد اجتماع ليبتوا في الأمر، وأدركهم المهاجرون كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم خشية ألا ينظر الأنصار في الأمر لمصلحتهم، وانقسموا إلى رأيين: فقد رأى الأنصار أن يكون الخليفة منهم وحجتهم أن محمداً عليه الصلاة والسلام بعث في قومه في مكة ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام فلم يؤمن منهم إلا قليل ولم يمنعوا الأذى عنه، فلما هاجر إلى المدينة آمن به الأنصار ونصروه ومنعوا عنه الأذى حتى خضعت له جزيرة العرب كلها، وقد توفي الرسول ﷺ وهو راض عنهم، فهم أولى الناس أن يخلفوه، بينما رأى المهاجرون أن تكون الخلافة فيهم، وحجتهم أنهم أول من آمن به وصبروا على الأذى مع قلة عددهم، وهم قومه وعشيرته وهم من قريش والعرب لا تدين إلا لهم، فهم لذلك أولى بالخلافة، وبعد مناقشة طويلة بين الطرفين اقترح بعض الأنصار رأياً بين الرأيين على أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، ورفض المهاجرون ذلك، ثم تمت البيعة في هذا المجلس لأبي بكر الصديق[1] بهداية من الله وتوفيقه وبذلك نجا المسلمون من فتنة التفرقة وشرها.

ولم يكن علي بن أبي طالب حاضراً في هذا الاجتماع لانشغاله بأخذ العدة لدفن الرسول ﷺ ويقال إنه لما بلغه خبر البيعة لأبي بكر لم يرض عنها أو تأثر لعدم اشتراكه في المناقشة، وهنا تكون رأي ثالث وهو أن تكون الخلافة من بيت النبي، وأقرب الناس إليه عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه علي بن

(1) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٦.

أبي طالب، ولكن العباس لم يكن من السابقين إلى الإسلام، فقد حضر غزوة بدر مع المشركين ولم يسلم إلا آخراً، فأولى الناس من قرابة النبي إذن هو علي ابن أبي طالب وهو أول الناس إسلاماً، وزوج فاطمة بنت النبي ﷺ وجهاده وفضله وعلمه لا ينكر[1].

وظلت النظريات الثلاث تتعارض ووجد في العصور المختلفة من يؤيدها ويدافع عنها، حتى النظرية الأولى وهي نظرية الأنصار، فقد كان قوم يعتنقوها وإن لم يظهروا ظهوراً بيناً في التاريخ[2] أما النظريتان الأخيرتان فكانت الحرب بينهما قائمة، ففي عهد أبي بكر وعمر تمت النظرية القائلة بأولوية علي بن أبي طالب بالخلافة، ولكنها خمدت وساعد على خمودها عدل أبي بكر وعمر ولم يعيروا العصبية القبلية أي إلتفات، كما انشغل الناس بالحرب والفتوحات، فلم يجد الناقمون مجالاً يدخلون منه على الناس لإثارتهم الفتن.

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان، تبرم أنصار علي بن أبي طالب لأن عثمان وهو أموي إستعان بالأمويين فكان أكثر عماله منهم، وكان كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم الأموي الذي هو وأتباعه هدموا كل ما بناه الإسلام من قبل من محاربة العصبية القبلية وبث الشعور بأن العرب أمة واحدة وأن المؤمنين إخوة، وحكموا كأمويين لا كعرب، فجدد ذلك العداوة الجاهلية القديمة بين بني هاشم وبين بني أمية وانتشرت الجمعيات السرية في آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره، وبعض هذه الجمعيات كان يدعو إلى تولية علي بن أبي طالب[3].

وبعد أن قتل عثمان بايع كثير من المسلمين علياً فتحققت بذلك نظرية القائلين بحق علي في الخلافة، وأيده كثير من المسلمين، ولكن خرج بعض

---

(1) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٥٣.
(2) انظر شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة ص ٢ ـ ٦.
(3) انظر تاريخ المذاهب الأربعة جـ ١ ص ٣٢.

الصحابة الكبار مثل طلحة والزبير ومعاوية ضد علي بن أبي طالب، والصقوا تهمة أن له ضلعاً في قتل عثمان، وعلى الأقل فإنه لم ينصره وكان في استطاعته نصرة الناس عنه، وكان من حجة بعضهم أنه يجب عليه أن يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه[1].

هذه خلاصة تاريخية ذكرناها لأن عليها تأسست ثلاث فرق من أكبر الفرق الإسلامية وهي الشيعة والخوارج والمرجئة ويهمنا هنا الفرقتان منها الشيعة والخوارج وانتشارهما في بلاد السند.

تاريخ نشأة الخوارج:

اسم الخوارج جاء من أنهم خرجوا ضد الخليفة علي بن أبي طالب وأصحابه وإن كان منهم من يشتق اسم الخوارج من الخروج في سبيل الله أخذا من قوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ وسموا أيضاً «الشراة» أي الذين باعوا أنفسهم لله من قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ وعلى أي حال يبدو أن تعاليمهم أصلاً كانت تعتمد على نظريات سياسية. فهم إن لم يوضحوا غرضهم الحقيقي فإن مخالفتهم للخلفاء واضحة سياسياً، ولعلهم كانوا يريدون الوصول إلى الخلافة.

ولما كانت (وقعة صفين) بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وطلب معاوية تحكيم كتاب الله واختلف أصحاب علي، أيقبلون هذا التحكيم لأنهم يحاربون لإعلاء كلمة الله أم لا يقبلون لأنها خدعة حربية لجأ إليها معاوية وصحبه لما أحسوا بالهزيمة؟ وبعد تردد قبل علي بن أبي طالب التحكيم وقام معاوية باختيار عمرو بن العاص ليمثله بينما اختار الخليفة علي أبا موسى الأشعري ليمثله، وفي هذا الوقت ظهر قوم من جند الخليفة علي

---

[1] انظر تاريخ المذاهب الأربعة جـ ١ ص ٣٢.

أكثرهم من قبيلة تميم، ورأوا أن التحكيم خطأ، لأنه يتضمن شك كل فريق من المحاربين أيها أحق، وهذا الشك لا يصح لأنهم حاربوا وهم مؤمنون، وأن الحق معهم، وعبر عن ذلك أحدهم بقوله: «لا حكم إلا لله» حتى صار هذا شعاراً لهذه الطائفة وسموا «بالمحكمة» وطلبوا من الخليفة علي أن يقر على نفسه بالخطأ بل الكفر لقبوله التحكيم ويرجع عما أبرم مع معاوية من شروط، وإن فعل قاتلوا معه فرفض الخليفة ذلك، وكان موقفه في منتهى الدقة فكيف يرجع عن إتفاق أمضاه والدين يأمر بالوفاء بالعهود؟ ولو رجع لتفرق عنه أكثر أصحابه، وكيف يقر على نفسه بالكفر ولم يشرك بالله شيئاً منذ آمن؟ فلما يئست هذه الجماعة من رجوع الخليفة علي إلى رأيهم اتخذوا عليهم أميراً اسمه عبد الله بن وهب الراسبي ثم خرجوا إلى قرية قريبة من الكوفة تسمى «حروراء» وسموا حينئذ بالحرورية، وحاربهم الخليفة علي في موقعة النهروان وهزمهم وقتل منهم كثيراً، وزادت هذه الهزيمة من كره الخوارج للخليفة علي حتى دبروا له مكيدة وقتلوه رضي الله عنه[1].

والخوارج كانوا فرعين: فرع بالعراق وما حولها وكان أهم مركزهم «البطائح» بالقرب من البصرة وقد استولوا على كرمان وبلاد فارس وهددوا البصرة واشتهر من رجالهم نافع بن الأزرق، وحاربهم المهلب بن أبي صفرة، وفرع بجزيرة العرب واستولوا على اليمامة وحضر موت واليمن، ومن أشهر أمرائهم فيها أبو طالوت ونجدة بن عامر وأبو فديل.

ولم يتغلب الأمويون على هذين الفرعين إلا بعد حروب طويلة شديدة استمرت طوال عهد الدولة الأموية، وكلما كانت الدولة الأموية تحاربهم وتهزمهم وتضغط عليهم كانوا يخرجون في مجموعات كبيرة إلى البلاد المفتوحة أو

---

(1) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٥٦ - تاريخ المذاهب الفقهية للشيخ محمد أبو زهرة جـ٢ ص ٥٨، وإن الذي قتل علياً كان يسمى عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وقد كان زوجاً لامرأة قتل كثير من أفراد أسرتها في وقعة النهروان.

[illegible] المجاورة قليلة الخطر كبلاد السند، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك عند [illegible] فتح بلاد السند وسنتكلم عن نشاطهم السياسي في تلك البلاد أيضاً فيما بعد.

ثم صاروا خطراً على الدولة العباسية أيضاً، ولكن ضعفت قوتهم عما [illegible] عليها من قبل لأن الخوارج لم يكونوا متحدين، فسرعان ما كانوا يختلفون [illegible] القبلية البدوية وينضمون تحت ألوية مختلفة يضرب بعضها بعضاً، ولو اتحدوا لكانوا قوة في منتهى الخطورة، ثم استطاعت الدولة العباسية أن [illegible] عليهم بالتدريج(1).

وقد اتفق الخوارج على نظريتين وهما نظرية الخلافة ونظرية أن العمل جزء من الإيمان، وتفرقوا إلى فرق بلغت في العدد نحو عشرين فرقة وكل منها تخالف الأخرى في بعض تعاليمها.

الخوارج في بلاد السند والبنجاب:

لا نجد في كتب التاريخ ما يشير إلى وجود نشاط كبير للخوارج ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب أو قبله، مع أن الخوارج كانوا قد استولوا أو سيطروا على بعض الأقاليم والولايات العربية والإسلامية التابعة للخلافة الأموية، حتى صارت لهم قوة عسكرية وسياسية جبارة تهز كيان الدولة الأموية إلا أن العباسيين استطاعوا أن يقضوا عليهم بالتدريج لمعرفتهم بأسرارهم العسكرية والسياسية السابقة حين كان العباسيون يعملون معهم في بعض المناطق ضد الدولة الأموية.

ففي العصر الأموي لا توجد رواية واضحة تؤكد وجود نشاط الخوارج في بلاد السند، ولكن يفهم من بعض الإشارات التاريخية الغامضة المتفرقة، أن

---

(1) ظهر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٥٦ وما بعدها.

بعض الخوارج الذين كانوا يفرون من البلاد العربية وغيرها يأتون إلى بلاد السند ويتخذونها ملجأ لهم، ولم نفهم متى كان قدوم الخوارج إلى بلاد السند لأول مرة في التاريخ، إلا أن أول رواية نجدها تقول بأن جماعة من العرب يقال لهم «العلافيون» قد أتوا هاربين بعد أن قتل أحد القواد الكبار وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي بعد خروجه ضد الحجاج والدولة الأموية في حوالي سنة ٧٥ هـ، وكان جماعة العلافين بقيادة زعيمهم محمد بن الحارث العلافي وشقيقه معاوية اللذين كانا من القواد المساعدين لعبد الرحمن ابن الأشعث، وكان عدد العلافيين خمسمائة فارس مقاتل وقد لجأوا إلى حماية الملك داهر ملك بلاد السند الذي رحب بهم وأكرمهم[١] حتى يتخذ منهم قوة لمحاربة العرب في إقليم مكران ببلاد السند للقضاء على حكمهم في تلك الولاية الصغيرة التي ظلت تابعة للأمويين منذ عهد الخليفة معاوية الأموي وكان حكام بلاد السند يحاربون الولاة العرب بها نحو نصف قرن من الزمن.

ويمكن لنا القول بأن العلافيين كانوا ينتمون إلى الخوارج أو صاروا من المؤيدين لهم فيما بعد لأسباب سياسية، ولذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق يحاول القضاء عليهم بأية وسيلة لخطورتهم، وإذا صح ما فرضناه فيعتبر هؤلاء العلافيون أول جماعة من الخوارج في بلاد السند، ولم يمض وقت قصير على قدومهم إلى تلك البلاد حتى قاموا بالفتن السياسية ضد الولاة الأمويين في إقليم مكران ببلاد السند للقضاء على الولاية العربية الأموية فيه بتأييد عسكري كامل من جانب الملك داهر السندي.

ففي سنة ٧٥ هـ تقريباً كان الوالي على مكران هو سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي من طرف الحجاج الذي أمره بمحاربة العلافيين المتمردين ضد

---

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذري جـ٣ ص ٥٣٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ٣٠٨ ـ ججنامه بالفارسية ص ٦٩ و٧١.

الدولة الأموية[1] وظل يترقب حركات العلافيين ويحاول القضاء عليهم وهم بدورهم كانوا يقومون بالفتن والاضطرابات بتأليب القبائل السندية ضد العرب، وقد مرت سنين عديدة حتى دعا سعيد بن أسلم رجلاً من العلافيين في مكران يسمى سفهوي بن لام الحمامي الأزدي وطلب منه العمل معه ومساعدته للقضاء على العلافيين، فرفض الرجل ذلك العرض قائلاً بأن العمل معه عار عليه لأنه أموي، فغضب الوالي سعيد عليه وقتله وأرسل رأسه إلى الحجاج، فاجتمع العلافيون في مكران بقيادة محمد بن الحارث العلافي ومعاوية العلافي وعبد الله عبد الرحيم العلافي وكليب بن خلف المغني، وقرروا الانتقام من الوالي سعيد لقتله سفهوياً الذي كان من بلدهم عمان ومن رجالهم العاملين، وانتهزوا فرصة عودة سعيد من منطقة القيقان مع فرقة صغيرة من الجيش في طريقه إلى مقر عمله في إقليم مكران، فخرجوا عليه في الطريق وتقاتلوا معه حتى قتلوه بل استولوا أيضاً على الحكم في مكران[2].

وظل العلافيون يحكمون منطقة مكران ببلاد السند بضع سنوات حتى تولى حكم ولاية مكران مجاعة بن سعد التميمي الذي زحف بجيشه من العراق بأمر الحجاج في سنة ٨٥ هـ تقريباً، ولما سمع العلافيون أن الحجاج قد قرر القضاء عليهم هربوا إلى داخل بلاد السند والتجأوا عند داهر ملك السند، ثم تولى حكم مكران محمد بن هارون التمري في سنة ٨٦ هـ وحارب العلافيين وقبض على أحد زعمائهم وقتله وأرسل رأسه إلى الحجاج بالعراق[3].

وهكذا نرى العلافيين كانوا قد انتشروا في بعض المناطق من بلاد السند

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ - فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ٢٣ و ٣٦ - تاريخ بن خلدون جـ ٢ ص ٤٢.

(2) حجنامه بالفارسية ص ٨٦.

(3) المرجع السابق ص ٨٨.

وكانوا يقومون أحياناً بالغش هناك، وكان الولاة الأمويون في مكران قبيل الفتح العربي يحاولون القضاء على قوتهم بأية وسيلة، وبعدما قويت شوكة العرب في مكران قبيل الفتح العربي لبلاد السند، انزعج العلافيون وبقوا صامتين داخل بلاد السند في حماية داهر الملك السندي فترة من الزمن لجمع قواهم وتنظيم أمورهم.

ويبدو أن هؤلاء العلافيين الخوارج كانوا قوة عسكرية فعالة رغم قلة عددهم فقد استطاعوا بمهاراتهم الحربية أن ينصروا الملك داهر السندي في معركة عظيمة في سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) تقريباً حين قام حاكم مقاطعة كبيرة ببلاد السند يسمى الأمير رمل بهجوم خاطف عنيف على بعض المدن والولايات الواقعة حول العاصمة واستولى عليها وحاصر العاصمة نفسها وفزع الملك داهر فزعاً شديداً ولم يكد يصدق ما حدث، فنصحه وزيره برهمين أن يطلب المساعدة من محمد بن الحارث العلافي لأن العرب قد اشتهروا في فنون الحرب، فأشار العلافي أن يقف الملك بجيشه على بعد ميل من معسكر العدو، وعلمهم طريقة حفر الخنادق وأن ينتظروه هناك حتى إذا اشتدت المعركة اشترك فيها، بينما كوّن العلافي جيشاً من رجاله العرب الفرسان والبالغ عددهم خمسمائة، وأخذ أيضاً فرقة من الجيش السندي وعليها بعض قواد الملك، وتوجه بالليل نحو معسكر العدو وفاجأهم العلافي بهجوم ليلي في الظلام الدامس، وكانوا نياماً في غفلة تامة، فحاصرهم واستولى على كثير من خيولهم وأسلحتهم ثم قام بحملة شديدة عليهم من كل ناحية فأدخل الرعب في قلوبهم، وقاتلهم قتالاً عنيفاً وأخذ منهم خمسين ألفاً في الأسر فاضطر الأمير رمل على قبول الصلح والانسحاب إلى الخلف بعد الهزيمة المنكرة[1] وبهذا الانتصار رد هؤلاء العلافيون إلى الملك السندي جميلاً على رعايته لهم.

ثم نجد هؤلاء العلافيين الخوارج في أيام الفتوحات العربية قد انضموا

---

(١) انظر ججنامه بالفارسية ص ٦٩ ـ ٧١.

مرة أخرى تحت لواء داهر ملك بلاد السند في فرقة مستقلة في الجيش السندي وكان محمد بن الحارث العلافي بمثابة قائد من كبار قواد الملك وأحد كبار مستشاريه العسكريين طوال تلك السنوات الطويلة، وقد حارب العلافيون محمد بن القاسم في سنة ٩٢ هـ في معركة راور التي قتل فيها الملك داهر، وانهزم محمد العلافي الذي انضم بعد ذلك لأمير جيسيه ولي العهد في أرور العاصمة، ثم في اقليم برهمناباد وبعد الهزيمة لجا العلافيون إلى بلاد كشمير واكرمهم ملكها، وقد توفي محمد العلافي هناك بعد سنوات وبقي نسل العرب في تلك المنطقة إلى قرون عديدة حتى امتزج بالنسل العلافيين الكشميري[1].

وبعد ذلك لم نسمع عن أخبار الخوارج العلافيين مدة من الزمن حتى كانت سنة ١٢٧ هـ التي تولى فيها الخلافة مروان بن محمد بن مروان وهو آخر الخلفاء الأمويين، وقد استمر حكمه بين الفتن السياسية حتى سنة ١٣٢ هـ التي زلت فيها الدولة الأموية[2] ففي سنة ١٢٨ هـ اشتدت فتنة الخوارج أيضاً ضده وبويع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في الكوفة، وكان منصور بن جهور الكلبي من القواد المؤيدين المساعدين له وكان يعمل مع الخوارج أيضاً في السر في بعض المواقع ضد بعض الخلفاء الأمويين ولما انهزم عبد الله بن معاوية وأسر وقتل هرب منصور بن جمهور الكلبي إلى بلاد السند[3].

وكان في هذا الوقت يزيد بن عرار الكلبي والياً أموياً على بلاد السند يقيم في المنصورة العاصمة وكان منصور بن جهور الكلبي هو الذي عينه على هذا المنصب في سنة ١٢٥ هـ حين كان منصور والياً على العراق، وكانت صلة

---

(1) جنامه بالفارسية ص ٦٩ - ٧١.
(2) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٩٠.
(3) تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ١٦٥.

القرابة تربط بينهما، ولما وصل منصور إلى بلاد السند حاربه يزيد بن عرار ووقع القتال بينهما في نهر السند في معركة بحرية وانتهى بهزيمة والي بلاد السند الذي وقع أسيراً في يد منصور المتعطش للانتقام منه على غدره معه فأمر أن يبني عليه اسطوانة وهو حي اي يدفن بين الجدران حياً، ثم استولى منصور بن جمهور الكلبي الخارجي على حكم بلاد السند،وأقام في المنصورة وظل يحكم البلاد لمدة ست سنوات حكماً مستقلاً وتعتبر حكومته هي الحكومة الثانية المؤقتة للخوارج ببلاد السند، حتى قتل سنة ١٣٤ هـ في بداية العصر العباسي على يد موسى بن كعب التميمي وهو الوالي العباسي الأول على بلاد السند[1].

وكان كثير من زعماء الخوارج يلجأون إلى بلاد السند حين كان يضيق بهم كل مكان من نفوذ الأمويين، فنذكر مثلاً أن أحد زعماء الخوارج الذين كانت لهم أدوار خطيرة ضد الدولة الأموية، قد لجأ عند منصور بن جمهور الكلبي بعد فتنة الخوارج بالشام سنة ١٢٩ هـ تقريباً وكان يسمى رفاعة بن ثابت الخارجي، وقد فرح به منصور حاكم بلاد السند ورحب كل الترحيب واتخذه قائداً كبيراً في جيشه ثم عينه نائباً لأخيه منظور بن جمهور في حكم المناطق الغربية ببلاد السند في الوقت الذي كان يحكم هو المناطق الشرقية، ثم حدث أن توجه منصور إلى إقليم الملتان لمحاولة توحيد الحكومتين العربيتين في دولة عربية واحدة برئاسته، وبينما كان في الملتان قام رفاعة بن ثابت الخارجي بإنقلاب ضد الحكم القائم بالمنصورة وهزم منظوراً وسمع بذلك منصور الذي عدل عن رأيه في فكرة الوحدة وعاد بسرعة إلى المنصورة وانتصر عليه في معركة دامية وأسره وقرر أن يعاقبه بأشد أنواع العقوبة فأمر أن يبنى له أسطوانة مجوفة من آجر وأدخله فيها ثم سمره إليها وبني عليه وهو حي[2]

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٤٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٢ ص ١٨٩٥ وقد ذكره الطبري ضمن حوادث سنة ١٢٧هـ.

وهكذا كان منصور بن جمهور الكلبي رجلاً قاسياً كالخوارج في تعذيبهم للخصوم والأعداء.

في سنة ١٢٧ هـ دعا أهل العراق الأمير سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى الخلافة وخلع مروان بن محمد بن مروان، وقد أيده الخوارج أيضاً في هذه الفكرة لمجرد عداوتهم للخلفاء الأمويين، ولكن الهدف الحقيقي كان إضعاف الأمويين للقضـاء عليهم مثلمـا قضوا على الأغلبية الغالبة من الخوارج في كل مكان، وفي سنة ١٢٩ هـ لما قتل الضحاك بن قيس الشيباني رئيس الخوارج، ولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري رئيساً وبايعوه وقاتلهم الخليفة مروان بن محمد بن مروان، وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك أيضاً انضم إلى الخوارج في معسكرهم، وقد أشار عليهم بالسير إلى الموصل وهناك عسكروا في شرقي دجلة وكان عددهم أربعين ألفاً، وعسكر الخليفة مروان بن محمد أيضاً في خنادق بإزائهم، ثم اقتتلوا تسعة أشهر ووقع بعض كبار الخوارج أسرى في أيدي جيش الخليفة من بينهم أمية بن معاوية بن هشام، فلما أتوا به إلى الخليفة قال له أمية، أنشدك الله والرحم يا عم، فقال الخليفة: «ما بيني وبينك اليوم من رحم» فأمر حتى قطعت يداه وضربت عنقه، ثم لما انهزم الخوارج بالكوفة خاف شيبان بن عبد العزيز اليشكري رئيس الخوارج في الموصل، فأشار الأمير سليمان بن هشام عليهم بالارتحال إلى الأهواز وفارس، ولما ردهم جيش الخليفة من هناك أيضاً، هرب شيبان الخارجي مع فرقته إلى البحرين حتى قتل فيها سنة ١٣٢ هـ وعندئذ خاف سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي نفسه وركب السفن مع أهله ومواليه متجهين إلى بلاد السند[1] ولكن التاريخ بعد ذلك يسكت عن مصير سليمان ابن هشام في بلاد السند في الوقت الذي كانت الدولة الأموية قد سقطت أيضاً

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٢ ص ١٩٤٢ حوادث سنة ١٢٩ هـ.

لتقوم مكانها الدولة العباسية، وفي الغالب إن العباسيين قضوا عليه في هذه الفترة بين الأمراء الأمويين الذين قضي عليهم في مشارق الأرض ومغاربها ولو كانوا لا يحملون السلاح إلا في بلاد الأندلس.

وفي العصر العباسي، يبدو أن الخوارج كانوا قد ضعفوا كثيراً بعد معارك دامية متواصلة في البلاد الإسلامية مع الدولة الأموية، ثم إن العباسيين استطاعوا أن يقضوا على بقية مراكزهم العسكرية بسهولة وبسرعة ذلك أن الخوارج كانوا يعملون مع العباسيين أيضاً في كثير من المعسكرات المشتركة ضد الدولة الأموية، ولذلك كانت أسرار الخوارج ومقدار قوتهم ومراكزهم الهامة معروفة عند العباسيين.

فبالرغم من أن نفوذ الخوارج كان قد أخذ يضعف شيئاً فشيئاً وتنقرض بعض فرقها في كثير من الولايات الإسلامية في العصر العباسي، إلا أن بعض الخوارج كانوا لا يزالون يواصلون جهودهم في سبيل تعاليمهم وتحقيق أغراضهم الخاصة، وكان بعض الخوارج من أهل عمان يأتون إلى بلاد السند لكونها بعيدة عن نفوذ العباسيين،وكانوا يحاولون تكوين القوة لهم والدعوة ضد الدولة العباسية والعمل مع المخالفين من الخوارج في هذه البلاد النائية.

ففي سنة ١٤٢ هـ مثلاً قدم حسان بن مجاهد الهمذاني الخارجي من الرقة إلى بلاد السند عن طريق البحر،وقام بجولة واسعة في أنحاء البلاد أملاً منه في أن يجد مؤيدين لدعوته،وأن يكوّن جيشاً قوياً ثم يتخذ منطقة كبيرة مركزاً له لمحاربة الدولة العباسية، ولكن الوالي العباسي عمر بن حفص لم يعط له فرصة لتحقيق مهمته ببلاد السند، فاضطر حسان الخارجي للعودة إلى الموصل[١] وبعد ذلك لا نجد في كتب التاريخ ذكراً للخوارج في بلاد السند.

---

(١) تاريخ السند بالأردية ص ١٥٢.

تاريخ نشأة الشيعة:

ظهر الشيعة منذ صدر الإسلام في التاريخ، وقد نشأت حركتهم عن مسألة الإمامة أو الخلافة.

والشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وأهل بيته، ووالوهم وقالوا إن علياً هو الإمام بعد الرسول ﷺ، وأن الخلافة من حقه لوصية من الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعده لأبنائه وحجتهم في ذلك قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه».

ويعتبر المذهب الشيعي من أقدم المذاهب الإسلامية، وقد كان مبدأ ظهوره بوضوح على مسرح السياسة في آخر عهد عثمان رضي الله عنه، وإن كان بعض المؤرخين يذهبون إلى أن حركتهم بدأت عند إنتخاب الخليفة الأول بعد وفاة الرسول ﷺ، وتطور في عهد علي ثم جاء عصر بني أمية وفيه وقعت مظالم على العلويين فجلبت المحبة إليهم، ورأى الناس في علي وذريته شهداء هذا الظلم الأموي فاتسع نطاق المذهب الشيعي وكثر أنصاره[١].

ويرى الشيعة من قوام مذهبهم، أن الإمامة ليست من صالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي ﷺ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر، والصغائر، وأن علياً هو الذي عينه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليكون إماماً من بعده[٢].

ثم تفرق الشيعة إلى فرق عدة لسببين: السبب الأول هو اختلافهم في المبادىء والتعاليم، فمنهم من تغالى في تشيعه وألقى على أئمة الشيعة نوعاً من

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد ابو زهرة جـ١ ص٣٦ ـ فجر الإسلام لاحمد امين ص ٢٥٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٨.

التقديس ورمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر، ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد بأحقية الأئمة في الإمامة وخطأ من خالفهم، والسبب الثاني: هو اختلافهم في تعيين الأئمة، فقد اتفق الجميع على إمامة علي فالحسن فالحسين ثم لما قتل الحسين اختلف الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين، وانقسموا إلى فريقين كبيرين: الفريق الأول يرى أن الخلافة بعد الحسين انتقلت إلى أخيه من أبيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية فبايعوه والفريق الثاني: يرى حصر الإمامة في ذرية علي من بنته فاطمة، وقد أصبحت حقاً لأولاد الحسين بعد مقتل الحسين لأنه أكبر إخوته[1] وبعد ذلك انقسم الشيعة إلى فرق كثيرة وأهمها الزيدية الذين اعتدلوا في تشيعهم ثم الإمامية الذين تغالوا في تشيعهم.

وقد حارب الشيعة ضد الدولة الأموية كما أشرنا سابقاً وكان العباسيون أشد الناس تنكيلاً بالشيعة لأنهم كانوا أعرف الناس بمراكزهم لما كانوا يعملون معهم ضد الدولة الأموية حتى أسقطوها ولكن العباسيين لم ينجحوا في القضاء على الشيعة.

إبتداء الشيعة ببلاد السند والبنجاب:

قبل سنة ١٤٥ هـ بقليل كان محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي قد ظهر بالعراق يدعو لنفسه بالخلافة وكان عمر بن حفص العتكي فيمن بايعه من قواد الخليفة المنصور العباسي وكان يتشيع سراً قبل قدومه والياً إلى بلاد السند.

وفي سنة ١٤٥ هـ كان عمر بن حفص العتكي ببلاد السند، بعث محمد العلوي ابنه عبد الله الأشتر مع جماعة من أنصاره إلى البصرة لشراء خيول جيدة والتوجه بها إلى بلاد السند بحراً على أنهم تجار الخيل، وكان الغرض من قدومهم إلى بلاد السند هو القيام بالدعوة للشيعة في بلاد السند[2].

---

(١) التفسير والمفسرون للسيوطي جـ ٢ ص ٣ ـ ٦.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٠ و ٣١.

ولما وصلوا إلى مدينة المنصورة عاصمة بلاد السند أكرمهم واليها عمر بن حفص العتكي على أنهم من تجار العرب وأخبره أحدهم بالحقيقة، فقدما أهله وأصحابه وخواصه وقرروا يوماً للمبايعة ولما كان اليوم المحدد وصل خبر مقتل محمد العلوي، وخاف ابنه عبد الله الأشتر على نفسه وقال له: «إن أمري قد ظهر ودمي في عنقك» فبعث به عمر بن حفص العتكي إلى ملك سندي كان يحكم منطقة مجاورة وكان معروفاً بتعظيمه لذرية الرسول ﷺ، فقام بتكريمه من كل ناحية، ثم اجتمع حوله نحو أربعمائة شخص من علماء الزيدية الذين أتوا إليه من مختلف البلاد، وكان عبد الله الأشتر يخرج معهم للصيد في هيئة الملوك، ولما وصل الخبر إلى الخليفة المنصور غضب وعزل عمر بن حفص عن ولاية بلاد السند ونقله إلى إفريقيا في سنة ١٤٥ هـ[١].

وتولى حكم بلاد السند هشام بن عمرو التغلبي في هذه السنة ولكنه كره أن يقبض على عبد الله الأشتر وتظاهر بأنه يكاتب ذلك الملك السندي بشأن تسليمه، ووصلت الأخبار إلى الخليفة المنصور فحثه على القضاء على عبد الله الأشتر، وبينما ظل هشام يتغافل حتى ظهرت اضطرابات في منطقة مجاورة للمنصورة فوجه هشام أخاه سفنجا بجيش، وكان طريقه بجوار مملكة ذلك الملك السندي وبينما كان يسير في تلك المنطقة رأى غبرة قد ارتفعت فظن أنها مقدمة العدو ثم علم أن عبد الله الأشتر يتنزه على شاطىء نهر السند مع أصحابه، فقاتلهم وقتل عبد الله وأصحابه العشرة رغم أن البعض نصحوه بعدم إراقة دمه لأنه من ذرية الرسول ﷺ وقد تركه أخوه متعمداً مخافة أن يبوء بدمه، وسقط عبد الله شهيداً لم يشعر به أحد وقيل إن أصحابه رموه في نهر السند حتى لا تحمل رأسه إلى الخليفة المنصور وكان ذلك في سنة ١٥٠ هـ[٢].

---

(١) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ١٩٨ ويبدو من القياس أنه كان ملك مدينة أرور القديمة.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٣١.

ثم كتب هشام بن عمرو التغلبي إلى الخليفة المنصور بمقتل عبد الله الأشتر، فكتب الخليفة إليه يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك السندي الذي حما عبد الله الأشتر فحاربه هشام حتى قتله واستولى على مملكته الصغيرة، وكان عبد الله الأشتر قد تزوج واحدة من نساء السند فأولدها ولداً يسمى محمد بن عبد الله الأشتر الذي يقال له ابن الأشتر فأرسله هشام التغلبي إلى الخليفة الذي أرسله بدوره إلى واليه بالمدينة المنورة وأمره بتسليمه إلى أهله مع رسالة بصحة نسبه وذلك في سنة ١٥١ هـ [(١)] .

ونفهم من هذه الواقعة أن قدوم عبد الله الأشتر إلى بلاد السند في سنة ١٤٥ هـ يعتبر بداية الحركة للشيعة هناك، وبعد مقتله انتشر أصحابه وأتباعه البالغ عددهم أربعمائة من علماء الزيدية في مختلف المناطق ببلاد السند وكانوا يعملون على نشر دعوتهم بين سكان تلك البلاد.

ومر نحو أكثر من قرن حتى ظهر عبيد الله المهدي بالدعوة للخلافة ببلاد الشام واشتهر أمره وقويت سلطته الروحية والسياسية والمادية، وقد بعث أحد دعاته إلى بلاد السند في سنة ٢٧٠ هـ وكان هذا الداعي هو أول داع للشيعة في بلاد السند.

وكان مركز الشيعة في ذلك الوقت (سلمية) بالشام وكانت الأوامر تصدر إلى الدعاة من هذا المكان، ثم بعد أن استولى عبيد الله المهدي على إفريقيا صارت مدينة قيروان مركزاً لدعوته، حتى بنى مدينة المهدية التي صارت عاصمة للدولة الفاطمية، وكان دعاة الشيعة يأتون إلى بلاد السند والملتان ويعودون بعد أداء مهمتهم في الدعوة إلى المذهب الشيعي [(٢)] .

---

(١) انظر تاريخ السند بالأردية ص ٢٠٠ و٢٠١ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠١ .

وحين نجح الشيعة في تكوين دولة لهم في شمال افريقيا، بدأوا يفكرون في تحويل الخلافة إليهم، وللوصول إلى هدفهم هذا سلكوا طريقين: الأول هو توسيع الحدود وذلك باستخدام القوة للاستيلاء على البلاد العربية والإسلامية المجاورة بالتدريج، والثاني هو القيام بالدعوة لمذهبهم في الولايات التابعة للخلافة العباسية مثل ايران وتركستان والسند وغيرها، والدليل على استخدامهم للقوة هو فتح مصر وجعلها عاصمة للدولة الفاطمية، وأما الدعوة للمذهب فتعتبر أهم وسيلة للنجاح بالاتصال بالحكام والأمراء والأعيان في البلاد المختلفة بواسطة الدعاة ومحاولة إقناعهم لقبول المذهب الشيعي والسعي للحصول على تأييدهم، كما حدث ذلك مع بعض الأمراء السامانيين مثل نصر ابن أحمد الساماني وغيره[1].

ويبدو أن الشيعة لم ينجحوا في الدعوة لمذهبهم في المنصورة ببلاد السند لسنوات طويلة بسبب وجود العلماء والقواد من أهل السنّة المخالفين لآراء الشيعة فوجه الشيعة اهتمامهم إلى مناطق أخرى أهمها اقليم الملتان، فبعد زيارة الداعي الشيعي الأول سنة ٢٧٠ هـ ظل الشيعة في الملتان يبذلون الجهود نحو قرن من الزمن، حتى استطاعوا أن يكونوا قوة كبيرة هناك[2] في الوقت الذي وصلت فيه الدولة الفاطمية في مصر إلى أوج قوتها واتسعت رقعتها وزاد نفوذها في كثير من البلاد والولايات العربية والإسلامية.

وفي سنة ٣٥٣ هـ أرسل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي بمصر داعياً باسم جلم بن شيبان الذي استمر في الانتقال بين مصر والملتان لمدة ١٨ عاماً وهو يعمل لنشر دعوة الشيعة حتى كانت سنة ٣٧٥ هـ فأمره الخليفة الفاطمي الثاني في مصر العزيز بالله أن يجهز جيشاً كبيراً ويتجه به إلى الملتان للاستيلاء على الحكم، وسلك جلم بن شيبان طريق خراسان التي كان للشيعة

---

(1) Islamic Culture, Hyderabad, India, XXIII, 1949 P. 293.

(2) انظر التفصيل في ملت إسلامية بالأردية للدكتور اشتياق قريشي ص ٤٨ - ٥٣.

فيها أتباع كثيرون، ويبدو أنه لما اقترب من الملتان قام أهلها من الشيعة بالاضطرابات في الداخل في حين قام هو بهجوم شديد من الخارج مما أدى ذلك إلى سقوط الدولة العربية السنية بسهولة في الملتان باقليم البنجاب[1].

وبذلك تولى جلم بن شيبان حكم الملتان سنة ٣٧٥ هـ وأسس الدولة الشيعية وكان أول حاكم شيعي في الملتان، وضرب السك باسم الخليفة الفاطمي كما امر بأن يخطب في المساجد باسمه ويدعى له[2].

وفي سنة ٣٩٦ هـ قام السلطان محمود الغزنوي بالحملة على الملتان وحاصر قلعتها[3] وكان حاكم الملتان في هذا الوقت أبو الفتوح داود بن نصر بن حميد الشيعي، وأراد السلطان محمود أن يقضي على نفوذ الفاطميين في هذه البلاد، وخاف داود وطلب الصلح على دفع الجزية السنوية، ولكنه خالف عهده فعاد إليه السلطان محمود وقضى على دولة الشيعة في الملتان سنة ٤٠٢ هـ وأخذ داود نفسه أسيراً معه إلى غزنة حيث مات في السجن هناك، وبذلك زالت الدولة الشيعية وقامت محلها الدولة السنية وكانت تابعة للدولة الغزنوية[4].

وأما المنصورة عاصمة بلاد السند فكانت حتى سنة ٤٠٢ هـ لا تزال في أيدي الحكام السنيين من العرب وهم من الأسرة الهبارية، ولكن يبدو أن الشيعة الذين طردوا من الملتان بعد استيلاء السلطان محمود الغزنوي عليها في سنة ٤٠٢ هـ، قد جمعوا قواتهم المشتتة وتوجهوا نحو المنصورة ونجحوا في الاستيلاء على الحكم هناك.

وفي سنة ٤١٦ هـ قام السلطان محمود الغزنوي بحملة على بلاد السند وقضى على الحكومة الشيعية في المنصورة وقامت محلها دولة سنية أيضاً تابعة

---

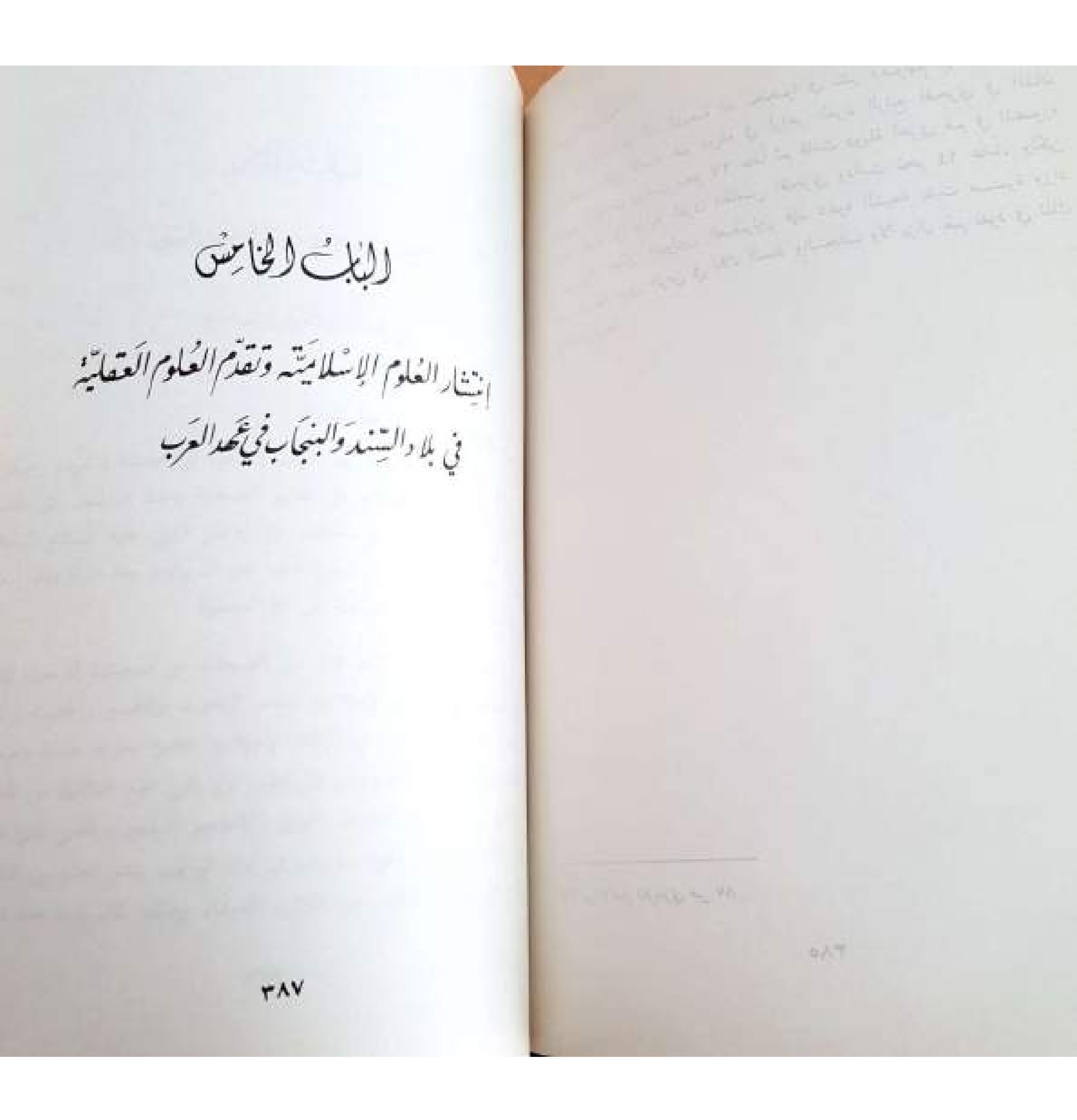
(١) طبقات ناصري بالفارسية ص ٨ ـ تاريخ السند لأبي ظفر ندوي ص ٢٥٦.
(٢) كتاب الهند للبيروني ص ٥٢ و٥٦.
(٣) زين الأخبار لكرديزي ص ٨٧.
(٤) تاريخ فرشته بالفارسية جـ ١ ص ٢٤.

للدولة الغزنوية(1).

وهكذا نرى أن الشيعة قد نجحوا في نشر دعوتهم في بلاد السند والبنجاب حتى قامت لهم دويلة في أواخر القرن الرابع الهجري في الملتان بإقليم البنجاب ودامت نحو ٢٧ عاماً ثم قامت دويلة أخرى لهم في المنصورة ببلاد السند في بداية القرن الخامس الهجري ودامت نحو ١٤ عاماً، ولكن رغم زوال هاتين الدولتين الصغيرتين فإن دعوة الشيعة بقيت مستمرة وزاد عدد الشيعة بمرور الزمن في بلاد السند والبنجاب ولا يزال لهم نفوذ في تلك البلاد الواسعة.

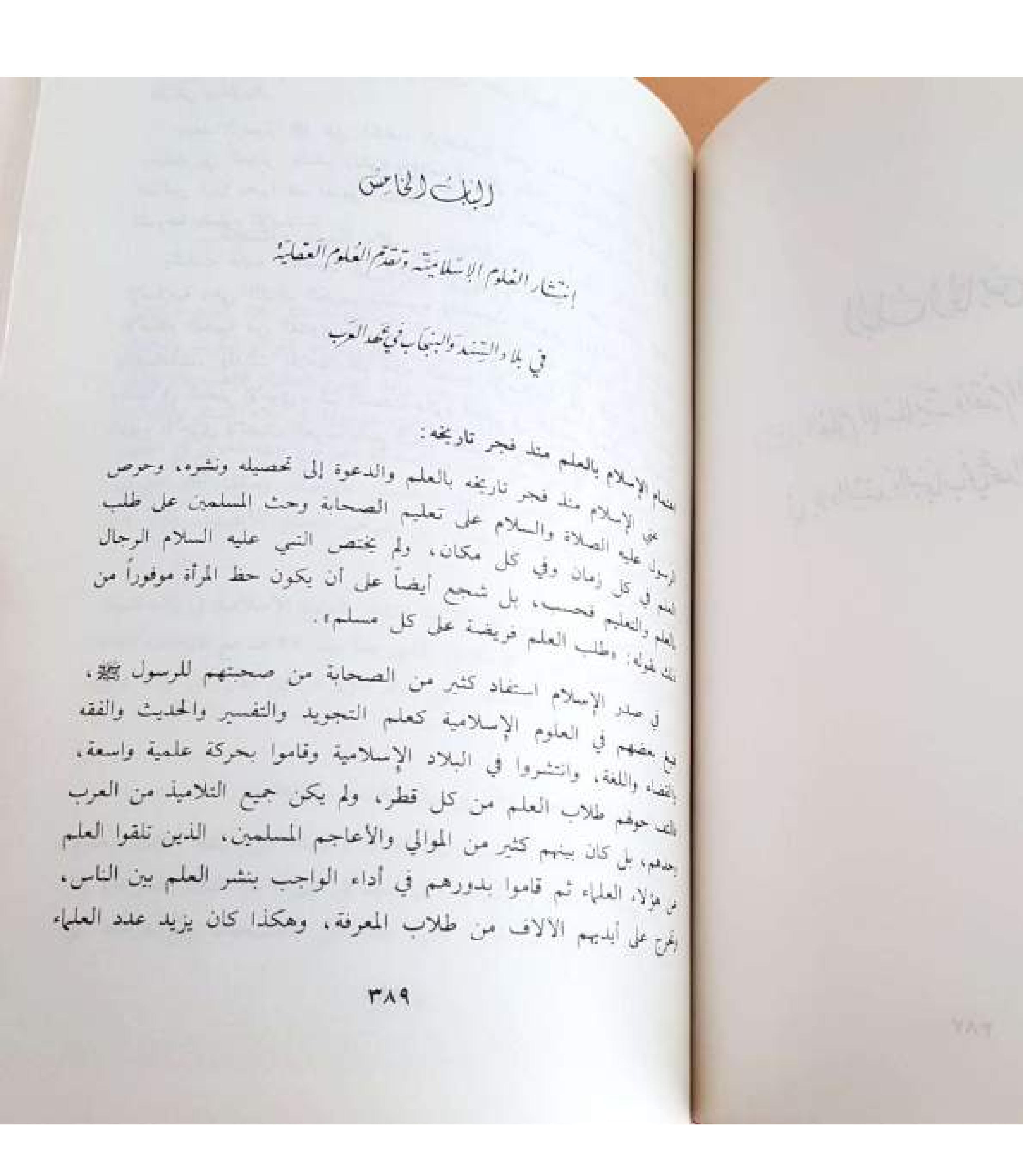
---

(1) زين الأخبار لكرديزي ص ٨٧.



الباب الخامس

انتشار العلوم الإسلامية وتقدم العلوم العقلية في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب



الباب الخامس

انتشار العلوم الإسلامية وتقدم العلوم العقلية

في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

اهتمام الإسلام بالعلم منذ فجر تاريخه:

اهتم الإسلام منذ فجر تاريخه بالعلم والدعوة إلى تحصيله ونشره، وحرص النبي عليه الصلاة والسلام على تعليم الصحابة وحث المسلمين على طلب العلم في كل زمان وفي كل مكان، ولم يختص النبي عليه السلام الرجال بالعلم والتعليم فحسب، بل شجع أيضاً على أن يكون حظ المرأة موفوراً من ذلك بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

في صدر الإسلام استفاد كثير من الصحابة من صحبتهم للرسول ﷺ، ونبغ بعضهم في العلوم الإسلامية كعلم التجويد والتفسير والحديث والفقه والقضاء واللغة، وانتشروا في البلاد الإسلامية وقاموا بحركة علمية واسعة، والتف حولهم طلاب العلم من كل قطر، ولم يكن جميع التلاميذ من العرب وحدهم، بل كان بينهم كثير من الموالي والأعاجم المسلمين، الذين تلقوا العلم من هؤلاء العلماء ثم قاموا بدورهم في أداء الواجب بنشر العلم بين الناس، وتخرج على أيديهم الآلاف من طلاب المعرفة، وهكذا كان يزيد عدد العلماء

في العلوم الإسلامية بمرور الأيام والسنين حتى أناروا بنور العلم مشارق الأرض ومغاربها.

وبعد الرسول ﷺ عني الخلفاء الراشدون ومن بعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس بالعلم ونشره وتقدمه في كل مكان، ولذلك نرى العرب الفاتحين أينما ذهبوا قد اهتموا بالعلم وأكرموا العلماء وأفادوا أهل البلاد المفتوحة بالعلوم الإسلامية.

وكانت غاية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على نشر العلوم الإسلامية وهي القرآن الكريم وتفسيره والحديث النبوي وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية من الفتاوى الشرعية في المسائل المتعلقة بشؤون حياة الأفراد والجماعات، ولذلك نلاحظ أن هذه العلوم الإسلامية قد انتشرت انتشاراً واسعاً في العصر الأموي، ثم اتسعت دائرة العلم في العصر العباسي فشملت العلوم الأخرى لاتصال العرب بأمم البلاد المفتوحة وغيرها في العالم.

الفصل الأول

إنتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

العلوم التي بدأ العرب بنشرها في البلاد المفتوحة مثل بلاد السند والملتان في العصر الأموي كانت العلوم الإسلامية وهي قراءة القرآن الكريم ودراسة التفسير والحديث والفقه واللغة العربية، وأما العلوم العقلية كالطب والرياضة والكيمياء والطبيعة والفلك والفلسفة كانت موجودة في بلاد السند والملتان، فعمل العرب على تقدمها من جهة والاستفادة منها من جهة أخرى في العصر العباسي، وذلك في القرنين الرابع والخامس للهجرة، وهكذا أفاد العرب غيرهم بالعلوم الإسلامية واستفادوا من غيرهم العلوم الأخرى، ذلك لأن العلم أخذ وعطاء.

والآن نتحدث بالتفصيل عن كيفية انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند والملتان أثناء الحكم العربي الإسلامي الذي بدأ سنة ٩٢ هـ مع فتوحات القائد محمد بن القاسم الثقفي واستمر حتى سنة ٤١٦ هـ أي أكثر من ثلاثة قرون من الزمن.

العلوم الإسلامية في العصر الأموي ببلاد السند والبنجاب:

في العصر الأموي، لا نجد بياناً كاملاً واضحاً عن كيفية انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند والبنجاب مثلما نجد في غيرها من البلاد المفتوحة، إلا أننا مع ذلك نستطيع أن نكوّن فكرة عامة من التلميحات والإشارات التي

وردت في خلال الأحداث التاريخية والأخبار المختلفة في كتب التاريخ والجغرافيا والأدب وكتب العلوم الإسلامية والمذكرات العربية القديمة لبعض الرحالين العرب التي كتبت في القرن الثالث الهجري وما بعده أي في العصر العباسي، ومعنى ذلك أنه لا توجد لدينا مراجع تفيدنا في هذا الموضوع تكون قد كتبت في نفس العصر الأموي عن تلك البلاد.

ونلاحظ أن المدة التي حكم الولاة الأمويون فيها بلاد السند والبنجاب كانت مدة قصيرة لا تزيد على أربعين سنة (٩٢-١٣٢ هـ) وكان العرب خلالها مشغولين بتنظيم أمور حكومتهم في هذه البلاد الواسعة، وكانوا يعانون الكثير من المتاعب من الناحية السياسية والمذهبية والاقتصادية بسبب قلة عددهم وكثرة السكان الأصليين بالنسبة لهم بالأضعاف الأضعاف. وبالرغم من ذلك فإن العرب لم ينسوا واجبهم الأول ولم يهملوا الغرض الأساسي من الفتح وهو نشر تعاليم الإسلام في هذه البقعة من بقاع العالم، ولذلك نرى الفاتح الأول هذه البلاد وهو القائد الشاب محمد بن القاسم، من شدة اهتمامه بهذا الواجب المقدس، لم ينتظر تكميل فتوحاته لبقية المدن السندية، وحتى لم ينتظر نتيجة الحرب المصيرية بينه وبين داهر ملك بلاد السند، ولا فتح العاصمة واخضاع الحكام الآخرين بل كان منذ اللحظة الأولى رغم انشغاله بالحروب والقتال، وكونه بين المخاطر والفتن لمدة ثلاث سنوات متتالية أثناء فتحه للمدن المختلفة، رغم كل ذلك كان يبني المساجد في كل مدينة كبيرة يفتحها ويعين الأئمة فيها كما يعين العلماء والقضاة للاشراف على الشؤون المذهبية، والقيام بتدريس العلوم الإسلامية ونشرها، والدعوة إلى الإسلام بين أهل البلاد المفتوحة بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يرحب بالأمراء والزعماء والوفود من أهل السند والبنجاب الذين كانوا يأتون إليه أيام الفتوحات منذ سنتها الأولى، يعلنون طاعتهم له أو إسلامهم لديه، فيدخلون في دين الله الحنيف أفواجاً، عن رغبة وعقيدة، وعن دراية ودراسة،

في الوقت الذي لم يكن محمد بن القاسم قد انتهى بعد من فتوحاته وتنظيم حكومته العربية الإسلامية.

ولا شك في أن المساجد في العصر الأموي كانت تعد من أكبر معاهد الدرس والتعليم، لا في البلاد المفتوحة بل حتى في البلاد العربية ودار الخلافة نفسها[1].

وكان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد ويقومون بتدريس أولاد المسلمين ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي بلاد السند، وكان هناك بعض العلماء العرب قد تولوا مناصب القضاء والتبليغ للإسلام في المدن السندية الكثيرة، وكانوا يبذلون جهودهم من أجل نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية من ناحية والدعوة إلى الإسلام من ناحية أخرى، نذكر منهم على سبيل المثال القاضي موسى بن يعقوب الثقفي الذي عينه محمد ابن القاسم سنة **٩٣ هـ** قاضياً على مدينة الور التي كانت عاصمة لبلاد السند قبل الفتح العربي[2] وكذلك العالم المعروف بالشيباني الذي تولى مهمة القضاء والخطابة ونشر الدعوة الإسلامية في مدينة سيوستان ببلاد السند سنة **٩٩ هـ**[3].

وهكذا كان العلماء العرب الأوائل يؤدون واجباتهم الدينية ويقومون بخدمة العلوم الإسلامية ونشرها في أنحاء بلاد السند والملتان، في المساجد والمجالس العلمية وغيرها وبذلك يكون القائد العربي محمد بن القاسم وهؤلاء العلماء قد وضعوا الأسس الأولى لمناهج التعليم الإسلامي ومراكز العلم والثقافة بتلك البلاد في العصر الأموي أي قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمن.

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧.
(2) جچنامه ص ٢٣٥ بالفارسية.
(3) تحفة النظار وغرائب الأمصار لابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

العلوم الإسلامية في العصر العباسي، أخذت العلوم الإسلامية والعربية عند العرب في العصر العباسي تتشعب وتتفرع منها علوم جديدة، وكذلك بدأ العرب يهتمون بدراسة العلوم العقلية كالرياضة والطب والكيمياء، والفلك والفلسفة لاتصال العرب اتصالاً فكرياً بالأمم الأخرى كاليونان والروم والفرس والسند والهنود وغيرهم.

وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أن الناس جميعاً غدوا طلاباً للعلم، فكان كثير من الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً وراء موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جميع التلاميذ المتلهفين ثم يصنفون بفضل ما بذلـوه من جهد متصل هذه المصنفات في العلوم المختلفة التي هي أشبه بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر فضل في إيصال هذه العلوم المفيدة إلى بلاد العالم وخاصة إلى أوروبا.

ولا شك في أن الولايات التابعة للخلافة العباسية كبلاد السند والملتان كانت تتأثر بالنهضة العلمية التي ظهرت في دار الخلافة وما حولها من المدن العباسية العربية والإسلامية الكبيرة، وكذلك بدأ اهتمام العرب ينصب على بلاد السند التي كانت معروفة بعلومها العقلية كالطب والريـاضة والنجـوم والفلك والكيمياء، فتلك النهضة وهذا الاهتمام، شجعا الولاة العرب ببلاد السند على بذل جهودهم لنشر العلوم الإسلامية، وكذلك على العمل لتقدم العلوم العقلية الموجودة في هذه البلاد والاستفادة منها تمشياً مع حركة النهضة العلمية الشاملة عند العرب وذلك بعد أن استقرت الأوضاع السياسية للدولة العربية في هذا الركن من العالم.

ويمكن لنا تقسيم العصر العباسي من ناحية التقدم العلمي إلى مرحلتين: العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) الذي بدأت فيه حركة الترجمة من اللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسندية والهندية وأخذت العلوم العقلية

تدخل ميدان الثقافة العربية بجانب تشعب العلوم الإسلامية والعربية، ثم العصر العباسي الثاني الذي يبدأ من ٢٣٢ هـ إلى نهايته، وهذا الدور الثاني كان أظهر أدوار العلم وانتشاره في العالم الإسلامي.

ونلاحظ أن نفس العلوم الإسلامية كقراءة القرآن والتفسير والفقه والحديث واللغة العربية التي كانت تدرس في مساجد المدن السندية في العصر الأموي أخذت في العصر العباسي الأول تزداد انتشاراً مع ازدياد العلماء والمثقفين والمعلمين من العرب والسند، حتى إذا ما جاء العصر العباسي الثاني نرى ثمرة تلك الجهود التي بذلها القائد العربي محمد بن القاسم والولاة الأمويون ثم الولاة العباسيون وكذلك العلماء في ميدان العلم بشكل ملحوظ وقد سجل الكتاب العرب والمؤرخون في مؤلفاتهم بيانات كثيرة عن اهتمام الحكام العرب بالنهضة العلمية في بلاد السند ومدى انتشار العلوم الإسلامية وازدياد العلماء ونشاطهم العلمي والثقافي في ميادين التدريس والتأليف والتبليغ وإقامة مدن جديدة لجعلها مراكز للثقافة الإسلامية في تلك البلاد.

وأما عن وجود مدارس ومعاهد مستقلة - غير المساجد ومجالس العلماء - في بلاد السند والملتان في عهد العرب لا نجد بيانات عنها في كتب التاريخ القديمة إلا إشارات تفيدنا بوجود مجالس علمية خاصة في بيوت كبار العلماء العرب في العصر العباسي الثاني.

فمثلاً يشير البشاري المقدسي حين زار بلاد السند سنة ٣٧٥ هـ بأن الشيخ أحمد بن محمد المنصوري الذي كان قاضياً في المنصورة كانت له جلسة علمية منتظمة يقوم بالتدريس فيها، كما كانت له تأليفات قيمة في العلوم الإسلامية[١] وهذا دليل على مدى اهتمام العلماء بالنشاط العلمي والفكري والثقافي وعلى مدى ما وصل إليه انتشار التعليم في بلاد السند، وكذلك قاضي

---

(١) أحسن التقاسيم للبشاري ص ٤٨١.

مدينة الور من احفاد الشيخ موسى بن يعقوب الثقفي الذي كان القائد العربي محمد بن القاسم قد عينه في منصب القضاء والخطابة والاشراف على الشؤون الدينية والتعليمية كان يقوم بالتدريس في جلسات علمية خاصة[1] وبالمثل كان قاضي سيوستان المعروف بالشيباني يقوم بنشر العلوم الإسلامية في جلسات علمية خاصة بجانب مهمة الافتاء والقضاء[2] ولا شك في أن هناك كانت توجد مجالس العلم تدرس فيها العلوم الإسلامية لأبناء العرب القاطنين في تلك الديار وأبناء أهل السند المسلمين في المدن الكبيرة المعروفة التي ذكرها الكتاب العرب في القرن الرابع الهجري بأنها كانت مدن العلم والمعرفة كمدينة المنصورة التي كان سكانها جميعاً من المسلمين[3] ومدينة الملتان التي كان سكانها من العرب السند والمسلمين والأقلية من غير المسلمين[4] ومدينة الديبل التي كانت اللغة العربية رائجة بين أهلها بفضل جهود العلماء وقيامهم بتدريس العلوم الإسلامية والتبليغ والدعوة إلى الإسلام[5] ومدينة القنوج في أقصى بلاد السند التي كانت تشتهر بكثرة العلماء الكبار الذين قدموا للعلم والإسلام أجل خدمات في القرن الرابع الهجري وما بعده[6] وكان هناك بعض المدن قد صار سكانها جميعاً مسلمين في أواخر القرن الثالث للهجرة منها مدينة البيلمان ومدينة سرست في وسط السند، وكانت بها مساجد ومجالس علمية للاهتمام بالشؤون الدينية والتعليمية[7] وأيضاً مدينة بوقان في اقليم مكران وكان يسكنها البوذيون وقد صاروا مسلمين في القرن الرابع الهجري[8] ولا بد

---

(١) جهنامه ص ٢٣٥ بالفارسية.

(٢) تحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٧.

(٤) أحسن التقاسيم للبشاري ص ٤٨١.

(٥) صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٢٨.

(٦) أحسن التقاسيم للبشاري ص ٤٨١.

(٧) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٩.

(٨) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٣٣.

أنهم قد اهتموا ببناء المساجد وتشكيل مجالس علمية لنشر العلوم الإسلامية.

كما أن هناك قرى وضواحي معروفة في بلاد السند قد صار سكانها من المسلمين منها ناحية بإقليم سيوستان يعرف سكانها بقوم «چنه» وكانوا بوذيين ودخلوا جميعاً في الإسلام في السنة الأولى من الفتح سنة ٩٢ هـ على يد القائد محمد بن القاسم نفسه الذي أكرمهم كثيراً ولا بد أنه أقام لهم مسجداً ليكون مكاناً للعبادة حسب عادته عند فتح كل مدينة مهمة[(١)].

وكان من الطبيعي أن يكثر العلماء الأفاضل ويزداد عددهم في العصر العباسي بمرور الأيام والسنين في بلاد السند والملتان، تمشياً مع النهضة العلمية التي أخذت تعم أرجاء البلاد الإسلامية والولايات التابعة للخلافة العباسية، وكان هؤلاء العلماء يقومون بواجباتهم الدينية والثقافية والاشراف على الشؤون الدينية وتوجيه الناس نحو الخير والفلاح، وكذلك التبليغ للإسلام دين الحق وتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية سواء كان ذلك في المساجد أو في جلسات علمية بمنازل العلماء وكبار الشخصيات والأعيان، على شكل مجالس العلم في قصور الحكام والأمراء كعادة العرب في ذلك العصر.

ونلاحظ أن العلماء في العصر العباسي الثاني لم يكونوا عرباً خلصاً كما كانوا في العصر الأموي ببلاد السند والملتان، وإنما ظهر كثير من العلماء السند أيضاً وبدأوا يشاركون أخوتهم العرب في أداء الواجبات الدينية والعلمية في شتى المجالات وبشتى الطرق والوسائل، وقد ظهر كثير من العلماء المشاهير من أهل السند في العصر العباسي، وقد فضل البعض منهم البقاء في بلادهم لخدمة العلم والإسلام مشتغلين بالتدريس والتبليغ، بينما هاجر البعض الآخر منهم إلى البلاد العربية وخاصة بغداد دار الخلافة للاشتغال بالعلم والأدب والترجمة والتأليف فيها وفي غيرها من المدن العربية كالكوفة والبصرة ودمشق والمدينة المنورة.

---

(١) تاريخ معصومي ص ٢٢ بالفارسية.

ومن علماء السند وأدبائهم الكبار في القرن الثاني الهجري، أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي العالم الفقيه والمحدث الكبير وصاحب كتاب المغازي[1] وأبو العطا أفلح بن يسار السندي الشاعر العظيم الذي اشتهر بقصائده الرائعة بين كبار الشعراء العباسيين[2] وإبراهيم بن السندي بن الشاهك الذي ذكره الجاحظ في كثير من كتبه بانه كان بحراً في العلوم فقد كان خطيباً وفقيهاً ونحوياً وعروضياً وحافظاً للحديث وراوية للشعر شاعراً ومنجماً وطبيباً وكان من رؤساء المتكلمين[3] وأبو عبد الملك محمد بن معشر السندي كان عالماً كبيراً مثل أبيه وعارفاً بعلم الحديث[4].

ومن العلماء السند في القرن الثالث الهجري، أبو محمد خلف بن سالم السندي كان عالماً معروفاً في حفظ الأحاديث وتدريسها[5] وأبو نصر فتح بن عبد الله السندي وكان عالماً فقيهاً ومتكلماً[6] والسندي بن علي الوراق الذي له كتاب ضخم عن المغنين العرب في العصر العباسي سماه كتاب الشركة وهو الذي عرف فيما بعد باسم كتاب الأغاني الكبير[7].

ومن العلماء السند في القرن الرابع الهجري، أبو ضلع السندي الشاعر الأديب له كتاب في الشعر والأدب[8] وكشاجم بن السندي بن الشاهك

---

(١) طبقات الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٢١٦ ـ الفهرست لابن النديم ص ١٣٦.

(٢) كتاب الأغاني للأصفهاني جـ ٦ ص ٧٨.

(٣) البيان والتبين للجاحظ جـ ١ ص ٢٦٦ ـ مجموعة الرسائل للجاحظ ص ٤٧. كتاب الحيوان للجاحظ جـ٢ ص ١٤١ ـ كتاب البخلاء للجاحظ ص ٢٧٩ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة جـ ٣ ص ١٣١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٣ ص ٣٢٩.

(٥) المرجع السابق جـ ٨ ص ٣٢٩.

(٦) معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٥ ص ١٥١.

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٢٠٣ ـ تاريخ سند لأبي ظفر ندوي ص ٢٦٠ بالأردية ـ رجال السند والهند لأطهر مباركبوري ص ١٤٨.

(٨) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٣ ـ تاريخ سند لأبي ظفر ندوي ص ٣٦١ بالأردية.

الشاعر الأديب وله كتاب منظوم وكتاب في الأدب وكتب أخرى[1] والسندي بن محمد الديبلي كان من العلماء المحدثين[2] وإسماعيل بن السندي العالم الجليل والمحدث الكبير[3] وأحمد بن عبد الله الديبلي المحدث الزاهد[4] ومحمد بن إبراهيم الديبلي كان من علماء التفسير ورواته[5] ومحمد بن محمد الديبلي كان عالماً زاهداً تقياً[6] والشيخ إبراهيم بن محمد الديبلي السندي كان عالماً فقيهاً ومحدثاً كبيراً[7] وعلي بن موسى الديبلي السندي كان عالماً ومحدثاً[8] وغيرهم كثيرون لا يسع المجال هنا لذكرهم.

وأما من العلماء العرب الكبار الذين كانت لهم مجالس علمية على شكل معاهد مثل الشيخ عبد الله بن محمد العلوي المعروف باسم عبد الله الأشتر الذي كان من أهل بيت النبي ﷺ، وقد سكن بلاد السند منذ سنة ١٤٥ هـ حتى استشهد فيها سنة ١٥١ هـ وكان معه أربعمائة من علماء الشيعة الزيدية[9] والقاضي أحمد بن محمد المنصوري (٣٧٥ هـ) عراقي الأصل قاضي القضاة بالمنصورة عاصمة الدولة العربية ببلاد السند، وكان إماماً في المذهب الداودي الظاهري وصاحب تصانيف علمية وكان شاعراً عظيماً وقد ألف كتاباً منظوماً باللغة السندية في العقائد الإسلامية وكتاباً آخر في تفسير

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٠٠.
(٢) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٦ ص ٢٨٣.
(٤) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٣٩.
(٥) شذرات الذهب لابن العماد فيمن توفي سنة ٣٢٢ هـ - الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.
(٦) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.
(٧) المرجع السابق جـ ٥ ص ٤٣٩.
(٨) المرجع السابق أيضاً جـ ٥ ص ٤٤٠.
(٩) ابن خلدون جـ ٣ ص ١٩٨ - تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٣٥٩ - الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٤٥ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأحمد الحسني ص ٨٣.

القرآن الكريم باللغة السندية أيضاً من أجل ملك سندي أراد الدخول في الإسلام بعد الدراسة والبحث فأسلم على يدي هذا العالم العراقي بعد مطالعة الكتابين المذكورين وهو بذلك يعتبر أول مترجم للقرآن الكريم من العربية إلى السندية كما يعتبر كتابه أول كتاب تفسير مترجم قبل أكثر من عشرة قرون في شبه القارة الهندية كلها[1] وهناك عشرات غيرهم من العلماء والأدباء والشعراء من العرب وأهل السند الذين قاموا بتدريس العلوم الإسلامية وألفوا كتباً علمية كثيرة في بلاد السند في عهد العرب.

وكذلك كانت ببلاد السند أسر عربية اشتهرت بخدمة العلم منذ عهد القائد محمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند سنة ٩٢ هـ واستمرت ذرية تلك الأسر في نشر العلم حتى القرن السابع وما بعده فقد قام أفراد هذه الأسر العربية بمهمة القضاء والخطابة وكذلك الاشراف على الشؤون الدينية والأمور التعليمية وكان لهم دور عظيم في نشر العلوم الإسلامية وفي التبليغ للإسلام وادخال الآلاف من أهل السند في الدين الإسلامي، فمن تلك الأسر العلمية، أسرة القاضي موسى بن يعقوب الثقفي في مدينة الور وقد توارث كل فرد من أفرادها منصب القاضي حتى سنة ٦١٣ هـ التي قام مترجم كتاب ججنامه بزيارة قاضي مدينة الور الذي كان من تلك الأسرة العربية[2] وكذلك أسرة القاضي الشيباني بمدينة سيوستان التي زارها ابن بطوطة سنة ٧٣٤ هـ فيقول عنها: «لقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني وقد أراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن، وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين»[3]، فقد ظلت مهمة الخطابة لصلاة الجمعة

---

(١) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ٣ ـ أحسن التقاسيم للبشاري ص ٤٨١.
(٢) ججنامه ص ٣٣٥ بالفارسية.
(٣) تحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

والإشراف على الشؤون الدينية والأمور التعليمية في هذه الأسرة لقرون عديدة في سبيل خدمة العلم والإسلام.

وهكذا فتح العرب بلاد السند والملتان وأقاموا بها دولتهم العربية الإسلامية التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون من الزمن (٩٢ ـ ٤١٦ هـ) وقد شيدوا فيها المدن الكثيرة وبنوا المساجد الكبيرة حتى صارت تلك المدن مراكز إسلامية أضاءت بنور الإيمان والعلم كل ركن من أركان تلك البلاد الواسعة التي أصبحت في الوقت الحاضر من أكبر بلدان العالم الإسلامي وهي باكستان الإسلامية التي يعتبر تاريخها جزءاً عزيزاً من تاريخنا الإسلامي المجيد.

الفصل الثاني

انتشار اللغة العربية في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب

إن إنتشار اللغة العربية في مختلف الأقطار ولدى مختلف الأمم، وتغلبها على لغات عديدة وتأثيرها في لغات كثيرة إنما هو حدث من الأحداث العظيمة في تاريخ اللغات في العالم.

سر قــوة اللغة العربيــة :

إن سر القوة في اللغة العربية يرجع إلى أنها لغة القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، فهذه القوة في التغلب والتأثير والانتشار هي في الحقيقة قوة إلهية وضعها الله في اللغة العربية المباركة.

ويرجع الفضل أيضاً في انتشارها بين الشعوب المختلفة إلى أخلاق العرب وإلى معاملتهم الحسنة مع شعوب البلاد المفتوحة أيام الفتوحات الإسلامية فقد كانت أعمالهم مطابقة لتعاليم الإسلام.

وهناك عوامل أخرى تعود إلى خصائص اللغة العربية التي ما دخلت بيئة من البيئات إلا اجتذبت إليها اهتمام الناس وخاصة الموهوبين منهم فكانوا يقبلون على تعلمها فلا تكاد تلامس شغاف قلوبهم حتى يعلنوا إيمانهم بعظمة هذه اللغة المقدسة ويسجدوا أمام محرابها الأزلي[١] .

---

(١) السهروردي لسامي الكيلاني ص ٨ .

إن اللغة العربية بحلاوتها ومرونتها، وبكثرة اتساعها في شرح العلوم وتفسيرها، وبجمالها المتمثل في إعرابها وتعبيرها، وإعجازها وإيجازها، ومترادفاتها وأمثالها وكثرة معانيها، قد اجتذبت إليها جماعة من العلماء الذين عكفوا على أسرارها يدرسونها بشوق وصبر ونهم، وما زالوا حتى ملكوا عنانها كأبر أبناء لها، واتخذوها أداة طيبة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم[1] وقد تجاوز عدد الذين صنفوا باللغة العربية في العصر العباسي من غير العرب المئات وكلهم ذوو باع طويل في التدوين والتأليف، فمن هؤلاء عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة وبديع الزمان الهمذاني مبتكر فن المقامات، وقابوس بن وشمكير صاحب رسائل البلاغة وابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، وابن سينا صاحب الشفاء في الفلسفة والقانون في الطب، والثعالبي صاحب يتيمة الدهر، والبيروني صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية وعشرات من الكتب العلمية، والخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم، والزمخشري صاحب أساس البلاغة، والشهرستاني صاحب الملل والنحل وغيرهم كثيرون[2] .

ومن أهل السند مثلاً أبو معشر نجيح السندي (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) صاحب كتاب فن المغازي[3] وأبو عطاء أفلح بن يسار السندي (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) صاحب قصائد رائعة بالعربية وبعضها مذكورة في ديوان الحماسة لأبي تمام الشاعر العباسي المعروف[4] ومئات غيرهم من العلماء الكبار الذين دونوا باللغة العربية مؤلفاتهم في العلوم العربية الإسلامية والعلوم الأخرى المختلفة وقدموا للإسلام أجل خدمات.

---

(١) عمر الخيام لأحمد بن حامد الصراف ص ٥.

(٢) السهروردي لسامي الكيلاني ص ٩.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٣٦ ـ طبقات الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٢١٦.

(٤) الأغاني للأصفهاني جـ ١٦ ص ٧٨ ـ الحماسة لأبي تمام جـ ١ ص ٣٠.

وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دوائر الحكومة العربية في كثير من البلاد المفتوحة في العصر الأموي والعصر العباسي، مما شجع ذلك سكان تلك البلاد وخاصة الطبقة العالية المتعاونة مع العرب في الحكم والإدارة على تعلم اللغة العربية، كما رغب في تعلمها الكثيرون من سكان بلاد السند بعد دخولهم في الإسلام لحاجتهم إلى فهم تعاليم الدين الحنيف، بالإضافة إلى مشاركة أهل السند مع العرب في العمل والجيش والمصنع والمزرعة، تلك المشاركة الميدانية حتمت عليهم المشاركة في اللغة أيضاً، وبهذه الطرق انتشرت اللغة العربية بين الشعب السندي والملتاني مع بقاء اللغات المحلية مستعملة في تلك البلاد.

انتشار اللغة العربية في العصـر الأموي:

في العصر الأموي، كانت معرفة اللغة العربية في بلاد السند والملتان تتوقف على الطبقة العالية من الزعماء والأعيان من أهل البلاد المتعاونين مع الطبقة الحاكمة من العرب في إدارة شؤون البلاد، وكذلك طبقة المثقفين والموظفين وغيرهم، ولكن لم يكن جميع الشعب على معرفة باللغة العربية في ذلك العصر.

وكان البعض من أهل السند حتى في السنوات الأولى من الفتح العربي يعرفون اللغة العربية فمثلاً كان بمدينة الديبل رجل سندي يسمى قبلة بن مهترائج وكان يشرف على سجن الديبل الذي كان بعض العرب التجار والنساء المسلمات مسجونين فيه بعد حادثة اختطاف السفينة العربية قبل الفتح العربي لبلاد السند وقد دخل هذا الرجل السندي في الإسلام على يد الفاتح محمد بن القاسم سنة ٩٢هـ فأرسله مترجماً لرئيس الوفد العربي إلى ملك السند داهر لتوجيه الإنذار إليه ثم عينه مشرفاً على الشؤون المالية في مدينة الديبل(١).

---

(١) جچنامه ص ١٠٨ و١٢٦ بالفارسية.

انتشار اللغة العربيـة في العصر العباسي:

وفي العصر العباسي، بعد أن انتظمت الأمور الإدارية للدولة العربية في بلاد السند والملتان، وبعد أن أقام العرب مدناً جديدة ومساجد كثيرة وزاد عدد العلماء العرب ومعهم العلماء السند العارفين للغة العربية، أخذت اللغة العربية في الانتشار بسبب اهتمام أهل السند والملتان بها ولا سيما بعد دخول الكثيرين منهم في الإسلام ودراستهم للعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى الاهتمامات الخاصة من جانب بعض المفكرين العرب بنشر اللغة العربية التي تعتمد عليها العلوم الإسلامية في انتشارها في تلك البلاد لخير أهل السند والملتان، فقد اهتم بهذا العمل الجليل علماء الدين واللغة ورجال القضاء وحتى المترجمون العارفون باللغتين العربية والسندية، فقد كانت لهم مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

في القرن الثالث الهجري أي بعد قرن ونصف من فتح العرب لبلاد السند حين نشطت حركة التدوين والتأليف عند العرب في عهد العباسيين، بدأ المؤرخون العرب وكتابهم وسياحهم يهتمون بأمور بلاد السند والملتان وجمع المعلومات عنها ويذكرونها في كتبهم ومذكراتهم.

ثم في القرن الرابع الهجري بدأ كثير من هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والسياح العرب يحضرون بأنفسهم إلى بلاد السند والملتان لجمع أخبارها عن طريق الاتصال الشخصي بالحكام والعلماء، وقد سجلوا في مؤلفاتهم تلك الأخبار والمعلومات المختلفة وما يتعلق بانتشار اللغة العربية بالتدريج في بلاد السند والملتان.

فهذا هو المسعودي المؤرخ الكبير الذي زار بلاد السند سنة ٣٠٣هـ يشير إلى وجود كثير من العلماء العرب الكبار والقضاة والخطباء الأفاضل الذين يبذلون الجهود لخدمة اللغة العربية ونشرها، وإن الناس في هذه البلاد يدرسون اللغة العربية وكثيرون منهم يتحدثون بها ولا سيما الطبقة الحاكمة

والخواص من أهل السند[1].

وابن حوقل الرحالة المعروف الذي زار بلاد السند والملتان سنة ٣٤٠هـ يشير أيضاً إلى أن اللغة العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري كانت لا تزال مستعملة في الدوائر الحكومية ودور القضاء والأسواق التجارية، كما كانت هي اللغة المفضلة عند الخواص، وأما العوام في بلاد السند والملتان ومدنها الكثيرة فكانوا يتكلمون اللغة السندية واللغات المحلية الأخرى في حياتهم العامة[2].

والأصطخري الجغرافي الكبير (القرن الرابع الهجري) يشير إلى توسع إنتشار اللغة العربية بأن أهل السند في مدينة المنصورة العاصمة وما حولها من المدن الكبيرة يتكلمون باللغة العربية وكذلك بلغتهم المحلية، وأهل الملتان وأكثريتهم من العرب والمسلمين والأقلية من الكفار يتحدثون باللغة العربية بجانب لغتهم البنجابية المحلية، وأهل الديبل وقراها البالغ عددها نحو مائة قرية بالرغم من أن معظم السكان فيها من الكفار والأقلية من المسلمين الذين يعملون في التجارة فإن كلامهم سندي وعربي مشترك[3].

وقد ظلت اللغة العربية في بلاد السند حتى القرن الخامس الهجري لغة رسمية مستعملة في الدواوين الحكومية ودور القضاء والمدارس والمعاهد والأسواق التجارية الكبيرة، كما كانت لغة الطبقة الحاكمة والطبقة العالية والعلماء والخواص من أهل السند والملتان وأهالي المدن المعروفة في تلك البلاد، بل أكثر من ذلك أن أغلبية الشعب السندي من العوام أيضاً في مدن السند وفي الملتان كانوا قد بدأوا في الاهتمام باللغة العربية، وكان من الممكن أن نجد جميع أهالي السند والملتان بعد زمن قليل يتكلمون باللغة العربية، ولولا

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٨.

(٢) صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٢٦.

(٣) مسالك الممالك للأصطخري ص ١١٧ ـ هندوستان عربون كي نظرمين (الهند في نظر العرب) لضياء الدين إصلاحي ص ٢٧٥ بالأردية.

زوال الحكم العربي منها في سنة ٤١٦ هـ لكان للغة العربية شأن آخر، وقد حدث مثل ذلك بالنسبة لحركة إنتشار اللغة العربية في كثير من البلاد المفتوحة الأخرى، وقد تركت اللغة العربية أثرها في كثير من اللغات في حدود ١٠ ٪ إلى ٤٠ ٪ من حيث المفردات اللغوية وكذلك قسطاً وافراً من حيث قواعدها وأصولها البيانية والبلاغية وكان من نتيجة ذلك أن ٣٢ لغة شرقية تكتب بالحروف العربية في الوقت الحاضر.

وفي القرن الخامس الهجري انتقل حكم بلاد السند والملتان من العرب إلى الغزنويين الذين روجوا اللغة الفارسية في تلك البلاد مكان اللغة العربية لأن الفارسية كانت لغة الدولة الغزنوية وبذلك صارت الفارسية منذ ذلك العهد لغة الثقافة والتعليم لقرون عديدة في بلاد السند والملتان، بل أيضاً في بعض أجزاء من بلاد الهند.

ولكن اللغة العربية لم تفقد أهميتها العلمية والروحية التي لا تزال باقية في تلك البلاد بين المسلمين إلى يومنا هذا بالرغم من سيطرة اللغات الأخرى على شعوب تلك المناطق، وقد استمرت اللغة العربية مع العلماء والمثقفين الكبار الذين ألفوا عشرات الكتب القيمة في العلوم المختلفة باللغة العربية، إيماناً منهم بقدر هذه اللغة وقدسيتها عند المسلمين لكونها لغة القرآن والدين ويجب أن تكون هي لغة العلوم الإسلامية التي لا يمكن لها أن تتقدم وتنتشر إلا باللغة العربية.

وهكذا قدم العلماء العرب ومعهم العلماء السند خدمة كبيرة للإسلام بنشر لغته العظيمة وعلومه المقدسة وأحكامه الإلهية التي تقود البشرية نحو سعادة الدارين، وقد كانت ثمرة جهود هؤلاء العلماء المجاهدين في بلاد السند والملتان (في عهد الدولة العربية الإسلامية التي استمرت بها من سنة ٩٢ هـ إلى سنة ٤١٦ هـ) هي قيام دولة إسلامية كبيرة في القرن العشرين وأعني بها باكستان الإسلامية.

الفصل الثالث

نشأة اللغة السندية ونموها وتطورها في ظلال اللغة العربية

اللغات الموجودة في باكستان:

توجد في باكستان الإسلامية في الوقت الحاضر خمس لغات وهي: السندية والبنجابية والبلوجية والبشتو والأردية، وكل واحدة منها تخص سكان إقليم من الأقاليم بها، ولكن جميعها تكتب بالحروف العربية، وبها أيضاً نحو ٣٠٪ من الكلمات العربية، على أن معظم سكان باكستان يعرفون الأردية ويتحدثون بها، بينما تعتبر السندية أقدم هذه اللغات، وقد بحث علماء اللغة في تاريخ نشأتها وصلتها باللغات الأخرى من بينها اللغة العربية.

إختلف الباحثون حول نشأة اللغة السندية، وقدم كل فريق منهم نظرية تختلف قليلاً أو كثيراً عن غيرها من النظريات، وبصفة عامة كان الاعتقاد السائد عند كثير من الباحثين حتى زمن قريب هو أن السندية متفرعة من السنسكريتية التي تعتبر من أقدم اللغات في شبه القارة الهندية، وأضاف البعض إلى ذلك بأن السندية تفرعت من البراكريتية المتفرعة من السنسكريتية.

وفي القرن العشرين ظهر بعض المحققين بنظريات جديدة تختلف عن النظريات القديمة كل الاختلاف، فقد ذهب فريق إلى أن السندية متفرعة من اللغات السامية، وذهب فريق آخر إلى أن السندية مستقلة بذاتها، ولكنها

بيرونت في أول الأمر باللغات السامية المعروفة في بابل وآشور وكلدان وسومر والعراق القديم، وبعد ذلك دخلت منها ألفاظ من اللغات المستعملة في شبه القارة الهندية مثل السنسكريتية والبراكريتية واللاندهية والأبرنشية والكشميرية والبنجابية وأيضاً الفارسية والداردية وغيرها.

وكانت لبلاد السند علاقات قديمة وثيقة مع البلاد المجاورة ذات الحضارات العريقة، الواقعة غرب السند أهمها العراق، أكثر من علاقاتها مع الهند التي تقع في نفس القارة، وتشهد على ذلك الآثار الباقية في منطقة موهنجو دارو الأثرية في بلاد السند، تلك الآثار التي يرجع تاريخها إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، إلى تاريخ الحضارات العظيمة في العراق ومصر وفارس واليونان، وتشير إلى وجود العلاقات المختلفة بين بلاد السند وبلاد العراق بصورة قوية في القديم.

ومما يجذب الانتباه إليه في هذا الصدد هو تشابه الكتابة في تلك العصور بين السندية والبابلية، ومن هنا تمسك بعض الباحثين الجدد بالرأي القائل بأن السندية متفرعة من اللغات السامية.

ثم منذ صدر الإسلام بدأت اللغة السندية تدخل في الدور التاريخي وتظهر بمعالمها الواضحة وتخطو خطوات سريعة بناءة في العصرين الأموي والعباسي في عهد العرب ببلاد السند، بحيث كاد يصبح نصف السندية من ناحية الألفاظ والقواعد والمعاني عربية بينما صارت كتابتها عربية تماما، وبذلك التقت السندية مرة أخرى بالعربية كإلتقائها الأول في فجر ولادتها بالسامية، وكأنها خرجت من دارها السامية في البداية لتعود إليها في النهاية كعودة الطير الغريب العائد إلى عشه بعد رحلة طويلة غامضة شاقة، لتجد في هذا العش الحنون بين أحضان اللغة العربية كل رعاية وكل عناية.

أدوار اللغة السندية منذ القديم حتى الحاضر:

ينقسم تاريخ اللغة السندية من حيث البدء والنمو والرقي إلى ثلاثة أدوار

رئيسية وهي: الدور القديم والدور التأسيسي ودور الاكتمال. فالدور القديم كان حتى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد وهو الدور الذي لم تكن فيه للغة السندية معالم واضحة، والدور التأسيسي كان من سنة ٦٠٠ قبل الميلاد إلى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد وهو الدور الذي وضعت فيه للغة السندية وفروعها أسس لغوية وصارت لها خصائص معينة، وأخيراً دور الاكتمال كان من القرنين السابع الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي أي من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري، وهو الدور الذي وصلت فيه اللغة السندية قمة النمو وأوج التقدم وكمال الازدهار من الناحية اللغوية والأدبية والعلمية، وذلك في ظلال اللغة العربية في عهد العرب ببلاد السند في العصرين الأموي والعباسي، وبالتحديد منذ الفتح العربي لبلاد السند سنة ٩٢هـ إلى انتهاء الحكم العربي سنة ٤١٦ هجرية.

أولاً: اللغة السندية في الدور القديم:

إختلف الباحثون بشأن علاقة اللغة السندية في الدور القديم باللغات الأخرى المعروفة في شبه القارة الهندية وخارجها، ونشير هنا إلى آراء الباحثين باختصار شديد:

١ ـ السندية والسنسكريتية:

وصل بعض العلماء الأوروبيين في أبحاثهم الأولية إلى أن أغلبية اللغات المستعملة في شبه القارة الهندية من بينها اللغة السندية متفرعة من اللغة السنسكريتية التي تعتبر في نظر معظم الهنود بمثابة أم اللغات في هذه القارة[1].

وقد رفض هذه النظرية بعض المحققين الجدد من أبناء بلاد السند بحجة أن ذلك الاعتقاد الخاطىء نشأ عن وجود ألفاظ سنسكريتية في اللغة السندية،

---

(١) Lambrick: Sind a General Introuduction, Hyderabad, Sind, Sindhi Adabi Board, 1964, p. 222.

ثم إن الخصائص اللغوية التي تتميز بها السندية تقيم لها كياناً مستقلاً وتجعلها تمتاز بصفات كثيرة على السنسكريتية واللغات المتفرعة عنها، ولم يعثر بين الآثار الباقية على أية عبارة واضحة أو لوحة مكتوبة تؤيد ذلك الادعاء أو تبين تأثير السنسكريتية على السندية سوى دخول بعض الألفاظ، فإن أصالة اللغة السندية وأسسها التاريخية تشير إلى الاختلاف الكبير بين اللغة السندية واللغة السنسكريتية وغيرها، لأن السندية لغة عريقة ولعلها أقدم نشأة وأكثر عمقاً وأوسع دائرة من غيرها من اللغات الموجودة في شبه القارة الهندية[1].

ب ـ السندية والبراكريتية:

كانت الفترة الزمنية من سنة ٦٠٠ قبل الميلاد إلى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد هي دور الازدهار للغة البراكريتية وفروعها، وقد أثرت هذه اللغة في اللغة السندية لعوامل سياسية ومذهبية، وكان هذا التأثير قد بدأ منذ القرن الثاني الميلادي، بدليل اللوحات البراكريتية التي وجدت بين الآثار القديمة في بلاد السند وهي تشير إلى ذلك[2] ومن هنا اعتقد بعض الباحثين القدماء أن اللغة السندية تفرعت عن اللغة البراكريتية المتفرعة من اللغة السنسكريتية[3] وقد رفض ذلك أيضاً بعض المحققين الجدد، ولكنهم قالوا إن البراكريتية أثرت في السندية في مفرداتها وكذلك عن طريقها دخلت الألفاظ السنسكريتية في السندية ولم تدخل بطريقة مباشرة[4].

جـ ـ السندية واللاندهية:

قال فريق ثالث من علماء اللغة بأن السندية متفرعة من اللاندهية التي لها

---

(1) التاريخ المختصر للغة السندية (سندي بولي جي مختصر تاريخ) للدكتور نبي بخش بلوچ السندي ص ١ و١٠ و١٢ باللغة السندية.
(2) المرجع السابق ص ٦ و٧.
(3) Encyclopeadia of Britanica, Vol 20, p. 700
(4) التاريخ المختصر للغة السندية (سندي بولي جي مختصر تاريخ) ص ١٢ باللغة السندية.

علاقة قوية بالسنسكريتية، وقال آخرون إن السندية متفرعة من اللاندهية والبراكريتية معاً[١] وذهب بعضهم إلى أن السندية تتعلق باللاندهية أو البنجابية الغربية من حيث التبويب العلمي[٢] وقد رفض بعض الباحثين الجدد هذا الادعاء أيضاً[٣].

د ـ السندية واللغات الأخرى:

يرى البعض الآخر أن السندية تأثرت بالفارسية الإيرانية والداردية في ذلك العهد القديم، وأما تأثيرات السنسكريتية والبراكريتية واللاندهية والكشميرية والبنجابية والأبرنشية كانت متأخرة نسبياً[٤].

هـ ـ السندية والسامية:

خرج بعض المحققين الباحثين المعاصرين بنظرية جديدة بعد دراسات ميدانية للآثار القديمة، فقرروا أن من أقدم السكان في بلاد السند كان هؤلاء الذين أتوا إليها من البلاد المجاورة والواقعة في غرب البلاد، واستوطنوا على الضفة الغربية لنهر السند، وتأثروا بحضارة موهنجود ارو السندية في ذلك العهد القديم، ثم أثبتت من الآثار القديمة، التي عثرت عليها بعد الحفريات في منطقة موهنجود أرو بأن حضارة السند هذه لم تكن أقل شأناً من الحضارة المعروفة في منطقة الدجلة والفرات بالعراق القديم، بل إنها كانت متشابهة لها إلى حد بعيد[٥].

وتفيد تحقيقات العالم سيرجون مارشل أيضاً بأن حضارة السند وحضارة بابل العراقية كانتا متشابهتين إلى درجة كبيرة، نتيجة للعلاقات المختلفة التي

---

(١) Encyclopeadia of Britanica. Vol. 20, p. 706.

(٢) Lambrick: Sind a general introduction, p. 222

(٣) التاريخ المختصر للغة السندية (سندي بولي جي مختصر تاريخ) ص ٧ باللغة السندية.

(٤) المرجع السابق ص ٤.

(٥) نفس المرجع ص ٤.

كانت قائمة بين بلاد السند وبلاد العراق في أقوى صورها في تلك العصور السالفة، كما عثرت على آثار للغة السندية من بينها أختام مكتوبة في منطقة موهنجو دارو تؤيد الصلة بينها وبين اللغات السامية، ويرى فريق من الباحثين المحدثين بأن بعض الألفاظ مثل (من ـ كنجو ـ هنجو) السندية في الأصل ألفاظ بابلية عراقية سامية، وكذلك وجدت حديثاً بين المخطوطات الأثرية للغة السندية لفظ (ادا) للحضارة السومرية العراقية القديمة، وأن مثل هذا اللفظ لا يوجد إلا في السندية وحدها[1] وكل ذلك يعني أن أقدم حضارة بلاد السند يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة وهي حضارة موهنجو دارو السندية التي تشبه الحضارة السامية في العراق القديم، وكذلك يؤيد ما ذهب إليه البعض بأن اللغة السندية كانت سامية الصفات على الأقل إن لم تكن متفرعة من السامية.

ثانياً: اللغة السندية في الدور التأسيسي:

إن الدور التأسيسي للغة السندية بدأ في عهد الحكومات الرائية والبرهمية في القرن السادس الميلادي واستمر حتى القرن الثامن الميلادي، وبذلك ظهرت اللغة السندية بمفرداتها اللغوية وخصوصياتها النحوية وصفاتها المعنوية والفكرية والأدبية.

ولا يمكن لنا تسمية أي لغة من لغات بلاد السند قبل الدور التأسيسي باسم اللغة السندية، لعدم وجود دلائل قاطعة تميز كيانها المستقل، كما لا نعرف معرفة كاملة عن فروعها العديدة أو لهجاتها المختلفة، ولا ندري أيضاً كيف كانت طريقة الكتابة بها قديماً، ولكن ثبت أنه كان لكل لغة أو لهجة سندية في كل منطقة من مناطق بلاد السند خط يختلف عن غيره من الخطوط،

---

(1) Sind. A General Introduction. P. 4.

كما كانت للقبائل السندية لغات أو لهجات خاصة يختلف بعضها عن البعض كثيراً أو قليلاً[1] وقد ذكر البعض بأن إحدى هذه اللغات أو اللهجات السندية معروفة باسم الكچهية مستعملة في منطقة كچه وهي متأثرة باللغة الكجراتية الهندية[2] ولغة أخرى باسم وجولو كانت في وسط بلاد السند اشتهرت بأنها لغة الأدب بين اللغات السندية قديماً، وهناك لغات فرعية أو لهجات تفرعت عن السندية مثل السيرائيكية والنهارلية أو الزطية واللارية واللاسية وغيرها[3].

وللغة السندية خصائص مميزة عن غيرها من اللغات الهندو آرية وهي تدل على أنها لغة قديمة عريقة، وتلك الخصائص لاتزال موجودة بينها لا يوجد مثلها في غيرها من اللغات المعروفة في شبه القارة الهندية، ويرى البعض أن هذه الصفة الأقدمية في السندية ترجع إلى الأبعاد الجغرافية لبلاد السند التي بقيت زمناً طويلاً في القديم معزولة عن غيرها من المناطق في هذه القارة لوجود صحراء واسعة وجبال عالية بينها وبين تلك المناطق التي تستعمل فيها لغات مشتركة خليطة، في حين ترتبط هذه الخصائص في اللغة السندية بخصائص متشابهة في اللغة الداردية المنتشرة في الشمال الغربي لبلاد السند، ومن الصفات الظاهرة فيها التشديد الذي يستعمل بكثرة في السندية، وانتهاء الجملة بكلمة يكون حرفها الأخير حرفاً متحركاً، وتكون هذه الكلمة الأخيرة فعلاً ماضياً[4].

ثالثاً: اللغة السندية في دور الاكتمال في ظلال اللغة العربية:

يعتبر عهد العرب ببلاد السند (٩٢ - ٤١٦ هـ) العهد الذهبي بالنسبة للغة السندية التي هي الآن لغة معروفة في باكستان الإسلامية، ففي هذا

---

(١) التاريخ المختصر للغة السندية (سندي بولي جي مختصر تاريخ) ص ٢٠ باللغة السندية.
(٢) Encyclopeadia of Britanica, Vol. 20, p. 706.
(٣) Lambrick: Sind a general introduction, p. 222.
(٤) Ibid, p. 226.

...د تطورت السندية، واكتملت بحيث وصلت إلى منزلة لغة رئيسية بين ...ت أو اللهجات السندية المختلفة، وظلت منذ ذلك العهد على صورتها ...بية إلى عهدنا الحاضر.

من أهم الأسباب التي ساعدت على وصولها إلى هذه المنزلة المرموقة هو أن بلاد السند صارت منذ أواخر القرن الأول الهجري، ولأول مرة في التاريخ ظهرت حكم منظم عادل وهو الحكم العربي الذي أثر على حياة الشعب السندي في كل ناحية، كما أعطى فرصة كاملة للغة السندية لتقوم وتظهر بالمظهر ... والشعب السندي بالإضافة إلى قبوله السياسة العربية فإنه اختار ...الأخلاق، الإسلام ديناً رسمياً، وقد ساعد الدين الإسلامي والحياة الإسلامية الجديدة على تقوية المركز السياسي للعرب في بلاد السند. وبذلك كله قلت التفرقة بين أهل السند، وبدأت لغاتهم أو لهجاتهم تتوحد حتى ظهرت من بينها السندية الإسلامية التي أخذت تتقرب إلى العربية تقرباً شديداً وتتأثر بها تأثراً كبيراً[1].

وكانت السندية تسير جنباً إلى جنب مع العربية في عهد العرب ببلاد السند، بحيث كانت العربية، لغة الدوائر الحكومية والخواص بينما كانت السندية لغة العوام، وقد صرح المؤرخون والجغرافيون العرب الذين زاروا بلاد السند في القرن الرابع الهجري بأن أهل المنصورة عاصمة بلاد السند في عهد العرب وأهالي إقليم البنجاب وسكان المدن السندية الأخرى يتكلمون العربية والسندية معاً[2] ويفهم من إشارة ابن النديم (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) أن الخط السندي كان يشبه الخط العربي في ذلك العصر مع فرق بسيط[3].

---

(١) التاريخ المختصر للغة السندية (سندي بولي جي مختصر تاريخ) ص ٢٣ باللغة السندية.

(٢) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٧ - ابن حوقل ص ٢٢٨ - احسن التقاسيم للبشاري المقدسي ص ٤٧٦ - وكذلك انظر ملت إسلامية للدكتور إشتياق حسين قريشي ص ٤٧ بالأردية.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٧.

وهذا يدل على أمرين: أولهما أن اللغة العربية انتشرت ووصلت درجة عظيمة مع بقاء اللغة السندية واحترام كيانها في البلاد، وثانيهما أن العربية لكونها لغة الحكام من ناحية ولغة الإسلام من ناحية أخرى، قد أثرت في السندية وسيطرت عليها بحيث اتسعت دائرة السندية بدخول كثير من الألفاظ العربية والأفكار الإسلامية فيها.

واللغة السندية تكتب بالحروف العربية وعددها ٥٢ حرفاً بما فيها كل الحروف العربية بالإضافة إلى أربعة أحرف فارسية وهي(پ - چ - ژ - گ) وأما بقية الحروف الزائدة فهي أيضاً على أشكال بعض الحروف العربية تتميز بوضع نقط زائدة فوقها أو تحتها، واللغة السندية بعد ذلك تشمل نحو ٣٠٪ من الكلمات العربية بجانب تأثرها الشديد باللغة العربية في القواعد والأسلوب والبلاغة والعروض وكذلك المعاني الإسلامية.

وفي الوقت الحاضر توجد دعوة قوية إلى جعل اللغة العربية لغة رسمية في باكستان مع بقاء اللغات المحلية، وذلك لأسباب كثيرة، أهمها أن اللغة العربية لغة الإسلام ثم إن اللغات الخمس الموجودة في باكستان كلها تكتب بالعربية وأيضاً بها نسبة كبيرة من الكلمات العربية.

وهكذا منحت اللغة العربية إلى اللغة السندية كثيراً من الألفاظ العربية والمعاني الإسلامية فمنحتها بذلك الروح والقوة،كما أعطت لها شكلاً عربياً في النطق والكتابة فأعطتها بذلك الجمال والرقة، حتى صارت اللغة السندية لغة مهمة من اللغات الإسلامية.

الفصل الرابع

تقدم العلوم العقلية ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب

تقدير العرب للعلوم:

من الخصائص المعروفة المميزة للعرب أنهم بقدر ما كانوا يهتمون بتشكيل حكوماتهم في البلاد المفتوحة وتنظيم شئونها السياسية والاقتصادية كانوا يهتمون بتنظيم الأمور الثقافية والتعليمية والمذهبية، والمدنية على أوسع نطاق، ذلك لأن الدين الإسلامي يأمرهم بذلك، ويبذلون الجهود لنشر العلم من عادة العرب القضاء على الثقافات والحضارات الموجودة في البلاد المفتوحة، فلم يكن بل كانوا يقومون بدراستها ويسعون لأخذ العلوم التي يرونها نافعة لهم، والتي لا تعارض مع تعاليم الإسلام، ثم يمزجونها بثقافتهم وحضارتهم، حتى نشأت عن ذلك المزج حضارة جديدة سميت بالحضارة الإسلامية التي صارت حضارة عالمية لخير الإنسانية جمعاء في كل زمان وفي كل مكان.

وكذلك حين تأسست الدولة العربية ببلاد السند في سنة ٩٢ هـ فإن العرب في سبيل إبقائهم على الثقافة أو المدنية التي وجدوها في هذه البلاد، وجهوا عنايتهم لدراسة العلوم والفنون المختلفة بها والعمل على تقدمها من ناحية، والاستفادة منها مع الاضافة إليها من ناحية أخرى.

ويبدو أن ميدان النشاط في هذا المجال كان ضيقاً أمام العرب في العصر

الأموي ببلاد السند، لانشغالهم بتنظيم شؤون حكومتهم واهتمامهم بالشؤون المذهبية ونشر العلوم الإسلامية واتخاذ المساجد التي بنوها كمعاهد للدرس والعلم، وجعل المدن الكبيرة التي تكثر بها المساجد ويكثر بها العلماء مراكز للثقافة الإسلامية والتبليغ للإسلام.

ولكن هذا الميدان العلمي للعرب قد اتسع في العصر العباسي، وأهم الأسباب التي دفعت العرب للعناية بالناحية الثقافية في بلاد السند، هو إيمان العرب بتأدية الواجب وهو العمل على تقدم العلوم وسيرها مع التطور الفكري في العالم، وتمشياً مع سياسة النهضة العلمية التي ظهرت في بغداد دار الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، حين اهتم الخلفاء كالمنصور والرشيد والمأمون بالعلوم العقلية ونشرها بين المسلمين وخاصة علم الرياضة وعلم الطب وعلم الفلك والنجوم، وبما أن مثل هذه العلوم كانت معروفة ببلاد السند، زاد ذلك من تشجيع الحكام العرب على بذل مزيد من الجهود لتوسيع دائرة انتشار تلك العلوم، وذلك بإرسال الوفود العلمية والكتب القيمة والعلماء والأطباء السند والهنود إلى دار الخلافة بصفة خاصة والولايات الإسلامية بصفة عامة، مساهمة في نشر العلوم العقلية التي كانت في المرحلة الأولى من مراحل نهضتها عند العرب في ذلك العصر.

ومن هنا بدأت العلاقات الثقافية والعلمية بين العرب وأهل السند، وازدادت قوة يوماً بعد يوم لخير الجانبين ولخدمة العلم والإنسانية ولبناء صرح الحضارة الإسلامية العظيمة.

ولم يمض زمن قصير حتى انتشرت هذه العلوم بين العرب وتقدمت بشكل ملحوظ مدهش، بعد تفوق العرب في هذه العلوم وإضافاتهم إليها بمواد علمية ونظريات مكملة لها، بحيث أصبح العرب أيضاً بدورهم كأصحاب تلك العلوم، وأخذوا يساهمون في تقدمها في البلاد العربية وبلاد السند بل على نشرها في العالم كله، وبذلك يكون العرب قد ردوا إلى أهل السند والهند

العلمي الذي كانوا قد أخذوه منهم في القرن الثاني الهجري بل ردوه إليهم مع فوائد علمية جديدة في القرن الرابع الهجري، وهكذا كان للعرب في عهدهم ببلاد السند دور إيجابي كبير في تقدم العلوم العقلية والفنون المختلفة، فضلاً عن قيامهم بنشر العلوم العربية والإسلامية وأدائهم للواجب المقدس وهو نشر الإسلام بين أهل السند والبنجاب.

وقبل أن أدخل في تفاصيل موضوع العلاقات العلمية بين أهل السند والعرب، وما بذل العرب من جهود جبارة في سبيل تقدم العلوم والفنون في بلاد السند، أريد أن أشير إلى واقعة تاريخية مؤلمة وهي أن بعض الأجانب المعادين للعرب والمسلمين قد ظلوا يكتبون في مؤلفاتهم الكثيرة حتى القرن العشرين عن تاريخ بلاد السند والهند، لمقاصد بلادهم السياسية الاستعمارية، لا لخدمة التاريخ والعلم والحقيقة ولا تقديراً منهم لأهل السند ودورهم على مسرح التاريخ، ولذلك تراهم جعلوا بدء العلاقات بين العرب وأهل السند والهند ابتداء من حملة السلطان محمود الغزنوي في القرن الخامس الهجري على شبه القارة الهندية، فهم ينسون بل يتناسون الأحداث التاريخية العظيمة التي وقعت في القرون الأربعة الأولى للهجرة في بلاد السند بين العرب وأهل السند من روابط سياسية ومذهبية وعلمية وتجارية طيبة في خلال فترة تاريخية طويلة سابقة، وقد أشار بعضهم إشارة سريعة إلى فتح محمد بن القاسم الثقفي لبلاد السند، في صورة علاقات ضعيفة بل مشوهة سيئة، بأنها كانت مجرد علاقات الحرب والغزو والدمار، وعلاقات الظلم والكراهية والاستغلال، وبذلك يخون هؤلاء الأجانب التاريخ ويغدرون بالعلم والفضيلة والحق، ولكن من المؤسف أن نجد كثيراً من المؤرخين المسلمين أيضاً قد قلدوا هؤلاء الأجانب وخاصة الإنجليز وأتباعهم الضالين ينقلون بعضاً من تلك الأخبار غير الصحيحة إلى كتبهم المختلفة، وبذلك قد ضلوا وكادوا يضلون الكثيرين من المسلمين بتشويه الحقائق التاريخية، حتى صارت مثل هذه الروايات عن العرب في بلاد

السند كواقعة تاريخية في نظر البعض، وهي ليست كذلك وإنما الحقيقة هي أن العلاقات التجارية والفكرية كانت موجودة بين البلاد العربية وشبه القارة الهندية قبل الإسلام أي قبل فتح العرب لبلاد السند، ثم قويت تلك العلاقات بجانب ظهور علاقات جديدة في ميدان السياسة والدين والفكر بين العرب وأهل السند وظلت مستمرة من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري أيام الحكم العربي ببلاد السند، حتى استولى السلطان محمود الغزنوي عليها، ولكن بالرغم من انتهاء العلاقات السياسية بين العرب وأهل السند فإن العلاقات الروحية والثقافية والتجارية وعلاقات الأخوة وحسن الجوار ظلت باقية إلى يومنا هذا، ويكفي العرب فخراً أن يشاهدوا اليوم ثمرة جهادهم في بلاد السند والملتان (الباكستان الإسلامية الحالية) وأن يجدوا أهلها جميعاً من المسلمين المحبين للعرب والمخلصين للإسلام.

أولاً: العلوم العقلية عند أهل السند والبنجاب وتقدمها في عهد العرب:

المقصود هنا بالعلوم العقلية هي علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء وغيرها، وتعتبر بلاد السند والهند من البلاد التي أوجدت هذه العلوم أو كانت مركزاً من المراكز الرئيسية لها في القديم، ويرى بعض الباحثين بأن مثل هذه العلوم قد نهضت في بلاد السند بعد فتح الاسكندر الأكبر لها في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد نتيجة للاتصال الفكري لأهل السند باليونان وثقافتهم وحضارتهم في الفترة التي كانت بلاد السند تحت الحكم اليوناني، ثم بعد ذلك أضاف أهل السند الكثير إلى هذه الذخيرة العلمية التي أخذوها من اليونان حتى صاروا من المتخصصين في تلك العلوم وكالواضعين لأصولها في القديم ولاسيما في الرياضيات وعلم الفلك والنجوم، وذلك منذ أن ظهر العالم الهندي الكبير (برهم كبت) بنظرياته الجديدة في الرياضيات في القرن الخامس الميلادي وأضاف إليها خلفه العالم الهندي المعروف (آريه بهت) نظريات أخرى في القرن السابع الميلادي، وكذلك اشتهر أهل السند والهند بالعلوم الطبية

والفلسفية في القديم وفي صدر الإسلام ثم زادت هذه العلوم ازدهاراً ببلاد السند والبنجاب وخارجها في عهد العرب.

علم الرياضيات:

لقد كان لأفكار أهل السند والهند اتصال خاص، بعلم الرياضيات، ولذلك نلاحظ أن معظم العلماء الذين ظهروا في العلوم العقلية ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب كانوا علماء الرياضة والهندسة[1] أو كانوا يجمعون بين العلوم الرياضية والعلوم الأخرى كعلم النجوم والفلك وأحياناً علم الطب، وخاصة هؤلاء العلماء الذين استفادوا من الأبحاث العلمية العربية في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري أي في نهاية عهد العرب ببلاد السند والملتان[2] ويفيدنا التاريخ أن الأبحاث العقلية للعرب قد أثرت كثيراً في تلك العلوم وامتزجت بها إلى حد بعيد كما يشير إلى ذلك المستشرق جوستاف لوبون بأن المقصود بالعلوم العقلية في بلاد السند والهند منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هو العلوم العربية أي العلوم التي طورها العرب ووصلوها إلى درجة الكمال وقدموها إلى أهل السند والهند في ذلك القرن[3].

وقد أخذ العرب في البداية كثيراً من أسس الرياضيات من أهل الهند والسند، من بينها أرقام الحساب من ١ - ٩ ولذلك يسمى العرب هذا العلم بالحساب الهندي أو الأرقام الهندية نسبة إلى مصدرها أي شبه القارة

---

(١) تعلم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعلم مسلمانون كي عهدمين) لسليمان ندوي ص ١١١ بالأردية.

(٢) انظر كتاب الهند للبيروني ص ٩٤.

(٣) انظر حضارة الهند لجوستاف لوبون وكذلك تعلم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعلم مسلمانون كي عهدمين) لسليمان ندوي ص ١١١ بالأردية.

الهندية وربما العالم السندي الذي وصل بغداد مع الوفد العلمي سنة ١٥٤ هـ وقدم إلى الخليفة المنصور كتاب (سدهانت) الذي كان يحتوي على الحساب والأرقام في الباب الثالث عشر والباب الرابع عشر منه، قد اشترك بنفسه في ترجمته مع العالم العربي إبراهيم الفزاوي[١] وأكد بعض الباحثين بأنه عن طريق ذلك الكتاب المهم انتشرت طريقة الحساب هذه بين العرب في القرن الثاني الهجري[٢] ولكن العرب هم الذين أضافوا الصفر إلى تلك الأرقام وأحدثوا إنقلاباً بتلك القفزة اللانهائية في علم الحساب والرياضة.

وبعد مضي نصف قرن من الزمن على ترجمة ذلك الكتاب وانتشار تلك الطريقة الحسابية بين العرب قام العالم الرياضي الفلكي محمد بن موسى الخوارزمي الذي كان يعمل في بلاط الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) بوضع علم الحساب الهندي في القالب العربي مع بعض إضافات مهمة مثل إضافة الصفر إلى الأرقام وبذلك تم تركيب أشكال الأرقام الحسابية العربية ومن ثم أخذ علم الحساب يتقدم عند العرب، ثم انتقلت هذه الأرقام العربية ومسائل مختلفة من علم الرياضة بواسطة العلماء العرب بالأندلس إلى بلاد أوروبا بحيث سمى الأوروبيون تلك الأرقام بالأعداد العربية Arabic Numeral كما سموا في أوروبا فرعاً لعلم الرياضة باسم Algorism نسبة إلى اسم الخوارزمي الذي رتب أشكال هذا الفرع من الحساب ووضع أسسا أخرى للنظريات الرياضية ولاسيما الجبر[٣] مما يدل ذلك على فضل العرب على أوروبا في نهضتها العلمية، وفي القرن الثالث الهجري لعب العالم الرياضي علي بن محمد النسوي (٩٨٠ - ١٠٤٠ م) دوراً كبيراً في نشر علم الحساب بالطريقة الهندية

---

(١) رسائل إخوان الصفا ص ١٦ - كتاب الهند للبيروني ص ٩٣.

(٢) Aziz Ahmed: Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, p. 108. Orford, Charendon Press, 1964.

(٣) Encyclopaedia of Britanica, Vol. 19, P. 867.

بن العرب، فقد ألف كتابا أسماه (المقنع في الحساب الهندي) الذي اعتمد عليه كثير من العلماء الرياضيين وألفوا كتباً مفيدة في علم الرياضة في القرون التالية[1].

ثم بعد مضي قرن آخر أي في القرن الرابع الهجري تفوق العرب في الرياضيات، وكانت النتائج العلمية فيها عندهم مدهشة للغاية، وحين حضر العالم الكبير أبو ريحان البيروني إلى بلاد السند في بداية القرن الخامس الهجري، قام بترجمة بعض الكتب والأبحاث العلمية العربية في علم الرياضة إلى السنسكريتية وربما إلى السندية أيضاً لإقامته ببلاد السند واختلاطه بعلمائها الكبار، كما كتب هو نفسه رسائل عديدة في هذا العلم، منها رسالة في الأعداد والحساب الهندي، ورسالة حقيقية على كتاب اصطرلاب ولاسيما رسالة قيمة في بيان أن الطريقة العربية في كتابة الأعداد الحسابية وبعض النظريات الرياضية تعتبر أصح من الطريقة الهندية الأصلية[2].

ومن الجدير بالذكر هنا أنه بالرغم من أن الطريقة اليونانية في الحساب كانت قد انتقلت إلى العرب في زمن الخوارزمي، فإن الحساب الهندي كان مقبولاً عندْ العرب أكثر من الحساب اليوناني حتى عند كبار العلماء العرب والمسلمين الذين اهتموا به كالعالم الإسلامي الإمام ابن سينا (٤٢٨ هـ/ ١٠١٥ م) الذي تعلم الحساب الهندي أيضاً وكان يشتغل به[3].

وهكذا نرى أن العلوم الرياضية كانت معروفة في بلاد السند قبل الإسلام وقد استفاد منها العرب في القرن الثاني الهجري، ثم أفادوا أهل السند في القرون التالية بالإضافات العلمية والأبحاث القيمة في هذا العلم، وبذلك زاد تقدم العلوم الرياضيـة ببلاد السند في عهد العرب بفضل العلاقات العلمية

---

(١) مفاتيح العلوم لمحمد بن أحمد الخوارزمي ص ١٩٣.

(٢) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٧٧ بالأردية.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٢.

علم الفلك والنجوم:

يعتبر علم الفلك والنجوم أيضاً من العلوم العقلية القديمة المهمة عند أهل السند والهند، لا من الناحية العلمية التي تتعلق بالكون وأسراره، بل حتى الناحية الاعتقادية لثقة أهل الهند والسند، في أقوال المنجمين عن أخبار غيبية تتعلق بمستقبل الناس والبلاد والشؤون المختلفة، ولكن العرب أخذوا علم الفلك والنجوم من حيث هو علم يبحث في أسرار الكون وفي الأجرام السماوية، دون الاعتقاد بما يقوله هذا العلم على لسان علمائه السند والهند بالمغيبات، لأن الإسلام قد منع الاعتقاد بها وقد أخذ العرب هذا العلم عن طريق علماء السند والهند وكتبهم القيمة في العصر العباسي منذ القرن الثاني الهجري، ومن أقدم وأشهر الكتب في هذا العلم الخطير هو كتاب (سدهانت) المعروف عند العرب باسم (السندهند) وكتاب ثان (آركند) المعروف عند العرب باسم (اهرقن) وكتاب ثالث (ارجبهد) وغيرها.

أما كتاب سد هانت فيعتبر أقدم وأشهر كتاب في علم الفلك والرياضة للعالم الهندي برهم كبت وقد ألفه في القرن الخامس الميلادي، وهو أول كتاب هندي في هذا المجال العلمي وصل إلى العرب، بل هو أول كتاب هندي قام العرب بترجمته وبه عرفوا مكانة الهنود والسند في العلوم العقلية وتبحرهم فيها، فقد قدمه عالم سندي إلى الخليفة المنصور العباسي سنة ١٥٤ هـ حين أتى إلى بغداد مع الوفد العلمي، وقام بترجمته العالم الرياضي إبراهيم الفزاري بمساعدة هذا العالم السندي من الهندية إلى العربية بأمر الخليفة[1].

وبعد سنوات عديدة قام العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق بترجمة

---

(١) كتاب الهند للبيروني ص ٢٠٨ ـ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٤٩ ـ أخبار الحكمة للقفطي ص ١٧٨ ـ مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ١٤٨.

يعني الكتاب بطريقته الخاصة وقد اشتهر هذا الكتاب عند العرب باسم (السند هند) والاسم الكامل للكتاب بالسنسكريتية هو (برهم كبت سد هانت) أي كتاب سد هانت لبرهم كبت(1) وكان سد هانت أكثر أهمية عند العرب من بين تلك الكتب الهندية الثلاث، وبالرغم من أن كتاب مجسطي لبطليموس اليوناني كان قد ترجم في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) كما أقيم في بغداد دار الأرصاد وأضيفت معلومات جديدة الى تلك الأبحاث العلمية السابقة، فإن العرب ظلوا يعتمدون على كتاب سد هانت في علم الفلك مدة طويلة في البلاد العربية من بغداد الى الأندلس، وقد قاموا بتلخيصه وكتبوا عليه شروحاً كثيرة وصححوا الأخطاء الموجودة به كما أدخلوا عليه إضافات علمية قيمة بحيث أكملوا النقص فيه، وكانت حركة البحث والدراسة والتحقيق والشرح والإضافة لهذا الكتاب ظلت مستمرة من سنة ١٥٤ هـ حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وعلى ذلك فقد استفاد العرب منه في البداية وأضافوا إليه في النهاية خدمة لهذا العلم.

ففي عهد الخليفة المأمون قام العالم الفلكي محمد بن موسى الخوارزمي بوضع زيج في علم الفلك وقد ضم إليه الأصول اليونانية والفارسية والهندية على أنه جعل الأصول الهندية أساساً فيه وبقسط وافر ولذلك سمي كتابه (السند هند الصغير) أي سدهانت الصغير(2) وعلى نفس النهج قام كثير من العلماء المحققين في البلاد العربية مثل حسن بن خصيب وفضل بن حاتم التبريزي وأحمد بن عبد الله المروزي وأبي ريحان البيروني بشرح كتاب سدهانت وتصحيحه وتكميله بالإضافات العلمية القيمة وكذلك بضم الأصول اليونانية والأبحاث العربية إليه، وقد وصلت أصول سد هانت إلى بلاد الأندلس أيضاً في القرن الرابع الهجري وقام العالم مسلمة بن احمد المجريطي

---

(1) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٣٧ بالأردية.

(2) أخبار الحكماء للقفطي ص ١٧٨.

(المتوفى ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) بتلخيص زيج الخوارزمي أي كتاب (السند هند الصغير) ثم من بعده وضع العالم الفلكي أبو القاسم أصبغ المعروف بابن السمح الأندلسي (المتوفى ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) زيجاً كبيراً على أصول السند هند أي سند هانت نفسه، ثم بعد ذلك أخذ ميدان البحث يتسع وبدأ كثير من العلماء العرب يكتبون أبحاثاً جديدة على نتائج أصول سد هانت، كما فعل العالم إبراهيم الزرقاني الأندلسي في كتابه المسمى (صفحة زرقانية) وعن طريق العلماء العرب بالأندلس انتقل كتاب سد هانت هذا إلى أيدي العلماء الأوروبيين الذين بدأوا يستفيدون بدورهم منه، فقد قام بعضهم بوضع زيج على أصول سد هانت باللغة العربية كما كتب عليه الآخرون كتباً وأبحاثاً كثيرة أيضاً فيما بعد[1].

والكتاب الثاني المهم في علم الفلك هو كتاب (اركند) أو أهرقن واسمه باللغة السنسكريتية (جهند اكهديك) وهو أيضاً للعالم الهندي برهم كبت الذي ألفه في القرن الخامس الميلادي بعد تأليفه للكتاب سدهانت، إلا أن أصول أركند تختلف عن أصول سدهانت[2] وقد ترجم هذا الكتاب أيضاً إلى اللغة العربية في القرن الثاني للهجرة واستفاد منه العلماء العرب ولكنه لم ينل الشهرة والقبول عندهم بالقدر الذي ناله كتاب سدهانت، وقد تعلم طريقة كتاب أركند العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق في سنة ١٦١ هـ من ذلك العالم السندي الذي أتى إلى بغداد سنة ١٥١ هـ وقدم كتاب سدهانت للخليفة المنصور[3] وللأسف لم أستطع الوصول إلى اسم ذلك العالم السندي.

والكتاب الثالث في علم الفلك الذي وصل إلى العرب هو كتاب

---

(١) انظر التفصيل في المحاضرات رقم ٢١ - ٢٣ ألقاها العالم الايطالي مينولرفيلينو في سنة ١٩٠٩ و ١٩١٠ بالجامعة المصرية عن تاريخ علم الفلك عند العرب وانظر طبقات الأمم الصاعد الأندلسي ص ٩٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٣.

(٣) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٣٧ بالأردية.

جيهد) واسمه السنسكريتي (آريه بهت) على اسم مؤلفه العالم الهندي آريه
الذي ألفه في القرن السابع الميلادي، وهو يعتبر مكملاً للكتاب
هات وإن اختلف عنه في بعض أصوله، وقد ترجم هذا الكتاب أيضاً إلى
ة العربية وقام بترجمته العالم أبو الحسن الأهوازي في نهاية القرن الثاني
جري [1] واستفاد منه العلماء العرب معلومات جديدة في علم الفلك.

ولم يكن العلماء العرب في العصر العباسي يكتفون بالاستفادة من الكتب
رجمة أو من صحبة علماء السند والهند العاملين في حقول العلم ببلاد العرب
ياصة بغداد، وإنما كانوا يبذلون أقصى جهدهم لنشر تلك العلوم ببلادهم
لعمل على تقدمها بسعيهم العلمي المتواصل، حتى يشتركوا في ركب الحضارة
علمية بأبحاث قيمة يقومون بها وبإضافات علمية يضيفونها إليها، وكان
خلفاء العباسيين أنفسهم يهتمون بتقدم تلك العلوم العقلية ليظهر بين العرب
باقرة فيها، لا أن يبقى العرب مجرد مقلدين سلبيين، فقد أرسل الخلفاء
وفود في رحلات علمية ميدانية إلى بلاد السند والهند والبحث والتحقيق في
ثير من المسائل العلمية المتعلقة بالعلوم المختلفة، كما كان بعض كبار العلماء
عرب يحضرون إلى هذه البلاد ويدرسون كتبها العلمية، ويتبادلون الآراء مع
علمائها في النقط الحساسة والغامضة لتلك العلوم المهمة، وبذلك كان كل من
لجانبين يستفيد استفادة علمية طيبة وكان ذلك يساعد على تقدم العلوم عند
لعرب وعند أهل السند والهند باستمرار.

فمن العلماء العرب الذين زاروا بلاد السند في عهد العرب مثل محمد بن
إسماعيل (القرن الثالث الهجري) وكان عالماً مشهوراً في علم الفلك والنجوم
والرياضة في عصره وقد اختلط بعلماء السند الكبار بجمع معلومات قيمة عن

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٣ ـ كذلك انظر تعليم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعلم مسلمانون كي عهد مين) لسليمان ندوي ص ١١٢ بالأردية ـ العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٣٩ بالأردية.

علم الفلك والنجوم ثم عاد إلى موطنه بغداد[1] ولا بد أنه أفاد علماء السند أيضاً بالمعلومات العلمية التي كانت معه، ولكن للأسف لا نجد التفصيل لأخباره وأعماله العلمية ومؤلفاته، وكذلك حضر عدد كبير من العلماء المسلمين إلى بلاد السند للتبادل العلمي.

وأعظم الشخصيات العلمية الذي لعب دوراً مهماً في العلاقات العلمية بين العرب وأهل السند وقدم للطرفين خدمات علمية هو العالم الرياضي والفلكي العبقري أبو ريحان البيروني الذي حضر إلى بلاد السند في بداية القرن الخامس الهجري، وقام بترجمة بعض الكتب والأبحاث العلمية من اللغة العربية إلى اللغة السنسكريتية وربما اللغة السندية أيضاً[2] حتى يستفيد منها علماء السند والهند، كما كتب رسائل عديدة في علم الفلك والنجوم منها رسالة كتبها في الإجابة على أسئلة الفلكيين المنجمين ببلاد السند ورسالة في الاجابة على أسئلة علمية لكبار علماء كشمير والبنجاب، وكذلك رسالة تحقيقية على كتاب اصطرلاب، كما ترجم من العربية كتاب المجسطي لبطليموس ومقالات اقليدس، وكذلك قام بتصحيح الكتب الثلاثة التي ترجمت إلى العربية من السنسكريتية في بغداد في القرن الثاني للهجرة وهي كتاب سد هانت وكتاب أركند وكتاب أرجبهد، وكلها في علم الفلك وقد سبق الكلام بالتفصيل عنها، ولكنه ضمها كلها في كتاب واحد بعد التصحيح والإضافة وسماه (حوا مع الموجود بخواطر الهنود) وقام بتأليف وترجمة كتب أخرى كثيرة في العلوم والمذاهب وليس هنا مجال للحديث عنها، وأهم كتاب ألفه البيروني هو ذلك الكتاب الضخم في خمسمائة صفحة عن كتاب سدهانت بطريقة علمية تحقيقية جديدة لبيان تلك الأخطاء التي وقعت من جانب المؤلف أو من جانب المترجمين له، ومن الأعمال العظيمة للبيروني في بلاد السند أنه قام

(١) انظر طبقات الأمم لصاعد الأندلسي.

(٢) لأن البيروني لم يزر غير بلاد السند في شبه القارة الهندية.

بيروني دوران الأرض مرة أخرى في القرن الخامس الهجري، بعد أن كان قد أحد العلماء العرب بذلك في أوائل القرن الثالث الهجري في بغداد بأمر الخليفة المأمون العباسي، وكانت النتيجة الثانية موفقة للغاية فقد أضاف البيروني شيئاً جديداً إلى تلك الخبرة العلمية العربية السابقة[1].

وهناك كتب أخرى في العلوم العقلية ألفها العلماء الهند والسند في العصر العباسي، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة كتاباً في أحداث العالم للطبيب المعروف كنكه الهندي الذي كان من أعظم العلماء في عصره في علم الفلك، وكان يعيش في بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد[2] وهناك كتاب في علم الجفر (التنجيم) من تأليف المنجم المسلم عطارد بن محمد (القرن الثاني للهجرة) باللغة العربية[3] وفي الغالب اعتمد على بعض الكتب الهندية السندية عند تأليف كتابه هذا.

كما توجد مجموعة من الكتب اختلف الكتاب العرب بشأن موضوعاتها فقد اعتبرها البعض من كتب علم النجوم والبعض الآخر اعتبرها من كتب الطب وقد ذكر ابن النديم أربعة كتب في العربية للطبيب الهندي كنكه في علم النجوم وهي كتاب النمو دار في الأعمار وكتاب أسرار المواليد وكتاب القرانات الصغير[4] ولكن ابن أبي أصيبعة الذي كان نفسه طبيباً قد اعتبرها من كتب الطب، ولعلها كانت تحتوي على علم الطب وعلم النجوم معاً كشأن بعض الكتب القديمة، وكان لمعظم الأطباء حظ في علم الفلك والنجوم أيضاً وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، فقد ذكر ابن النديم أسماء أربعة من علماء النجوم والفلك المعروفين عند العرب وكانوا من الأطباء الكبار أيضاً، منهم كنكه

---

(1) كتاب القانون المسعودي للبيروني في النسخة المخطوطة في مكتبة جامعة عليكر الإسلامية بالهند.

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٣٣.

(3) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨.

(4) المرجع السابق ص ٢٧٠.

الهندي نفسه وجودر الهندي الذي له كتاب باسم المواليد وبهق الهندي الذي له كتاب باسم أسراء المسائل ومنجل الهندي الذي له كتاب باسم المواليد الكبيرة[1] وقد ذكره البيروني أيضاً ضمن علماء النجوم[2] .

وهكذا رأينا كيف بدأت الاستفادة في علم الفلك والنجوم عند العرب عن طريق علماء السند والهند وكتبهم العلمية القيمة ثم كيف قدم العرب خدمات جليلة في حقل هذا العلم إلى أهل السند والهند خاصة وإلى البشرية عامة.

علـم الطـب :

كان العرب في الجاهلية لا يعرفون الطب المتقدم وكانوا يعتمدون على بعض الوصفات الشعبية في علاج الأمراض، ثم لما جاء الإسلام حث القرآن الكريم المسلمين في آيات كثيرة إلى طلب العلم والبحث والتحقيق وأشار إلى الطب بالاهتمام بالصحة والنظافة كما بين الرسول عليه الصلاة والسلام بعض أصول الطب في أحاديثه ورغب الناس إلى التداوي وترك الخرافات، وقد جاء في الأثر «تداووا عباد الله، فإن الله لم يخلق داء إلا وجعل له دواء»، وقد اهتم العرب بعلم الطب أيضاً بجانب اهتمامهم بكثير من العلوم الأخرى، فترجموا بعض الكتب في الطب من اليونانية إلى العربية واستفادوا منها استفادة أولية في العصر الأموي[3] .

ثم في العصر العباسي زاد اهتمام العرب بالعلوم العقلية منها الطب الذي أخذه العرب من اليونان والفرس ومن أهل السند والهند، فأصبح علم الطب عندهم خلاصة ممزوجة لتجارب الأمم المختلفة، حتى ظهر الطب العربي في القرن الرابع الهجري على شكل جديد، وكان العرب في بداية العصر

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٣٣.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٧١.
(٣) انظر مختصر الدول لابن الفرج الملطي ص ١٩٢.

العباسيون قد قرروا الحصول على هذا العلم المهم أينما كان بحكم طبيعتهم الباحثة والميالة إلى طب العلم والمعرفة والكمال، وكذلك بحكم سياسة ذلك العصر العباسي الذي دفعهم نحو النهضة العلمية.

ولكننا نلاحظ أن اهتمام العرب بعلم الطب الهندي السندي كان أكثر من اهتمامهم بهذا العلم عند الأقوام الأخرى[1] ذلك لأسباب كثيرة منها اهتمام البرامكة بالعلوم السندية الهندية ونقلها إلى البلاد العربية لأن البرامكة أصلاً كانوا من بلاد السند وعاشوا في بلاد فارس ثم انتقلوا إلى البلاد العربية، ومنها أن بعض الخلفاء أصيبوا بأمراض خطيرة وفشل الأطباء العرب واليونان في معالجتهم مما أدى إلى الاهتمام بأطباء الهند والسند وطلبهم إلى دار الخلافة ببغداد وذلك عملاً برأي البرامكة، فقد حدث أن مرض الخليفة المنصور العباسي (١٣٦ - ١٥٨ هـ) مرضاً شديداً بمرض المعدة وسوء الهضم لمدة طويلة وفشل الأطباء العراقيون وغيرهم في معالجته، بل تنبأوا بقرب موته بسبب إكثاره من الطعام وإسرافه في تعاطي الأدوية الحارة التي تهضم الطعام ولكنها تضر المعدة والأمعاء وقد ذهب المنصور ضحية عدم إصغائه لنصائح الأطباء، ثم أصيب الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) بمرض خطير وعجز كبار الأطباء المعروفين من العرب واليونان ببغداد في علاجه، فأشار البرامكة عليه بطلب طبيب معروف من بلاد السند والهند يسمى منكه الهندي، وقد استطاع هذا الطبيب أن يعالجه وأثبت بذلك مهارة أطباء السند والهند في علم الطب، ومنذ ذلك الوقت بدأ الخليفة وكبار رجال الدولة يهتمون بطب بلاد السند والهند[2] وبإرسال الوفود العلمية إلى تلك البلاد، فقد أرسل يحيى بن خالد البرمكي الوزير العباسي وفداً علمياً للبحث عن

---

(١) تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم جـ ٢ ص ٣٥٣.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٣١ - والفهرست لابن النديم ص ٤٢١.

الأدوية والعقاقير الطبية وإحضارها إلى العراق[1] وكذلك بإحضار الكتب الطبية واستقدام كبار الأطباء للعمل في بغداد، وقد كان الطبيب ابن دهن الهندي رئيساً على دار الشفاء للبرامكة في بغداد[2] كما كان الطبيب منكه الهندي مشرفاً على دار الحكمة للترجمة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية[3] ليستفيد الأطباء العرب من تلك الكتب القيمة ومن هؤلاء الأطباء السند والهند الذين يعملون معهم، وأن يفيدوا علم الطب بأبحاث وتحقيقات وإضافات عربية حتى يتقدم هذا العلم المهم على أيديهم، وبذلك يكونون قد قدموا بدورهم خدمة عظيمة للعلم والإنسانية، وفعلاً لم يمض وقت طويل حتى تحققت هذه الأمنية وتقدم علم الطب عند العرب وظهر منهم أطباء عظماء رفعوا رؤوس العرب والمسلمين عالية، وصاروا في زمرة أساتذة علم الطب في العالم ونشروه في البلاد العربية والإسلامية بل نقلوه إلى البلاد الأوروبية أيضاً لخير البشرية جمعاء.

وكان علم الطب في العصر العباسي كما سبق أن أشرنا إليه مزيجاً من علوم اليونان والفرس والسند والهنود والعرب، وقد نبغ في هذا العلم من الأطباء ابن بختيشوع وابن ماسويه وحنين بن إسحاق وغيرهم وقد حذق هؤلاء معالجة أمراض القلب وتمرنوا عليها واعتمدوا في علاج مرضاهم على ما كسبوه من تجارب علمية عملية ذاتية، كما استفاد العرب من كتب اليونان ونظرياتهم في تشخيص الأمراض الصعبة[4] وقد نبغ حنين بن إسحاق مثلاً في علم المواد السامة، وقد قيل أن الخليفة المتوكل أمره بدس السم لأحد أعدائه فرفض ذلك قائلاً إن القرآن يأمرنا بعمل الخير وأن صناعتنا الشريفة تمنعنا من أذى الغير، وكذلك وصف الأطباء في العصر العباسي الفم والأسنان وأنواعها

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥.
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٥.
(٤) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٣٦٦.

وبينوا وظيفة كل منها وأمراض الفم واللثة والأسنان وصلتها بأمراض المعدة حتى لقد أعجب الخليفة الواثق (٣٢٧ - ٣٣٣ هـ) بوصف حنين بن إسحاق وطلب منه أن يصنف له كتاباً خاصاً يذكر فيه جميع ما يحتاج معرفته فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء ووظائف أعضاء الجسم[١].

واهتم العباسيون بنشر العلوم وتقدمها في البلاد العربية كلها، فشجعوا الأطباء وأكرموهم وأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات، ودعوا لعقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في المواسم المختلفة كموسم الحج، حيث يعرض الأطباء نتائج أبحاثهم العلمية ويعرضون نباتات البلاد الإسلامية ويصفون خصائصها الطبية، حتى أصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية، وقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور الذي يعتبر المؤسس الثاني للدولة العباسية ببناء مستشفى للعميان ومأوى للمجاذيب وملجأ للعجائز في بغداد، كما بنى الخليفة هارون الرشيد مستشفى كبيراً لتعليم الطب وزوده بأجهزة طبية ومكتبة عظيمة[٢].

ثم في أواسط العصر العباسي تقدم العرب في علم الطب واشتهروا فيه وأضافوا إليه كثيراً من الأبحاث العربية القيمة الجديدة، حتى صار لعلم الطب الجديد عند العرب امتياز على الطب القديم المعروف عند أهل السند والهند، وقدم العرب علمهم الجديد المتطور في الطب إلى أهل السند والهند رداً لما أخذوه منهم قسطاً كبيراً من علم الطب فيما سبق، وشكراناً للجميل وخدمة للعلم والإنسانية، واشتهر علم الطب العربي في بلاد السند والهند لأسباب كثيرة، أهمها أن العرب قاموا بترجمة كتبهم الطبية العربية التي كانت على منهج جديد إلى اللغة السنسكريتية والسندية ليسهل على أهل تلك البلاد

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٦.
(٢) تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم جـ ٢ ص ٣٥٨.

الاستفادة منها وتعم الفائدة، ثم الأدوية المتداولة عند أهل السند والهند كانت عبارة عن الأدوية المستخرجة من العقاقير المعروفة في بلادهم، فقدم العرب إليهم الأدوية الجديدة والأبحاث الطبية الخاصة بالعرب والتي حصلوا عليها في المناطق الأخرى من العالم ليستفيد أهل السند والهند من تطور علم الطب وفروعه على أيدي العرب في ذلك العصر.

وقد عكف علماء السند والهند بدراسة تلك الأدوية الجديدة وتلك الأبحاث الطبية العربية وحصلوا منها على فوائد علمية كثيرة وازدادت خبرتهم في المصطلحات الطبية، ومن ثم تقدمت صناعة الأدوية عندهم أيضاً وظهرت أشكال وتراكيب جديدة كالسوائل والأقراص والمعجون وغيرها، مما سهل على الناس استعمالها بطرق متعددة حسب الحالة المرضية والظروف الاقتصادية، كما أن مرض الجدري وغيره من الأمراض الخطيرة التي كان أهل السند والهند يعتبرونها غضب الآلهة وأثراً سيئاً من آثار الأرواح الشريرة، ولم يكونوا يعالجون طبياً وكان الكثيرون منهم يفقدون أرواحهم نتيجة لذلك، فقد بين العرب لهم أن تلك الأمراض أيضاً قابلة للعلاج وبذلك قضوا على الخرافات المنتشرة في تلك البلاد، ومما هو جدير بالذكر أن أول كتاب ظهر في علاج الجدري كتبه العرب قبل الآخرين في القرن الرابع الهجري[1].

ورغم تقدم علم الطب العربي لم ينته اهتمام العرب بدراسة علم الطب المعروف عند السند والهنود، بل استمر اهتمامهم طوال العصر العباسي وكانت الوفود العلمية العربية لا تزال تصل إلى بلاد السند والهند لتحقيق هذا الغرض فقد أرسل نائب الخليفة الموفق بالله العباسي وفداً إلى هذه البلاد الواسعة للتحقيق في المسائل العلمية مع علمائها والبحث عن الأدوية

---

(١) تعليم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعليم مسلما نون كي عهد مين) لسليمان ندوي ص ١٢٤ بالأردية.

الهندية(١) وكذلك كانت الوفود السندية والهندية العلمية تزور بغداد وغيرها من المدن العربية الشهيرة بين حين وآخر توطيداً للعلاقات الثقافية بين الطرفين.

وقد ترجمت في العصر العباسي عشرات الكتب العلمية للأطباء السند والهنود من السنسكريتية وربما من السندية أيضاً إلى العربية في بغداد بواسطة علماء السند والهنود بالاشتراك مع العلماء العرب، وكان لحركة الترجمة هذه أثر كبير في تقدم علم الطب عند العرب، ومن أشهر الكتب في علم الطب والأدوية والأمراض مثل كتاب «شسرد» الذي يسميه العرب (سسرد) ويحتوي على عشرة أبواب وفيه تفصيل عن علامات وظواهر الأمراض المختلفة وطرق علاجها والأدوية اللازمة لها، وقام طبيب هندي بترجمته إلى اللغة العربية بأمر يحيى بن خالد البرمكي حتى صار بحثه بمثابة دستور العمل في دار الشفاء البرامكة ببغداد(٢) وكتاب (شرك) الذي اشتهر باسم مؤلفه الطبيب الهندي جرك، فقد ترجم أولاً من السنسكريتية إلى الفارسية ثم ترجمه عبد الله بن علي من الفارسية إلى العربية(٣) وكتاب (سندستان) وقام بترجمته من السنسكريتية إلى العربية الطبيب الهندي ابن دهن رئيس دار الشفاء ببغداد(٤) وكتاب (نيدان) وفيه بيانات مفيدة لمعرفة علامات أربعمائة وأربعة مرض وليس فيه شرح للعلاج(٥) وكتاب في الطب الهندي معروف باسم «استانكر» ترجمة الطبيب ابن دهن الهندي إلى العربية(٦) وكتاب الأدوية الهندية واليونانية وميزانها ترجم إلى العربية أيضاً(٧) وكتاب في العقاقير الطبية وقام الطبيب منكه

(١) انظر المقدمة التي كتبها المستشرق الألماني زخاو على كتاب الهند للبيروني ص ٣٠.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص١٠٥ ـ الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣.
(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥.
(٥) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥.
(٦) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣.
(٧) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥.

الهندي بترجمة لسليمان بن إسحاق الهاشمي، وكتابان للطبيب نوكشنل «نوقشنل» ففي احدهما أسماء مائة مرض ومائة دواء وفي الثاني بيان لظواهر الأمراض وأسبابها وعلاجها ترجمها الطبيب ابن دهن الهندي إلى العربية، وكتاب للطبيبة روسا الهندية في بيان علاج أمراض النساء، وكتاب آخر في علاج النساء الحوامل، وكتاب مختصر في صفات العقاقير الطبية، وكتاب في بيان المخدرات[1] وكتاب كبير في الطب كان قد ألف من أجل الملك كرش الهندي لبيان أسباب الأمراض وأنواع الأدوية اللازمة لها وطرق العلاج وكذلك بيان أنواع العقاقير والنباتات الطبية وأشكالها وفوائدها الطبية[2] وكتاب آخر باسم (اطر) في بيان امراض مختلفة[3] وقد يكون هذا الكتاب منسوباً إلى الحكيم أتري الهندي، وكتاب في الطب باسم ستيا[4] وقد يكون للطبيب الذي ذكره ابن النديم باسم ساويرم[5].

وفي علم الطب البيطري أيضاً ترجمت عدة كتب من السنسكريتية إلى العربية في العصر العباسي منها كتاب شاناق[6] وهو للطبيب شاناق الهندي واشتهر عند العرب باسم مؤلفه.

وكذلك ترجم من السنسكريتية إلى العربية كتب كثيرة في علم السموم في العصر العباسي، منها كتاب علم الثعابين للعالم الحكيم راي وفيه بيانات مفيدة عن أنواع الثعابين وسمومها[7] وكتاب آخر لعالم هندي في فن الثعابين وسمومها، وكتاب للطبيب شاناق أيضاً في علم السموم وكان موجوداً بالعربية

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣.
(٢) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ١٦٢.
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.
(٤) انظر المقدمة التي كتبها المستشرق زخاو لكتاب الهند للبيروني ص ٢٣.
(٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.
(٦) مفاتيح العلوم لمحمد الخوارزمي ص ١٨٦.
(٧) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٣.

القرن الرابع الهجري وقد كتب عنه الطبيب ابن أبي أصيبعة في سنة ٦٦٨هـ بأنه يحتوي على خمسة أبواب وقام الطبيب منكه الهندي بترجمته من السنسكريتية إلى الفارسية بمساعدة أبي حاتم البلخي بأمر يحيى بن خالد البرمكي ثم قام عباب بن سعيد الجوهري بترجمته إلى العربية للخليفة المأمون (١٨٩ - ٢١٨ هـ)[1] وهناك كتاب آخر في السموم ترجم من السنسكريتية إلى العربية ولكن اسم مؤلفه أو مترجمه غير معروف[2].

علم الكيمياء :

ترجمت كتب عديدة في علم الكيمياء من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية في عهد الترجمة في العصر العباسي، واستفاد منها العرب استفادة كبيرة فقد ذكر ابن النديم كتاباً في الكيمياء ترجم من السنسكريتية إلى العربية لعالم هندي، وهناك كتاب باسم العالم الكيماوي المعروف جابر بن حيان وقد نسبه البعض إلى ذلك العالم الهندي أيضاً، بسبب تشابه موضوع الكتابين ومحتوياتهما[3] ولكن الكتاب في الحقيقة للعالم العربي المذكور.

وخلاصة القول أن العرب قد أخذوا علم الطب واستفادوا فيه الكثير من علماء السند والهند ومن كتبهم الطبية في القرن الثاني الهجري في بداية العصر العباسي، ثم تقدم هذا العلم عند العرب بشكل مدهش فقدمه العرب في صورة جديدة متطورة إلى أهل السند والهند في القرن الرابع الهجري ليستفيدوا منه بذلك يكون العرب قد قاموا بتقديم خدمات عظيمة لازدهار هذا العلم لخير الإنسانية.

علم الفلسفة :

يفهم من مطالعة الكتب العربية والفارسية والأردية والهندية القديمة بأن

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٣٣.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣١٧.
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٣ و٣٥٩.

أهل السند والهند كانوا معروفين بالعلوم الفلسفية، والعرب لم يأخذوا علم الفلسفة من أهل السند والهند حين أخذوا منهم علوماً عقلية أخرى كالرياضيات والطب والفلك والنجوم والكيمياء في العصر العباسي الأول، لأن كثيراً من الأفكار الفلسفية البرهمية والبوذية كانت تخالف الأفكار العقائدية في الدين الإسلامي.

ولكن يرى بعض المستشرقين مثل ماسينون ونيكلسون وزيز أن بعض الأفكار البرهمية والبوذية، قد تسربت إلى التصوف الإسلامي ولا سيما فكرة الفناء عند البسطامي وفكرة وحدة الوجود عند الحلاج، وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري أي في العصر العباسي الثاني.

ثم نلاحظ أن الكتاب العرب من المؤرخين والجغرافيين وعلماء الأديان الذين تعرضوا في كتبهم للكلام عن المذاهب والديانات لأهل السند والهند، يذكرون بعضاً من تلك الأفكار الفلسفية المتعلقة بحقيقة الله وصفاته، وبالأنبياء وضرورتهم، وخلق الدنيا والإنسان وفلسفة الكون وفلسفة الحياة والموت وغيرها، ونكتفي هنا بذكر مقتطفات من أقوال البعض من هؤلاء الكتاب.

يذكر الشهرستاني عند الكلام عن أصل الحكمة والفلسفة لدى فلاسفة بلاد الهند والسند، بأنه كان لفيثاغورث اليوناني تلميذ يدعى قلانوس قد تلقى الحكمة منه وتتلمذ لديه ثم صار إلى بلاد الهند وأشاع فيها رأي فيثاغورث، وكان هناك رجل يسمى برهمن أخذ الفلسفة من قلانوس فلما توفي قلانوس ترأس برهمن على الهنود، ومن هنا بدأ علم الفلسفة ينتشر بين أهل الهند والسند[1].

وحين جاء الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٦ قبل الميلاد إلى بلاد الهند والسند

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٣ ص ٢٦٤.

إزاء القضاء عليهم، فأرسل فلاسفة هذه البلاد إليه خطاباً مدحوه فيه على حبه للفلسفة والعلم وتعظيمه لأهل الرأي والعقل، وطلبوا منه أن يرسل إليهم حكيماً يونانياً يناظرهم فأرسل إليهم واحداً، ففضلوه بالنظر وتغلبوا عليه بالجدل، فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بهدايا كريمة، ومناظراتهم مذكورة في كتب أرسطوطاليس ، وهكذا أخذ علم الفلسفة يتطور عند أهل السند والهند بمرور الأيام في قديم الزمان[1] .

ثم بعد الإسلام فتح العرب بلاد السند في سنة ٩٢هـ في العصر الأموي، وبعد مضي قرن ونصف من حكمهم فيها أتى إليها الكتّاب العرب من المؤرخين والجغرافيين والعلماء في العصر العباسي الثاني، وسجلوا في مؤلفاتهم بعضاً من الآراء الفلسفية[2]، بالإضافة إلى ما قرأوه في الكتب الفلسفية التي وصلت ضمن الكتب العلمية الأخرى إلى العرب من بلاد الهند والسند في العصر العباسي الأول، كما يشير إلى ذلك اليعقوبي بقوله: ولهم المنطق والفلسفة وكتب كثيرة في أصول العلم، منها كتاب[صوفا] في علم حدود المنطق وكتاب[في ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم[3]].

ولكن العرب لم يهتموا كثيراً بتلك الكتب، لأن كثيراً من الأفكار الفلسفية البرهمية والبودية ـ كما قلنا سابقاً ـ تخالف التعاليم الإسلامية عند المسلمين، إلاّ أن بعض الكتّاب العرب ذكروا جانبا من تلك الأفكار الفلسفية لأهل السند والهند عند بيان مذاهبهم وأديانهم المختلفة، مما يدل على ترجمة بعض الكتب الفلسفية من الهندية إلى العربية في العصر العباسي.

ثانياً : **العلوم الأدبية والفكرية عند أهل السند والبنجاب:**

بالرغم من أن العرب معروفون بالعلوم الأدبية منذ العصر الجاهلي وقد

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ٣ ص ٣٦٤.
(٢) سلسلة التواريخ لسليمان التاجر ص ٥٧.
(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٦.

زادوا شهرة وتفنناً في العصر العباسي، وبالتالي لم يكونوا في حاجة إلى المزيد منها، فإنهم لم يمتنعوا عن الحصول على معلومات بشأن العلوم الأدبية عند غيرهم، وخاصة اقوام البلاد المفتوحة وقد ترجم عدد كبير من الكتب الأدبية إلى العربية في موضوعات مختلفة، منها:

علم الأدب الأخلاقي:

في عهد الترجمة في العصر العباسي، وصلت إلى العرب من بلاد السند والهند ضمن كتب القصص والروايات وصلت كتب تحمل معاني اخلاقية، فمنها كتاب كليلة ودمنة الذي يعتبر أهم الكتب السنسكريتية في الأدب الأخلاقي وقد ذكر البيروني بأن اسمه السنسكريتي هو (بنج تنستر)[١] وقد ترجم هذا الكتاب قبل الإسلام إلى اللغة الفارسية ببلاد فارس في عهد كسرى انو شيروان، ثم قام عبد الله بن المقفع بترجمته من الفارسية إلى العربية في منتصف القرن الثاني الهجري[٢] وقد انتشر هذا الكتاب بعد ترجمته إلى العربية عند الخلفاء والسلاطين والأمراء العرب والمسلمين واشتغل به كثير من الشعراء والكتاب بوضعه في قالب الشعر والنثر بأساليب مختلفة في العصر العباسي، وحصلوا على جوائز كبيرة، مثلاً حين نظمه الشاعر ابان بن عبد الحميد وقدمه إلى جعفر البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد، أعجب به كثيراً ووهبه مائة ألف درهم ذهب[٣] وبعد ذلك ترجم هذا الكتاب من العربية إلى اللغات الشرقية والغربية المختلفة في البلاد الآسيوية والأفريقية والأوروبية[٤].

وكان مؤلف كليلة ودمنة يسمى الحكيم بيديا وقيل إنه ألفه للملك أويشليم الهندي قبل الإسلام بزمن طويل، وقد ضمن كتابه الأقوال الأخلاقية

---

(١) كتاب الهند للبيروني ص ٢٦٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي جـ ٣ ص ٢٠٢ - الفهرست لابن النديم ص ٤٢٣.

(٣) كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري ص ٢٥٩.

(٤) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٦٧.

والنصائح الضرورية للملوك لبيان طريقة حكم الرعايا وذلك على شكل قصص وحكايات عن ألسنة الحيوانات في عشرة أبواب بأسلوب جذاب رائع [1] ولذلك ذكره ابن النديم في ضمن كتب القصص والروايات وليس في ضمن كتب الأخلاق والفلسفة [2].

وقد ذكر البيروني بأن عبد الله بن المقفع قد حرّف في أصل الكتاب عند ترجمته له وذلك حسب ثقافته، ثم يضيف البيروني بقوله بأنه كم كان يتمنى أن يقوم هو بترجمة أصل الكتاب من السنسكريتية إلى العربية مباشرة من غير تحريف فيه فيكون التأثير أقوى، وذلك عندما كان البيروني في بلاد السند في أوائل القرن الخامس الهجري [3] ويبدو أن البيروني لم يوفق في ذلك لأسباب كثيرة منها انشغاله بترجمة الكتب العلمية العربية إلى اللغة السنسكريتية أو السندية وتأليف كتب جديدة في علوم عديدة واشتراكه مع علماء السند في بحث بعض المسائل العلمية.

وخلاصة القول إن كتاب كليلة ودمنة كان من إنتاج عقلية حكماء الهند والسند وأن العرب هم الذين رفعوا من قدره وأوصلوا بشهرته إلى كل ركن من أركان هذا العالم.

والكتاب الثاني هو كتاب «بوذاست بلوهر» ولكنه أقل شهرة من كتاب كليلة ودمنة إلا أنه أكثر أهمية منه في الناحية الفكرية والاجتماعية، وقد ذكره ابن النديم أيضاً في ضمن كتب القصص التي ترجمت من السنسكريتية إلى العربية في العصر العباسي، ولا شك في أن المقصود بالاسم «بوذاست» هو (بوذا) بالعربية و(بده) بالهندية والأردية و(بودا) بالفارسية، نسبة إلى بوذا الذي تنسب إليه الديانة البوذية الهندية.

---

(1) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٩٧.
(2) الفهرست لابن النديم ص ١٦٨.
(3) كتاب الهند للبيروني ص ٢٦٩.

ويرى البروفيسور زخاو بأن الاسم الأصلي هو (بودهي ستو) الذي صار في الفارسية بوذاست، وأما أصل «بلوفر» فهو (بروهيتر) ومعناه (كروه) بالفارسية أي الأتباع[1] وعلى ذلك صار المعنى للاسم بالكامل عند زخاو هو (بوذا وأتباعه) ولكنني أعتقد أن (بوذا ستو) بمعنى أتباع بوذا وكلمة [بلوفر] ربما تعني معنى آخر كصفة للأتباع.

وموضوع الكتاب يدور حول ولادة بوذا ونشأته ثم زهده عن الدنيا ودفاعه عن حقوق الطبقة الكادحة في بلاد الهند والسند، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية ثم منها إلى اللغات المختلفة، وبعد ذلك انتشر كثير من الأفكار التي تدعو إليها الديانة البوذية في العالم.

وكتاب ثالث يذكره ابن النديم باسم «علم الهند» الذي ترجم أولاً إلى العربية على شكل النثر ثم قام الشاعر ابان بن عبد الحميد (القرن الثاني الهجري) بنظمه شعراً[2] وقد يكون الاسم الصحيح له كتاب (حكم الهند) وربما يكون نفس كتاب كليلة ودمنة.

وكتاب رابع نجده باسم «أدب الملك» ترجم من السنسكريتية إلى العربية وقام بترجمته أبو صالح بن شعيب (بداية القرن الرابع الهجري) ولا توجد الآن إلا ترجمته الفارسية من العربية التي قام بها أبو الحسن علي الجبلي في سنة ٤١٧ هـ[3] وكان موضوع هذا الكتاب أيضاً في الأخلاق والحكمة.

فن القصص:

ترجمت كتب عديدة من السنسكريتية إلى العربية في فن القصص والروايات في بداية العصر العباسي في عهد الترجمة منها كتابان للحكيم سندباد

---

(١) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٧١ بالأردية.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١١٩

(٣) تاريخ الهند لاليت جـ ١ ص ١١٢.

السندبادي، ويرى البعض بأنها من تاليف أهل إيران ولكن ابن النديم يقرر بأن الصحيح هو من تاليف أهل الهند والسند[1] وفي الغالب ترجم الكتابان إلى الفارسية في أول الأمر ثم إلى العربية، فظن البعض لذلك أنها من تاليف الفرس، ونجد في كتاب ألف ليلة قصتين لسندباد البحري والبري[2]

وترجم العرب كتباً أخرى في القصص من الهندية إلى العربية، وهذه الكتب وإن لم يكن معظمها من تاليف أهل السند فإنها كانت تصل إلى العرب عن طريق السند ومنها كتاب ديبك الهندي وهو قصة لرجل وسبده، وكتاب في قصة هبوط آدم على الأرض أو قدومه إليها، وكتاب قصة رجلين أحدهما كريم والثاني بخيل وبينهما مناظرة في فضل السخاء وفائدة البخل ويحكم الملك بينهما[3] وكتاب آخر باسم تريا جرثر وقيل معناه [حيل النساء] ومؤلفه الملك كورش الهندي وألفه قبل الإسلام[4].

وهناك أسماء كثيرة للعلماء السند والهنود الذين وصلت كتبهم في القرن الثاني الهجري إلى بغداد وترجمت إلى العربية فمنهم باكهر ـ راجه ـ مكه ـ داهر ـ انكل ـ اريكل ـ جبهر ـ اندي جباري، وقد ذكرهم ابن النديم في كتابه ولكنه لم يذكر بوضوح أسماء كتبهم وموضوعاتها[5] وبمقارنة أسماء المؤلفين والكتب مع الأسماء المذكورة في الكتب المحلية ببلاد السند والهند قد تبين أن هذه الأسماء حرفت عن أصلها الهندي عند الترجمة إلى العربية.

---

(1) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.
(2) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥ ـ الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥ ـ رسائل شبلي نعمان ص ٢٦٣ ـ العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٦٤ بالأردية.
(3) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.
(4) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥.
(5) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.

علم البلاغـة:

كان يحيى بن خالد البرمكي الوزير في الدولة العباسية في القرن الثاني الهجري قد طلب من بعض حكماء الهند وعلمائهم الحضور إلى بغداد للعمل في الحقول العلمية والمشاركة في النهضة الثقافية وقد استفاد العرب منهم كثيراً في المسائل الفكرية، وقد سأل العالم العربي معمر بن عباد أحدهم عما يقصد بالبلاغة في بلادهم؟ فقدم الرجل إليه رسالة مختصرة مهمة في ذلك الموضوع، فطلب معمر بن عباد من المترجمين ترجمتها إلى العربية وقد ذكر الجاحظ ملخصها في كتابه عند الكلام عن صفات الخطيب وفن الخطابة[1].

علم المنطق:

ذكر ابن النديم (٣٧٧ هـ) كتاباً في علم المنطق ترجم من السنسكريتية إلى العربية باسم كتاب حدود منطق الهند[2] ولكن اليعقوبي (٢٧٨ هـ) الذي سبق ابن النديم بقرن من الزمن يذكر ذلك الكتاب ضمن كتب المنطق باسم آخر هو كتاب طوفا في علم حدود المنطق[3] وطوفا (توپا) هو اسم المؤلف وقد يقصد باسم الكتاب اصطلاح المنطق، ويبدو أنه لم يكن لعلم المنطق رواج كبير في بلاد السند والهند في القرن الثاني الهجري الذي وصل فيه الكتاب إلى العرب الذين لم يكونوا في ذلك الوقت قد اشتهروا بمثل هذه العلوم المنطقية عندهم ولذلك لا نجد بياناً عن كتب مهمة في المنطق في تلك الفترة إلا هذا الكتاب عند العرب.

علم الحـرب:

تمت ترجمة كتابين في علم سياسة الحرب من السنسكريتية إلى العربية في

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ ص ٣٣.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٠٥ - ومروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ١٥٦.

القرن الثاني للهجرة في عهد العباسيين، أحدهما من تأليف الطبيب شاناق الهندي، وثانيهما من تأليف باجهر الهندي[1] وقد يكون الاسم الأول (جاناق) والاسم الثاني (باكهر)[2] ويدور موضوع الكتاب الأول حول نظام الحرب والكتاب الثاني في معرفة أنواع السيوف وصفاتها ومميزاتها[3].

علم السحر:

يذكر ابن النديم كتاباً هندياً باسم لكير[4] ويبدو أنه للكاتب سمه الهندي الذي يعتبر من أقدم الناس ببلاد السند والهند في معرفة فن السحر والشعوذة وله كتاب آخر باسم أخبار فنية طريفة لأصحاب التوهم[5] ويذكر اليعقوبي بأن موجد هذا العلم هو ملك يسمى كبهي قبل الإسلام[6].

وذكر ابن أبي أصيبعة كتاباً في التوهم بالعربية للطبيب الحكيم كنكه الهندي[7] وكذلك ذكر ابن النديم كتابين في قراءة الكف ومعرفة البخت وهما كتاب زجر الهند وكتاب الفال لمعرفة الطالع[8] وقد ترجمت مثل هذه الكتب كلها في القرن الثاني الهجري وبعده في العصر العباسي ببغداد ولكن العرب لم يتأثروا بما فيها من الموضوعات التي اعتبروها من الخرافات.

ثالثاً: الفنون الجميلة ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب:

كانت ببلاد السند في عهد العرب (٨٢ـ ٤١٦ هـ) بعض الفنون التي

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣١٥.
(٢) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٥٩ بالأردية.
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣١٥.
(٤) المرجع السابق ص ٣١٢.
(٥) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٦٣ بالأردية.
(٦) تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٧.
(٧) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أصيبعة جـ ٢ ص ٣٣.
(٨) الفهرست لابن النديم ص ٣١٤.

اشتهر بها سكان هذه البلاد منذ قديم الزمان، نشير إلى بعضها هنا إشارة سريعة مجملة:

١ ـ فن الموسيقى:

يعتبر فن الموسيقى من أقدم الفنون المحببة إلى الناس في بلاد السند والهند لأنه كما يقولون غذاء للنفس وترفيه عن الروح، والعالم يشهد ببراعة أهل تلك البلاد في هذا الفن الجميل.

وقد وصف الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) أنواعاً للموسيقى وآلاتها في بلاد السند والهند وخاصة استعمال «التنبور» أي العود فيقول «ولهم غناء معجب ولهم الكلنكلة [١] وهي آلة من وتر واحد يمر على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج ولهم ضروب الرقص» كما وصف الجاحظ في كتاب آخر أهل السند في أصواتهم الحسنة يقول: «وفي السند حلوق جياد»[٢] وذكر الجاحظ في موضع ثالث: «وليس في الأرض أحسن حلوقاً منهم»[٣].

ولكننا لا نجد اهتماما كبيراً بذكر الكتب الموسيقية التي ترجمت من السنسكريتية الى العربية في العصر العباسي الأول، ورغم شغف العباسيين بفن الموسيقى في ذلك العهد شغفاً عظيماً، إلا أن المؤرخ القاضي صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ ـ ١٠٧٠ م) ذكر بأن كتاباً مهماً في الموسيقى قد وصل إلى بلاد الأندلس بواسطة العرب باسم كتاب «نافر» ومعناها فاكهة الحكمة[٤] وليس ببعيد أن يكون هذا الكتاب قد ترجم أولا إلى الفارسية وسمي باسم «نوبر» معناها «الفاكهة الجديدة أو الثمر الجديد» ثم من الفارسية

---

(١) رسالة فخر السودان على البيضان ص ٨٠.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٣ ص ٤٣٤.

(٣) مجموعة الرسائل للجاحظ ص ٨١.

(٤) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ١٤.

وتم إلى العربية وعرب الاسم إلى نافر، وبعض العلماء الهنود الذين يعرفون السنسكريتية يرون أن كلمة «نافر» قد تكون من كلمة «ناد» السنسكريتية ومعناها «الصوت»[1] وبذلك يصبح معنى عنوان الكتاب «صوت الحكمة».

ويذكر المسعودي أثر الموسيقى السندية في النفوس بقوله: «ولهم ضروب من الآلات تفعل في الناس أفعالاً مرتبة من ضحك وبكاء، وربما يسقون الجواري فيطربن بحضرتهم فيطرب الرجال لطرب الجواري»[2] ويقول هافيل الانجليزي بأن العرب بعد أن فتحوا بلاد السند قد أعجبوا كثيراً بالموسيقى السندية، ويرى إشتياق حسين قريشي بأن الموسيقى العربية قد تأثرت بالموسيقى السندية التي تلاحظ آثارها واضحة في بعض الأنغام العربية القديمة[3] ويعتقد سليمان ندوي أن الموسيقى السندية قد تأثرت أيضاً بالموسيقى العربية في ذلك العهد مثلما تأثرت فيها بعد بالموسيقى الايرانية والتورانية، فخلق منها كلها لون مشترك جديد في عالم الموسيقى السندي الهندي[4].

٢ ـ الفنون النفيسة:

إن فن النحت والنقش على الحجر وصنع التماثيل وفن التلوين والتصوير وغير ذلك يعتبر من الفنون النفيسة عند الأمم المختلفة في القديم والحاضر، وهي بلا شك من أقدم الفنون المعروفة في بلاد السند والهند، وأهم الأمثلة على ذلك هو ما تشاهد من بقايا آثار تلك الفنون الرفيعة في المعابد البوذية والبرهمية القديمة التي تشهد على أصالة هذا الفن عند أهل السند والهند.

ويذكر سليمان ندوي أن البراهمة والبوذيين قد اهتموا بهذه الفنون أيضاً

---

(١) العلاقات بين العرب والهند (عرب وهندكي تعلقات) لسليمان ندوي ص ١٥٨ بالأردية.
(٢) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٢٦٣ ـ ١٧٣.
(٣) ملت إسلامية للدكتور إشتياق حسين قريشي ص ٣٥. بالأردية.
(٤) تعليم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعلم مسلمانون كي عهدمين) لسليمان ندوي ص ١٣٥ بالأردية.

في عهد العرب ببلاد السند واشتهروا فيها حتى وصلوا بها درجة الكمال[1] ويقول كذلك بأن العرب قد أعجبوا ببعض الفنون الجميلة عند أهل السند كالنحت والتصوير والتلوين، إلا أنهم لم يهتموا بأخذ مثل هذه الفنون في ذلك العهد الإسلامي المبكر لكرههم لعبادة الأصنام[2] وأما هافيل الانجليزي فيذكر بأن العرب قد أعجبوا بالنقوش الجميلة التي رأوها في المعابد البرهمية والبوذية[3].

وحسب قول هافيل الانجليزي وجد العرب في تلك المعابد فن القباب فناً جميلاً، وهنا لم يجدوا حرجاً في أن يقلدوا هذا الفن بنقله إلى مساجدهم لإدخال الجمال في أماكن العبادة، كما أخذوا رسوم المآذن والمحراب في المساجد والسجاجيد من الفنانين السند والهنود، ثم في عهد الترك ببلاد السند والهند أخذ المسلمون شكل الهلال على المآذن في المساجد ورمزوا إلى الإسلام، وكان هذا الشكل الهلالي في الأصل شعاراً قومياً قديماً لأهل السند والهند وكان يرمز به إلى شبه القارة الهندية بأنها أرض القمر[4].

وعلى أي حال فإن هذه البيانات تدل على أن العرب كانوا يقدرون الفنون ويعطون لغير المسلمين الحرية الفنية في المجالات الدينية ببلاد السند في صنع التماثيل لمعابدهم الخاصة، فضلاً عن تشجيع العرب لصناعة الفنون الرفيعة النفيسة المختلفة التي ليست لها علاقة بالدين وإنما لها اتصال بالذوق الإنساني ولها دور في تطوير الفن الجمالي في الحياة البشرية.

---

(١) تعليم الهنود في عهد المسلمين [هندوون كي تعلم مسلما نون كي عهدمين] بالأردية ص ١٣٤.

(٢) ملت إسلامية للدكتور اشتياق حسين قريشي ص ٣٥ بالأردية.

(٣) The History of Aryan rule in India, by Havell, London, n.d., p. 254.

(٤) Ibid. P. 254.

رابعاً: العلوم المذهبية القديمة ببلاد السند والبنجاب:

سماحة الإسلام:

يمتاز العرب بصفات خلقية وعلمية طيبة بفضل سماحة الإسلام، منها عدم التعصب الديني، ولذلك نراهم يدرسون المذاهب الأخرى ويبدون رأيهم فيها بالنقد الصحيح البناء أو بتحسين ما فيها من الآراء والتعاليم الحسنة، وبتقبيح ما فيها من الفلسفات والنظريات الخاطئة مع تصحيحها بتقديم أفكار صالحة ونظريات مفيدة لخير الإنسانية.

دراسة المذاهب:

كذلك اهتم العرب بدراسة المذاهب والديانات ببلاد السند والهند وما فيها من النظريات والآراء الفلسفية في العصرين الأموي والعباسي وذلك لسببين مهمين: أحدهما معرفة الحقائق للعلم نفسه، وثانيهما مواجهة الأمور المذهبية في البلاد التي يحكمونها لإصلاح الأفكار العقائدية عند شعوب تلك البلاد من جهة، والعمل على نشر الدين الإسلامي على ضوء المعلومات التي يحصلون عليها من جهة أخرى، على أن يكون نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالعلم الصحيح والعمل الصالح.

واهتم العرب بدراسة المذاهب والديانات القديمة السائدة ببلاد السند والهند بطرق ثلاث: إرسال وفود علمية لدراسة المذاهب في تلك البلاد عن كثب وتجربة لما لها من آثار مباشرة على المجتمع ثم بترجمة بعض الكتب المذهبية ثم بإقامة مناظرات علمية مذهبية بدار الخلافة ببغداد أو ببلاد السند والهند وقصور ملوكها وأمرائها، حتى يتبين للجميع بعد الدراسة والترجمة والمناظرة حقيقة الدين الإسلامي الذي يدعو إليه العرب وهو أصح الديانات السماوية وأكملها، وتتبين أيضاً حقيقة الديانات الأخرى الوضعية في البلاد المفتوحة كالبرهمية والبوذية والمجوسية وكذلك الديانات السماوية كالنصرانية

واليهودية وما فيها من نقائص بجانب ما فيها من تعاليم حميدة.

إرسال الوفود العلمية الى بلاد السند والبنجاب:

بالنسبة للوفود العلمية فقد ذكر ابن النديم بأنه قرأ كتاباً باسم (ملل الهند وأديانها) وكان قد كتب في سنة ٢٤٩ هـ بخط يد يعقوب بن إسحاق الكندي حرفاً حرفاً وقد جاء فيه: حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل عالم إلى بلاد السند والهند ليكتب له عن أديانهم فكتب هذا الكتاب[١] وكانت حركة الوفود العلمية مستمرة طوال العصر العباسي بين البلدين فمن بين تلك الوفود الدينية، الوفد الذي بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي (٩٩ ـ ١٠١ هـ) ودعا ملوك وأمراء السند والهند إلى الإسلام، وقد وفقت تلك البعثة الدينية توفيقاً كبيراً حين استجاب خمسة عشر ملكاً منهم في شبه القارة الهندية للدعوة الروحية المباركة وأعلنوا إسلامهم عن يقين وإيمان بكمال الإسلام[٢] وكذلك الوفد الذي بعثه الخليفة المهدي العباسي (١٥١ ـ ١٦٩ هـ) إلى بلاد السند والهند للدعوة إلى الإسلام وقد نجح إلى حد بعيد في جذب عدد كبير من علماء تلك البلاد ومئات من أفرادها نحو الإسلام[٣].

تأليف الكتب عن الملل والنحل:

أما عن الكتب العربية التي ألفت حول مذاهب أهل السند والهند ودياناتهم وآرائهم وفرقهم، فيذكر المسعودي (المتوفى ٣٤٦ هـ) ويقول: وقد رأيت أبا القاسم البلخي (القرن الثالث الهجري) يتحدث عنها في كتابه المترجم باسم كتاب الآراء والديانات[٤] وهناك كتاب آخر وهو كتاب الديانات لأبي العباس

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٨٤ وقد يكون يعقوب بن إسحاق الكندي هو مؤلف الكتاب ورئيس الوفد وفي أثناء إقامته بالسند جمع معلومات في علوم مختلفة.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٤٧٩ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ١٥٩.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٤.

(٤) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ١٥٦.

الهندوس الأصلي، وقد اقتبس منه العالم الكبير البيروني أخباراً هامة عن الديانات في تلك البلاد أوردها في مواضع كثيرة من كتابه المهم، وذكر القاضي صاعد الأندلسي في كتابه عند الكلام عن المذاهب بأن البيروني تحدث بالتفصيل عن المذاهب والآراء المختلفة لأهل السند والهند في كتابه المستقل باسم مقالات أهل الملل والنحل[1].

هذه الكتب التي ذكرناها بعضها مترجمة وبعضها من تأليف العلماء العرب والمؤرخين الذين بلا شك اعتمدوا عند جمع المعلومات على كتب دينية لأهل السند والهند، وكذلك نجد كثيراً من المؤرخين والجغرافيين العرب قد كتبوا عن مذاهب أهل السند والهند وآرائهم وفرقهم بشيء من التفصيل، منهم مطهر المقدسي (٣٣٥ هـ) الذي جعل في كتابه بابا لذكر المذاهب في بلاد السند والهند[2] وكذلك نجد بيانات كثيرة عن المذاهب والديانات في تلك البلاد في كتب المسعودي وسليمان التاجر والسيرافي واليعقوبي والأصطخري وابن رسته وبزرك بن شهريار وابن خرداذبه وابن الفقيه والهمذاني وابن النديم وغيرهم.

المناظرات المذهبية بين العرب والسند والبنجابيين:

أما عن المناظرات فنجد في بعض الكتب التاريخية والمذهبية والفلسفية العربية بيانات لبعض المناظرات العلمية المذهبية التي كانت تقام بين علماء الإسلام وعلماء البراهمة وعلماء البوذية في دار الخلافة ببغداد والمدن المحيطة بها كالبصرة والكوفة وفي مجالس الخلفاء العباسيين وقصور الأمراء والأعيان العرب، وبالمثل في قصور ملوك السند والهند وأمرائهم طوال العصر العباسي، وكانت المناظرات المذهبية الدينية هذه ودية لا تعصب فيها وخاصة من جانب

---

(1) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ١٧.

(2) كتاب البدء والتاريخ لمطهر المقدسي جـ ٤ ص ٩٣.

العرب وتعتمد على الدلائل العقلية والمنطقية والفلسفية، وكذلك على الأدلة النقلية مع فرق بسيط وهو أن علماء السند والهند كانوا يعتمدون كثيراً على الأدلة الفلسفية وكان علماء العرب يعتمدون على البراهين العقلية والأدلة النقلية من القرآن والحديث ومن صميم الحياة من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية.

فقد ذكر البعض بأن ملكا سنديا كتب إلى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) بأنه إذا كان الدين الإسلامي يقوم على العقل والدليل، فليبعث إليه عالماً مسلمًا للمناظرة العلمية الدينية، فأرسل الخليفة عالماً فقيهاً إليه فلم يستطع أن يرد على المصطلحات الفلسفية لمناظره العالم السندي الذي كان يعتمد على الفلسفة الهندية، فعاد العالم إلى بغداد دون أن يحقق أي نجاح في المناظرة. فأرسل الخليفة إلى بلاد السند عالماً آخر وهو معمر بن عباد العالم المتكلم المعروف في بغداد وقد نجح إلى حد كبير في المناظرة بأدلته العقلية والمنطقية بحيث تمكن من إسكات ذلك الملك وإقناعه بصحة الإسلام وعظمته[1].

رواية أخرى تقول بأن ملكاً سندياً كان يحكم منطقة على الحدود بين بلاد السند وبلاد الهند وكان عنده عالم كبير في المذهب البوذي وقد حرض الملك على أن يكتب إلى الخليفة العباسي (في القرن الثاني الهجري) بأنه علم أنه لا يوجد في الدين الإسلامي دليل قاطع على صدقه إلا السيف، وإذا كان لديه ثبوت بصدد هذا الدين فليرسل عالماً يناظر مع عالم عنده، فاختار الخليفة عالماً محدثاً جليلاً لتلك المهمة، فلما بدأ العالم السندي المناظرة والمناقشة في المسائل الدينية وبما عنده من الأدلة الفلسفية الهندية، فإن العالم العربي بدأ يجيب بما عنده من الأدلة النقلية من القرآن والحديث، فقال له العالم السندي إن الدليل النقلي لا يكفي لنا نحن أهل العلم والحكمة ويمكنك أن تقدم ما

---

(١) تعليم الهنود في عهد المسلمين (هندوون كي تعليم مسلمانون كي عهدمين) لسليمان ندوي ص ١٤ بالأردية.

عندك لمن يعتنق دينك، وأعاد الملك ذلك العالم العربي إلى الخليفة قائلاً أنه كان قد سبق له أن علم من العلماء عنده والآن قد رأى بعينيه وسمع بأذنه أنه لا يوجد لدى المسلمين دليل كاف على صحة دينهم، فتأثر الخليفة وجمع العلماء في علم الكلام والفلسفة وعرض عليهم هذه المسألة ثم اختار من بينهم عالماً أرسله إلى ذلك الملك، فلما سمع العالم البوذي بأن العالم المسلم الذي سيناظره هو عالم كبير في العقليات والفلسفات وكان قد سمع عنه كثيراً، أراد التخلص منه قبل أن يفضحه عند الملك، ولذلك دبر مؤامرة بحيث خرج بنفسه لاستقباله ودس السم في طعامه وقضى عليه[1] على أنه توفي في الطريق لإصابته بمرض وبائي خطير.

ولم تكن المناظرات متوقفة على البلاد المفتوحة كبلاد السند بل كانت تقام حتى في البلاد غير المفتوحة، فقد ذكر المسعودي الذي زار بلاد السند وبلاد الهند في ضمن الأخبار التي يكتبها عن مدينة كهمبايت الهندية بأنه حين وصل إليها سنة ٣٠٢ هـ كان حاكمها بانيا(بينا) يؤمن بالمذهب البرهمي وكان له شوق كبير بالمناظرة ولذلك كان يدعو إلى بلاطه كبار المسلمين الذين كانوا يأتون إلى هذه المدينة من الخارج ويباحثهم ويناظرهم في المسائل الدينية ويسر كثيراً لسماع آرائهم ويحترمهم ويكرمهم.

وعلى العموم فإن مثل هذه الروايات المختلفة والأحداث التاريخية والوقائع العلمية تشير إلى وجود المناظرات الدينية والعلاقات المذهبية بين العرب والسند والهنود في العصر العباسي، وكان لاهتمام العرب بدراسة العلوم المذهبية وترجمة الكتب فيها أثر كبير في فهم الحقائق العقائدية في تلك البلاد ثم في انتشار الإسلام.

---

(١) أنظر التفصيل في كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص ٣١ - ٣٤.

خامساً: نشأة علمي التاريخ والجغرافيا ببلاد السند والبنجاب:

من الصعب أن نبحث في تاريخ نشأة التاريخ والجغرافيا في بلاد السند، ولكن يبدو لي من مطالعة الكتب القديمة والحديثة باللغات الشرقية والغربية أنه لم يكن علم التاريخ ولا علم الجغرافيا معروفين عند أهل السند حتى عهد العرب، وهنا أستعرض باختصار تاريخ نشأة هذين العلمين في بلاد السند.

علما التاريخ والجغرافيا قبل الإسلام:

في القرون التي سبقت الإسلام لم تكن هناك كتب خاصة دونت فيها المعلومات التاريخية والجغرافية بطريقة منظمة صحيحة شاملة لأي عهد من العهود لبلاد السند، وإن قلة الوثائق التاريخية والجغرافية القديمة وصعوبة الاستدلال على ما في نقوشها وأطلالها الأثرية وغير ذلك، قد أجبر المؤرخين الباحثين المتخصصين على أن يستشفوا كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية من الكتب القديمة لهذه البلاد وما حوت من أكداس الأساطير (Folk Lore) وبعض الأخبار والآثار المشار إليها في الأزجال والأغاني (Folk Songes) الراجبوتانية القديمة ليكشفوا عن بعض نواحي التاريخ القديم لبلاد السند وجغرافيتها.

ولكن هذه الوثائق الأثرية والكتب الدينية القديمة لم تكن كافية لتسجيل تاريخ عهد من العهود ببلاد السند بصورة كاملة، كما لم تكن كافية لمعرفة أوضاعها الجغرافية المتقلبة في القديم.

وإن الذي عاوننا قليلاً على استجلاء بعض غوامض التاريخ القديم لبلاد السند وجغرافيتها ورسم صورة عامة، هو ما وصل إلينا بعض البيانات من تدوينات بعض المؤرخين اليونان أمثال هيرودكس وپليني بعد فتح الإسكندر الأكبر لبلاد السند في سنة ٣٢٦ قبل الميلاد، ولاسيما تدوينات بعض الرحالين الذين زاروا بلاد السند واطلعوا على أحوالها التاريخية والجغرافية قديماً أمثال

ميجاستينيز سفير السلوقيين الأغريق لدى الدولة المورية الهندية في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان من أهم أهداف هذا السفير العمل على تحويل مجرى التجارة الهندية إلى بلاد الشام عبر المملكة السلوقية بدلاً من الطريق البحري الذي ينتهي إلى مصر التي تثرى من وراء هذا الطريق التجاري، ثم أمثال الرحالين الصينيين البوذيين فاهيان وهيون تسانينغ اللذين قاما بجولة في بلاد السند وبلاد الهند في القرنين الخامس والسابع للميلاد على التوالي(١).

وبصفة عامة يغيم السحاب على تاريخ بلاد السند قديماً قبل الإسلام إلى عهد العرب بعد الإسلام، ولا نعرف عنه إلا ما دونه هؤلاء الرحالين الثلاثة من البيانات التاريخية والجغرافية، بالإضافة إلى المعلومات المختلفة التي نجدها في الكتب الدينية وكذلك الأساطير القديمة على أن ما كتبه الصينيون كان بلغتهم، لكن العجيب أنهم قد أعطوا أسماء صينية لجميع المدن والمناطق والولايات ببلاد السند وكذلك فعل اليونان، إلا أن الأسماء اليونانية قريبة في الغالب من الأسماء الأصلية المحلية، ولكن الأسماء الصينية مختلفة عنها(٢) فصار من الصعب جداً فهمها ومقارنتها بالأسماء الأصلية المحلية، وقد صادفت صعوبات بالغة عند قيامي بالتحقيق لمواقع المدن السندية القديمة قبل الإسلام وبعده إلى خمسة قرون، ومقارنة الأسماء المختلفة عبر العصور إلى العصر الحديث، هذا بالإضافة إلى أن الحالات التاريخية ولاسيما الجغرافية كانت تتغير تغيراً كاملاً تقريباً بعد كل قرن أو قرنين من الزمن بحيث زالت مدن كثيرة عن الوجود بسبب تغيير نهر السند لمجراه مراراً بمقدار أميال يميناً أو شمالاً فاندثرت المدن أو انهدمت لتقوم على جانبي النهر الجديد مدن جديدة في كل مرة، وبذلك قلت أهمية تلك التدوينات للرحالين الثلاثة، ولكن ما بقي شيء

---

(١) Cambridge History of India, Vol 1, pp. 384, 467, by Burn, E.J.R. ed. by E.J. Rapson Richard Urn and Others, Cambridge University Press, 1922.

(٢) وربما كانت للصينيين مقاصد سياسية في تلك البلاد ولكنها لم تنفذ.

من الوضوح من تلك المعلومات القديمة السابقة هو ما نجده في الأزجال والأساطير الراجبوتانية الهندية القديمة، وهي التي سلطت الضوء على كثير من الغموض عند تعيين المواقع لكثير من المدن السندية عند قيامي بدراستها والتحقيق فيها.

اهتمام العرب بعلمي التاريخ والجغرافيا في العصر العباسي:

وقد بدأ اهتمام العرب منذ القرن الأول للهجرة بعلمي التاريخ والجغرافيا بصفة خاصة، ولعل أهم الأسباب هو قيام العرب بالفتوحات التي اتسعت دائرتها وبالتالي زاد احتياجهم إلى جمع المعلومات التاريخية والجغرافية عن تلك البلاد المفتوحة، ولذلك نرى في القرون الأربعة الأولى للهجرة وهي الفترة التي حكم العرب فيها بلاد السند، قيام المؤرخين والجغرافيين العرب بتسجيل المعلومات التاريخية والجغرافية عن بلاد السند في كتبهم ومذكراتهم بالتفصيل عن مشاهدة وخبرة،وبالإضافة إلى ذلك كتبوا أيضاً معلومات قيمة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية،ولولا العرب لكان تاريخ بلاد السند مفقوداً في تلك الفترة التاريخية المهمة ولم يكن يصل إلينا حتى القرون التالية المتأخرة، فمن هؤلاء العرب في القرن الثالث الهجري مثل البلاذري واليعقوبي والجاحظ ،وسليمان التاجر والسيرافي وابن الفقيه وابن رسته، وفي القرن الرابع مثل المسعودي والبشاري المقدسي وابن النديم وبرزك بن شهريار والأصطخري وابن حوقل، وفي القرن الخامس الهجري كالطبري وابن الأثير والقاضي صاعد الأندلسي والقاضي رشيد وشريف الادريسي، ثم في القرون التالية مثل ابن خلدون وابن أبي أصيبعة وابن بطوطة والقلقشندي وغيرهم.

وخلاصة القول إن أحداً من أهل السند لم يكتب كتاباً شاملاً في تاريخ بلاد السند وجغرافيتها، لا قبل الإسلام ولا بعد الإسلام عن عهد العرب بل لقرون عديدة أخرى، لأن علماء السند عموماً كانوا يميلون إلى العلوم الرياضية

والفلسفية والطبية وغيرها من العلوم العقلية، وعلى كل حال فإن العرب هم الذين وضعوا أسس علمي التاريخ والجغرافيا لبلاد السند وقد عملوا بلا شك على بلورة هذين العلمين وتقدمهما في عهدهم، وبذلك قدموا خدمات جليلة لأهل هذه البلاد بتسجيل كثير من الوقائع التاريخية والأوضاع الجغرافية فيها وبتعريف هذه البلاد إلى العالم، ولولا تلك الجهود العلمية الكبيرة السخية لكان تاريخ بلاد السند مفقوداً لفترة طويلة من الزمن.

وفي ذلك يقول جوستاف لوبون بأن جمهرة المؤرخين قد حمدوا لمؤرخي العرب والمتعربين المسلمين جهدهم العلمي البارز الموفق حمداً جعلهم يقرون بأن اظهر الأدوار التاريخية في بلاد السند والهند لم يبدأ إلا بتدوينات هؤلاء العلماء العرب الذين سجلوا أخباراً كثيرة عنها[1].

تسجيل تاريخ إسلامي كامل لبلاد السند والبنجاب عن عهد العرب:

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه بالرغم من قيام العرب بتدوين كثير من البيانات التاريخية القيمة عن بلاد السند في كتبهم المختلفة حسب نوعية موضوعات الكتب التي ألفوها في العصر العباسي فإن التاريخ الإسلامي لبلاد السند قد بقي إلى أواخر القرن العشرين مهملاً بلا بحث وتحقيق، ولم يتم جمعه في موضع واحد ليصبح مرجعاً جامعاً يعتمد عليه لمعرفة تاريخ تلك الفترة التاريخية، وقد عجز بعض المؤرخين الباكستانيين أنفسهم عن القيام به رغم عقدهم العزم على ذلك مراراً، ولعل عجزهم في إنجاز ذلك يرجع إلى صعوبة الموضوع، لغموضه الشديد وانتشار معلوماته متناثرة في مئات الكتب التاريخية والأدبية والعلمية المختلفة وباللغات العديدة أهمها العربية والفارسية والأردية والهندية والكجراتية والانجليزية، إلى أن شاءت مشيئة الله أن أقوم بتحقيق هذه الأمنية الغالية لأهل باكستان بل العرب والمسلمين جميعاً بتسجيل

---

(1) حضارة الهند لجوستاف لوبون ص ٢٠٦ (ترجمة عربية).

(التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب في القرون الاربعة الأولى للهجرة) وقد كان من فضل الله تعالى أن وفقني في أداء هذا الواجب العلمي نحو التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب (باكستان الإسلامية الحالية) ذلك التاريخ الذي يعتبر جزءاً عزيزاً من تاريخ الإسلام العظيم.

الفصل الخامس

العلماء العرب ببلاد السند والبنجاب في عهد العرب

كان يقيم ببلاد السند في عهد العرب كثير من العلماء والأدباء والمفكرين العرب، وقدموا للعلم والثقافة أجل خدمات، وإليهم يرجع الفضل في انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي في تلك البلاد، نذكر هنا جماعة منهم على سبيل المثال.

موسى بن يعقوب الثقفي قاضي الور (ق ١ هـ):

موسى بن يعقوب بن محمد بن شيبان بن عثمان الثقفي العالم الفقيه يعتبر من أقدم علماء العرب في داخل بلاد السند، فقد ولاه محمد بن القاسم الثقفي القضاء والخطابة والإشراف على الشؤون المذهبية والتعليمية والتبليغ للإسلام بمدينة الور عاصمة بلاد السند بعد فتحها في سنة ٩٢ هـ، وتداول أولاده من بعده بالوراثة هذا المنصب العظيم إلى قرون عديدة، وكان كل واحد منهم يلقب (بالصدر الإمام الأجل بدر الملة والدين وسيف السنة ونجم الشريعة) وقدمت هذه الأسرة خدمات جليلة في نشر الإسلام والعلوم الدينية ببلاد السند، وحتى القرن السابع الهجري كان على هذا المنصب الخطير أحد أبنائها وهو إسماعيل بن علي بن محمد الثقفي قاضي مدينة الور في سنة ٦١٣ هـ وكان عالماً كبيراً في عصره وكان أفراد أسرته من بعده أيضاً معروفين بالعلم والمعرفة[1] ومما هو جدير بالذكر هنا أن كتاب جچنامه الذي يعد أقدم مرجع

(١) جچنامه بالفارسية ص ٢٣٥ - نزهة الخواطر جـ ١ ص ٤٤.

تاريخي عن بلاد السند وأول مؤلف كتب بالعربية في بلاد السند وكان اسمه بالعربية (كتاب منهاج الدين) وسمي بعد ذلك (فتحنامه) ثم حرف إلى (ججنامه) وهو يشتمل على تاريخ بلاد السند في صدر الإسلام وفي عهد محمد ابن القاسم في العصر الأموي، وكان هذا الكتاب قد تم تأليفه على يد أحد أفراد هذه الأسرة في أواخر القرن الأول للهجرة وفي الغالب بيد جدهم الأعظم وهو القاضي موسى الثقفي نفسه مؤسس هذه الأسرة الذي كان قاضياً بمدينة الور في أيام الفتوحات وفيه أخبار الفتح من سنة **٩٢** هـ حتى ٩٥ هـ، وبقي مخطوطاً على شكل مذكرات في يد الأسرة المذكورة، ثم نقله رجل عربي يسمى علي الكوفي إلى اللغة الفارسية في سنة **٦١٣** هـ.

الشيباني العالم الكبير (ق ١ هـ):

كان الشيباني واسمه غير مذكور وهو من المجاهدين والعلماء العرب الكبار الذين صاحبوا محمد بن القاسم الثقفي في أيام الفتوحات إلى بلاد السند وقد عينه محمد بن القاسم قاضياً على مدينة سيوستان الكبيرة وخطيباً لمسجدها الجامع الذي بناه بعد فتح المدينة سنة **٩٣** هـ ثم لما كان عهد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموي، أقر الخليفة هذا العالم الجليل على منصبه قاضياً وخطيباً ومشرفاً على الشؤون الدينية والتعليمية والتبليغ للإسلام، وقد أرسل بذلك فرماناً كريماً حثه فيه على العمل بالدعوة إلى الإسلام في تلك البلاد بالموعظة الحسنة، وكان الخليفة نفسه قد ترأس هذه الحركة للدعوة المباركة وقد دخل كثير من الملوك والأمراء ببلاد السند والهند في الإسلام لاعتقادهم بصدق النية، وقد توارث أفراد أسرة الشيباني في هذا المنصب منذ القرن الأول الهجري إلى القرن الثاني الهجري الذي زار فيه ابن بطوطة مدينة سيوستان وقابل قاضيها الذي كان معروفاً بالشيباني أيضاً لكونه من ذرية الشيباني المجاهد القديم، وقد رأى ابن بطوطة ذلك الفرمان الذي كان الخليفة عمر بن

عبد العزيز الأموي أرسله وكتب عليه بخط يده في سنة ١٠٠ هـ[١] ولا شك أن أسرة الشيباني قدمت خدمات عظيمة للإسلام في بلاد السند.

عبد الرحمن بن العباس الهاشمي (ق ١ هـ):

هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد الملك القرشي، بايع الثائر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي الذي خرج ضد الحجاج وقاتلا معاً غير مرة بالأهواز ودير الجماجم وغيرهما، ولما هزم ابن الأشعث أتى عبد الرحمن بن العباس إلى سجستان فاجتمع به كل أتباع ابن الأشعث فسار إلى خراسان في عشرين ألفاً من الجند فنزل هراة وقتل الرقاد فأرسل إليه يزيد بن المهلب كتاباً جاء فيه: «ارتحل إلى بلد ليس لي في سلطان فإني أكره قتالك وإن أردت مالا أرسلت إليك» فأعاد الجواب عبد الرحمن بن العباس قائلاً: «إنا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنا أردنا أن نريح ثم نرحل عنك وليست بنا إلى المال حاجة» وأقبل عبد الرحمن بن العباس إلى الجباية وبلغ ذلك يزيد بن المهلب فقال: من أراد أن يريح ثم يرحل لم يجب الخراج فسار إليه يزيد وأرسل خطاباً قال فيه: «إنك قد أرحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عني فإني أكره قتالك» فأبى إلا القتال، وتقدم يزيد بن المهلب لقتاله وقاتله فلم يكن بينهما أكثر قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن بن العباس عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا، وأمر يزيد أصحابه بالكف عن إتباعهم وأخذوا ما كان في عسكرهم وأسروا منهم أسرى وهرب عبد الرحمن بن العباس إلى بلاد السند[٢] وقال ابن قتيبة إنه لما انهزم فوقع بأرض فارس ثم صار إلى بلاد السند فمات هناك[٣] ولا نوجد تفصيلات عن حياته هناك.

---

(١) انظر ابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٤ ص ٣٠٨ ـ نزهة الخواطر جـ ١ ص ٩.

(٣) كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٣٨ و٥٣ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٢ ص ١١١٠ في حوادث سنة ٨٣ هـ.

عبد الله الأشتر العلوي (ق ٢ هـ) :

هو عبد الله بن محمد العلوي[1] المعروف باسم عبد الله الأشتر ويعتبر أول سياسي كبير في الأسرة العلوية وطىء أرض بلاد السند، وذلك في سنة ١٤٥ هـ في أيام الوالي العباسي عمر بن حفص العتكي ببلاد السند، وكان سبب قدومه إلى تلك البلاد هو أن والده محمد بن عبد الله خرج بالدعوة لنفسه ضد الخليفة المنصور، ووجهه إلى البصرة فاشترى منها خيلاً عتاقاً ليكون سبب وصوله مع صحبه إلى بلاد السند عند عمر بن حفص فساروا في البحر إلى بلاد السند على أنهم تجار الخيل، فأمر عمر باحضار خيلهم وأكرمهم، فذكروا له قدوم عبد الله الأشتر العلوي نائباً من طرف والده إليه، فرحب بهم وبايعهم وأنزل عبد الله عنده مختفياً، ودعا كبار أهل البلد وقواده وأهل بيته إلى البيعة، فأجابوه، وحدد للبيعة يوم الخميس وجهز ألوية بيضاء ولبسة من البياض ليخطب فيه، وفي اليوم المحدد وصله الخبر بقتل محمد بن عبد الله العلوي، فدخل عمر على عبد الله وعزاه، فقال له عبد الله إن أمري قد ظهر، وإن دمي في عنقك، فقال له عمر بأن هناك ملكاً سندياً صديقاً في منطقة مجاورة وهو من أشد الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ، وأنه يأخذ منه عهداً ثم يرسله إليه، ثم سار عبد الله الأشتر إلى ذلك الملك السندي الذي رحب به وأكرمه، حتى تسللت إليه نحو أربعمائة من الشيعة الزيدية، فلما سمع الخليفة المنصور بالقصة كتب إلى واليه عمر بن حفص يعاتبه على ما بلغه، وطلب منه تقريراً عن حقيقة القصة، فقرأ عمر الكتاب على أهله وقال لهم إن أقررت بالقصة عزلني وإن صرت إليه قتلني وإن امتنعت حاربني، فقال له رجل منهم الق الذنب عليّ وخذني وقيدني فإنه سيكتب في حملي إليه، فاحملني فإنه لا يقوم على قتلي لمكانتك في بلاد السند وحال أهل بيتك بالبصرة، فقال

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب والمشهور باسم عبد الله الأشتر.

أخاف عليك خلاف ما تظن، قال إن قتلت فنفسي فداء لنفسك، فقيده وحبسه وكتب إلى المنصور بأمره، فكتب المنصور يأمره بحمله فلما صار إليه ضرب عنقه، ثم نقل عمر بن حفص إلى أفريقيا والياً واستعمل مكانه على بلاد السند هشام بن عمرو التغلبي وأمره أن يكاتب ذلك الملك بتسليم عبد الله الأشتر، فسار هشام إلى بلاد السند وكره أخذ عبد الله الأشتر وتظاهر بأنه يكاتب ذلك الملك، فكتب إليه الخليفة يستحثه، وبينما هو كذلك إذ خرجت خارجة ببلاد السند فوجه هشام أخاه سفنجا فخرج في جيشه وكان طريقه بجنبات ذلك الملك،وبينما هو يسير إذ غبرة قد ارتفعت فظن أنها مقدمة العدو الذي يقصده فوجه طلائعه فرجعت إليه وقالوا هذا عبد الله الأشتر بن محمد العلوي يتنزه على شاطىء مهران، فأراد قتله فقال له البعض تركه أخوك متعمداً مخافة أن يبوء بدمه، فقال ما كنت لأدع أخذه ولا أدع أحداً يحظى بأخذه أو قتله عند الخليفة المنصور، وكان عبد الله في عشرة من أصحابه فقصدهم سفنج وقاتلهم حتى قتل عبد الله ومن معه جميعاً وسقط عبد الله بين القتلى فلم يشعر به من هو، وقيل إن أصحابه قذفوه في نهر مهران حتى لا يحمل رأسه إلى العراق، ثم كتب الوالي هشام بذلك إلى الخليفة المنصور الذي شكره، وأمره بمحاربة ذلك الملك السندي الذي كان يحمي عبد الله الأشتر فحاربه هشام حتى قتله واستولى على مملكته الصغيرة المجاورة[1] وكان عبد الله الأشتر قد تزوج واحدة في بلاد السند فأولدها ولداً وهو محمد بن عبد الله الذي يقال له (ابن الأشتر) فأخذ هشام الولد وأرسله إلى الخليفة المنصور الذي بعث بالولد إلى والي المدينة المنورة وكتب بصحة نسبه وتسليمه إلى أهله هناك وكان ذلك في سنة ١٥١ هـ[2].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٥٥ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٣ ص٣٥٥ ـ تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ١٩٨ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٥٥ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين الداودي ص١٨٣ .

جعفر بن محمد العلوي في الملتان بإقليم البنجاب (ق ٢ هـ):

طبقاً لما ورد في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، فإن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب كان يقيم بالحجاز، فلما خاف على نفسه هرب مع ثلاثة عشر رجلاً من صلبه فما استقرت به الدار حتى دخل الملتان،وكان في جماعة أقوياء فاستولى على البلد وخوطب بالملك، كما ملك أولاده هناك، وقال البيهقي أعقب أكثر من ثمانين رجلاً وقال الشيخ أبو الحسن العمري بعد ذكر المقيمين من ولد الملك الملتاني أربعة وأربعين رجلاً رواية عن الشيخ أبي اليقظان عمار،منهم ملوك وأمراء وعلماء النسابون وأكثرهم على رأي الشيعة ولسانهم هندي (ملتاني) وهم يحفظون أنسابهم[١] ويذكره صاحب نزهة الخواطر أيضاً في ترجمة رجال القرن الثاني الهجري ولكنه لا يعلق شيئاً على رواية صاحب عمدة الطالب[٢] ولم أجد في كتب التاريخ ما يؤيد هذه الرواية، سوى ما أشار إليه المسعودي الذي زار المنصورة والملتان في سنة ٣٠٣ هـ بأنه توجد عائلات كثيرة من آل علي بن أبي طالب من نسل عمر الأطرف بن علي، كما ذكر رجلاً باسم حمزة وقال أنه من سيد العرب وملك من ملوكهم[٣] ويبدو أن حمزة كان من تلك الأسرة ولكنه لم يكن في ذلك الوقت ملكاً يحكم ولعل المسعودي قصد بذلك بأنه أمير من أمرائهم في النسب والجاه، أو ربما استولى جعفر العلوي على الملتان فترة من الزمن في القرن الثاني الهجري في الوقت الذي كان العرب في المنصورة ببلاد السند مشغولين بالفتن والاضطرابات السياسية.

محمد بن أبي الشوارب قاضي المنصورة (ق ٣ هـ):

يعتبر محمد بن أبي الشوارب من أعظم علماء عصره،وقد حضر من العراق

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٣٣ و٣٣٤.

(٢) نزهة الخواطر لعبد الحي لكهنوي جـ ١ ص ٥٦١.

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٦.

بأمر الخليفة سنة ٢٨٣ هـ وتولى منصب القضاء في المنصورة عاصمة بلاد السند في عهد العرب، وكان هذا المنصب في الحقيقة يلي منصب الوالي أو الحاكم في بلاد السند، وكان له قدر كبير في العراق عامة وفي بغداد خاصة وكان الوالي العباسي وأفراد أسرته يستفيدون من علمه وصحبته، وبعد ذلك صار ابنه علي بن محمد بن أبي الشوارب قاضياً على المنصورة، وظل أفراد أسرته يتولون هذا المنصب حتى سنة ٣٠٣ هـ التي زار فيها المسعودي مدينة المنصورة وكتب عنها وعن أسرة قاضيها،كما كان بين القاضي وحاكم المنصورة صلة قرابة وتعاون كبير في نشر الإسلام والعلوم الإسلامية في بلاد السند[١] ولكون المنصورة عاصمة البلاد ولوجود قضاة آخرين في المدن الأخرى فلا بد أن يكون هذا القاضي في مقام قاضي القضاة ولا سيما أن الخليفة هو الذي اختاره لهذه المهمة العظيمة.

منصور بن حاتم النحوي العراقي (ق ٣ هـ):

كان منصور بن حاتم النحوي من علماء العراق نزل بلاد السند في القرن الثالث الهجري،وكان من موالي آل خالد بن أسيد[٢] وقد روى عنه البلاذري في كتابه فتوح البلدان في أخبار بلاد السند، منها أنه رأى الدقل الذي كان له منارة المعبد البوذي بمدينة الديبل مكسوراً منذ أن فتح محمد بن القاسم تلك المدينة سنة ٩٣ هـ، وأن عنبة بن إسحاق والي السند هدم أعلى تلك المنارة في سنة ٢٢٦ هـ وبنى فيها سجناً كبيراً[٣] وأن الملك داهر وقاتله مصوران بمدينة بروص، بينما القائد الشهيد بديل بن طفهفة مصور بمدينة القنادبيل[٤] وفي الغالب كان لمنصور بن حاتم النحوي فضل كبير في تدريس اللغة العربية في

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ١ ص ٣٧٧.
(٢) نزهة الخواطر لعبد الحي لكهنوي جـ ١ ص ٦٠.
(٣) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٣ ص ٥٣٦.
(٤) المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٣٧.

بلاد السند وكان يطوف المدن السندية ويلتقي بالعلماء ليشاركهم في نشر العلوم الإسلامية.

عالم المنصورة وشاعرها العظيم (ق ٣ هـ):

كان في المنصورة ببلاد السند عالم جليل وشاعر كبير عراقي الأصل وقد نشأ في المنصورة نفسها، ولذلك كان يتقن اللغة السندية وينظم الشعر فيها بجانب اللغة العربية، ولكن التاريخ مع الأسف لا يذكر اسمه، ففي سنة ٣٧٠ هـ طلب حاكم مدينة الور السندي من والي المنصورة عبد الله بن عمر الهباري أن يبعث إليه شيئاً عن تعاليم الإسلام لأنه يرغب في معرفتها، فطلب الوالي من هذا العالم أن يكتب في ذلك،فقام بنظم قصيدة طويلة رائعة باللغة السندية وضمنها عقيدة الإسلام، وأرسلها الوالي إلى ذلك الملك السندي فأعجب بها كثيراً، بل طلب أن يحضر العالم الشاعر نفسه إليه، فتوجه العالم العراقي إليه وفسر له القرآن الكريم كله باللغة السندية فآمن الملك السندي بالله الواحد وأسلم على يديه، وقد أقام العالم العربي عنده ثلاث سنوات أكمل خلالها تأليف كتاب في تفسير القرآن باللغة السندية، فهو بذلك يعتبر أول تأليف للعرب باللغة السندية كما يعتبر أول تفسير للقرآن الكريم في القارة الهندية كلها[1].

أحمد بن محمد المنصوري قاضي المنصورة (ق ٤ هـ):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح التميمي من أهل المنصورة عاصمة بلاد السند في عهد العرب، أتى بغداد وتعلم ثم عاد إلى المنصورة وكان أظرف من رآه السمعاني من العلماء، سمع بفارس العباسي بن الأشرم وبالبصرة أبا روق الخضراني حديثاً باطلاً هو آفته[2] وكان المنصوري على

---

(١) عجائب الهند لبزرك بن شهريار ص ٣ طبع ليدن ـ تاريخ السند لأبي ظفر ندوي ص ٣٥٧.
(٢) ميزان الاعتدال للذهبي جـ ١ ص ٦٦ وكذلك انظر الأنساب للسمعاني في لفظ المنصوري.

مذهب داود الظاهري، وله كتب منها كتاب المصباح وكتاب الهادي وكتاب النير[1] في مذهبه وكان فقيهاً فيه[2] وقد قابله المقدسي البشاري في المنصورة سنة ٣٧٥ هـ عندما كان قاضياً عليها وإماماً في مذهبه الداودي هناك، وذكر البشاري أيضاً بأن له تدريس وتصانيف[3] واعتبره البعض عالماً سندياً[4]. من علماء تلك البلاد.

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٦.
(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي في لفظ السند.
(٣) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي ص ٤٨١.
(٤) رجال السند والهند لأظهر مباركبوري ص ٦٢.

الفصل السادس

العلماء السند ببلاد السند وخارجها في عهد العرب

لقد أنجبت بلاد السند في عهد العرب رجالات علمية بارزة في شتى مجالات العلم والثقافة، وقد أخذ هؤلاء العلماء السند يلعبون دورهم منذ القرن الثالث الهجري في ازدهار العلوم العربية والإسلامية في بلادهم تحت رعاية الحكومة العربية .

أولاً ـ العلماء السند في داخل بلاد السند:

قبلـه الديبلي (ق ١ هـ):

أول عالم سندي يذكره التاريخ لنا ببلاد السند هو قبله بن مهترائج كان مشرفاً على سجن الديبل الذي كان فيه عدد كبير من المسجونين العرب،وهم جنود القائد العربي الشهيد بديل (٨٨ هـ تقريباً) والتجار والنساء المسلمات بعد حادثة السفن العربية التي خطفها قراصنة السند من قوم الميد بالديبل واعتذر الملك داهر بعدم استطاعته ردهم إلى العرب،فتدهورت الحالة السياسية بين العرب وأهل السند وانتهت بفتح بلاد السند، وكان السندي يحسن معاملة المسجونين العرب ويبشرهم بفتح بلاد السند علي أيدي العرب، ثم لما فتح محمد بن القاسم الثقفي مدينة الديبل في سنة ٩٣ هـ كان هذا الرجل من بين الأسرى، فدخل في الإسلام وحسن إسلامه، فوكل إليه محمد بن القاسم الأمور الاقتصادية في مدينة الديبل، وكان عالماً مدبراً ويعرف اللغة العربية

لما وفي الغالب تعلمها من المسجونين العرب، ولذلك اختاره محمد بن القاسم مترجماً لرئيس الوفد العربي المعروف «بالشامي» إلى الملك داهر بشأن المفاوضات لعبور نهر السند[1]. وكان قبله السندي برهمي المذهب[2].

سندي بن أبي هارون السندي المحدث (ق ٣ هـ):

ذكر الإمام الرازي وكذلك الذهبي أن سندي بن أبي هارون السندي كان عالماً محدثاً وشيخاً مجهولاً وقد روى عنه المحدث مسدد[3] وكان سندي ابن أبي هارون السندي هذا من رجال القرن الثالث الهجري[4].

أحمد بن محمد الديبلي العالم المقرىء (ق ٣ هـ):

اشتهر بالديبلي كثير من العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين ورواة الحديث وذلك في عهد العرب ببلاد السند، فقد ولد بعضهم في داخلها والبعض في خارجها، وفي العصر العباسي نجد علماء الديبل بالكثرة ومعظمهم هاجروا إلى البلاد العربية والأقلية بقوا في بلاد السند واشتغلوا بنشر العلوم الإسلامية بجانب العلماء العرب، فمن هؤلاء ذكر ابن الجزري، أحمد بن محمد بن هارون الديبلي العالم المقرىء[5] وكان من رجال القرن الثالث الهجري.

محمد بن الحسين الديبلي المقرىء (ق ٣ هـ):

كان من علماء الديبل وقرائها المعروفين محمد بن الحسين بن محمد الديبلي[6] اشتغل بتدريس العلوم الإسلامية واشتهروا في التلاوة وعلم التجويد وذلك في القرن الثالث الهجري.

---

(١) انظر كتاب ججنامه ص ١٠٨ و ١٠٩.
(٢) صاحب تاريخ السند ص ٣٥٦.
(٣) كتاب الميزان للذهبي جـ ١ ص ٤٢٨.
(٤) رجال السند والهند ص ١٣٩.
(٥) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري جـ ١ ص ١٣١.
(٦) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٣٣.

محمد بن عبد الله الديبلي المقرىء العالم (ق ٣ هـ):

كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي المقرىء معروفاً في العلوم القرآنية والتجويد والقراءة[١] وقدم خدمات جليلة لأهل مدينته بالديبل في هذه العلوم وكان محمد بن عبد الله الديبلي من رجال القرن الثالث الهجري.

علي بن موسى الديبلي المحدث (ق ٤ هـ):

جاء في ترجمة خلف بن محمد الموازيني الديبلي الذي نزل بغداد من بلاد السند فحدث بها عن علي بن موسى الديبلي، المحدث المعروف ببلاد السند وكان علي بن موسى الديبلي من رجال القرن الرابع الهجري، وقيل أيضاً في الاسم علي بن إسماعيل الديبلي[٢].

أحمد بن الحسين السندي المحدث (ق ٤ هـ):

كان المحدث أحمد بن الحسين بن علي البامياني السندي أحد العلماء والمحدثين الذين نشروا العلوم الإسلامية في بلاد السند، كما يقول الحموي، وقد روى عن مكي بن إبراهيم[٣] ولعله زار البلاد العربية أيضاً وكان في الغالب من المحدثين في القرن الرابع الهجري.

علي بن عبد الله السندي المحدث (ق ٥ هـ):

كان علي بن عبد الله السندي من العلماء المحدثين ببلاد السند، وقد قدم بغداد محمد بن عيسى بن عبد الكريم بن حبيش بن الطباخ وحدث عن علي ابن عبد الله السندي أخبار مجموعة من فضائل طرسوس[٤] وكان الشيخ العالم

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ١٩٠.

(٢) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.

(٣) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (في لفظ باميان).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب جـ ٢ ص ٤٠٥.

علي بن عبد الله السندي من رجال القرن الخامس الهجري ويبدو كانت له مجموعة في فضائل طرسوس.

ثانياً ـ العلماء السند في البلاد العربية :

لم يكتف العلماء السند بخدمة العلوم الإسلامية في بلادهم بلاد السند وحدها في عهد الحكم العربي بها بل انتقل كثير منهم إلى البلاد العربية والإسلامية الأخرى لمشاركة العلماء العرب في نشر العلوم، وقد وصل بعضهم إلى درجات علمية ممتازة ومناصب حكومية عالمية.

أبو سالة الزطي السندي البصري (ق ١ هـ):

كان أبو سالة الزطي السندي البصري، والياً على السيابجة والزط والميد من أهل السند بالعراق، كما كان مشرفاً على حراسة بيت المال بالبصرة في عهد الخليفة علي وخاصة في أيام موقعة الجمل، فقد كان بعض من السيابجة وعددهم أربعون رجلاً، موكلين بحراسة بيت المال بالبصرة تحت قيادة أبي سالة الزطي هذا، ثم لما قامت الفتنة بين الخليفة علي وبين طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام، قدم طلحة والزبير إلى البصرة وأرادا الاستيلاء على بيت المال بها، ولم يستطع والي البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أن يفعل شيئاً لمنعهما، بينما وقف السيابجة بشدة ورفضوا تسليم الخزائن إليهما بدون أمر الخليفة علي، فجمع عبد الله بن الزبير جماعة كبيرة وهجم على السيابجة وقت السحر وقتلهم جميعاً[١].

عبيد بن باب السندي البصري (ق ١ هـ):

كان عبيد بن باب السندي البصري يقيم بالبصرة في نهاية القرن الأول الهجري وكان أبوه باب من سبي السند في كابل، كما يقول المسعودي وكان

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٢ ص ٤٦٢.

مولى لآل عرارة بن يربوع بن مالك[1] وكان لعبيد ولد يسمى عمرو الذي صار شيخ المعتزلة ومؤسس الفرقة العمرية في القرن الثاني الهجري فكان الناس إذا رأوا عمرو مع أبيه قالوا خير الناس ابن شر الناس فيقول عبيد صدقتم هذا إبراهيم وأنا آزر[2].

الإمام الأعظم أبو حنيفة (السندي؟) الكوفي (المتوفى ١٥٠ هـ):

أبو حنيفة هو الملقب بالإمام الأعظم وهو مؤسس المذهب الحنفي، أول المذاهب الأربعة ظهوراً عند أهل السنّة في العالم الإسلامي، وهو المعروف أيضاً بلقب فقيه العراق.

وأبو حنيفة اسمه النعمان بن ثابت بن زطي التيمي مولاهم الكوفي، ولد جده «زطي» بمدينة كابل بأفغانستان، وقد اختلف في ولادة أبيه (ثابت) فقيل إنه ولد بمدينة الأنبار وقيل بمدينة نسا بإيران وأما أبو حنيفة نفسه فقد ولد بالكوفة[3] وذلك في سنة ٨٠ هـ[4] وقد كان أبوه ثابت مملوكاً بايران لرجل من ربيعة من بني تيم الله بن ثعلبة من فخذ يقال لهم بنو قفل فكان أبو حنيفة مولى لبني تيم الله ولذلك يقال له أبو حنيفة التيمي[5].

ونشأ أبو حنيفة وتعلم وعاش بالكوفة، وقد رأى أنس بن مالك غير مرة لما قدم الكوفة، وحدث عن عطاء ونافع وعبد الرحمن بن خرمز الأعرج وعدي ابن ثابت وسلمة بن كهيل وأبي جعفر محمد بن علي وقتادة وعمرو بن دينار وأبي إسحق وخلق كثير، وقد تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره من فقهاء الكوفة في عصره، وحدث عنه وكيع ويزيد بن هارون وسعد بن الصامت وأبو

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ١٩٢.
(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣ - وكذلك انظر رجال السند ص ١٦٧.
(٣) انظر الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٢٢.
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦٨.
(٥) الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٢٢.

عاصم وعبد الرزاق وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن المقرىء وبشر كثير، كما تفقه به زفر بن الهذيل وداود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمر والحسن بن زياد اللؤلؤي ونوح الجامع وأبو مطيع البلخي وآخرون.

وقد كان أبو حنيفة إماماً ورعاً، عاملاً عالماً، متعبداً كبير الشان لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب من أجل قوته ومعاشه، وقد قال عنه أبو مبارك: أبو حنيفة أفقه الناس، وقال الإمام الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال يزيد ما رأيت أحداً أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، ولقد ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة والي بغداد على رفضه منصب القضاء، وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً، وقد توفي سنة ١٥٠ هـ رحمه الله رحمة واسعة[١].

وقد كتب كثير من العلماء الكبار ـ قديماً وحديثاً ـ في مناقب الإمام الأعظم عشرات من الكتب الضخمة لكونه إمام المذهب الحنفي ولذلك فهو مستغن عن كل تعريف أكثر[٢].

وإنما نقصد هنا البحث (باختصار) عن نسب أسرته أو موطنه الأصلي، فالمعروف عند أغلبية العلماء والكتّاب في الشرق والغرب أنه فارسي الأصل لأن التاريخ يذكر ـ كما بيّنا سابقاً ـ أن جده ولد بمدينة كابل بأفغانستان وأن والده ولد بمدينة الأنبار أو مدينة نسا ببلاد ايران، وعلى ذلك لم يحاول الباحثون أن يدققوا في نسب أبي حنيفة أو أن يبحثوا عن موطن أسرته الأصلي فهؤلاء لم ينتبهوا إلى الاسم الذي عرف به جده وهو «زطي» نسبة إلى قبيلة الزط السندية.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦٨ و١٦٩.

(٢) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٨٣٦.

وعلى ذلك يمكن لنا القول هنا بأن أبا حنيفة كان - في الغالب - من أسرة زطية سندية أصلاً وأدلتنا على ذلك كالآتي:-

١ - كون جده معروفاً باسم الزطي، الاسم الذي هو في الحقيقة منسوب إلى قبيلة الزط ببلاد السند، ولا نجد لهذا الاسم مثيلاً بين الأسماء والأنساب الفارسية والأفغانية.

٢ - كون تاريخ حياة جده «زطي» غير معروف سوى أنه ولد بمدينة كابل، ولذلك يمكن القول بأنه أتى إليها من الخارج.

٣ - وجود الاختلاف بشأن الموضع الذي ولد فيه أبوه (ثابت) ثم كونه مملوكاً لبني تيم من العرب الفاتحين في ايران وانتقال أسرته إلى العراق في النهاية.

٤ - عدم وجود تاريخ كامل صحيح لنشأة أبي حنيفة نفسه في الصغر بعد ولادته بالكوفة ونشأته فيها، فهذه المعلومات الناقصة والمتناقضة تجعلنا نعتقد أو على الأقل نظن بأن جده المعروف بالزطي كان سندياً في الأصل منتمياً إلى قبيلة الزط المعروفة ببلاد السند وإلى تلك القبيلة يرجع نسبه، ولنا دليل آخر على هذا وهو:

٥ - كانت بلاد السند قديماً منذ مئات السنين معرضة لحملات وغزوات ملوك الفرس حتى قبيل ظهور الإسلام، ولا سيما الحملة الكبيرة الأخيرة التي قام بها ملك فارس بحراً وبراً على بلاد السند كانت في عهد الملك السندي سيهرس الثاني (القرن السادس الميلادي) بحيث وقعت معركة دامية رهيبة بين الملكين وجيوشهما وانتهت بانتصار الفرس ومقتل الملك السندي، وباستيلاء الفرس على مناطق واسعة من بلاد السند، وقد أخذ الفرس عند عودتهم إلى بلادهم آلافاً من الجنود السند من الزط كأسرى الحرب[١] وقد ظل هؤلاء

(١) ججنامه ص ١٤ - ٢٠ وكذلك انظر تاريخ السند ص ١٣ - ١٤ لعبد المجيد سالك ص ٧٦ و ٧٧ والثقافة الإسلامية في الهند .

زط ببلاد ايران حتى فتحت تلك البلاد بالتدريج في العهد الإسلامي في أيام الخليفة أبي بكر ثم الخليفة عمر بن الخطاب، وقد انضم هؤلاء الزط إلى العرب ودخلوا في الإسلام أيضاً وانتقلوا بعد ذلك بقليل إلى بلاد العراق، وسكنوها في منطقة البطائح الواقعة ما بين واسط والبصرة[1] ومن ناحية أخرى نهز الملك السندي جج (١ - ٤٠ هـ) فرصة غزوات العرب لبلاد ايران واشتغال الفرس بأنفسهم وضعفهم، فأعاد المناطق السندية إلى حكمه[2].

فلذلك ليس ببعيد أن يكون جده (زطي) من هؤلاء الأسرى الزط بايران ثم يكون قد انتقل مع جيوش الفتح إلى كابل حيث ولد بها وعرف بالزطي، ثم سافر الزطي هذا إلى ايران لوجود علاقة قديمة بينها وبين أسرته أو مع موالاة العربي، وفي مدينة من مدنها ولد ابنه ثابت الذي ظل مولى لبني تيم من العرب الكوفيين الذين انتقلوا فيما بعد إلى الكوفة ونقلوا معهم أسرة أبي حنيفة أيضاً ثم في الكوفة ولد أبو حنيفة ونشأ وترعرع وتعلم وعظم شأنه حتى صار إماماً معروفاً بفضل الإسلام.

وبعد هذا كله إذا صح ما اعتقدناه بأن أبا حنيفة كان من أصل سندي من قبيلة الزط التي نسب إليها جده المعروف بالزطي، فمعنى ذلك أن بلاد السند قد نالت الشرف والفخر لإنجابها مثل هذا الإمام، الذي قدم للإسلام والسنة المحمدية أجل الخدمات وأقدسها.

عالم سندي، رياضي فلكـي (ق ٢ هـ):

قدم من بلاد السند في سنة ١٥٤ هـ وفد علمي إلى بغداد وقابل الخليفة المنصور، وكان بين أفراد هذا الوفد عالم سندي ماهر في الفلك والرياضيات فقدم إلى الخليفة كتاباً باسم (سد هانت) الذي عرف عند العرب باسم كتاب

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري جـ ٢ ص ٤٦١.

(٢) ججنامه ص ٣١ و٤٩ بالفارسية.

«السند هند» وكان الكتاب يحتوي على المسائل الفلكية والرياضية الهامة، فأمر الخليفة بترجمته إلى العربية فقام هذا العالم السندي بالاشتراك مع العالم الرياضي العربي إبراهيم الفزاري بترجمته، وكان هذا أول كتاب يترجم من الهندية إلى العربية[1] وبعد ذلك قام العلماء العرب بدراسة هذا الكتاب العظيم وتلخيصه وشرحه وكتبوا زيجات عليه ثم وصل إلى الأندلس ومنها إلى أوروبا.

مكحول بن عبد الله السندي الشامي العالم الإمام (ق ٢ هـ):

كان أبو عبد الله مكحول بن عبد الله السندي الشامي، من سبي كابل وقال ابن عائشة بأنه كان مولى لامرأة من قيس وكان سندياً لا يفصح[2] وقيل كان مولى امرأة من هذيل[3] وقيل مولى سعيد بن العاص وقيل مولى بني ليث[4] وقد اختلفوا في اسمه الكامل ونسبته فقال البعض هو مكحول بن مسلم بن شادل بن صفد بن شروان الكابلي الهذلي مولاهم الدمشقي وقال البعض هو مكحول بن أبي مسلم الهذلي[5] وقيل كانت كنيته أبو تراب[6] وعن نسبه قيل هو من أولاد كسرى[7] وقيل كان جده ساول من أهل هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهي حامل فانصرفت إلى أهلها فولدت (شهراز) فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع سبي ووقع لسعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته[8] وداره

---

(١) طبقات الأمم ص ٤٩ - وأخبار الحكماء ص ١٧٨.

(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٥٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٤ ص ٣٦٨.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣١٨ - وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٦٨ - كتاب المعارف ص ٤٥٣.

(٤) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٦٨.

(٥) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ١٤٦.

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠٧.

(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٧.

(٨) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ١٤٦.

بدمشق بطرف سوق الأحد[1] وكان في لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف بغيره وهذه العجمة تغلب على أهل السند[2] فمثلاً يجعل القاف كافاً[3] .

كان معلم الإمام الأوزاعي[4] وكان يرسل كثيراً ويدرّس عن أبي بن كعب وعبادة بن الصامت والكبار، وروى عن أبي أمامة الباهلي وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن غنم، وأبي إدريس الخولاني وأبي سلام مسطور، وروى عنه أيوب بن موسى والعلاء بن الحارث وزيد بن واقد وثور بن يزيد وحجاج بن أرطاة والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وآخرون كثيرون[5] .

ومن أقوال العلماء والمحدثين عنه، قال ابن إسحاق سمعت مكحولاً يقول طفت الأرض في طلب العلم،وروى أبو ذهب عن مكحول قال عتقت بمصر فلم أدع بها علماً إلا حويته في ما أرى ثم أتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بها علماً ثم أتيت الشام فغربلتها، وقال الزهري: العلماء ثلاثة فذكر منهم مكحولاً، وقال أبو حاتم ما أعلم بالشام أفقه من مكحول، قال ابن زرير سمعت مكحولاً يقول كنت عند سعيد بن العاص فوهبني لامرأة هذيل بمصر، فما خرجت من مصر حتى ظننت أن ليس بها علم إلا وقد سمعت ولم أر مثل الشعبي، قال سعيد بن عبد العزيز قال مكحول ما استوعبت صدري شيئاً إلا وجدته حين أريد وكان مكحول أفقه من الزهري[6] وذكر ابن النديم بأن له

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠٧ .

(٢) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٦٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠٨ .

(٤) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٦٨ .

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠٧ .

(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٨ .

كتاب السنن في الفقه وكتاب المسائل في الفقه[1] وقد توفي سنة ١١٢ هـ[2] وقيل ١١٣ هـ[3] والكتب القديمة مشحونة بذكره وآرائه وأقواله اكتفينا بتقديم هذا القدر منها.

أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي (المتوفى ١٧٠ هـ):

هو العالم الكبير المحدث المعروف وصاحب المغازي، وكان عبداً سندياً أتى إلى الحجاز في أوائل القرن الثاني الهجري مع الأسرى والعبيد من أهل بلاد السند فرفع الله شأنه بفضل الإسلام وبفضل العلوم الإسلامية التي تبحر فيها بجهده وتقواه حين استسقى العلم من تلك المنابع المباركة الفياضة، فلمع اسمه في سماء العلم حتى عظمه العالم الإسلامي.

كان مولى أم سلمة من أهل المدينة، ثم أم موسى بن المهدي ولذلك عرف بالمدني[4] وقالوا كاتب امرأة من بني مخزوم فأوى إليها فاشترت أم موسى بنت المنصور ولاءه الحميرية[5] وكان من أدعية العلم على نقص في حفظه، رأى أسامة بن سهل وروى عن محمد بن كعب القرظي وموسى بن بشار ونافع وابن المنكدر ومحمد بن قيس وطائفة، ومحمد بن عمرو وهشام،وحدّث عنه ابنه محمد وعبد الرزاق وأبو نعيم ومحمد بن بكار ومنصور بن أبي مزاحم وطائفة والعراقيون، قال ابن معين ليس بالقوي، وقال أحمد بن حنبل كان بصيراً بالمغازي صدوقاً وكان لا يقيم الإسناد، وقال أبو ذرعة صدوق، وقال النسائي ليس بالقوي ولكن النسائي احتج به ولم يخرج له الشيخان[6] وقال

---

(١) الفهرست ص ٣١٨.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠٨.
(٣) الفهرست ص ٣١٨.
(٤) الأنساب للسمعاني ظهر الورقة ٣١٣.
(٥) طبقات الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٢١٦.
(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٢١٦.

ابن العماد بأنه كان صاحب المغازي والأخبار مشهور عن أصحاب أبي هريرة بالعمدة[1] وقال الإمام البخاري بأنه يخالف في حديثه وكان يحيى لا يحدث عنه ويضعفه جداً، وذكر الخطيب بأنه كان من أعلم الناس بالمغازي، وعن الفضل بن هارون البغدادي قال سمعت محمد بن أبي معشر قال كان أبي سندياً أخرم خياطاً، قالوا كيف حفظ المغازي قال كان التابعون يجلسون إلى أستاذه فكانوا يتذاكرون المغازي فحفظ[2] .

وكان أبيض أزرق سميناً، أقدمه الخليفة المهدي من المدينة إلى بغداد بالعراق وأمر له بألف دينار وقال تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا[3] وقال ابن النديم أنه عارف بالأحداث والسير وأحد المحدثين وله من الكتب كتاب المغازي[4] وظل أبو معشر السندي ببغداد حتى توفي سنة ١٧٠ هـ[5] وصلى عليه الخليفة هارون الرشيد في السنة التي استخلف فيها ودفن في المقبرة الكبيرة ببغداد،وكان ممن اختلط في آخر عمره وبقي قبل أن يموت بسنتين في تغير شديد لا يدري ما يحدث به، وكثر المذاكير في روايته من قبل اختلاطه نبطل الاحتجاج به[6] .

حبيش بن السندي البغدادي المحدث (ق ٢ هـ):

كان حبيش بن السندي القطيعي يقيم في بغداد في القرن الثاني الهجري، وقد حدث عن عبد الله بن محمد العيشي وأحمد بن حنبل، وروى عنه محمد ابن مخلد[7] وذكره ابن الجوزي فيمن حدّث عن الإمام أحمد بن حنبل على

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ٢٧٨ .

(٢) التاريخ الصغير للبخاري (انظر رجال السند ص ٢٥٥).

(٣) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٥٧ ـ ٤٦٢ وكذلك انظر تاريخ جرجان ص ١٦٠ .

(٤) طبقات الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢١٦ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٦ .

(٦) طبقات الحفاظ جـ ١ ص ٢١٦ ـ الفهرست ص ١٣٦ ـ تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٦٢ .

(٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٨ ص ٢٧٢ .

الاطلاق من الشيوخ والأصحاب[1].

السندي الخواتيمي البغدادي المحدث (ق ٢ هـ):

أبو بكر سندي الخواتيمي كان فيمن حدث عن الإمام أحمد بن حنبل على الاطلاق عن الشيوخ والأصحاب، وكان في القرن الثاني الهجري في بغداد وبها توفي رحمه الله[2].

عبد الرحمن بن السندي الدمشقي (ق ٢ هـ):

يعتبر عبد الرحمن بن السندي من المحدثين السند القدماء بدمشق، قرأ على عراك بن خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري أبي الضحاك الدمشقي[3] وكان عبد الرحمن بن السندي من رجال القرن الثاني الهجري.

سماق الزطي السندي البصري والي الزط (ق ٢ هـ):

غلب قوم الزط الساكنين في البطيحة الواقعة ما بين البصرة وواسط وبغداد، غلبوا على الطرق التجارية البرية والبحرية وخاصة على طريق البصرة ونهبوا الأموال وقتلوا الأنفس في عهد المعتصم بالله سنة ٢٢٣ هـ وكان زعيمهم يسمى سماق الزطي السندي، وقضى جيش الخليفة المعتصم على فسادهم ونقلوا من البطيحة إلى ثغور مختلفة بالشام[4].

السندي مولى حسين الخادم (ق ٣ هـ):

ذكر الطبري عن رجل يقال له السندي مولى حسين الخادم حين عقد المسلمون جسراً على النهر وعقد الروم جسراً فكان المسلمون يرسلون رومياً

---

(١) مناقب الإمام احمد بن حنبل ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ و ٢٩٤.

(٣) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ ٧ ص ١٧١.

(٤) ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٥٧.

على جسرهم والروم يرسلون مسلمًا عن جسرهم[1] وكان ذلك أيام الواثق في سنة ٢٣١ هـ حين أتم الفداء وتبادل الأسرى بين المسلمين والروم، واجتمع المسلمون والروم على نهر يقال له (اللامس) على سلوقية على مسيرة يوم من طرسوس، وكان السندي هذا معتمداً في أمور الخلافة وكان من رجال القرن الثالث الهجري.

السندي بن ابان البغدادي (ق ٣ هـ):

كان أبو النصر السندي بن ابان غلام خلف بن هشام وكان عالماً محدثاً، حدث عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، روى عنه عبد الصمد بن علي الطستي وقد توفي السندي بن ابان سنة ٢٨١ هـ في بغداد[2].

أحمد بن السندي البغدادي المحدث (ق ٣ هـ):

هو أحمد بن السندي بن فروخ البغدادي المطرز حدث عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، روى عنه عبد الله بن عدي الجرجاني وسمع بالبصرة وبغداد[3] وقد كان من العلماء المحدثين السند ببغداد في القرن الثالث الهجري لأن شيخه الدورقي قد مات في سنة ٢٥٢ هـ.

يحيى أبو معشر السندي (ق ٢ هـ):

قال الإمام الدولابي في من كنيته أبي معشر: وأبو معشر يحيى السندي مولى ابن هاشم[4] وقال القاضي أطهر، لعله كان من رجال القرن الثاني الهجري وقد ذكر الدولابي قبله أبا معشر زيادة بن كليب صاحب إبراهيم

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٦٧٨.

(٢) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢٣٤.

(٣) الأنساب للسمعاني الورقة ٣١٤ وكذلك تاريخ بغداد للخطيب جـ ٤ ص ١٨٧.

(٤) كتاب الكنى والأسماء للدولابي ص ١٢٠.

النخعي وأبا معشر يوسف بن يزيد البراء، وقد بين الدولابي الفرق الظاهر بين أبي معشر يحيى السندي مولى ابن هاشم وبين أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي مولى أم موسى بنت منصور[1].

عمرو بن عبيد بن باب السندي البصري شيخ المعتزلة (ق ٣ هـ):

هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب السندي مولى لآل عرارة بن يربوع ابن مالك[2] وقيل مولى ابن نعيم، وكان جده باب من سبي السند في كابل في منتصف القرن الأول الهجري[3] وأما والد عمرو وهو عبيد فقد أتى إلى البصرة في أواخر القرن الأول الهجري وكان عبيد يختلف إلى أصحاب الشر بالبصرة فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا خير الناس ابن شر الناس، فيقول عبيد صدقتم هذا ابراهيم وأنا آزر[4] وقد ولد عمرو ونشأ بالبصرة نشأة طيبة حتى صار فقيهاً وله خطب ورسائل[5] وكان يرى رأي القدر حين كان من أصحاب الحسن البصري ثم اعتزل حلقة الحسن هو وعطاء بن واصل وأصحاب لهما فسموا بالمعتزلة[6] وهو صاحب الفرقة العَمْرية[7] وكان من دعاة يزيد الناقص أيام بني أمية ثم والى المنصور وقال بإمامته ومدح المنصور يوماً فقال: نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو، وقد أكرمه المنصور في حياته ولما توفي رثاه أيضاً[8].

---

(١) رجال السند والهند للقاضي أطهر ص ٢٦٧.

(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٢ ويقول ابن قتيبة عن الاسم «عرارة» ويقول ابن رسته «عرادة».

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ١٩٢.

(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣.

(٥) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ١٩٢.

(٦) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ٢٠١.

(٧) الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي ص ٧٢.

(٨) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ٢١٠.

وقد كانت الاختلافات في الاصول قد حدثت في آخر أيام الصحابة مثل بدعة معبد الجهني، وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري في القول بالقدر وانكار إضافة الخير والشر الى القدر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد السندي، وكان في البصرة ستة أشخاص من أصحاب الكلام وهم عمرو بن عبيد السندي وواصل بن عطاء وبشار الأعمى وصالح ابن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي عوجاء، وجرير بن حازم الأزدي، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده، وقد صار عمرو وواصل إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقي متحيراً وأما الأزدي فمال إلى قول السمنية وبقي ظاهره على ما كان عليه، ثم تفرق عمرو عن واصل، ويبدو أن عمراً قد ظهر بآراء جديدة جريئة مما اضطر معها واصل الى كتابة رسالة تحذيرية إليه[1].

وجاء في سيرته أنه دخل عمرو بن عبيد السندي يوماً على الخليفة المنصور وعنده ابنه المهدي فقال له المنصور هذا ولي عهد المسلمين ورجائي أن تدعو له، فقال عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول، فنظر المنصور إليه وقال عظني أبا عثمان[2] فقال يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك من الله ببعضها واعلم بأن الله لا يرضى منك إلا بالعدل في رعيتك،يا أمير المؤمنين إن وراء بابك نيراناً تأجج من الجور وما يعمل من وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسول الله، يا أمير المؤمنين «ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد» حتى أتى على آخر السورة، قالوا فبكى المنصور، فقال ابن مجالة له يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين منذ اليوم، قال عمرو من هذا يا أمير المؤمنين، قال هذا أخوك ابن مجالة، قال عمرو يا أمير المؤمنين، ما أحد أعدى لك من ابن مجالة أيطوي

---

(1) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٦٣٢.

(2) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ ص ١٦٤.

عنك النصيحة ويمنعك من بنصحك، وانك لمبعوث ومسؤول عن مثاقيل الذر من الخير والشر، قال فرمى إليه الخليفة المنصور بخاتمه وقال قد وليتك ما وراء بابي فادع أصحابك فولهم، فقال عمرو إن أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عملت بالعدل كما قلت بالعدل ثم انصرف[1].

وقد توفي عمرو بن عبيد السندي المعتزلي صاحب الفرقة العمرية، وهو في طريق عودته من مكة المكرمة، ودفن بموضع مران على بعد ليلتين من مكة على طريق البصرة، وصلى عليه سليمان بن علي[2] في سنة ١٤٣ هـ[3] ورثاه الخليفة المنصور بقوله:

صلى الإله عليك من متوسد	قبراً مررت به على مران
قبراً تضمن مؤمناً متحققاً	صدق الإله ودان بالفرقان
فلو ان هذا الدهر أبقى صالحا	أبقى لنا حقا أبا عثمان[4]

عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي (الإمام الأوزاعي) (مات ١٥٧ هـ):

يقول الذهبي إن الإمام الأوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد السندي الدمشقي الحافظ، ولد ببعلبك سنة ٨٨ هـ يتيمًا فقيراً في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه، وسكن في آخر عمره بيروت مرابطاً وبها توفي سنة ١٥٧ هـ وكان أصله من سبي السند ثم صار إماماً ولقب بشيخ الإسلام[5].

حدث عن عطاء بن أبي رباح، والقاسم بن مخيمرة، وشداد بن أبي

---

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٦٣.
(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣.
(٣) انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ١ ص ٢١٠ - دول الإسلام للذهبي جـ ١ ص ٦٨ - ومروج الذهب جـ ٢ ص ١٩٢ ويذكر سنة وفاته ١٤٤ هـ.
(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣ - ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٢ ص ٣٩٧.
(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦٨.

عمار، وربيعة بن يزيد والزهري، ومحمد بن ابراهيم التيمي، ويحيى بن أبي كثير وآخرين، وقد حدث عنه شعبة وابن المبارك والوليد بن مسلم والهقل ابن زياد ويحيى بن حمزة ويحيى القطان وأبو عاصم وأبو المغيرة ومحمد بن يوسف الفريابي وآخرون[1].

قال أبو زرعة الدمشقي كانت صنعته الكتابة والترسل ورسائله تؤثر، وقال الهقل أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، وقال الوليد بن مزيد ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد بكاه كل من كان في المجلس، وقال اسماعيل بن عياش سمعتهم يقولون في سنة ١٤٠ هـ بأن الأوزاعي اليوم عالم الأمة، وكان الوليد يقول ما رأيت أكثر منه اجتهاداً، وقال أبو مسهر كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقراءة وبكاء[2].

وكان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف، وللإمام الأوزاعي كتاب مخطوط مهم استخرج فيه الأحكام الشرعية بالاجتهاد على مذهب انفرد به، كما له في علم الحديث مدونات مع ما فيها الحديث الصحيح وآثار الصحابة والتابعين ومن سمع منهم[3].

وقد ذكر الذهبي فضائل الأوزاعي ومناقبه بالتفصيل والتطويل كما كتب عنه المؤرخون والباحثون كثيراً، وعلى ذلك فإن الإمام الأوزاعي أشهر من أن نذكره هنا ويستحق أن نكتب عنه كتاباً مستقلاً[4] وانما ذكرناه هنا بسبب ما

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٩.

(٣) اتحاف ذوي العناية للشيخ محمد العربي العزوزي ص ٦٧ و٦٨.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦٨.

ورد في المرجعين القديمين الموثوق بهما أنه من سبي السند[1] وإلى جانب هذا نجد أقوالاً أخرى للإخباريين والنسابين يظهر منها أن أصل الإمام الأوزاعي ليس بسندي، ولكن مع ذلك ليس بمستبعد أن يكون سندي الأصل وإن إثبات ذلك ليحتاج إلى بحث طويل وتحقيق دقيق وإن المجال هنا لا يسمح لنا بذلك.

محمد بن أبي معشر نجيح السندي المدني المحدث (ق ٣ هـ):

كان أبو عبد الملك محمد بن نجيح السندي المدني، مثل أبيه أبي معشر نجيح عالماً كبيراً وعارفاً بالحديث، وقد أحضره الخليفة المهدي من المدينة إلى بغداد فسكنها وعقب بها، رأى ابن أبي ذئب، وأبا بكر الهذلي وسمع من أبيه كتاب المغازي وغيره، روى عنه ابناه داود والحسين وأبو حاتم الرازي ومحمد ابن الليث الجوهري وأبو يعلى الموصلي وكان صدوقاً[2] كما روى عن النضر بن منصور الغبري وأبي نوح الأنصاري، وروى عنه الترمذي ويحيى بن موسى البلخي وابن أبي الدنيا وابن جرير الطبري وأبو بكر بن الجذر وأبو حامد الحضرمي وآخرون[3] وتوفي سنة ٢٤٤ هـ وقيل سنة ٢٤٧ هـ وهو يبلغ من العمر ٩٩ عاماً[4].

محمد بن عبد الله السندي البصري المحدث (ق ٣ هـ):

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله السندي البصري - كما ذكره ياقوت الحموي وحده - يروي عنه أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد البصري الكلائي[5] وقد توفي بالبصرة في القرن الثالث الهجري.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦٨ - ١٧٢.
(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤.
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٨ ص ٣٢٩.
(٤) تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر جـ ٩ ص ٤٨٧.
(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي في كلمة «الكلاء» وهي محلة كبيرة وسوق بالبصرة.

محمد بن عثمان الزطي (السندي) البصري أمير الزط (ق ٣ هـ):

الزط وهم قوم من أخلاط السند قد غلبوا على الطريق الواقع بين البصرة وواسط وعاشوا فيها في عهد الخليفة المعتصم بالله وكان أميرهم محمد بن عثمان الزطي السندي(١) وقد قتل محمد بن عثمان في الغالب في عهد المعتصم بالله أيام فتنة الزط سنة ٢١٩ هـ.

داود بن محمد بن أبي معشر السندي البغدادي المحدث (ق ٣ هـ):

كان أبو سليمان داود بن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، عالماً ومحدثاً وإخبارياً مثل جده العظيم ووالده الجليل فقد حدث عن أبيه عن أبي معشر كتاب المغازي، رواه عنه أحمد بن كامل القاضي وهو أخو الحسين بن محمد بن أبي معشر السندي صاحب وكيع(٢) وكان في أواخر القرن الثالث الهجري(٣) لأن شقيقه الحسين توفي سنة ٣٧٥ هـ.

الحسين بن محمد بن أبي معشر السندي البغدادي المحدث (المتوفى ٢٧٥ هـ):

كان أبو بكر الحسين بن محمد بن أبي معشر السندي أيضاً عالماً محدثاً بالرواية، فقد حدث عَن أبيه وعن محمد بن ربيعة ووكيع بن الجراح، وروى عنه محمد بن أحمد الحكيمي وإسماعيل بن محمد الصفار وعلى بن إسحاق المرواني وأبو عمرو السماك(٤) وله أخبار وروايات كثيرة ذكرها الخطيب في كتابه، وتوفي سنة ٢٧٥ هـ(٥).

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٣٢ حوادث سنة ٢١٩ هـ - التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٥٥.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٨ ص ٣٧٦.

(٣) رجال السند للقاضي أطهر ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق ص ١١٧.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ٨ ص ٩١.

عبد الله بن جعفر المنصوري السندي (ق ٣ هـ):

كان أبو محمد عبد الله بن جعفر بن مرة المنصوري نسبة إلى مدينة المنصورة عاصمة الدولة العربية ببلاد السند في العصر العباسي، كان عالماً محدثاً كما كان مقرئاً معروفاً، قالوا كان أسود اللون، سمع الحسن بن مكرم وأقرانه وروى عنه الحاكم أيضاً[1] كان نزيل بغداد في القرن الثالث الهجري وبها توفي.

السندي محمد بن شاهك مولى المنصور ووالي بغداد (ق ٣ هـ):

قدمت من بلاد السند أسرة من الموالي العبيد في أواخر العصر الأموي إلى العراق وعرفت بأسرة شاهك ثم صارت من موالي بني العباس، كان الرجل يعرف بالسندي والزوجة تسمى شاهك واليها نسبت هذه الأسرة في العصر العباسي،وكان لهما ولد يسمى في الأصل[2] محمد إلا أنه عرف عند العرب باسم (السندي بن شاهك) الذي صار مولى مقرباً للخليفة المنصور وكان يمتاز بعقل وأدب وسياسة،وكان أحد رجالات الدولة العباسية ومن أبرز الشخصيات السندية في التاريخ الإسلامي، وقد لعب أدواراً خطيرة في ميدان السياسة منذ بداية العصر العباسي، إلى عهد هارون الرشيد الذي كان يثق فيه وكان يعتبره من أقرب الرجال والقواد المحبين إليه،ومن بعده كان أبناؤه وأحفاده من العلماء والأدباء ورجال الفكر والسياسة، منهم ولداه إبراهيم بن السندي العالم المعروف ونصر بن السندي المحدث والحسين والد الشاعر كشاجم ومن أحفاده إبراهيم بن عبد السلام من القواد ومحمود بن الحسين وهو كشاجم الشاعر السندي العظيم[3].

---

(١) الأنساب للسمعاني في لفظ السندي المنصوري - نزهة الخواطر جـ ١ ص ٦٧ - رجال السند ص ١٦٧.

(٢) طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٥٢.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٦٦.

على أن السندي بن شاهك قد لمع في ميدان السياسة والإدارة والحكم أكثر مما لمع في ميدان العلم والأدب، فقد كان في البداية مولى للمنصور ومن خدمه الخواص[1] ثم تولى منصب صاحب الحرس في عهد المهدي والرشيد، ثم منصب والي على الجسر في بغداد في أيام الرشيد ثم صار والياً عاماً على مدينة بغداد كلها، ففي سنة ١٨٦ هـ حين مد نهر دجلة وزادت المياه زيادة لم يُر مثلها من قبل ونزل الرشيد بأهله وحرمه وأمواله إلى السفن، وكان السندي ابن شاهك في هذا الوقت والي بغداد يمنع الناس من العبور إشفاقاً عليهم[2].

وقد ذكر المؤرخون العرب في صفحات طويلة عن أعمال السندي بن شاهك في ميادين الادارة والسياسة نكتفي بالاشارة إلى بعضها، منها أن الخليفة هارون الرشيد كلفه مع بعض من قواده الخواص الذين يثق فيهم بالقبض على البرامكة جميعاً ما عدا (محمد بن خالد البرمكي) فقام هؤلاء القواد وهم مسرور الخادم وأبو عصمة حماد بن سالم وهرثمة بن أعين والسندي بن شاهك ومعهم جملة من الجند فأطافوا ببيت جعفر بن يحيى البرمكي ليلاً وقبضوا عليه، وأتوا به إلى المنزل الذي فيه الخليفة الرشيد وقيدوه بقيد الحمار فأمر الرشيد فوراً بضرب عنقه، وكذلك قبضوا على الفضل بن يحيى البرمكي ومحمد بن يحيى وأولاده الفضل وجعفر ومحمد، فأمر الخليفة بحبس يحيى بن خالد والفضل ابن يحيى ومحمد بن يحيى حتى مات الفضل في الحبس سنة ١٩٣ هـ، وكان السندي بن شاهك والياً على الجسرين في هذه السنة التي نفذ الخطة في إلقاء القبض على البرامكة[3].

وفي سنة ١٩١ هـ أمر الخليفة الرشيد بهدم بعض الكنائس بالثغور، وكتب إلى السندي بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام، لمخالفة هيئتهم

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٦٧٨ ليدن.

(٢) الأنساب للسمعاني الورقة ٣١٣.

(٣) كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ـ تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٦٧٧.

هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم وقيامهم بأعمال تخريبية معادية للإسلام، وفي سنة ١٩٣ هـ كان الخليفة الرشيد في طوس وقبل وفاته بثلاثة وعشرين يوماً اتهم القائد هرثمة بالتمرد فوجه ابنه المأمون إلى مدينة مرو ومعه السندي وبعض القواد للقضاء على الفتنة،وفي سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد بويع محمد الأمين بن الرشيد بالخلافة وبايعه الخواص من أهل بيته وقواده ومواليه،ثم أمر السندي بأخذ البيعة من جميع القواد الباقين[1] وفي سنة ١٩٤ هـ ظهر الخلاف بين الأمين والمأمون، وقام الفضل بن الربيع بتشجيع الأمين بالبيعة لابنه موسى بولاية العهد وخلع المأمون ففعل ذلك،فوافقه السندي بن شاهك وعلي ابن عيسى بن ماهان وغيرهما ثم جمع القواد وعرض عليهم خلع المأمون فأبوا ذلك[2] وفي سنة ١٩٦ هـ ظهر طاهر بن حاتم المهلبي والي الأهواز ثم استولى على اليمامة والبحرين وعمان، ثم سار إلى واسط وكان عليها السندي بن شاهك، وهرب الولاة في كل مدينة مرّ بها طاهر حتى وصل واسط فهرب منها السندي والهثم أيضاً، ثم في سنة ١٩٨ هـ بدأ طاهر بأخذ البيعة للمأمون في العراق وخلع الأمين ولم يبق من خيل الأمين إلا ألف فارس، ونصحه القواد بترك المدينة ليلاً، وعلم بذلك طاهر فكتب إلى السندي بن شاهك ومن معه: والله لئن لم تقره أو تردوه من هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها ولا تكون لي همة إلا أنفسكم، فدخلوا على الأمين واقنعوه بعدم الخروج، ومكث محصوراً في المدينة ثم فكر النجاة من طاهر فخرج بركب الحراقة فخزقت داخل الماء فخرج الأمين من الماء ورأى جنود طاهر فرمى بنفسه في الماء ومات غريقاً، وفي عهد المأمون أيضاً كان السندي بن شاهك موجوداً وكان يخدم في أمور الدولة والمهمات العسكرية[3] وفي سنة ٢٠١ هـ أراد المأمون إخراج

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٧١٢ و٧٣٤ و٧٦٤.

(٢) الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ١٣٨.

(٣) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٧١٢ ثم ٩٧٩.

الخلافة من دار العباس إلى ولد علي، فغضب الرؤساء والقواد مثل السندي ابن شاهك وصالح صاحب المصلى ومنجاب ونضير الوصيف، وحرضوا أهل بغداد حتى قاموا بمبايعة إبراهيم بن المهدي وخلع المأمون ولكن في سنة ٢٠٣ هـ خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعوا للمأمون بالخلافة من جديد، واختفى ابراهيم المهدي، ولكن مع ذلك فإن المأمون لم يتعرض للسندي بن شاهك وغيره لمكانتهم في البلاد، ثم في سنة ٢٣١ هـ نجد السندي بن شاهك يقوم بالاشراف على عملية تبادل الأسرى مع الروم[1] وبعد ذلك لا نجد خبراً عن السندي بن شاهك ولعله مات بعد سنة ٢٣١ هـ بقليل.

نلاحظ من تلك الأحداث والأخبار التي ذكرنا بعضها هنا تجنباً للإطالة أن السندي بن شاهك كان يحتل في الدولة العباسية مكانة تشبه مكانة الحجاج في الدولة الأموية، وقد خدم السندي بن شاهك أكثر من خمسين سنة في السياسة، ومات في الغالب سنة ٢٣٢ هـ وهو شيخ عجوز.

إبراهيم بن السندي بن شاهك (ق ٣ هـ):

كان ابراهيم بن السندي بن شاهك السندي، من أسرة سندية، خدمت الدولة العباسية منذ أول عهدها، وأبوه السندي بن شاهك السندي تولى القضاء[2] وكان والياً على الشام[3] وكان ممن غلب على الأمين مع محمد بن عيسى ابن نهيك وسليمان بن المنصور[4].

ومن الكتاب العرب الذين اهتموا بذكر تاريخ شخصية ابراهيم السندي وأكثروا الكلام عنه الجاحظ الذي ذكره في كتبه كالبخلاء والحيوان والتاج

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٧١٢ و٧٣٤ و٧٦٤.
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة جـ ١ ص ٧٠.
(٣) الحيوان للجاحظ جـ ٥ ص ٣٩٣.
(٤) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٠٢.

والبيان والتبيين ورسالته في مناقب الأتراك وغير ذلك، ومما قاله الجاحظ عنه: كان من موالي العباسيين إبراهيم ونصر وهما ابنا السندي بن شاهك، فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم، وأما ابراهيم فإنه كان لا نظير له وكان خطيباً وفقيهاً وكان نحوياً وعروضياً وحافظاً للحديث، راوية للشعر شاعراً وكان كاتب العلم وكاتب العمل وكان يعمل في الخراج، وكان منجماً وطبيباً، وكان من رؤساء المتكلمين[1] وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر[2] وكان عالماً بالدولة شديد الحب لأبناء الدعوة (العباسية) وكان يحوط مواليه ويحفظ أيامهم ويدعو الناس إلى طاعتهم ويدرس مناقبهم، وكان فخم المعاني وفخم الألفاظ[3] وقد صار في السنين الأخيرة من حياته والياً على الكوفة، وقد كتب الجاحظ ما كتبه عنه عن سماع ورؤية وتجربة[4] وقد توفي في أواخر القرن الثالث الهجري لأنه كان معاصراً وصديقاً للجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ.

ابراهيم بن عبد السلام السندي البغدادي (ق ٣ هـ):

كان ابراهيم بن عبد السلام ابن الأخ للسندي بن شاهك السندي، وكنيته أبو بطوحة[5] وكان من أحد رجال الحكومة في الدولة العباسية من الأسرة السندية المعروفة بأسرة شاهك التي خدمت العباسيين منذ البداية وساعدتهم في نشر دعوتهم.

ولم يذكره من المؤرخين العرب إلا الطبري فروى عنه بعض الأخبار منها قوله: «ذكر ابراهيم بن عبد السلام. قال ظفر المنصور برجل من كبراء بني

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٦٦.

(٢) رسالة الجاحظ في مناقب الأتراك ص ٤٧.

(٣) الحيوان للجاحظ جـ ٢٢ ص ١٤٠- كتاب البخلاء للجاحظ ص ٢٨٩.

(٤) البيان والتبيين أيضاً جـ ١ ص ٦٣.

(٥) الطبري ص ٤١٤ وذكر صاحب رجال السند (ص ٧٦) عن كنيته (طوطه).

فقال إني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان، قال: نعم قال له المنصور من أين أتوا بنو أمية حتى انتشر أمرهم؟ قال الرجل من تضييع الأخبار، قال المنصور فأي الأموال وجدوها أنفع؟ قال الجوهر، قال المنصور فمن وجدوا الوفاء؟ قال عند مواليهم، قال (ابراهيم) فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته ثم قال أضع من أقدارهم فاستعان بمواليه[1]

وذكر ابراهيم بن عبد السلام السندي قال حدثني السندي بن شاهك قال كنت مع موسى بجرجان فأتاه نعي المهدي والخلافة فركب البريد إلى بغداد ومعه سعيد بن سلم ووجهني إلى خراسان[2] وقد مات ابراهيم بن عبد السلام في نهاية القرن الثالث الهجري.

محمد بن عبد الله الديبلي الشامي المقريء (ق ٣ هـ):

كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي من العلماء المصطفين من أهل مدينة الديبل ببلاد السند[3] أخذ القراءة عن جعفر بن محمد بن سفيط وروى الحروف عن عبد الرزاق بن الحسن والسكن بن بكرويه[4] وقال السبكي بأنه رأى في بعض نسخ من كتاب (علي بن أحمد بن محمد الديبلي) بأن محمد بن عبد الله كان سبط المقرىء ومقرىء الشام، وقد مات في الغالب في القرن الثالث الهجري[5].

خلف بن سالم السندي البغدادي الحافظ (ق ٣ هـ):

كان أبو محمد خلف بن سالم السندي، مولى آل المهلب ومن أعيان حفاظ

---

(١) تاريخ الطبري ص ٤١٤ في أحداث سنة ١٥٨ هـ.
(٢) الطبري ص ٥٨٠ أحداث سنة ١٧٠ هـ.
(٣) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي جـ ٤ ص ٥٢.
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري جـ ٢ ص ١٩٠.
(٥) الطبقات الشافعية للسبكي جـ ٣ ص ٢٩٠ وكذلك انظر رجال السند ص ٢٢٤.

بغداد[1] روى عن هشيم بن بشر وأبي بكر بن عياش وعبد الرزاق بن همام[2] ويحيى بن علية وسعد بن ابراهيم وأخيه يعقوب بن ابراهيم ومعن بن عيسى وأبي نعيم الفضل بن دكين ومحمد بن جعفر غندرا ويزيد بن هارون ودهب ابن جرير[3] وروى عنه أحمد بن أبي خثيمة والحسن بن علي المعمري وأبو القاسم البغوي[4] واسماعيل بن أبي الحارث وخاتم بن ليث ويعقوب بن شيبة وجعفر الطيالس وعباس الدوري ويعقوب بن يوسف السباعي وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار[5] وأخرج النسائي عن رجل عنه، وكان يتبع الغرائب، قال المروزي سألت أبا عبد الله عنه فقال ما أعرفه بكذب نقموا عليه لتتبعه هذه الأحاديث وقال يحيى بن معين صدوق وقال يعقوب بن شيبة كان ثقة[6] وقد توفي ببغداد سنة ٢٣١ هـ[7].

بختاشة السندي القائد مولى أبي العباس (ق ٣ هـ):

يفهم من رواية ذكرها الطبري بأن بختاشة السندي كان مولى الخليفة العباسي الأول أبي العباس (١٣٢ ـ ١٣٦ هـ) ومن خدمه المقربين والمخلصين له، ولذلك نجد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) شفقة بحال هذا الشيخ العجوز المعمر بختاشة يعفو عن ابنه السندي بن بختاشة الذي كان من قواد الجيش والذي كان له يد في مؤامرة سياسية في سنة ٢٢٣ هـ[8] وعلى ذلك مات بختاشة السندي المعمر هذا بعد سنة ٢٢٣ هـ، ونجد أمثلة كثيرة لبعض العلماء والقواد السند في العراق الذين كانوا يعمرون طويلاً فمن هؤلاء

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب جـ ٨ ص ٣٢٩.
(٢) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٤٨١.
(٣) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٣٢٩.
(٤) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٤٨١.
(٥) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٣٢٩.
(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ٢ ص ٤٨١.
(٧) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٨١.
(٨) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٢٢٦.

مثل محمد بن نجيح السندي المدني البغدادي المحدث الذي مات وعمره ٩٩ سنة (١) والسندي بن شاهك السياسي الكبير الذي ظل بخدم الدولة العباسية أكثر من ٧٤ عاماً فقد كان مولى الخليفة المنصور في سنة ١٥٨ هـ، وتوفي بعد سنة ٢٢٣ هـ حسب الأخبار التي وجدناها عنه في كتب التاريخ.

إسماعيل بن السندي البغدادي المحدث (ق ٣ هـ):

كان أبو إبراهيم إسماعيل بن السندي الملقب بالخلال نزيل بغداد، حدث عن سلم بن إبراهيم الوراق وحكى عن بشر بن الحارث، روى عنه ابن خلدون[٢] وكان من رجال القرن الثالث الهجري كما تدل عليه وفيات شيوخه وأصحابه[٣].

أسلم بن السندي المحدث (ق ٣ هـ):

أسلم بن السندي كان من المحدثين السند ولم يذكره غير السمعاني عند ذكره لقرية سيازة من قرى بخارا فقال: أبو الحسن بن علي بن الحسن السيازي حدث عن المسيب بن إسحاق وأسلم بن السندي[٤] فهو على كل حال من المحدثين القدماء[٥] وفي الغالب كان في القرن الثالث الهجري في بغداد.

السندي بن بختاشة السندي القائد الكبير (ق ٣ هـ):

كان السندي بن بختاشة من القواد في عهد المعتصم وفي عهد المنتصر، ففي سنة ٢٢٣ هـ اشترك السندي بن بختاشة في مؤامرة سياسية في عهد

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب جـ ٨ ص ٣٢٩.
(٢) المرجع السابق ج ٦ ص ٢٨٣.
(٣) رجال السند والهند للقاضي أطهر ص ٨٧.
(٤) الأنساب للسمعاني ، انظر في ذكر سيازة (السيازي)
(٥) رجال السند والهند للقاضي أطهر ص ٧٩.

الخليفة المعتصم الذي عفا عنه بقوله: أنه يوهب لأبيه بختاشة، لأن بختاشة لم يكن يتلطخ بشيء من أمر العباس وحتى لا يفجع هذا الشيخ بابنه فأمر بتخلية سبيله بعد إلقاء القبض عليه، ثم في سنة ٢٩٧ هـ لما حصل الخلاف بين العباسيين والروم أمر الخليفة المنتصر قائده الكبير وصيف التركي أن يقود جيشاً لمحاربة ملك الروم الذي كان بدأ يهدد البلاد العربية ويهجم على بعض الإمارات الإسلامية، فخرج بالجيش وقوامه عشرة آلاف جندي ومن القواد مزاحم بن خلقان والسندي بن بختاشة ونصر بن سعيد المغربي ومحمد بن رجاء[١] ومات في الغالب بعد سنوات لأننا لا نجد له ذكراً بعد حرب العرب مع الروم في عهد المنتصر أو أنه قتل في تلك المعركة.

ابان بن محمد السندي الكوفي البغدادي الفقيه (ق ٣ هـ):

اختلف الكتّاب القدماء بشأن اسمه ونسبه وموطنه على أنه في الغالب سندي الأصل وكان من رجال القرن الثالث الهجري، وورد في معجم المصنفين: الشيخ الفقيه العالم الإخباري ابان بن محمد السندي البزار المعروف بالسندي البغدادي من قدماء علماء العراق، أخرجه الحافظ ابن حجر في اللسان، وله كتاب النوادر[٢] وقال القاضي أطهر، إن ثبت كون ابان سندياً فيكون الحسن بن محمد وعلي بن محمد أيضاً سنديين[٣] وكلاهما كانا من رجال العلم والأدب.

الحسن بن محمد السندي الكوفي (ق ٣ هـ):

الحسن بن محمد السندي كان من العلماء السند بالعراق، وهو أخو ابان

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٢٤٦ و ١٤٨١.
(٢) معجم المصنفين لمحمود حسن التونكي جـ ٣ ص ٣٠.
(٣) رجال السند والهند ص ٦٨.

ابن محمد السندي العالم الفقيه الإخباري وكان من رجال القرن الثالث الهجري[1].

علي بن محمد السندي الكوفي العالم (ق ٣ هـ):

كان علي بن محمد السندي معروفاً في العراق بين العلماء باسم علي بن السندي وهو شقيق ثان للعالم الفقيه الإخباري إبان بن محمد السندي فهؤلاء ثلاثة اخوة وكلهم من العلماء وأشهرهم ابان بن محمد السندي، وكانوا من رجال القرن الثالث الهجري من أهل السند بالعراق[2].

إبراهيم بن عبد الله السندي البغدادي خادم المأمون (ق ٣ هـ):

كان إبراهيم بن عبد الله بن أخي السندي بن شاهك من أسرة سندية قديمة خدمت خلفاء بني العباس منذ نشأة دولتهم، وكان معظم أفراد هذه الأسرة من رجال الحكومة والسياسة في الدولة العباسية،وكان إبراهيم هذا منهم وقد روى عنه الأصفهاني قصة وهي: قال إبراهيم بن عبد الله بن أخي السندي بن شاهك، قدم مأمون من خراسان وجاء إلى بغداد وأمر أن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويأمروه فذكر جماعة فيها الحسين بن الضحاك، وكان من جلساء محمد المخلوع، فقرأ أسماءهم حتى بلغ اسم حسين فقال أليس هذا الذي قال في محمد (المخلوع):

هلا بقيت لسد فاقتنا أبداً وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه والله لا يراني أبداً إلا في الطريق،ولم يعاتب الحسين على ما كان من هجائه وتعريضه، فذهب حسين إلى البصرة وأقام بها طول أيام

---

(١) معجم المصنفين للعلامة محمود حسن التونكي جـ٣ ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠.

المأمون[1] ويعتبر إبراهيم هذا من رجال القرن الثالث الهجري، فقد كان موجوداً طول مدة حكم المأمون (١٩٨ - ٢٢٨ هـ) في بغداد.

السندي بن يحيى الحرشي البغدادي (ق ٣ هـ):

كان السندي بن يحيى الحرشي البغدادي معاصراً للسندي بن شاهك أحد رجالات الدولة العباسية وكانت له يد طولى في أمور الإمارة، ومكانة كبيرة عند الخلفاء العباسيين، وكانت زوجته تسمى «فريدة» وهي مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى آل الربيع فقامت بالغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة، فلما قتل جعفر البرمكي هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السندي بن الحرشي وماتت عنده[2] ومن أخباره، فإنه لما قتل جعفر البرمكي في حضور الخليفة الرشيد سنة ١٨٧ هـ، كتب الخليفة إلى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام لنصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل، فبعث السندي الحرشي جثة جعفر إلى مدينة السلام وقد قام بصلبها وحرقها السندي ابن شاهك الذي كان والياً على الجسرين هناك. ذكر الطبري أنه لما قام طاهر بالحملة على العراق في سنة ١٩٦ هـ كان على مدينة واسط السندي الحرشي والياً ومعه الهيثم بن شبة نائب قائد الجيش، وقد انهزم السندي بن يحيى الحرشي والهيثم أمام طاهر وهربا من واسط، ولكن الطبري ذكر في موضع آخر بأن السندي الذي كان في هذا الوقت وفي هذه المعركة بواسط كان يسمى السندي بن شاهك[3] ونجد في كتب التاريخ مثل هذه الاختلافات والتشابه

---

(١) رجال السند والهند ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٨.

(٣) الطبري جـ ٣ ص ٧١٢ - الكامل جـ ٥ ص ١٢٩.

في الأسماء، وقد حاولنا التحقيق في ذلك بدراسة عدة مراجع للوصول إلى الصواب بقدر الإمكان.

عبد الحميد بن نصر الكشي السندي صاحب السند (ق ٣ هـ):

أبو محمد عبد الحميد بن نصر الكشي السندي يعتبر من كبار رجالات السند في ميدان العلم، مصنف المسند الكبير وكتاب التفسير وغير ذلك، رحل عن بلاده على رأس المائتين في شبيبته إلى العراق، وسكن بغداد فسمع يزيد ابن هارون ومحمد بن بشر العبدي وعلي بن عاصم وابن أبي فديك وحسين بن علي الجعفي وأبا أسامة وعبد الرزاق وطبقتهم، حدث عنه مسلم والترمذي وعمر بن بحير وبكر بن المرزبان وإبراهيم بن خريم الشاشي وخلق آخرون، علق له البخاري في دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد وكان من الأئمة الثقاة، وقد مات سنة ٢٤٩ هـ رحمه الله[١].

وقال العلامة شاه عبد العزيز الدهلوي: أول مسند عبد بن حميد هو مسند أبي بكر، أخبرنا يزيد بن هارون، قال أخبرنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق قال إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضلكم من ضل إذا هديتم﴾، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظلام فلم يأخذوا على يديه أوشـك أن يعمهم الله بعقاب» ويقال له المسند الكبير ولخص منه المسند الصغير وتفسيره متداول مشهور في ديار العرب وله مصنفات أخرى[٢].

علي بن أحمد بن محمد الديبلي الشامي الفقيه المحدث (ق ٣ هـ):

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الديبلي صاحب كتاب أدب القضاء وهو سبط أبو عبد الله الديبلي مقرىء الشام الذي كان في القرن الثالث الهجري،

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ٣ ص ٣٤.
(٢) بستان المحدثين للعلامة شاه عبد العزيز الدهلوي ص ٥٥ و٥٦ (ترجمة أردوية).

يروي في أدب القضاء عن بعض أصحاب الأصم، فروى الكثير عن مسند الشافعي عن أبي الحسن عن ابن هارون بن بندار الجويني عن ابن العباس الأصم، وروى أيضاً عن أبي عبد الله بن احمد بن موسى أبو قار الديبلي وآخرين[1] وقال البعض في بيان الكتب في أدب القاضي على مذهب الشافعي بأنه صنف فيه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، وقد كان هذا الشيخ من رجال القرن الثالث الهجري[2].

الفضل بن السكين السندي البغدادي (ق ٣ هـ):

هو أبو العباس الفضل بن السكين بن سحيت القطيعي المعروف بالسندي وكان أسود، حدث عن صالح بن بيان الساحلي وأحمد بن محمد المخرمي ومحمد بن محمد الباغندي[3] وكان من رجال القرن الثالث الهجري ومن العلماء الأفاضل في بغداد.

نصر بن السندي البغدادي (ق ٣ هـ):

كان من موالي العباسيين إبراهيم ونصر وهما ابنا السندي بن شاهك فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث وكان لا يعدو حديث ابن الكبي والهيثم[4] وهو نصر بن السندي بن شاهك وكان والده مولى الخليفة المنصور وأحد رجالات الدولة العباسية، وكان نصر بن السندي من رجال القرن الثالث الهجري.

نفيس السندي البغدادي (ق ٣ هـ):

كان للجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) خادم سندي يسمى نفيس وكان الجاحظ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ ٣ ص ٢٩٠ و٢٩١.
(٢) كشف الظنون (في بيان الكتب في أدب القاضي على مذهب الشافعي) جـ ١ ص ٤٧.
(٣) تاريخ بغداد للخطيب جـ ١٢ ص ٣٦٢.
(٤) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٦٦.

الناقد به(١) ولا ندري هل استفاد نفيس السندي من صحبة سيده العالم والأديب كغيره من السند الذين استفادوا وصاروا أحراراً بفضل العلم بل برزوا في سماء العلم والمعرفة.

شرف الدين الطبيب الملتاني البغدادي (ق ٣ هـ):

ذكر ابن أبي أصيبعة رجلاً بين الأطباء المسلمين باسم شرف الدين الطبيب الملتاني[٢] وربما كان هذا الطبيب الملتاني موجوداً يعمل في بغداد بجانب الأطباء الهند والعرب في القرن الثالث الهجري.

نصر السندي قائد الزنج بالعراق (ق ٣ هـ):

قام سليمان بن جامع زعيم الزنج بالعراق بالفتن والاضطرابات وغلب على كور دجلة وكان للزنج في منطقة الصينية جيش كثيف وكان يقوده رجل سندي كان يعرف باسم ـ نصر السندي ـ الذي كان يخرج بذلك الجيش ويقوم بالحملة على المناطق المجاورة وعلى طرق التجارة والمارة وينهب الأموال والغلات، ويحملها إلى المواضع التي يقيم فيها الزنج.

وجه أبو العباس بن الموفق ببعض وحدات من الجيش بقيادة أحد القواد الكبار إلى منطقة الصينية بينما خرج هو بنفسه بوحدات أخرى من الجيش وعبر النهر إلى الجانب الغربي لدجلة، ولما رأى الزنج جيش الحكومة كبيراً دخلتهم رهبة شديدة فلجئوا إلى الماء والسفن ثم لم يجدوا ملجأ واستسلموا فقتل منهم فريق وأسر فريق، وألقى بعضهم بأنفسهم في الماء فأخذ قواد أبي العباس سفنهم المليئة أرزاً وأسر قائدهم نصر السندي، ورجع أبو العباس غانماً إلى عسكره بعد فتح الصينية واجلاء الزنج عنها وقد انهزم البعض منهم إلى طبشا والبعض منهم إلى سوق الخميس[٣] وكان نصر السندي هذا من قواد الزنج

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٦ ص ٤٤٠.

(٢) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣٠٧.

(٣) تاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٦٧ هـ وكذلك انظر رجال السند والهند ص ٢٥٨.

وقد التحق بهم للعمل ضد بني العباس، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري ولعل ذلك كان بعد إجلاء الزط السند من منطقتهم البطيحة بعد قيامهم بالفتن في عهد الخليفة المعتصم وكانت فتنة الزنج بعد فتنة الزط.

أبو جعفر السندي العراقي المحدث (ق ٣ هـ):

ذكره الذهبي في ترجمة عمرو بن مالك الراسبي قال الترمذي قال محمد ابن إسماعيل البخاري هذا كذاب، كان استعار كتاب أبي جعفر السندي فألحق فيه أحاديث[١] والظاهر أن أبا جعفر السندي هذا كان محدثاً بالعراق وكان له كتاب في الحديث وكان من رجال القرن الثالث الهجري[٢] .

أبو الفرج السندي الكوفي العالم (ق ٣ هـ):

كان من العلماء السند المقيمين بالكوفة في أوائل القرن الثالث الهجري تقريباً وقال البعض بأن أبا الفرج السندي له كتاب أخبر عنه أبا جعفر الطوسي[٣] .

محمد بن إبراهيم الديبلي المكي العالم المفسر (ق ٤ هـ):

هو أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي المكي، العالم المفسر، جاور مكة المكرمة[٤] لقب بمحدث مكة[٥] يروي كتاب التفسير عن أبي عبد الله سعيد ابن عبد الرحمن المخزومي، وكتاب البر والعلة لابن المبارك عن أبي عبد الله الحسن بن الحسن المروزي، روى عنه أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقري[٦] وقد ذكر الذهبي

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (في ترجمة عمرو بن مالك الراسبي) جـ٣ ص ٣٠٠.
(٢) رجال السند والهند ص ٢٧٠.
(٣) الفهرست لأبي جعفر الطوسي (في باب الكنى) ص ٣٢٣ - ورجال السند والهند ص ٣٨٦.
(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي في لفظ (الديبل).
(٥) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (في من توفي سنة ٣٢٢ هـ).
(٦) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.

والإمام ابن عبد البر الأندلسي روايات في الحديث عن محمد بن إبراهيم
الديبلي، وقد توفي في جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ[1] .

إبراهيم بن محمد الديبلي البغدادي المحدث (ق ٤ هـ):

الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله الديبلي من أسرة العلم
والفضل والده هاجر بلاد السند إلى مكة المكرمة وجاورها واشتهر بمحدث
مكة، وأما ابنه هذا فقد هاجر إلى بغداد وسكنها واشتهر بها بين العلماء
والمحدثين، روى عن موسى بن هارون ومحمد بن علي الصائغ الكبير
وغيرهما[2] وقدم حمزة محمد بن حمزة القزويني المحدث إلى بغداد وحدث بها
عن إبراهيم بن محمد الديبلي[3] وقد كان الشيخ إبراهيم الديبلي هذا من رجال
القرن الرابع الهجري لأن والده قد توفي سنة ٣٢٢ هـ .

فتح بن عبد الله السندي (البغدادي) الفقيه (ق ٤ هـ):

كان أبو نصر فتح بن عبد الله السندي من موالي آل الحكم ثم عتق وقرأ
الفقه وعلم الكلام عند أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي ودرس الحديث
عند الحسن بن سفيان وروى عنه وغيره[4] وذات يوم كان يمشي وحوله بعض
كبار العلماء فرأى شريفاً وقد وقع في الطين وهو سكران، فلما نظر إلى السندي
له فقال: أفق يا عبد أنا كما ترى؟ وأنت تمشي وخلفك هؤلاء، فقال
السندي أيها الشريف تدري لم هذا؟ لأني متبع آثار جدك وأنت متبع آثار
جدي[5] ومات فتح بن عبد الله السندي في القرن الرابع الهجري.

---

(1) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (في من توفي سنة ٣٢٢ هـ).
(2) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٣٩ و٤٤٠.
(3) تاريخ بغداد للخطيب (انظر في ذكر حمزة بن محمد بن حمزة القزويني).
(4) الأنساب للسمعاني جـ ٧ ص ٣١٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٥ ص ١٥١.
(5) الأنساب للسمعاني جـ ٧ ص ٣١٤ ـ نزهة الخواطر جـ ١ ص ٦٩ ـ رجال السند ص ١٩١.

خلف بن محمد الديبلي البغدادي المحدث (ق ٤ هـ):

كان خلف بن محمد من علماء السند المحدثين، نزل بغداد وحدث بها عن علي بن إسماعيل الديبلي المحدث ببلاد السند وروى عنه أبو الحسن أحمد ابن محمد بن عمران بن الجندي[1] ويظهر مما أورده السمعاني بشأن خلف وغيره من المحدثين السند، بأن رواية الحديث كانت في بلاد السند قد عمت في القرن الرابع الهجري.

شعيب بن محمد الديبلي المصري المحدث (ق ٤ هـ):

أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سوار الديبلي، المعروف بابن أبي قطعان الديبلي قدم مصر وحدث بها، وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه[2] وكان في الغالب من رجال أوائل القرن الرابع الهجري من نزلاء مصر.

محمد بن أحمد بن عبد الله الديبلي الزاهد (ق ٤ هـ):

نسبته إلى مدينة الديبل من مدن بلاد السند ولم يذكره سوى السمعاني بهذه العبارات المختصرة: «أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله الوراق الديبلي كان صالحاً عالماً، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمعي، وجعفر ابن محمد بن الحسن الغرياني وعبد الله بن أحمد بن موسى السكري، ومحمد ابن عثمان بن أبي سويف البصري وأقرانهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وتوفي في شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ وصلى عليه أبو عمرو نجيد»[3] وفي الغالب كانت وفاته في بغداد.

---

(١) الأنساب للسمعاني جـ ٥ ص ٤٤٠.

(٢) المرجع السابق ج ٥ ص ٤٤٠.

(٣) أيضاً ج ٥ ص ٤٤٠.

محمد بن الحسين بن محمد الديبلي الشامي المقرىء (ق ٤ هـ):

أبو بكر محمد بن الحسين بن محمد الديبلي الشامي مقرىء، ثقة أخذ القراءة عرضاً عن محمد بن نصير المعروف بابن حمزة وجعفر بن حمدان المعروف بابن أبي داود صاحب هارون الأخفش، روى عنه الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني وعبد الباقي بن الحسن[1] كان رحمه الله من رجال القرن الرابع الهجري لأن أحد شيوخه وهو ابن داود النيسابوري المؤدب نزيل دمشق مات سنة ٣٣٩ هـ[2] .

أحمد بن السندي البغدادي الزاهد (ق ٤ هـ):

أبو بكر أحمد بن السندي بن الحسن بن بحر الحداد، كان زاهداً ومحدثاً وقد روى عن علوية القحطان كتاب المبتدأ وروى عن الحسن بن علوية والغرياني ومحمد بن العباس المؤدب وموسى بن هارون الحافظ وحدث عنه ابن رزقويه بكتاب المبتدأ تصنيف أبي حذيفة البخاري، وأبو علي بن شاذان وأبو نعيم الأصبهاني وكان ثقة صادقاً فاضلاً[3] يسكن قطيعة بني جدار وهي محلة ببغداد ولذلك عرف بالجداري أيضاً[4] وقد توفي أحمد بن السندي في بغداد سنة ٣٥٩ هـ[5] .

أحمد بن القاسم بن السندي البغدادي المحدث (ق ٤ هـ):

أبو بكر أحمد بن القاسم، يعرف بالبيع المعدل، ويعرف بابن السندي أيضاً، حدث عن أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي وإسماعيل بن محمد

---

(١) النهاية في طبقات القراء جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٢) رجال السند والهند ص ٢١٦ .

(٣) الأنساب للسمعاني جـ ٤ ص ٧٩ و٨٠ وكذلك راجع تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٨٧ .

(٤) كتاب اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري(في لفظ الجـداري) جـ١ ص ٢١٢ .

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (في ذكر علي بن أبي طالب).

الصفار، وحدث عنه عبد العزيز بن علي الأزجي وقال كان أحد المعدلين[1]،
و[المعدل] هو الذي يشهد بعدالة الناس عند القاضي عند المحاكمة وبخبره عن أحوالهم
وكان المعدلون يكتبون أسماء الناس وصفاتهم في ديوان لهم وكانت هذه
الوظيفة من طرف الحكومة، وأما (البيع) فهو يتولى الباعة والتوسط في
الخانات بين البائع والمشتري من التجار للبضائع بالجملة في الغالب، وهو ما
يطلق عليه في الوقت الحاضر اسم (القومسيونجي) أو السمسار أو الدلال.

أحمد بن محمد الديبلي المصري الحافظ الزاهد (ق ٤ هـ):

سكن أحمد بن محمد الديبلي مصر وكان حافظاً زاهداً، وكان فقيهاً جيد المعرفة، وتفقه على مذهب الشافعي، وكان قوته وكسبه من خياطته فكان يخيط قميصاً في جمعة بدرهم ودانقين فكان طعامه وكسوته من ذلك، وكان رجلاً صالحاً وله كرامات ظاهرة وأحوال سنية، حضر أبو العباس النسوي وأبو سعيد الماليني وفاته، فذكر العجب من حضوره وتلاوته إلى أن خرجت روحه وكانت وفاته سنة ٣٧٣ هـ[2].

أحمد بن محمد بن هارون الديبلي البغدادي المحدث (ق ٤ هـ):

أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الديبلي البغدادي، حدث عن جعفر بن محمد الغرياني وإبراهيم بن شريك الكوفي وقرأ على حسنون بن الهيثم الدوير القرآن بحرف عاصم من طريق هبيرة بن محمد بن حفص بن سليمان، وقد روى عنه حمد بن علي الباد وأبو يعلى بن دوما النصال والقاضي محمد بن يعقوب الواسطي الذي كان يسند عنه قراءة عاصم رواية وتلاوة ويعرف بالهبيري أيضاً وهو مقرىء معروف، وقد مات في رجب سنة ٣٧٠ هـ وعمره مائة سنة[3].

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٣٥٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي جـ ٢ ص ١٠٢.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري جـ ١ ص ١٣١.

إبراهيم بن علي بن السندي البغدادي المحدث (ق ٤ هـ):

كان إبراهيم بن علي السندي البغدادي عالماً محدثاً في بغداد في القرن الرابع الهجري، روى عن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء، وروى عنه عبد الله بن أحمد، وقيل لم يكن مقبول الحديث[1] .

عباس بن السندي البغدادي (ق ٤ هـ):

كان عباس بن السندي من العلماء المحدثين السند بالعراق وكان يسكن بغداد في الغالب، روى عن داود بن شعيب وأبي الوليد الطيالسي، وروى عنه العقيلي وأسامة بن علي بن طيل[2] ويقول الإمام ابن عبد البر عن عباس بن السندي، إنه يقود إلى الله عز وجل على كل حال[3] .

أحمد بن محمد السندي المصري المحدث (ق ٤ هـ):

هو أبو الفوارس الصابوني أحمد بن محمد بن حسين بن السندي كان من المحدثين الثقات المعمرين وكان مسند ديار مصر، روى عن يونس بن عبد الأعلى والمزني[4] وأبي محمد الربيع بن سليمان المرادي محدث الديار المصرية صاحب الإمام الشافعي، وكان أبو الفوارس آخر من حدث عنه[5] وروى عنه ابن نظيف وأبو زرعة[6] وأبو العباس بن محمد بن الحاج الأشبيلي المصري[7] .

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني جـ ٥ ص١٦٨ - انظر الحديث في هذا المرجع.

(٢) رجال السند والهند ص ١٦٥ .

(٣) جامع بيان العلم للإمام ابن عبد البر ج ٢ ص ٢٣ (انظر في باب الخبر عن العلم).

(٤) تاريخ جرجان ص ٢٧٨ .

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (في ترجمة الحافظ محدث الديار المصرية أبي محمد الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي)جـ ١ ص ٥٨٧ .

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي (في ترجمة الحافظ أبي زرعة الرازي الصغير) جـ٣ ص ٩٩٩ .

(٧) تاريخ بغداد للخطيب (في ذكر موئل بن اهاب المتوفى سنة ٢٢٤ هـ).

محمد بن أحمد البوقاني السندي البغدادي (ق ٤ هـ):

ورد في ترجمة الحافظ الإمام أبي حاتم أحمد بن حبان البستي، حدث عنه الحاكم ومنصور بن عبد الله الخالد وأبو معاذ عبد الرحمن بن محمد بن رزق الله وأبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون الزوزني ومحمد بن أحمد بن منصور البوقاني السندي[١] ويعتبر محمد بن أحمد البوقاني السندي عالماً محدثاً من رجال القرن الرابع الهجري لأن شيخه البستي توفي فـي سنة ٣٥٥ هـ وبوقان مدينة كانت تقع في بلاد السند في ذلك العهد.

سيبويه بن إسماعيل القزداري المكي المحدث (ق ٥ هـ):

كان أبو داود سيبـويه بن إسمـاعيل بن داود القـزداري السـندي من المجاورين بمكة وبها حدث، سمع أبا القاسم علي بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن طاهر الحسيني، وأبا الفتح رجا بن عبد الواحد الأصبهاني وأبا الحسين يحيى بن أبي الحسن الرواسي الحافظ وقد توفي سنة ٤٦٠ هـ رحمه الله[٢].

ثالثاً - نساء سنديات في تاريخ الإسلام

لقد ظهرت من بين النساء السنديات نساء عظيمات في تاريخ الإسلام، تفخر بهن الأمة السندية، وتعتز بهن الأمة العربية، وتمجدهن الأمة الإسلامية كلها، ونحن نذكر هنا بعضاً منهن حسب الترتيب الزمني.

خولة السندية أم محمد بن الحنفية (ق ١ هـ):

ذكر ابن سعد أن أم محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، وهي المعروفة بالحنفية وتسمى خولة بنت جعفر، كانت أمة من سبي اليمامة فصارت إلى

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (في ترجمة الحافظ الإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي) جـ٣ ص ٩٢١.

(٢) الأنساب للسمعاني (في نسبة القزداري) وكذلك انظر رجال السند ص ١٥٢.

علي بن أبي طالب. وذكر عبد الله بن الحسن أن أبا بكر الصديق أعطى علياً أم محمد بن الحنفية، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء، وكانت أمة لبني حنفية، ولم تكن منهم[1] وذكر ابن خلكان أيضاً أنه قيل إنها كانت سندية سوداء أمة لبني حنفية[2] إذن كانت خولة بنت جعفر سندية الأصل وصارت أم ولد للخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سلافة (غزالة) السندية أم زين العابدين (ق ١ هـ):

اختلف المؤرخون بشأن نسبة أم زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فإن الرواية الأولى لابن خلكان الذي يقول فيها بأن الزمخشري ذكر في كتاب ربيع الأبرار أن الصحابة لما أتوا المدينة بسبي بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات للملك يزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد أيضاً، فقال له علي بن أبي طالب: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة، فقال الخليفة عمر: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال علي: يقوض ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن، فقوض فأخذهن علي بن أبي طالب، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر بن الخطاب وواحدة لمحمد بن أبي بكر الصديق وواحدة لولده الحسين بن علي بن أبي طالب، فأولد عبد الله أمته ولده سالماً، وأولد محمد أمته ولده القاسم، وأولد الحسين أمته ولده زين العابدين، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات الملك يزدجرد الفارسي[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٩١.

(٢) ابن خلكان (تاريخه) جـ ٢ ص ٣١٠.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٤٢٩ وذكر ابن خلكان أيضاً أن قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان لما تتبع بقية دولة الفرس وقتل الأمير فيروز بن يزدجرد، بعث بابنتيه إلى الحجاج الذي كان أمير العراق، فأمسك الحجاج إحدى البنتين لنفسه وأرسل الأخرى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيد الناقص وكان اسمها (شاه فريدة) وقالوا (شاه زنان) و (شهربانو).

والرواية الثانية لابن قتيبة الذي ذكر أن أم علي زين العابدين سندية يقال لها أيضاً غزالة، خلف عليها بعد الحسين موليه زبيد فولدت له عبد الله بن زبيد فهو أخو علي بن الحسين لأمه[1] وكذلك ذكر ابن خلكان ما قاله ابن قتيبة[2] إذن سلافة حسب هذه الرواية هي بمثابة زوجة الأب لزين العابدين رضي الله عنه.

ويذكر العلامة سليمان ندوي أنه جاء إلى بلاد السند والهند بعد الإسلام الكثيرون من العرب وأقاموا بها وبقيت أسرهم هناك،وكان بينهم أيضاً بعض الأشراف من نسل علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى إقامة أهل السند في البلاد العربية وزواج بعض العرب من السنديات مثل أم زين العابدين التي لم تكن عربية بل إنها كانت سندية[3].

حيدان السندية أم زيد بن علي زين العابدين (ق ١ هـ):

ورد في كتاب المعارف أن علي زين العابدين كان قد اعتق جارية سندية له وتزوجها، فكتب إليه الخليفة عبد الملك بن مروان يعيره بذلك، فكتب علي زين العابدين في الرد: «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقد اعتق الرسول ﷺ صفية بنت حيي وتزوجها، واعتق موليه زيد بن حارثة وزوجه بنت عمه زينب بنت جحش» وقد خرج زيد بن علي بالدعوة لنفسه في خلافة هشام فقتل وصلب[4] فيمكن أن تكون هذه الجارية المعتقة التي تزوجها علي زين العابدين هي حيدان السندية أم زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه.

---

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٤.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٤٢٩.

(٣) العلاقات بين العرب والهنود لسليمان ندوي بالأردية ص ٤.

(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٥.

الملكة لادي السندية زوجة محمد بن القاسم الثقفي (ق ١ هـ):

ورد في بعض الكتب القديمة ببلاد السند أن محمد بن القاسم الثقفي تزوج مرتين، الأولى كانت من ابنة الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق وابن عمه عند قدومه إلى بلاد السند، والثانية كانت من الملكة السندية لادي أرملة الملك داهر بعد فتح بلاد السند.

(أ) قصة زواجه من ابنة الحجاج:

روى رجل من بني تميم عن يزيد بن كفافة عن أبيه أنه كان يوماً عند الحجاج فدخل عليه محمد بن القاسم فقال له الحجاج: يا ابن العم أريد أن أجعل منك رجلاً عظيماً فإن كانت لك حاجة فاسألني عنها؟ فقال محمد بن القاسم: اجعل أميراً وزوجني ابنتك، وكان الحجاج يمسك بيده عصاية صغيرة فضرب بها على رأسه وخرب شكل عمامته، وسأله الحجاج مرة ثانية: ماذا تريد فاطلبه؟ فكرر محمد بن القاسم الجملة نفسها، فضربه الحجاج مرة أخرى، وقال له للمرة الثالثة: أطلب مني ما تتمناه وما يرجوه قلبك، فأعاد محمد بن القاسم عليه طلب يد ابنته وعندئذ قال الحجاج: أقبل طلبك بشرط وهو أنني أجعلك أميراً على جيش كبير وأبعثك لفتح بلاد السند فتفتح تلك البلاد وتجبي الخراج والجزية منها وتصلح أمورها وتحكمها بالعدل، فقبل الفتى محمد بن القاسم ذلك الشرط الصعب وبعد سنة قاد جيش الفتح إلى بلاد السند وهو يبلغ من العمر ١٧ عاماً وفتحها وجعلها دولة إسلامية، ورفع عليها راية الإسلام عالية خفاقة[١].

(ب) قصة زواجه من الملكة السندية:

يذكر صاحب ججنامه أن المؤرخين القدماء قد رووا عن أبي محمد الهندي

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٩٠ طبع الهند.

عن أبي مسهر الغابي أنه روى عن أهل السند أن الملكة لادي ارملة الملك داهر السندي وقعت في الأسر في أيدي العرب بعد مقتل الملك داهر وهزيمة جيشه في معركة راور سنة ٩٣ هـ فأراد محمد بن القاسم أن يشتريها من بين الأسرى إكراماً لها، فكتب رسالة بذلك إلى الحجاج والي العراق يطلب منه ان يأذن له بذلك، وعرض الحجاج بدوره الأمر على الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي وافق على ذلك الطلب، وعندئذ اشتراها محمد بن القاسم، ثم اعتقها واتخذها زوجة شرعية له[1].

وقد رووا عن عقيل بن عمرو أن الملكة لادي حين صارت بعد عام أما لولد من محمد بن القاسم، سألها عن كيفية وقوعها في الأسر بينما قام الحراس بقتل نساء كثيرات كما قامت نساء أخريات بقتل أنفسهن بعد موت أزواجهن في بعض القلاع حسب عادة تلك البلاد، فقالت إنه قبل أن يشتبك الجيش العربي مع الجيش السندي في المعركة المصيرية، أمر الملك داهر بوضع الملكة والأميرات في قلعة حصينة بعيدة عن ميدان القتال، وترك مع كل واحدة منهن حارساً قوياً عنيفاً، وأمر الحراس أنه إذا انتصر العرب في هذه المعركة الأخيرة أن يقتلوا تلك النسوة حتى لا يقعن في أيدي العرب الفاتحين، ثم لما اشتدت حملات العرب وقتل الملك داهر وانهزمت جيوشه وقع الرعب في قلوب الجميع، وبدأ هؤلاء الحراس في تقتيل الأميرات فعلت الصرخات في كل مكان، وعندئذ نظر الحارس إليّ بنظرة غريبة لم أفهم القصد منها وقال إن بشرة وجهك الوردية لا تبدو عليها علامات الخوف بل أرى الارتياح والفرحة، فكأن قلبك يميل إلى أمير العرب (محمد بن القاسم) ويبدو أنك تودين أن تصبحي ملكة للعرب الفاتحين، وفي هذا الوقت كان الهجوم على القلعة فقفزت من مكاني وجريت نحو المقاتلين إلى الميدان ودخلت بينهم، بينما لم يهتم حارسي بي وهرب منقذاً بروحه العزيزة، ثم أخذني جند العرب أسيرة

---

(١) ججنامه بالفارسية ص ١٨٠ طبع الهند.

إلى أميرهم الذي تفضل بشرائي ومنع لي حريتي ولكنه ملك قلبي وجعلني زوجة بل اتخذني شريكة حياة له إلى الأبد[1].

على أن صاحب جچنامه لا يذكر اتمام موضوع زواج محمد بن القاسم، من ابنة الحجاج بعبارة صريحة ولكن يشير إلى ذلك بعض المؤرخين الآخرين، بينما يؤكد صاحب جچنامه زواجه من الملكة لادي وأنها ولدت له ولداً والتاريخ يسكت بعد ذلك قليلاً عن ذكر أخبار ذرية محمد بن القاسم حتى نسمع في سنة ١١٢ هـ أن ابنه عمرو بن محمد بن القاسم قد صار نائباً لوالي بلاد السند، ثم في سنة ١٢١ أصبح والياً على تلك البلاد، ولكنه في سنة ١٢٥ هـ انتحر للأسف بعد وقوعه في يد خصمه اللدود الذي صار والياً جديداً على بلاد السند نتيجة للخلافات القبلية العربية ووضعه في السجن نخشي عمرو أن يعذبه عذاباً شديداً فطعن نفسه بخنجر حارسه وكان يبلغ من العمر عندئذ ٣٠ عاماً، وربما كان عمرو هذا ابناً لمحمد بن القاسم من تلك الملكة السندية، وكانت ولادته في سنة ٩٤ هـ وعندما بلغ من العمر عامين فقط كان والده محمد بن القاسم يعذب في سجن واسط على أيدي خصومه بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك حتى قتل تحت التعذيب هناك في عام ٩٦ هـ لأسباب سياسية بين الخليفة والحجاج وهو لا ذنب له فيها سوى أنه قريب للحجاج، وهكذا كانت حياته مأساة كما صارت حياة ولده عمرو بعده عذاباً مستمراً حتى فقد روحه وهو أيضاً يتعذب على أيدي خصومه لأسباب سياسية فكأنه ورث العذاب من أبيه الراحل، وأما الملكة السندية التي كانت تنظر إلى الحياة متفائلة وقلبها عامر بالحب الكبير لذلك البطل الشهيد، فقد تغيرت نظرتها من الأمل والفرحة الى اليأس والشقاء، فلم يرحمها الدهر، وأكمل غدره لها بأخذ ولدها العزيز أيضاً وكان أملها الباقي في الوجود فبكت أياماً وسنين وهي حزينة طول العمر، تعيش في كنف أفراد أسرة محمد بن

---

(١) جچنامه بالفارسية ص ١٨٦ طبع الهند.

القاسم تحت رعاية والدته حبيبة العظمى وشقيقه صلب بن القاسم في بلاد السند.

ولا نجد ذكراً مفصلاً في كتب التاريخ بعد ذلك لفترة طويلة من الزمن، حتى نجد ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري يشير إلى بعض رجال السياسة والعلم الذين لهم صلة ببلاد السند، فانهم كانوا من ذرية محمد بن القاسم فاتح بلاد السند (٩٢ - ٩٥ هـ) أو ينتمون إلى أسرته التي أقامت في تلك البلاد منذ نهاية القرن الأول للهجرة، فقد ذكر منهم الشيخ الزاهد ركن الدين وهو حفيد الزاهد المعروف بهاء الدين زكريا القرشي مؤسس الفرقة السهروردية، وقد قابله ابن بطوطة ببلاد السند في سنة ٧٣٤ هـ[١] ثم استمرت أسرة محمد بن القاسم في الإقامة في تلك البلاد بل اندمجت بأهلها.

الأميرة حسنة ابنة أخت الملك داهر بالعراق (٩٤ هـ):

روى أبو أيوب الهاشمي عن أحد أبناء جعفر بن سليمان مولى علي بن عبد الله بن عباس الذي كان يعمل في بلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك، روى أنه بعدما انتهت معركة راور بين العرب وأهل السند بمقتل الملك داهر في سنة ٩٣ هـ قام محمد بن القاسم بارسال الأخماس من الغنائم وبعض الأسرى ورأس داهر الى الخليفة الوليد في سنة ٩٤ هـ مع وفد برئاسة أحد قواد العرب وهو كعب بن مخارق الراسبي، وكان بين هؤلاء الأسرى السند أميرة سندية وهي ابنة الملك داهر وكانت تسمى حسنة، فأعجب بها الخليفة، وقال للقائد كعب بن مخارق: إنها أميرة جميلة فخذها، إنها لك. وكان كعب بن مخارق شاباً غير متزوج في ذلك الوقت فأخذها الى بيته وعقد عليها الزواج، وكانت الأميرة السندية عالمة أديبة وكان عدد كبير من النساء العرب يحضرون اليها

---

(١) ابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

ويستفدن من صحبتها الأدبية ولكنها في الغالب لم تنجب لكعب أي ولد أو بنت، وفي رواية أخرى وهبها الخليفة لابن عمه الأمير عبد الله بن عباس[1].

حبابة السندية أم يزيد بن عمر بن هبير الفزاري (ق ٢ هـ):

ذكر ابن قتيبة أن عمر بن هبيرة الفزاري تولى حكم العراقين في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥ هـ) لمدة ست سنوات، وكانت حبابة جارية ليزيد بن عبد الملك سبية سندية، ثم صارت لعمر بن هبيرة الذي تزوجها ومنها أولاده يزيد وسفيان وعبد الواحد، فأما يزيد فولي العراقين في عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ) لمدة خمس سنوات[2] وقال القاضي أطهر بأن الظاهر أن أم يزيد بن عمر السندية هي حبابة التي كانت جارية للخليفة يزيد بن عبد الملك وكانت جواري بلاد السند مشهورات عند العرب في القيام بتربية الأولاد والواجبات المنزلية، ولذلك كان العرب يرغبون إلى السنديات في تربية أولادهم[3].

سندية أم محمد بن الأشتر[4] (ق ٢ هـ):

في عهد الخليفة المنصور العباسي خرج محمد بن عبد الله بن محمد العلوي بالدعوة لنفسه ووجه ابنه عبد الله الأشتر إلى والي بلاد السند عمر بن حفص في سنة ١٤٥ هـ لأخذ البيعة لمحمد، وفي اليوم المحدد للبيعة وصل الخبر بمقتل محمد العلوي فخاف عبد الله الأشتر على نفسه ولجأ إلى حماية ملك سندي يحكم منطقة مجاورة لمدينة المنصورة عاصمة بلاد السند، وأكرمه الملك تعظيمًا للرسول ﷺ وبقي عبد الله الأشتر عنده سنوات عديدة حتى قتله والي

---

(١) ججنامه ص ١٩٢ و١٩٦ بالفارسية طبع الهند.

(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣٦٤.

(٣) رجال السند والهند لأطهر مباركيوري ص ٩٥.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الأشتر.

بلاد السند بأمر الخليفة المنصور في سنة ١٥١ هـ، وكانت لعبد الله الأشتر زوجة سندية فولدت له ولداً سماه محمداً وهو المعروف باسم ابن الأشتر، فأرسله الوالي الى الخليفة المنصور الذي بعثه الى المدينة لتسليمه إلى أهله هناك[١].

خمار القندهارية الزطية المغنية (ق ٢ هـ):

كان جد خديجة بنت هارون الرشيد، قد اشترى جارية قندهارية وهي صبية سندية من آل يحيى بن معاد بمائتي ألف درهم، ثم صارت جارية للخليفة هارون الرشيد في خدمة خديجة، وكان ابراهيم الموصلي قد لحن بيتين فيها وهما:

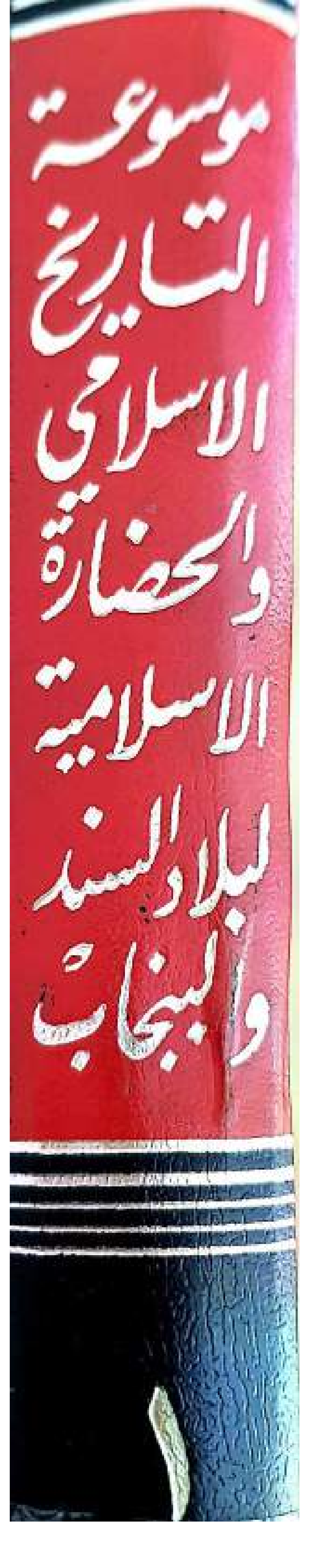
إذا سـرها أمـر وفيـه مسـاءتي ... قضيت لها فيما تريد على نفسي
وما مر يـوم أرتجي فيه راحـة ... فـأذكره إلا بكيت عـلى أمسي

الشعر لأبي حفض الشطرنجي والغناء لابراهيم، وكانت خمار الجارية تغني هذه الأغنية فسمعها ابن جامع، وأعجب بصوتها الجميل وكان كثيراً ما يطلب منها أن تغنيها[٢] والقندهارية نسبة إلى قندهار (كندهارا) مدينة تقع في بلاد السند وكانت تسكنها قبيلة الزط السندية.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٤٥٥ ـ وتاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٣ ص ٣٥٥ ـ ابن خلدون جـ ٢ ص ١٩٨ ـ عمدة الطالب ص ٨٢.

(٢) رجال السند والهند ص ١١٥ ـ ضحى الإسلام جـ ١ ص ٨٥.


موسوعة
التاريخ
الاسلامي
والحضارة
الاسلامية
لبلاد السند
والبنجاب
1